

جواهر البلاغة

في

المعاني والبيان والبديع

تأليف

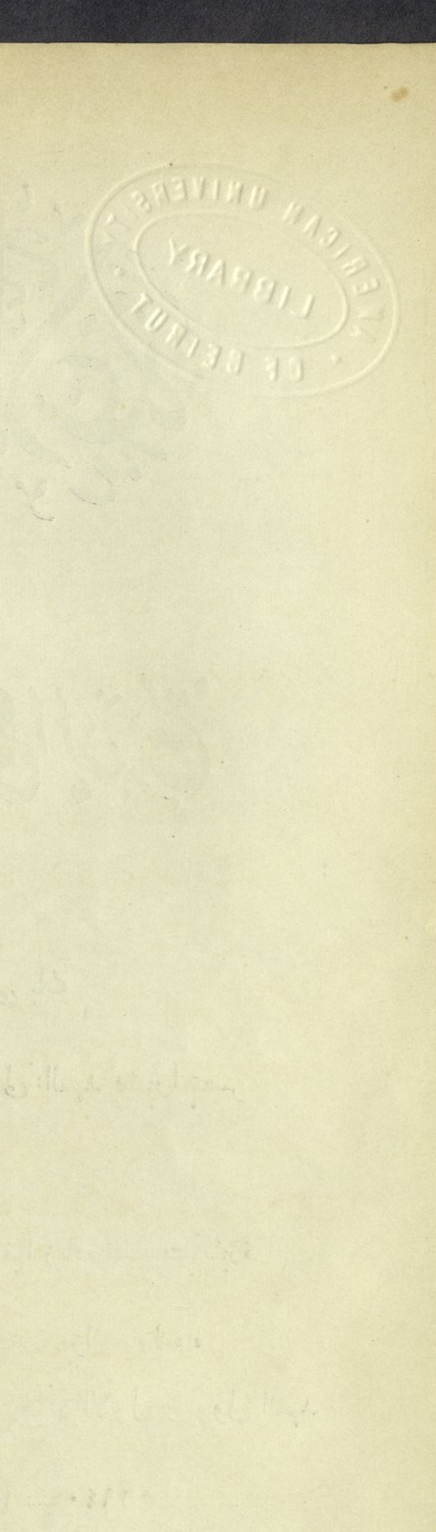
السيد احمد الهاشمي بك

مدير مدارس فؤاد الأول – وولي العهد بشبرا بمصر

الطبعة العاشرة المعدلة مطولة منقحة وفيها زيادة تطبيقات كثيرة

سنة ١٣٥٨ هـ – سنة ١٩٣٩ = ١٩٤٠ م

مطبعة الاعتماد بشارع حسن الأكبر بمصر



بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن خصَّ سيِّدَ الرُّسل بكمال الفصاحة بين البَدوِ والحضَر وأنطقهُ بجوامع الكلِم فأعجزَ بُلغاء ربيعةَ ومُضَر، وأنزل عليه الكتاب المفْحِم بتحدِّيه مَصاقِع بُلغاء الأعراب، وأتاه بحكمته أسرار البلاغة وَفصلَ الخطاب، ومنحهُ الأسلوب الحكيم[1] فى جوامع كلمه، وخصَّ «السّعادة الأبدية» لمقتفِى آثاره وحِكَمِهِ، صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه «جواهر البلاغة» الذين نَظمُوا لآلىء البديع فى عُقود الإيجاز والإطناب، ففُهنا بعد اللَّكَن «بجواهر الإعراب» ونطقنا «بميزان الذَّهب» وطرَّزنا سُطور الطُّرُوس «بجواهر الأدب» فصارت «المُفرد العَلم» فى باب النَّسب (وبعد) فانَّ العلومَ أَرفعُ المطالب، وأنفع المآرب، وعلم البلاغة مِن بَينها أجلّها شأناً، وأبينها تِبياناً، إذْ هو الكفيل بإيضاح حقائق التَّنزيل، وإفصاح دقائق التأويل، وإظهار «دلائل الإعجاز» ورفع معالم الإيجاز، ولاشتغالى بتدريس البيان بالمدارس الثَّانوية، كانت البواعثُ داعيةً إلى تأليف كتاب «جواهر البلاغة» جامعاً للمُهمَّات من القواعد والتطبيقات - وأسأل المولى جل شأنه أن ينفعَ بهذا الكتاب، وهو المُوفّق للحق والصّواب؟

المؤلف السيد احمد الهاشمى

---

(١) الأسلوب الحكيم والسعادة الأبدية. وجواهر البلاغة. وجواهر الاعراب وجواهر الأدب، وميزان الذهب. والمفرد العلم - الواردة فى هذه الخطبة أسماء بعض كتب مطبوعة لمؤلف هذا الكتاب. وغيرها من القواعد الأساسية للغة العربية. ومختار الأحاديث النبوية والحكم المحمدية. والسحر الحلال فى الحكم والأمثال

تمهيد

لمَّا وُضع « علمُ الصَّرف » للنَّظر فى أبنية الألفاظ

ووُضع علمُ النَّحو للنَّظر فى إعراب ما تركَّب منها

وُضعَ « البيان[1] » للنَّظر فى أمر هذا التركيب ، وهو ثلاثة علوم

(العلم الأول) ما يُحترز به عن الخطأ فى تأديه المعنى الذى يُريدُه المُتكلِّم لإيصاله إلى ذهن السّامع ، ويُسَمَّى « علم المعانى »

(العلم الثانى) ما يُحترز به عن التَّعقيد المعنوى — أى عن أن يكونَ الكلامُ غيرَ واضح الدَّلالة على المعنى المُراد ، ويُسمَّى « علم البيان »

(العلم الثالث) ما يُراد به تحسين الكلام ، ويُسَمَّى « علم البديع » فعلم البديع تابع لهما إذ بهما يُعرف التَّحسين الذَّاتى ، وبه يعرف التَّحسين العرضِى .

والكلام باعتبار « المعانى والبيان » يقال إنَّه

« فصيحٌ » من حيثُ اللفظ — لأن النّظر فى الفصاحة إلى مُجرَّد اللفظ دون المعنى

« وبليغٌ » من حيثُ اللفظ والمعنى جميعاً — لأن البلاغة يُنظر فيها الى الجانبين[2]

---

(١) علم البيان فى اصطلاح المتقدمين من أئمة البلاغة يطلق على فنونها الثلاثة من باب تسمية الكل باسم البعض — وخصه المتأخرون بالعلم الباحث عن المجاز والاستعارة ، والتشبيه ، والكناية — والغرض منه صوغ الكلام بطريقة تبين ما فى نفس المتكلم من المقاصد ، وتوصل الاثر الذى يريده الى نفس السامع

(٢) وبيان ذلك أن الفصاحة تمام آلة البيان فهي مقصورة على اللفظ لأن الآلة =

وأما باعتبار البديع فلا يقال إنه فصيح ولا بليغ ، لأن البديع أمرٌ خارجي يُراد به تحسين الكلام لا غيرُ

إذا تقرَّر ذلك ، وجب على طالب البيان أن يعرف قبلَ الشّروع فيه معرفةَ معنى « الفصاحة والبلاغة » لأنَّهما محورهُ ، وإليهما مرجع أبحاثه .

فهما الغاية التي يقِفُ عندها المتكلّم والكاتب ، والضَّالةُ التي يَنشدانِها وما عقَد أئِمَّةُ البيان الفصولَ . ولا بوَّبوا الأبوابَ ، إلاَّ بُغية أن يوقفوا المُسترشد على تحقيقات ، وملاحظات ، وضوابط ، إذا رُوعيتْ في خطابه . أو كتابه . بلغت الحدَّ المطلوبَ من سهولة الفهم ، وإيجاد الأثر المقصود في نفس السَّامع ، واتَّصفت من ثَمَّ بصفة الفصاحة[1] والبلاغة

= تتعلق باللفظ دون المعنى - فاذن هي كمال لفظي توصف به الكلمة والكلام . والبلاغة إنما هي انهاء المعنى في القلب فكأنها مقصورة على المعنى ، ومن الدليل على أن الفصاحة تتضمن اللفظ . والبلاغة تتناول المعنى . أن الببغاء يسمى فصيحا ولا يسمى بليغا ، إذ هو مقيم الحروف وليس لها قصد الى المعنى الذي يؤديه — وقد يجوز مع هذا أن يسمى الكلام الواحد فصيحاً بليغاً إذا كان واضح المعنى سهل اللفظ جيد السبك غير مستكره فج ، ولا متكلف وخم ، ولا يمنعه من أحد الاسمين شيء لما فيه من ايضاح المعنى وتقويم الحروف

واعلم أن الفصيح من الألفاظ هو الظاهر البين ، وانما كان ظاهراً بيناً لأنه مألوف الاستعمال ، وإنما كان مألوف الاستعمال بين النابهين من الكتاب والشعراء لمكان حسنه ، وحسنه مدرك بالسمع ، والذي يدرك بالسمع إنما هو اللفظ لأنه صوت يتألف من مخارج الحروف - فما استلذه السمع منه فهو الحسن ، وما كرهه فهو القبيح - والحسن هو الموصوف بالفصاحة — والقبيح غير موصوف بالفصاحة ، لأنه ضدها لمكان قبحه

(١) يرى الامام عبد القاهر الجرجاني وجمع من المتقدمين أن الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة - ألفاظ مترادفة لا تتصف بها المفردات ، وإنما يوصف بها الكلام بعد تحري معاني النحو فيما بين الكلم حسب الأغراض التي يصاغ لها

وقال أبو هلال العسكري في كتاب الصناعتين — الفصاحة والبلاغة ترجعان الى =

مقدمة (١)

(فى معرفة الفصاحة والبلاغة)

الفصاحة

الفصاحة : تُطلَق فى اللُّغة على معانٍ كثيرة - منها البيانُ والظُّهور قال الله تعالى « وأخى هارونُ هو أفصح منىّ لسانا » أى أبينُ مِنِّى منطقا وأظهر منِّى قولاً

ويُقال : أفصح الصبىُّ فى منطقه . إذا بان وظهر كلامه .

وقالت العرب : أفصح الصُّبح . إذا أضاء ، وفَصَح أيضا

= معنى واحد : وإن اختلف أصلاهما. لأن كل واحد منهما انما هو الابانة عن المعنى والاظهار له . وقال الرازى فى نهاية الايجاز — وأكثر البلغاء لا يكادون يفرقون بين الفصاحة والبلاغة : وقال الجوهرى فى كتاب الصحاح — الفصاحة هى البلاغة

(١) مقدمة مشتقة من قدم اللازم ، وهذه مقدمة كتاب لأنها ألفاظ تقدمت أمام المقصود لارتباط له بها وانتفاع بها فيه— بخلاف مقدمة العلم فهى معان يتوقف الشروع عليها - كبيان حد العلم المشروع فيه . وموضوعه . وغايته

واعلم أن علوم البلاغة أجل العلوم الأدبية قدراً . وأرسخها أصلا . وأبسقها فرعا وأحلاها جنى . وأعذبها ورداً . لانها العلوم التى تستولى على استخراج درر البيان من معادنها ، وتريك محاسن النكت فى مكامنها . (ولولاها لم تر لساناً يحوك الوشى ، ويلفظ الدر ، وينفث السحر ، ويريك بدائع الزهر ، وينثر بين يديك الحلو اليانع من الثمر) فهى الغاية التى تنتهى اليها أفكار النظار ، واللالىء التى تتطلبها غاصة البحار لهذا كانت منزلتها تلو العلم بتوحيد الله تعالى

وأفصح الأعجمىُّ : إذا أبان بعدَ أن لم يكن يُفصِح ويُبين .

وفصح اللَّحان . إذا عبَّر عمَّا فى نفسه . وأظهره على وجه الصَّواب دون الخطأ

والفصاحة : فى اصطلاح أهل المعانى ، عبارة عن الألفاظ البيِّنةِ الظَّاهرة ، المُتبادرةِ الى الفهم ، والمأنوسة الاستعمال بين الكتاب والشّعراء لمكان حُسنها

وهى تقع وصفاً للكلمة ، والكلام ، والمتكلِّم ، حَسبمَا يعتبر الكاتب اللَّفظةَ وحدَها . أو مَسبوكة مع أخواتِها

فصاحة الكلمة

١ — خلوصها من تنافر الحروف : لتكون رقيقة عَذْبة . تَخِفّ على اللّسان ، ولا تَثقُل على السّمع ، فلفظ «أسد» أخفّ من لفظ «فَدَوْكَسٍ»

٢ — خلوصها من الغرابةِ ، وتكون مألوفة الاستعمال

٣ — خلوصها من مُخالفةِ القياس الصّرفى ، حتى لا تكون شاذة

٤ — خلوصها من الكراهةِ فى السّمع [1]

(١) ففصاحة الكلمة تكونها من حروف متآلفة يسهل على اللسان نطقها من غير عناء ،مع وضوح معناها ، وكثرة تداولها بين المتكلمين وموافقتها للقواعد الصرفية ومرجع ذلك الذوق السليم ، والالمام بمتن اللغة، وقواعد الصرف - وبذلك تسلم مادتها وصيغتها . ومعناها من الخلل — واعلم أنه ليس تنافر الحروف يكون موجبه دائما قرب مخارج الحروف . إذ قربها لا يوجبه دائما — كما أن تباعدها لا يوجب خفتها —

فها هى كلمة «بفمي» حسنة ، وحروفها من مخرج واحد وهو الشفة ، وكلمة (ملع) متنافرة ثقيلة ، وحروفها متباعدة المخارج ، وأيضاً ليس موجب التنافر طول الكلمة وكثرة حروفها

أمّا « تنافُر الحروف » ؛ فهو وصفٌ فى الكلمة يُوجِبُ ثِقلها على السَّمع . وصعوبةَ أدائها باللّسان : بسبب كون حروف الكلمة مُتقاربةِ المخارج — وهو نوعان :

(١) شديدٌ فى الثِّقل — كالظَّش (للموضع الخشن) ونحو : هُعْخُع « لنبت ترعاه الإبل » من قول أعرابى

* تركتُ ناقتى ترْعَى الهُعْخُع *

(٢) وخفيف فى الثّقل — كالنقّنقة « لصوت الضّفادع » والنُّقَاخ « للماء العذب الصّافى » ونحو : مُسْتَشْزِرات « بمعنى مرتفعات » من قول امرىء القيس : يصف شعر ابنة عمّه

غَدَائِرهُ مُسْتَشْزِراتٌ إلى العُلاَ　　تَضِلُّ العِقَاصُ فى مُثَنّى ومُرْسَل [١]

ولا ضابطَ لمعرفة الثِّقل والصعوبة سِوى الذّوق السّليم ، والحِسّ الصّادق النّاجمين عن النظر فى كلام البلغاء ومُمارسةِ أساليبهم [٢]

(١) « الغدائر » الضفائر ، والضمير يرجع إلى (فرع) فى البيت قبله (والاستشزار) الارتفاع (والعقاص) جمع عقيصة وهى الخصلة من الشعر (والمثنى) الشعر المفتول (والمرسل) ضده — أى ابنة عمه لكثرة شعرها بعضه مرفوع ، وبعضه مثنى ، و بعضه مرسل ، وبعضه معقوص : أى ملوى

(٢) الالفاظ تنقسم إلى ثلاثة أقسام — قسمان حسنان ، وقسم قبيح ، فالقسمان الحسنان : أحدهما ماتداول استعماله السلف والخلف من الزمن القديم إلى زماننا هذا ولا يطلق عليه أنه وحشى ، والآخر ما تداول استعماله السلف دون الخلف ، ويختلف فى استعماله بالنسبة إلى الزمن وأهله — وهذا هو الذى يعاب استعماله عند العرب لانه لم يكن عندهم وحشياً وهو عندنا وحشى

ولا يسبق وهمك إلى قول فصراء النظر بأن العرب كانت تستعمل من الألفاظ كذا وكذا - فهذا دليل على أنه حسن ، بل ينبغى أن تعلم أن الذى نستحسنه نحن فى زماننا هذا ، هو الذى كان عند العرب مستحسنا ، والذى نستقبحه هو الذى كان =

وأمّا غَرابة الاستعمال، فهى كونُ الـكلمة غيرَ ظاهرةِ المعنى، ولا مألوفة الاستعمال عند العرب الفُصحاء، لأنّ المعوّلَ عليه فى ذلك استعمالهم

والغرابة قسمان:

القسم الأول: مايُوجب حِيرة السّامع فى فَهْم المعنى المقصُود من الـكلمة: لتردّدها بين معنيين أو أكثر بلا قرينة.

وذلك فى الألفاظ المُشتركة «كمُسرّج» من قول رُؤْبَة بن العَجاج:

وُمقْلةً وَحاجِباً مُزَجّجَا وفاحماً ومَرْسِناً مُسَرَّجا [1]

= عندهم مستقبحاً – والاستعمال ليس بدليل على الحسن، فاننا نحن نستعمل الآن من الـكلام ما ليس بحسن، وإنما نستعمله لضرورة، فليس استعمال الحسن بممكن فى كل الأحوال – واعلم أن استحسان الألفاظ واستقباحها لا يؤخذ بالتقليد من العرب لانه شىء ليس للتقليد فيه مجال، وإنما هو شىء له خصائص وهيئات وعلامات إذا وجدت علم حسنه من قبحه – ألا ترى أن لفظة (المزنة) مثلا حسنة عند الناس كافة من العرب وغيرهم، لايختلف أحد فى حسنها – وكذلك لفظ (البعاق) فانها قبيحة عند الناس كافة من العرب وغيرهم، فاذا استعملتها العرب لا يكون استعمالهم إياها مخرجا لها عن القبح، ولا يلتفت إذن إلى استعمالهم إياها بل يعاب مستعملها ويغلظ له النـكير حيث استعملها – فلا تظن أن الوحشى من الألفاظ ما يكرهه سمعك ويثقل عليك النطق به وإنما هو الغريب الذى يقل استعماله، فتارة يخف على سمعك ولاتجد به كراهة، وتارة يثقل على سمعك وتجد منه الـكراهة، وذلك فى اللفظ عيبان كونه غريب الاستعمال وكونه ثقيلا على السمع كريها على الذوق. وليس وراءه فى القبح درجة أخرى، ولا يستعمله إلا أجهل الناس ممن لم يخطر بباله شىء من معرفة هذ الفن أصلا

انتهى عن المثل السائر – بتصرف

(١) «مزججا» مدققاً مطولا (فاحما) شعراً اسود كالفحمة (مرسنا) بكسر الميم وفتح السين كمنبر – أو بفتح الميم وكسر السين كمجلس – ومعناه أنفاذا لمعان كالسراج أو ذا صقالة واحديداب كالسيف السريجى أى المنسوب إلى سريج وهوقين حداد تنسب اليه السيوف فى الدقة والاستواء

فلا يُعلم ما أراد بقوله « مُسرَّجا » حتّى اختَلفَ أئمة اللغة فى تخريجه

فقال « ابن دُريد » يريد أنّ أنفه فى الاستواء والدِّقَة كالسّيف السّريجى

وقال « ابنُ سيدَه » يُريد أنه فى البريق واللّمعان كالسّراج[١]

فلهذا يَحتار السّامعُ فى فهم المعنى المقصود لتردّد الكلمة بين معنيين

بدون « قرينة » تُعيِّن المقصود منهما

فلأجل هذا التّردد ، ولأجل أنّ مادة (فعّل) تدلّ على مجرّد نسبة

شيء لشيء ، لا على النّسبة التّشبيهيّة : كانت الكلمة غير ظاهرة الدلالة على

المعنى . فصارت غريبة

وأما مع القرينة فلا غرابةَ — كلفظة « عزَّر » فى قوله تعالى

(فالذين آمنوا وعزّروه ونصروه) فانّها مشتركة بين التّعظيم والإهانة.

ولكن ذكر النّصر قرينة على ارادة التعظيم

القسم الثانى : ما يُعاب استعماله لاحتياج الى تتبُّع اللغات

وكثرة البحث والتفتيش فى المعاجم « قواميس متن اللغة المطولة »

« ا » فمنه ما يُعثر فيها على تفسيرٍ بعْدَ كَدّ . ونحث ـ نحو: تَكأكأتم

« بمعنى اجتمعتم » من قول عيسى بن عمرو النَّحوى :

---

(١) أى ولفظة مسرج غير ظاهرة الدلالة على ما ذكر، لأن فعل إنما يدل على مجرد النسبة ، وهى لاتدل على التشبيه ، فأخذه منها بعيد ـ لهذا أدخل الحيرة على السامع فى فهم المعنى المقصود من الكلمة لترددها بين معنيين أو أكثر بلا قرينة ـ ومثله قول الشاعر

لو كنت أعلم أن آخر عهدكم يوم الرحيل فعلت مالم أفعل

فلا يعلم ماذا أراد الشاعر بقوله فعلت مالم أفعل — أكان يبكى إذا رحلوا — أم كان يهيم على وجهه من الغم الذى لحقه — أم يتبعهم إذا ساروا — أم يمنعهم من المضى على عزمة الرحيل

مالَـكُم تَـكأكأتُم[١] علَىَّ، كتَـكأكُئِـكُم على ذِى جِنَّة[٢]

إفرَنْقِعُوا عنّى[٣] - ونحو (مُشمَخرّ) فى قول: بِشْرِبن عَوانة. يَصِفُ الأسدَ:

فخرّ مُدَرَّجاً بِدَمٍ كأنى هَدَمْتُ به بِناءً مُشمَخِرّا

« ب » ومنه ما لم يُعثر على تفسيره نحو (جَحلَنْجَع) من قول

أبى الهَمَيْسَع « مِنْ طَمحةٍ صَبَيرها جَحْلَنجَع[٤] لم يحضها الجدول بالتنوُّع »

وأمّا (مُخالفة القياس) فهو كون الـكلمة شاذَّة غيرَ جارية على القانون الصَّرفى المُسْتَنبَط من كلامِ العرب؛ بأن تـكون على خلاف ما ثبت فيها عن العُرف العربى الصّحيح[٥] مثل (الأجْلَلِ) فى قول أبى النَّجْم:

أَلحمـدُ للهِ العلىِّ الأجْلَلِ الوَاحدِ الفَرْدِ القَدِيمِ الأوَّلِ

فانَّ القياس (الأجَلّ) بالادغام، ولا مُسَوِّغَ لفـكّهِ

---

(١) اجتمعتم (٢) جنون (٣) انصرفوا - وقال ذلك حين سقط عن دابته فاجتمع الناس حوله

(٤) الطمحة النظرة، والصبير السحاب المتراكم — وقبله

إن تمنعى صوبك صوب المدمع يجرى على الخد كضئب الثعثع

الضئب الحب والثعثع اللؤلؤ — قال صاحب القاموس ذكروا جحلنجع ولم يفسروه، وقالوا كان أبو الهميسع من أعراب مدين، وكنا لا نـكاد نفهم كلامه اه

(٥) مااستثناه الصرفيون من قواعدهم المجمع عليها وان خالف للقياس (فصيح) فمثل (آل وماء) أصلهما أهل وموه — أبدلت الهاء فيهما همزة، وابدال الهمزة من الهاء وإن كان على خلاف القياس إلا أنه ثبت عن الواضع — ومثل (أبى يأبى) بفتح الباء فى المضارع والقياس كسرها فيه لأن فعل بفتح العين لا يأتى مضارعه على يفعل بالفتح إلا إذا كان عين ماضيه أو لامه حرف حلق كسأل ونفع، فمجيء المضارع بالفتح على خلاف القياس، إلا أن الفتح ثبت عن الواضع - ومثل (عور يعور) أى فالقياس فيهما عار يعار بقلب الواو ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها، فتصحيح الواو خلاف القياس إلا أنه ثبت عن الواضع

وكقطع همزة وصل « إثنين » فى قول جَميل :

ألَا لَا أرى اثنين أحسنَ شيمةً على حدَثان الدهرِ منِّى ومن جَمل[1]

ويُستثنَى من ذلك ما ثبت استعماله لدى العرب مخالفاً للقياس ولكنه فصيح

لهذا لم يَخرُج عن الفصاحة لفظتا (المشرِق والمغرِب) بكسر الراء، والقياس فتحها فيهما، وكذا لفظتا (المُدهُن والمنْخُل) والقياس فيهما مِفْعَل بكسر الميم وفتح العين - وكذا نحو قولهم (عوِر) والقياس عارَ: لتحرُّك الواو وانفتاح ماقبلها.

وأمّا (الكراهة فى السَّمع) فهو كون الكلمة وحشيةً، تأنفُها الطِّباع وتمجّها الأسماع، وتنبو عنه، كما ينْبُو عن سماع الأصوات المُنكرة (كالجِرشَّى - للنفس) فى قول أبى الطيْب المُتَنبِّى يمدح سيف الدَّولة

مُبارَكُ الإِسْم أغرُّ اللَّقبْ كَريمُ الجِرشَّى شريفُ النَّسَبْ

ومُلخَّص القول - أن فصاحة الكلمة تكون بسلامتها من تنافر الحروف ومن الغرابة . ومن مخالفة القياس . ومن الابتذال . والضَّعف

فاذا لصق بالكلمة عيب من هذه العيوب السابقة وَجب نبذها واطِّرحها

تطبيق (١)

ما الذى أخلْ بفصاحة الكلمات فيما يأتى ؟؟

قال يحيى بن يعمر : لرجل حَاكمتهُ امرأته اليه « أَإِنْ سألَتْكَ ثمنَ شكْرِها وشَبرِكَ، أخذَتَ تُطلّها وتُضهْلها[2]

(١) الشيمة الخلق ، والحدثان نوائب الدهر ، وجمل فرسه (٢) الشكر الرضاع والشبر النكاح وتطلها تسعى فى بطلان حقها وتضهلها تعطيها الشىء القليل

وقال بعض أمراء العرب ، وقد اعتلت أمه ، فكتب رقاعاً وطرحها في المسجد الجامع بمدينة السلام : صينَ امرؤٌ ورعَا ، دعَا لامرأة أنقحلة[١] مُقسئنة[٢] قد مُنيَت بأكل الطَّرموق[٣] فأصابها من أجله الاستمْصَال[٤] بأن يَمُنَّ الله عليها بالأطرغشاش[٥] والابرغشاش

أسمعُ جَعجَعةً[٦] — ولا أرَى طحناً — الإسفَنطُ[٧] — حرام —
وهذا الخَنشليل[٨] صَقيل ، والفَدَوْكَسُ مُفترسٌ[٩]

يومٌ عَصَبصَبٌ وهِلَّوْفٌ ، ملأ السَّجْسَجَ طَلاَ[١٠]

أمِنَّا أنْ تصَرّعَ عن سَماحٍ   وللآمال في يدكِ اصْطِرَاع[١١]

وقال الفرزدق

واذا الرِّجالُ رأوا يَزِيدَ رأيتَهُم   خُضعَ الرِّقابِ نوَاكِسِ الأبصارِ[١٢]

وقال أبو تمّام

---

(١) يابسة (٢) مسنة عجوز (٣) ابتليت بأكل الطين

(٤) الاسهال (٥) البرء — وكذا معنى ما بعده (٦) جعجعة غير فصيحة لتنافر حروفها ، وهو مثل يضرب لمن يقول ولا يفعل (٧) الاسفنط الخمر

(٨) الخنشليل السيف (٩) الفدوكس الاسد ، فكل من هذه الألفاظ الثلاثة وحشية غير مألوفة (١٠) شديد البرد فيهما — والسجسج الأرض التي ليست بسهلة ولا صلبة (١١) أراد : أنهم أمنوا أن يغلبه غالب يصرعه عن السماع ويمنعه منه وأما قوله (وللآمال في يدك اصطراع) فمعناه تنافس وتغالب وازدحام في يده — يريد كثرة نواله وكرمه . واستعماله للفظة الاصطراع بهذا المعنى بعيد . (١٢) فقد جمع (ناكس) على (فواعل) شذوذا وهذا لا يطرد إلا في وصف لمؤنث عاقل لا لمذكر كما هنا إلا في موضعين (فوارس وهوالك) والناكس : مطأطئ الرأس

قد قلت لما اطلخمَّ الأمرُ وانبعثت عشواء تالية غُبساً دهاريسا (١)

وقال شمر

وأحمق ممَّن يكرع الماء قال لى دع الخمر واشرب من نقاخ مُبرّد (٢)

يظل بموماة ويمسى بغيرها جحيشاً ويعروري ظهور المسالك (٣)

فلا يُبرمُ الأمرُ الذى هو حالل ولا يُحلل الأمرُ الذى هو يُبرمُ (٤)

مقابل فى ذرا الأذواء منصبه عيصاً فعيصاً وقدموساً فقدموسا

وقال أبو تمام

نعم متاع الدنيا حباك به أروع لا جيدر ولا جبس

وقال امرؤ القيس

رُبَّ جفنة (٥) مثعنجرة، وطعنة مسحنفرة، وخطبة مستحضرة

---

(١) قال صاحب المثل السائر — أن لفظ (اطلخم) من الألفاظ المنكرة التى جمعت الوصفين القبيحين فى أنها غريبة، وأنها غليظة فى السمع كريهة على الذوق، وكذلك لفظة (دهاريس) واطلخم: أى اشتد وعظم، والعشواء الليلة المظلمة، والغبسة جمع أغبس وغبسأ: وهى الشديدة الظلام مثلها — والدهاريس جمع دهريس وهى الدواهى

(٢) الماء العذب الصافى (٣) الموماة المفازة الواسعة، ويقال للمستبد برأيه جحيش، ويقال اعرورى الفرس ركبها عريانا — وان لفظة جحيش من الألفاظ المنكرة القبيحة — ويالله العجب — أليس أنها بمعنى فريد، وفريد لفظة حسنة رائقة، ولو وضعت فى هذا البيت موضع جحيش لما اختل شىء من وزنه، فتأبط شراً لأنه ملوم من وجهين فى هذا الموضع. أحدهما أنه استعمل القبيح. والآخر أنه كانت له مندوحة عن استعماله فلم يعدل عنه

(٤) العيب فى هذا البيت من حيث فك الادغام فى (حالل ويحلل) بلا مسوغ وهو شاذ ومخالف للقياس الصرفى ومخالف للكلام العربى الصحيح (٥) يريد بقوله جفنة

وقصيدة مُحبَّرة ، تبقى غداً بأنقرة — أكلت العَرِينَ ، وشربتُ الصُّمادحَ (١) إنى إذا أنشدتُ لأحبَنْطى (٢) نزل بزيد داهيةٌ خَنفقيق (٣) وحلّ به عَنْقفير . لم يجدْ منها مَخلصاً . رأيت مَاء نُقاخاً (٤) ينباعُ (٥) من سفحَ جبَل شامخ . إخالُ أنك مصوُون (٦) — البُعاق (٧) ملأ الجرْدَحْلَ

فانْ يكُ بعضُ الناس سَيفاً لدوْلة ففى النَّاس بُوقاتٌ لها وطبُولُ (٨)

نَقىٌ تقىٌ لم يُكثّر غنيمة بنَكْهةِ ذِى القُرْبى ولا بحَقلَّدِ

إنَّ بنَىَّ لَلئامٌ زهَدَهْ مَالىَ فى صدُورهم مِن موْدَدَهْ (٩)

رَمتنِى مىٌ بالهوَى رَمْى مُمضغ من الوحش لوْطٌ لم تعقه الأوَالس (١٠)

بعينين نَجلاوين لم يجر فيهما ضَمانٌ وَجيدٍ حلى الدرّ شامسُ (١١)

عِلمى إلى علمك كالقرارة فى الْمُثْعَنْجَرِ (١٢)

انّ بعضاً من القريض هُراءٌ ليس شيئا وبعضه إحكام

صحفة كبيرة ملأى تشبع عشرة ، والمثعنجرة السائلة ، والمسحنفرة الماضية بسرعة ، وطعنة متسعة ببلد أنقرة ، وهو كلام امرىء القيس لما قصد ملك الروم ليستنجده على قتلة أبيه . فهوته بنت الملك وبلغ ذلك القيصر فوعده أن يتبعه بالجنود إذا بلغ الشأم ، أو يأمر من بالشأم من جنوده بنجدته — فلما كان بأنقرة بعث اليه بثياب مسمومة فلما لبسها تساقط لحمه فعلم بالهلاك — فقال رب الخ

(١) يريد اللحم والماء الخالص (٢) احبنطى انتفخ بطنه (٣) دهياء (٤) عذبا (٥) ينبع ويسيل (٦) مصوون : شاذة وليست فصيحة لمخالفتها للقياس الصرفى (٧) البعاق مطر السحاب، والجردحل الوادى — وليستا فصيحتين لغرابتهما (٨) بوقات مزامير — والقياس فى جمعه أبواق (٩) القياس مودة بالادغام (١٠) لوط لازق والاوالس النياق (١١) ضرب من القلائد (١٢) المثعنجر لفظة متنافرة — والمعنى إن علمى مقيس إلى علمك كالغدير الصغير موضوعا فى جانب البحر

فيه ما يجلب البَراعة والفهـ ـم وفيه ما يجلب البرسامُ (١)
ومن الناس مَن تجوزُ عليهم شعُراء كأنها الخازَ بازُ (٢)

تمرين (ا)

(١) فرِّق بين التنَّافر فى الـكلمة ، وفى الـكلام ، واذكر السبب
(٢) أذكر مثالا للتعقيد اللفظى ، وبين سبب هذا التعقيد ، ثمْ أزِله
(٣) قد يلازمُ تنافر الحروف الغرابة ، وقد تنفرد الغرابة عن التنافر ، وضح ذلك بأمثلة مُبتكرة
(٤) كل كلام بليغ يكون فصيحاً ولا عكس . اشرح هذه العبارة واستشهد عليها بما يحضرك

تمرين (ب)

مَيِّز الـكلام الفصيح من غير الفصيح فى كل ما يأتى ، و بيِّن السبب : —
(١) كُلَّما قَرُبَتْ النفسُ من المال شبراً ، بعُدَت عن الفضيلة مِيلا
(٢) شكت أمرأةٌ صَمَعْمَعَةُ الرأس (٣) ، مُتعشكلةُ الشّعرَ ، دَرْدَبيساحلَّتْ بها .
(٣) نَمْ وإنْ لم أَنَمْ كَرَاىَ كَرا كا شاهدى الدمعُ ، إنَّ ذاك كذا كا

---

(١) القريض الشعر ، والهراء الكلام الفاسد الذى لا نظام له ، وأحكام جمع حكم ، والمراد الحكمة ، والبرسام بفتح الباء وكسرها التهاب الصدر
(٢) الخاز باز صوت الذباب - وتجوز : تروح وتقبل
الرأس الصمعمعه : الصغيرة

(٤) فأصبحتْ بعدَ خطِّ بهجتِها كأنّ قفراً رسومَها قلما

(٥) وازورَّ مَنْ كانَ لهُ زائراً وعافَ عافي العُرْفِ عِرفانَه

(٦) وأكرمُ من غمامٍ عند مَحْلٍ فتىً يحيي بمدحته الكراما

(٧) أشكوكَ كُوكاً، كي ينفكَّ عن كنفي ولا يُنيخ على الركّاب كَلْكَله

(٨) سأل كوفيٌّ خياطاً عن فرس ومُهر فقدَهُما فقال :

« ياذا النِّصاح — وذات السَّمِّ الطاعن بها في غير وغى لغير عِداً : هل رأيت الخيفانة القبَّاء ، يتبعها الحاسنُ المُرْهف ؟؟

(٩) كتب أحدهم لصديقه يقول :

« يا أحبَّ صواحبي وأعْزَزَهم عليّ ، يؤلمني أنْ أُصبح مَقْصوباً عنك هذا الإِقصاى ، وأنت منّي بمنزلة الروح من الجسد » .

---

(٣) (٤) الرسوم : آثار الديار

(٥) أزور : أعرض . وعاف : كره . وعافى العرف : طالب المعروف

(٦) للمغفور له احمد شوقى . والمحل : الجدب

(٧) أناخ بكلكله : هبط بمقدم صدره . وينسب البيت للمرحوم الشيخ حمزه فتح الله

(٨) النصاح : الخيط . وذات السم الابرة . والخيفانة : الفرس الطويلة . والقباء : الدقيقة الخصر الضامرة . والحاسن : الجميل : والمرهف : المستريح

تمرين

(١) أىُّ أجزاء هذين البيتين غير فصيح :

(ا) أصبحتُ كالثوب اللَّبيس قد أخلقت جِدَّاتُه منه فعـــاد مُذالا

(ب) رمتنى مىٌّ بالهوى رمىَ مُمضِغ من الوحش لَوْطٍ لم تعقْهُ الأوالس

تطبيق

ما الذى أخلَّ بفصاحة الكلمات فيما يلى ؟؟

يانفسُ صبراً كل حىٍّ لاقِ وكل إثنين الى افـتراق

أبْعِدْ بَعِدْتَ بياضاً لا بياض لهُ لأنت أسودُ فى عينى منَ الظُّلَم (١)

لانسبَ اليومَ ولا خُلَّه إتَّسعَ الفتقُ على الرَّاقِع (٢)

فأيقنتُ أنِّى عند ذلك ثائِرٌ غداتئذ أو هالكٌ فى الهوالك (٣)

مهلاً أعاذِلَ قد جرَّبت من خُلقى أنِّى أجودُ لأقوامٍ وان ضَنِنُوا

---

(١) : ا : لابن الرومى — واللبيس: الملبوس . والاخلاق : البلى . والجدة : صفة الثوب الجديد : والمذال : الممتهن

ب : اللوط : الخفيف السريع — والأوالس : النوق السريعة .

(١) الظلم: الليالى الثلاث آخر الشهر. ولابياض له — لاحسن له — قاله المتنبى يخاطب الشيب له، وخالف القياس فى الاسود: لأنه لايبنى اسم تفضيل من نحو سود وحمر

(٢) الخلة الصداقة : والفتق الشق ، والراقع مصلح الفتق — وقد خالف القياس فى إتسع : حيث قطع همزة الوصل

(٣) هوالك فواعل — لايطرد فى وصف العاقل كما هنا

تشكو الوَجى من أظْلَلٍ وأظلَل　　من طول إملالٍ وظهرٍ مُمْلِلِ[١]

(١) وقال ابن جحدر :

حلفتُ بما أرْقلَتْ حَوله　　هَمَرجلةٌ خُلقُها شَيْظَمُ[٢]

---

(١) الوجى الحفا : والأظلل باطن خف البعير — وخالف القياس بفك الادغام

تنبيهات : الأول من عيوب فصاحة اللفظة المفردة كونها مبتذلة — أى عامية ساقطة للقالق والشنطار ونحوهما ، والابتذال ضربان :

(١) ما استعملته العامة ولم تغيره عن وضعه ، فسخف وانحطت رتبته ، وأصبح استعماله لدى الخاصة معيباً ، كلفظة البرسام فى قول المتنبى .

إن بعضاً من القريض هراء　　ليس شيئاً وبعضه إحكام

فيه ما يجلب البراعة والفهـم　　وفيه ما يجلب البرسام

وكلفظة الخازباز فى قوله :

ومن الناس من تجوز عليهم　　شـعراء كأنها الخازباز

(٢) ما استعملته العامة دالا على غير ما وضع له ، وليس بمستقبح ولا مكروه كقول المتلمس :

وقد أتناسى الهم عند احتضاره　　بناج عليـه الصيعرية مكدم

وكقول أبى نواس

اختصم الجود والجمال　　فيك فصارا إلى جـدال

فقال هـذا يمينه لى　　للعرف والبذل والنوال

وقال هذاك وجهه لى　　للظرف والحسن والـكمال

فافترقا فيك عن تراض　　كلاهما صادق المقال

فوصف فى الأول : البعير بالصيعرية ، وهى مختصة بالنوق ، وفى الثانى : الوجه بالظرف وهو فى اللغة مختص بالنطق للقالق والشنطار — ونحوهما

(الثانى) لا تستعمل الألفاظ المبهمة إذا كان غرضك التعيين واحضار صورة الشىء ، أو المعنى المراد فى الذهن

(الثالث) لا تستعمل اللفظ المشترك الا مع قرينة تبين المراد من معانيه المشتركة

(٢) الأرقال : الاسراع : الهمرجلة . الناقة السريعة . الشيظم . الطويل الجسيم من =

وما شَبْرَقَتْ من تَنُو فِيَّةٍ بها مِن وَحَى الجِنِّ زِيزَيْزَم

(٢) وقال ذو الرُّمة :

حتى اذا الهَيْقُ أمسى شَامَ أفرُخَهُ وهُنّ لا مُؤْيِسٌ نأياً ولا كَثَبُ (١)

وقال أبو نواس :

يامَن جفَانى ومَلاَّ نَسِيتَ أهلا وسَهْلا

تدريب (١)

ما الذى أخلّ بفصاحة الكلمات فيما يلى ؟؟

(١) قال النّابغة الذُّبيانى

أودُمْيَةٍ فى مَرْمَرٍ مَرْفُوعة بُنِيَتْ بآجُرٍّ يُشَادُ بقَرْمَدِ (٢)

(٢) وقال أبو تمّام

لكَ هَضْبَةُ الحِلْمِ التى لو وَازَنَتْ أجأً إذا ثَقُلَتْ وكان خفيفا

وحَلاَوَةُ الشِّيَمِ التى لو مَازَجَتْ خُلُقَ الزَّمَانِ الْفَدْمِ عادظَرِيفا (٣)

= الابل والخيل ، شبرقت — قطعت — التنوفية والتنوفة المفازة : الوحى . الصوت الخفى — زيزيزم : حكاية أصوات الجن

(١) الهيق . الظليم (ذكر النعام) شام البرق نظر اليه أين يقصد ، وأين يمطر واستعمل هنا للنظر إلى الأفرخ . النأى . البعد

(٢) الدمية . الصورة المنقوشة المزينة فيها حمرة كالدم . تضرب مثلا فى الحسن المرمر . الرخام . الآجر ما يبنى به — القرمد . بفتح القاف ما يطلى به للزينة . وقيل حجارة لها خروق يوقد عليها فتنضج ويبنى بها . وقيل الخزف المطبوخ

(٣) الهضبة. الرابية . أجأ . جبل . القدم ـ الغليظ الجافى ـ وصف الشيم بالحلاوة وهى خاصة بالعينين ـ ووصف خلق الزمان بالظرف وهو خاص بالنطق

(٣) وقال المُتنبِّى

يُوَسِّطه المفَاوزَ كلَّ يوم طِلاَبُ الطّالبِين لا الانتِظارُ

تدريب (٢)

ما الذى أخلَّ بفصاحة الكلمات فيما يأتى ؟؟

(١) لم يَلْقَهَا إلا بِشكَّة باسِلٍ يخشى الحوادِث حازم مُسْتَعْدد (١)

(٢) وأصبح مَبْيضَّ الضَّرِيب كأنه على سَرَوات البَيْت قُطْن مَنْدِفِ (٢)

(٣) فأيْقَنتُ أنِّى عنـد ذلك ثائرٌ غَدَاتئِذٍ أوهَالِكٌ فى الهوَالِكِ (٣)

(٤) ومَلْمُومَةٍ سَيْفِيَّةٍ رَبَعِيَّةٍ يَصيح الحصا فيها صِياحَ اللّقا لِقِ (٤)

(٥) وألقىَ بصحراء الغَبِيط بَعَاعَهُ نُزولَ اليَمَانى ذو العِيَاب المُحَمَّلِ (٥)

---

(١) الشكة . الخصلة . الباسل . الشجاع

(٢) قائلة الفرزدق . الضريب الشبيه والمثيل . سروات البيت . أعاليه . مندف مندوف : من قولهم ندف القطن ضربه بالمندف

(٣) الثائر الذى لا يبقى على شى حتى يدرك ثأره

(٤) قائله المتنبى . ملمومة . كتيبة مجتمعة . سيفية . نسبة لسيف الدولة . ربعية نسبة الى ربيعة : قبيلته . اللقالق . جمع لقلقة وهى صوت اللقلاق (طائراً) أو هى كل صوت فى اضطراب وحركة

(٥) قائله امرؤ القيس . الغبيط . الأرض المطمئنة ، وقيل الواسعة المستوية يرتفع طرفاها . البعاع . ثقل السحاب من المطر: يقال بع السحاب يبع بعا وبعاعا . إذا ألح بمكان ، وألقى عليه بعاعه أى ثقله . العياب جمع عيبة وهى ما يجعل فيه الثياب . يقال جعل الرجل خير متاعه فى عيبته . والمحمل يروى بكسر الميم على جعل اليمانى رجلا — وبفتحها على جعله جملا — والمعنى أن هذا المطر نزل بهذا المكان ولم يبرح كما نزل الرجل فى ذلك الموضع ، وضمير ألقى يرجع إلى السحاب فيما قبله

(٦) ليس التَّعلُّلُ بالآمالِ من أرَبى
ولا القنوعُ بضَنْكِ العيْشِ منْ شِيَمِى (١)

فصاحة الكلام

فصاحة الكلام : سلامته بعد فصاحة مُفرداته ممَّا يُبْهِم معناه ويَحول دون المراد منه (٢) — وتتحقَّق فصاحته بخُلُوّه من ستة عيوب

(١) تنافُر الكلمات مُجتمعة (٢) ضعف التأليف (٣) التّعقيد اللّفظى

(٤) التّعقيد المعنوى (٥) كثرة التكرار (٣) (٦) تتابُع الإضافات

(١) القنوع . المسئلة . يقال قنع قنوعا . إذا سأل — والمراد القناعة

(٢) المراد بفصاحة الكلام تكونه من كلمات فصيحة يسهل على اللسان النطق بها لتآلفها ، ويسهل على العقل فهمها لترتيب ألفاظها وفق ترتيب المعانى

ومرجع ذلك الذوق السليم والالمام بقواعد النحو ، بحيث يكون واضح المعنى . سهل اللفظ . حسن السبك — ولذلك يجب أن تكون كل لفظة من ألفاظه واضحة الدلالة على المقصود منها ، جارية على القياس الصرفى ، عذبة سلسلة ، كما يكون تركيب الكلمات جاريا على القواعد النحوية ، خاليا من تنافر الكلمات مع بعضها ، ومن التعقيد فمرجع الفصاحة سواء فى اللفظة المفردة ، أو فى الجمل المركبة إلى أمرين (مراعاة القواعد — والذوق السليم) وتختلف فصاحة الكلام أحيانا باختلاف التعبير عما يدور بالنفس من المعانى اختلافا ظاهرا . فتجد فى عبارات الأدباء من الحسن والجودة ما لا تجد فى تعبير غيرهم ، مع اتحاد المعنى الذى يعبر عنه . ويختلف الأدباء أنفسهم فى أساليبهم : فقد يعلو بعضهم فى أسلوبه . فتراه يسيل رقة وعذوبة ، ويصل إلى القلوب فيبلغ منها مايشاء أن يبلغ . وذلك نوع من البيان يكاد يكون سحرا ، وقد يكون دون هذه المنزلة قليلا أو كثيرا — وهو مع ذلك من فصيح القول وحسن البيان

٣ — (كثرة التكرار : وتتابع الاضافات) أقول الحق — أن هذين العيبين قد احترز عنهما بالتنافر

على أن بعضهم أجازهما لوقوعهما فى القرآن كما فى قوله تعالى « ونفس وما سواها » الآيات — وفى قوله تعالى « ذكر رحمت ربك عبده زكريا »

الأول — « تنافر الكلمات مُجتمعة » أن تكون الكلمات ثقيلة على السَّمع من تركيبها مع بعضها . عَسِرة النّطق بها مُجتمعة على اللسان (وإن كان كل جزء منه على انفراده فصيحاً)

والتَّنافر يَحْصُل : إمَّا بتجاوُر كلمات متقاربة الحروف

وإمّا بتكرير كلمة واحدة

(ا) ومنه شديد الثِّقل : كالشطر الثانى فى قوله

وَقَبْرُ حرْب بمكان قفرٌ وليس قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قبرُ[1]

(ب) ومنه خفيف الثِّقل كالشطر الأول فى قول أبى تمام

كريمٌ متى أمْدَحْهُ أمْدحهُ وَالورَى معى : وَإذا ما لُمْتُهُ لُمتُهُ وَحدِى[2]

الثانى — « ضعف التأليف » أن يكون الكلام جارياً على خلاف ما اشتهر من قوانين النحو المعتبرة عند جُمهور العلماء — كوصل الضميرين ، وتقديم غير الأعرف منهما على الأعرف — مع أنه يجب الفصل فى تلك الحالة — كقول المتنبى

خَلَتِ البلادُ من الغَزالةِ ليْلَهَا فأعاضَهاكَ اللهُ كى لا تحزنا

(١) حرب بن أمية : قتله قائل هذا البيت ، وهو هاتف من الجن صاح عليه (وقفر) خال من الماء والكلأ ، وقبر اسم ليس مؤخر ، وقرب خبرها مقدم — قيل إن هذا البيت لا يمكن إنشاده ثلاث مرات متوالية ألا ويغلط المنشد فيه ، لأن نفس اجتماع كلماته وقرب مخارج حروفها ، يحدثان ثقلا ظاهراً ، مع أن كل كلمة منه لو أخذت وحدها ما كانت مستكرهة ولا ثقيلة .

(٢) أى هو كريم ، وإذا مدحته وافقنى الناس على مدحه ، ويمدحونه معى ، لإسداء إحسانه إليهم كاسدائه إلى ، وإذا لمته لا يوافقنى أحد على لومه ، لعدم وجود المقتضى للوم فيه — وآثر لمته على هجوته مع أنه مقابل المدح إشارة إلى أنه لا يستحق الهجو ولو فرط منه شىء فانما يلام عليه فقط . والثقل فى قوله « أمدحه » لما بين الحاء والهاء من التنافر ، للجمع بينهما : وهما من حروف الحلق — كما ذكره الصاحب اسماعيل بن عباد

وكالإضمار قبل ذكر مرجعه لفظاً ورُتبة وحُكماً فى غير أبوابه[١] نحو

ولو أنّ مَجداً أخلدَ الدهرَ واحداً   من الناس أبقى مَجْدُهُ الدهرَ (مُطعِماً)[٢]

الثالث — «التّعقيد اللّفظى» هو كون الكلام خَفِيّ الدّلالة على المعنى المراد به — بحيث تكون الألفاظ غير مُرتَّبة على وفق ترتيب المعانى

(وينشأ ذلك التّعقيد من تقديم أو تأخير أو فصل بأجنبى بين الكلمات التى يجب أن تتجاور ويتصل بعضها ببعض)[٣] وهو مذموم: لأنه يُوجب اختلال المعنى واضطرابه، من وضع ألفاظه فى غير المواضع اللّائقة بها — كقول المتنبى

---

(١) المجموعة فى قول بعضهم

ومرجع الضمير قد تأخرا   لفظاً ورتبة وهذا حصرا

فى باب نعم وتنازع العمل   ومضمر الشأن ورب والبدل

ومبتدا مفسر بالخبر   وباب فاعل بخلف فاخبر

واعلم أن ضعف التأليف ناشىء من العدول عن المشهور إلى قول له صحة عند بعض أولى النظر — أما إذا خالف المجمع عليه كجر الفاعل ورفع المفعول ففاسد غير معتبر، والكلام فى (تركيب له صحة واعتبار).

(٢) فان الضمير فى من (مجده) راجع إلى (مطعما) وهو متأخر فى اللفظ كما يرى، وفى الرتبة لأنه مفعول به، فالبيت غير فصيح لمخالفته قواعد النحو

ومطعم أحد رؤساء المشركين، وكان يدافع عن النبى صلى الله عليه وسلم.

ومعنى البيت أنه لو كان مجد الانسان سببا لخلوده فى هذه الدنيا لكان (مطعم ابن عدى) أولى الناس بالخلود لأنه حاز من المجد مالم يحزه غيره — على يد صاحب الشريعة

(٣) وذلك كالفصل بأجنبى بين الموصوف والصفة، وبين البدل والمبدل منه وبين المبتدأ والخبر، وبين المستثنى والمستثنى منه، مما يسبب ارتباكا واضطرابا شديداً

جفخت وهم لا يجفخون بها بهم   شيم على الحسب الأغر دلائل[1]

أصله - جفخت (افتخرت) بهم شيم دلائل على الحسب الأغر وهم لا يجفخون بها.

الرابع - « التعقيد المعنوى » كون التركيب خفى الدلالة على المعنى المراد[2] - بحيث لا يفهم معناه إلا بعد عناء وتفكير طويل

وذلك لخلل فى انتقال الذهن من المعنى الأصلى الى المعنى المقصود بسبب إيراد اللوازم البعيدة، المفتقرة إلى وسائط كثيرة، مع عدم ظهور القرائن الدالة على المقصود « بأن يكون فهم المعنى الثانى من الأول بعيداً عن الفهم عرفا[3] » كما فى قول عباس بن الأحنف

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا   وتسكب عيناى الدموع لتجمدا[4]

جعل سكب الدموع كناية عما يلزم فى فراق الأحبة من الحزن

---

(١) فلفظة جفخت مرة الطعم، وإذا مرت على السمع اقشعر منها: ولو استعمل (المتنبى) عوضا عن جفخت (فخرت) لاستقام البيت، وحظى فى استعماله بالأحسن

(٢) بحيث يعمد المتكلم إلى التعبير عن معنى فيستعمل فيه كلمات فى غير معانيها الحقيقية، فيسىء اختيار الكلمات للمعنى الذى يريده، فيضطرب التعبير ويلتبس الأمر على السامع نحو: نشر الملك ألسنته فى المدينة، يريد جواسيسه والصواب نشر عيونه

(٣) فالمناط فى الصعوبة عدم الجريان على مايتعاطاه أهل الذوق السليم، لا كثرة الوسائط الحسية، فانها قد تكثر من غير صعوبة، كما فى قولهم: فلان كثير الرماد كناية عن المضياف - فان الوسائط كثيرة فيه ولكن لاتعقيد

(٤) تسكب بالرفع عطف على أطلب، وبالنصب عطف على بعد: من قبيل عطف الفعل على اسم خالص من التأويل بالفعل. والمراد طلب استمرار السكب: لا أصله لئلا يلزم تحصيل الحاصل

والكمد: فأحسنَ وأصابَ في ذلك، ولكنّه أخطأ في جعل جمود العين كناية عمّا يوجبه التلاقي من الفرح والسُّرور بقرب أحبّته، وهو خفيّ وبعيد[(١)] إذ لم يُعرفْ في كلام العرب عند الدّعاء لشخص بالسُّرور (أن يقال له جمُدت عيناك) أولا زالت عينك جامدةً. بل المعروف عندهم أنّ جمود العين إنّما يكْنَى به عن عدم البكاء حالة الحزن، كما في قول الخنْسَاء

أعينيَّ جُودا ولاَ تَجْمُدَا ألا تبكيان لصخْرِ النَّدى

وكما في قول أبي عطاءٍ يرثي ابن هُبيرة

ألا إنَّ عيناً لم تجُد يوْمَ وَاسِطٍ عليكَ بجارِي دمعهاَ لَجموُدُ[(٢)]

وهكذا كل الكنايات الّتي تستعملها العربُ لأغراض ويُغيّرها المتكلمُ، ويريد بهــــا أغراضاً أخرى تعتبر خروجاً عن سُنَن العرب في استعمالاتهم — ويُعدّ ذلك تعقيداً في المعنى: حيث لا يكون المراد بها واضحاً

---

(١) ووجه الخفاء والبعد: أن أصل معنى جمود العين جفافها من الدموع عند إرادتها منها، والانتقال منه إلى حصول السرور بعيد، لأنه يحتاج إلى وسائط بأن ينتقل من جمود العين إلى انتفاء الدمع منها، حال إرادة البكاء، ومنه إلى انتفاء الدمع مطلقا، ومنه إلى انتفاء الحزن ونحوه « فان ذلك هو السبب غالبا في الدمع » ومن انتفاء الحزن ونحوه إلى السرور — ولا يخفى أن الشاعر قد طوى وحذف جميع هذه الوسائط فأورث بطء الانتقال من المعنى الأصلي الحقيقي إلى المعنى المراد — وخالف حينئذ أسلوب البلغاء. فنشأ من ذلك التعقيد المعنوي. واعلم أن الشاعر أراد أن يرضى بالبعد والفراق، ويعود نفسه على مقاساة الأحزان والأشواق، ويتحمل من أجلها حزنا يفيض من عينيه الدموع، ليتوصل بذلك إلى وصل يدوم، ومسرة لا تزول — على حد قول الشاعر

ولطالما اخترت الفراق مغالطا واحتلت في استثمار غرس ودادي

ورغبت عن ذكر الوصال لأنها تبنى الأمور على خلاف مرادي

(٢) أي لبخيلة بالدموع

الخامس — «كثرة التكرار»[1] كون اللفظ الواحد: اسماً — كان أو فعلاً — أو حرفاً

وسواء أكان الاسم: ظاهراً — أو ضميراً، تعدد مرة بعد أخرى بغير فائدة — كقوله

إنّي وأسطارٍ سُطِرنَ سطْراً لقائلٌ يانصرُ نصرُ نصراَ

وكقول المتنبي

أقِلْ أنِلْ اقطعْ احمِلْ علِّ سلِّ أعِدْ زِدْ هشَّ بشَّ تفضَّلْ أدنِ سُرَّ صِلِ

وكقول أبى تمَّام فى المديح

كأنَّه فى اجتماع الرُّوح فيه لَهُ فى كلِّ جارحةٍ من جسمِهِ رُوحُ

السادس — «تتابعُ الإضافات» كون الاسم مضافا إضافةً متداخلة غالباً، كقول ابن بابك

حمامةَ جَرْعا حَومةِ الجَنْدَل اسجَعِى فأنتِ بمرْأى مِنْ سُعادَ ومَسْمَع[2]

وملخص القول: إنَّ فصاحة الكلام تكون بخلُوِّه من تنافر كلماته

---

(١) المراد بالكثرة هنا مافوق الوحدة — فذكر الشيء ثانيا تكرار. وذكره ثالثا كثرة، وانما شرطت الكثرة لأن التكرار بلا كثرة لايخل بالفصاحة — وإلا لقبح التوكيد اللفظى

(٢) ففيه إضافة حمامة إلى جرعا وهو تانيث الأجرع وهو المكان ذو الحجارة السود، أومكان الرمل الذى لا ينبت شيئا «وجرعا» مضاف إلى «حومة» وهى معظم الشيء «وحومة» مضاف إلى «الجندل» بسكون النون وهو الحجر، والمراد به هنا مكان الحجارة، فهو بمعنى الجنَدل بفتح النون وكسر الدال — وقوله «فأنت بمرأى من سعاد ومسمع» أى أنت بحيث تراك سعاد وتسمع كلامك — يقول: اسجعى ياحمامة أرض قفرة سبخة، فان سعاد تراك وتسمعك

ومن ضعف تأليفه، وتعقيد معناه، ومن وضع ألفاظه فى غير المواضع اللائقة بها

تطبيق

بيِّن العيوب التى أخلَّتْ بفصاحة الكلام فيما يأتى؟

لك الخيرُ غيرى رَامَ من غيرك الغنى	وغيرى بغير اللَّلازقيَّة لاحق
وأزْورَّ مَنْ كانَ له زائراً	وعافَ عافى العُرف عِرْفانَه (١)
أنَّى يكونُ أبا البرايا آدمٌ	وأبوكَ والثَّقلان أنتَ محمدُ (٢)
ومن جاهل بى وهُوَ يجهَلُ جهلة	ويَجهل عِلمى أنه بى جاهل
وقَلْقلت بالهمِّ الذى قَلْقَلَ الحَشا	قلاقلَ همٍّ كلَّهنَّ قلاقلُ
وما مِثلهُ فى النَّاس إلا مُملَّكاً	أبو أمِّهِ حىٌّ أبوه يقاربُه (٣)

---

(١) العيب فى تنافر الكلمات — والمعنى انحرف عنه من كان يزوره، وكره طالب الاحسان معرفته

(٢) يريد كيف يكون آدم أبا البرايا وأبوك محمد وأنت الثقلان أى الانس والجن — يعنى أنه قد جمع مافى الخليقة من الفضل والكمال — وقد فصل بين المبتدأ والخبر وهما أبوك محمد، وقدم الخبر على المبتدأ تقديما قد يدعو إلى اللبس فى قوله «والثقلان وأنت» على أنه بعد هذا التعسف لم يسلم كلامه من سخف وهذر

(٣) يريد الفرزدق مدح ابراهيم بن اسماعيل خال هشام بن عبد الملك — ومامثله فى الناس حى «أحد» يقاربه «يشابهه» إلا مملكا، أبو أمه أبوه — فقدم المستثنى على المستثنى منه — وفصل بين مثل وحى وهما بدل ومبدل منه وبين أبو أمه وأبوه وهما مبتد أوخبر — وبين حى ويقاربه وهما نعت ومنعوت، ولا يفصل بين كل منهما بأجنبى. والمعنى: وليس مثل ابراهيم فى الناس أحد يشبهه فى الفضائل إلا ابن أخته هشام — فضمير أمه عائد على المملك، وضمير أبوه عائد على ابراهيم الخال

إلى ملكٍ ما أمُّه من مُحَارب ... أبوه ولا كانت كُلَيْبٌ تُصاهره (١)

ليسَ إلاكَ يا علىُّ هُمَامٌ ... سَيْفُه دُونَ عِرْضِهِ مسلُولُ (٢)

كَسَا حِلمهُ ذا الحلمِ أثوابُ سُؤْدُد ... ورقَّى نداهُ ذَا النَّدَى فى ذُرا المجد (٣)

من يهتدِى فى الفعل ما لا يهتدى ... فى القول حتَّى يَفعل الشُّعَرَاءُ (٤)

جزَى بنوه أبا الغَيْلاَن عنْ كِبر ... وحُسْن فعلٍ كما يُجزَى سِنِمَّارُ (٥)

وما من فتًى كنَّا من النَّاس واحداً ... به نَبتغى منهم عَديلاً نُبادِلُه (٦)

لمَا رأى طالبوه مُصعباً ذُعِرُوا ... وكاد لو ساعدَ المقدورُ ينتَصرُ

نشر الملِكُ ألسنَته فى المدينة .. مُرِيداً جواسيسَه .

أى — والصوَّاب « نشر الملك عيونه » (٧)

لو كنت كنت كتمت السِّرَّ كنت كما ... كنَّا وكنتَ ولكنْ ذاكَ لم يكن

ألاَ ليْتَ شِعْرِى هل يلومنَّ قومُه ... زُهيراً على ما جَرَّ من كلِّ جانِب

---

(١) يريد إلى ملك أبوه ليست أمه من محارب — أى ماأمه منهم

(٢) فيه ضعف تأليف حيث وضع الضمير المتصل بعد إلا — وحقه وضع المنفصل (إياك)

(٣) أى من كان ديدنه الحلم والكرم حاز السيادة والرفعة — فالضمير فى حلمه لذا الحلم المذكور بعد - فهو المتأخر لفظا ومعنى وحكما - وكذا الضمير فى نداه لذا الندى

(٤) أى يهتدى فى الفعل مالا يهتديه الشعراء فى القول حتى يفعل

(٥) العيب فيه من جهة أن ضمير بنوه عائد على أبا الغيلان وهو متأخر لفظا ورتبة ، لانه مفعول ورتبته التأخر عن الفاعل : وسنمار رجل رومي بنى قصر الخورنق بظهر الكوفة للنعمان بن امرىء القيس ملك الحيرة ، فلما فرغ منه ألقاه النعمان من أعلاه فخر ميتا لئلا يبنى لغيره مثله

(٦) أى وما من فتى من الناس كنا نبتغى واحداً منهم عديلا نبادله به

(٧) لان الذى يتوصل به الى الاخبار عادة إنما هو العيون — لا الألسنة

دانٍ بعيدٍ مُحبّ مبغض بهجٍ أغرّ حلو مُمِر لَيِّن شَرِس[١]

* لأنت أسودُ فى عينى من الظُّلَم[٢] *

وتُسْعِدنى فى غَمْرَة بعدَ غمرة سبوحٌ لها منها عليها شواهدُ[٣]

ولبست خراسانُ التى كان خالدٌ بها أسدٍ اذ كان سيفاً أميرها[٤]

والشَّمسُ طالعة ليستْ بكاسِفةٍ تبكى عليك نُجومَ الليل والقمرا[٥]

أرضٌ لها شَرَفٌ سواها مثْلها لو كان مِثلك فى سِواها يوجَدُ

والمجدُ لا يَرْضى بأنْ ترضى بأن يَرْضى المعاشر منك إلاّ بالرِّضا

فى رفع عَرْش الشَّرْع مثلك يَشرعُ

ومن لم يذُدْ عن حوْضه بسلاحه يُهَدَّمْ ومن لم يَظْلم الناس يُظلم[٦]

مُتَحَيِّرين فَبَاهِتٌ مُتَعَجِّبٌ ممَّا يرى أو نَاظِرٌ مُتَأمِّلٌ[٧]

فأصبحتْ بعد خَطٍّ بهجتها كأنَّ قفراً رسومها قلما[٨]

---

(١) فيه توالى الصفات ، وذلك مما يحدث فى الكلام ثقلا: وهذا مما يؤخذ على (المتنبى)

(٢) والقياس أشد سواداً لانه لا يبنى أفعل التفضيل من الافعال الدالة على الالوان

(٣) معنى البيت : وتسعدنى بالفوز بالغنائم والنجاة فى شدة بعد شدة فرس سبوح أى حسنة العدو لا تتعب راكبها، فكأنها تسبح على الماء

(٤) خالد — وأسد : علمان — والتعقيد فيه نشأ من تقديم أسد الذى هو جزء مما أضيف اليه إذ

(٥) أى والشمس ليست بكاسفة نجوم الليل وهى تبكى عليك، والقمر يبكى عليك أيضا — ففيه تعقيد نشأ من الفصل بين الصفة التى هى كاسفة ، ومفعولها الذى هو نجوم بجملة « تبكى عليك »

(٦) فيه تعقيد معنوى . حيث كنى بالظلم عن المحافظة على الحقوق — وهو بعيد

(٧) باهت بمعنى مدهوش (لغة رديئة) واللفظ العربى المستعمل بهت الرجل فهو مبهوت

(٨) أى فأصبحت بعد بهجتها قفرا ، كأن قلما خط رسومها

وما أَرْضَى لمُقلتِهِ بحلم اذا انتبهتْ توهَمه ابتِشَا كا(٢)

فصاحة المتكلم

فصاحة المُتَكلِّم : عبارةٌ عن المَلَكة(٢) التى يقتَدِر بها صاحبها على التَّعبير عن المقصُود بكلام فصيح فى أىِّ غرضٍ كان

فيكون قادراً بصفة الفصاحة الثَّابتة فى نفسه على صياغة الكلام مُتمكِّناً من التّصرف فى ضُروبه . بصيراً بالخوض فى جهاته ومَنَاحِيه

أسئلة على الفصاحة يطلب أجو بتها

ما هى الفصاحة لغة واصطلاحا ؟ ما الذى يوصف بالفصاحة

ما الذى يخرج الكلمة عن كونها فصيحة ؟

---

(١) المقلة العين ، والحلم الرؤيا التى يراها النائم ، وابتشاك الكذب . قال الصاحب لم يسمع الابتشاك فى شعر قديم ولا محدث

(٢) أى كيفية وصفة من العلم راسخة وثابتة فى نفس صاحبها يكون قادراً بها على أن يعبر عن كل ماقصده من أى نوع من المعانى كالمدح والذم والرثاء وغير ذلك بكلام فصيح . فاذاً المدار على الاقتدار المذكور سواء وجد التعبير أو لم يوجد — وأن من قدر على تأليف كلام فصيح فى نوع واحد من تلك المعانى لم يكن فصيحاً — وأنه لا يكون فصيحاً إلا إذا كان ذا صفة من العلم راسخة فيه وهى المسماة « بالملكة » يقتدر بها على أن يعبر عن أى معنى قصده بكلام فصيح أى خال عن الخلل فى مادته « وذلك بعدم تنافر كلماته » وعن الخلل فى تأليفه « وذلك بعدم ضعف تأليفه » وعن الخلل فى دلالته على المعنى التركيبى « وذلك بعدم التعقيد اللفظى والمعنوى » فان كان شاعراً اتسع أمامه ميدان القول فى جميع فنون الشعر — من نسيب وتشبيب ومديح وهجاء ووصف ورثاء وعتاب واعتذار وأشباه ذلك — وإن كان ناثراً حاك الرسائل المحلاة ، والخطب الممتعة الموشاة ، فى الوعظ . والارشاد . والحفل . والأعياد

ما هي فصاحة المفرد ؟ ما هو تنافر الحروف ، وإلى كم ينقسم ؟ . .
ما هي الغرابة وما موجبها ؟ ما هي مخالفة القياس ؟ ما هي الكراهة في السمع ؟
ما هي فصاحة الكلام — وبما تتحقق ؟ ما هو تنافر الكلمات . وما موجبه
وإلى كم يتنوَّع ، ما هو ضعف التأليف ؟ ما هو التعقيد ؟ وإلى كم ينقسم ؟
ما هو كثرة التكرار ؟ ما هو تتابع الاضافات ؟ ما هي فصاحة المتكلم ؟

البلاغة

البلاغة في اللُّغة (الوُصول والانْتِهاء) يقال بلغ فلان مراده — إذا وصل اليه ، وبلغ الركب المدينة — اذا انتهى اليها[1] وَمبلَغ الشيء منتهاه

(١) البلاغة هي تأدية المعنى الجليل واضحاً بعبارة صحيحة فصيحة : لها في النفس أثر خلاب ، مع ملاءمة كل كلام للموطن الذى يقال فيه ، والاشخاص الذين يخاطبون والبلاغة مأخوذة من قولهم . بلغت الغاية اذا انتهيت اليها ، وبلغتها غيرى — والمبالغة في الشيء الانتهاء إلى غايته — فسميت البلاغة بلاغة لأنها تنهى عن المعنى إلى قلب السامع فيفهمه . وسميت البلغة بلغة لأنك تتبلغ بها ، فتنتهى بك إلى ما فوقها — وهى البلاغ أيضاً ويقال : الدنيا بلاغ ، لأنها تؤديك إلى الآخرة والبلاغ أيضاً التبليغ — ومنه : هذا بلاغ للناس — أى تبليغ — ويقال بلغ الرجل بلاغة إذا صار بليغاً ، كما يقال نبل الرجل نبالة إذا صار نبيلا — قال أعرابى : البلاغة التقرب من البعيد ، والتباعد من الكلفة ، والدلالة بقليل على كثير — وقال عبد الحميد بن يحي — البلاغة تقرير المعنى فى الأفهام من أقرب وجوه الكلام — وقال ابن المعتز البلاغة البلوغ إلى المعنى ولم يطل سفر الكلام — وقال العتابى : البلاغة مد الكلام بمعانيه إذا قصر . وحسن التأليف إذا طال — وقال عبد الله بن المقفع : البلاغة لمعان تجرى فى وجوه كثيرة — فمنها ما يكون فى الاشارة . ومنها ما يكون فى الحديث . ومنها ما يكون فى الاستماع . ومنها ما يكون فى الاحتجاج . ومنها ما يكون شعراً . ومنها ما يكون ابتداء . ومنها ما يكون جوابا . =

وبلغ الرجل بلاغة — فهو بليغ : اذا أحسنَ التّعبير عمَّا فى نفسه

وتقع البلاغة فى الاصطلاح : وصفاً للكلام ، والمتكلّم فقط

ولا توصف «الكلمة» بالبلاغة ، لقصورها عن الوصول بالمُتكلّم إلى غرضه ، ولعدم السّماع بذلك

بلاغة الكلام

البلاغة فى الكلام: مطابقته لما يقتضيه حال الخطاب[1] — مع فصاحة

= ومنها ما يكون خطباً ، ومنها ما يكون رسائل . فعامة هذه الأبواب الوحى فيها والاشارة الى المعنى أبلغ — والايجاز هو البلاغة . فالسكوت يسمى بلاغا مجازاً — وهى فى حالة لاينجع فيها القول ، ولاينفع فيها إقامة الحجج — إما عند جاهل لا يفهم الخطاب أو عند وضيع لايرهب الجواب ، أو ظالم سليط يحكم بالهوى ، ولا يرتدع بكلمة التقوى وإذا كان الكلام يعرى من الخير ، أو يجلب الشر فالسكوت أولى . وقال الرشيد : البلاغة التباعد من الاطالة ، والتقرب من البغية ، والدلالة بالقليل من اللفظ ، على الكثير من المعنى قال أحد الأدباء : أبلغ الكلام ما حسن إيجازه ، وقل مجازه ، وكثر إعجازه ، وتناسبت صدوره وأعجازه .

(١) مقتضى الحال — هوما يدعو اليه الأمر الواقع . أى ما يستلزمه مقام الكلام وأحوال المخاطب من التكلم على وجه مخصوص . ولن يطابق الحال إلا إذا كان وفق عقول المخاطبين ، واعتبار طبقاتهم فى البلاغة ، وقوتهم فى البيان والمنطق — فللسوقة كلام لايصلح غيره فى موضعه ، والغرض الذى يبنى له ، ولسراة القوم والأمراء فن آخر لايسد مسده سواه — من أجل ذلك كانت مراتب البلاغة متفاوتة ، بقدر تفاوت الاعتبارات والمقتضيات . وبقدر رعايتها يرتفع شأن الكلام فى الحسن والقبح ، ويرتقى صعداً إلى حيث تنقطع الاطماع ، وتخور القوى ، ويعجز الانس والجن أن يأتو بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، وتلك مرتبة الأعجاز التى تخرس عندها ألسن الفصحاء لو تاقت إلى العبارة : وقد عرف بالخبر المتواتر أن القرآن الكريم نزل فى أرقى العصور =

ألفاظه «مفردها ومركبها»

والكلام البليغ: هو الذى يُصوِّره المتكلِّم بصورة تناسبُ أحوال المخاطبين

وحال الخطاب «ويسمى بالمقام» هو الأمر الحامل للمتكلم على أن يُوردَ عبارتَه على صورة مخصوصة دون أخرى

والمُقْتَضَى - «ويسمَّى الاعتبار المُناسب» هو الصُّورة المخصوصة التى تُورَدُ عليها العبارة

مثلاً - المدح - حال يدعو لإيراد العبارة على صورة الإطناب

وذكاء المخاطب - حال يدعو لإيرادها على صورة الإيجاز

فكلٌّ من المدح والذَّكاء «حال ومقام»

وكلٌّ من الإطناب والإيجاز «مُقتضَى»

وإيراد الكلام على صورة الإطناب[1] أو الإيجاز «مُطابقة للمُقتضَى»

= فصاحة، وأجملها بلاغة. ولكنه سد السبل أمام العرب عند ما صاح عليهم صيحة الحق، فوجفت قلوبهم، وخرست شقاشقهم، مع طول التحدى وشد النكير (وحقت للكتاب العزيز الكلمة العليا)

(١) فان اختلاف هذه الظروف يقتضى هيئة خصوصية من التعبير — ولكل مقام مقال. فعلى المتكلم ملاحظة المقام أو الحال: وهو الأمر الذى يدعوه إلى أن يورد كلامه على صورة خاصة تشاكل غرضه، وتلك الصورة الخاصة التى يورد عليها تسمى المقتضى — أو الاعتبار المناسب، فمثلا الوعيد والزجر والتهديد مقام يقتضى كون الكلام المورد فيه فخما جزلا. والبشارة بالوعد، واستجلاب المودة، مقام يتطلبه رقيق الكلام ولطيفه. والوعظ مقام يوجب البسط والاطناب. وكون المخاطب عاميا سوقيا. أو أميراً شريفا. يوجب الاتيان بما يناسب بيانه عقله

وليست البلاغة[1] إذاً مُنحصرة في إيجاد معانٍ جليلة ، ولا في اختيار ألفاظ واضحة جزيلة . بل هي تتناول مع هذين الأمرين أمراً ثالثاً (هو إيجاد أساليب مُناسبة للتأليف بين تلك المعاني والألفاظ) مما يُكسبها قوّة وجمالا

وملخص القول ـ إنّ الأمر الذي يَحْملُ المتكلّم على إيراد كلامه في صورة دون أخرى : يُسمى « حالا » وإلقاء الكلام على هذه الصّورة التي اقتضاها الحال يُسمى « مُقْتَضَى » والبلاغة هي مُطابقة الكلام الفصيح لما يقتضيه الحال

بلاغة المتكلم

بلاغة المتكلم : هي مَلَكة في النَّفس[2] يقْتَدِرُ بِهَا صاحبها على تأليف كلام بليغ : مُطابق لمقتَضَى الحال . مع فصاحته . في أيّ معنى قَصَدَه

---

(١) لان البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع ، فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك ، مع صورة مقبولة ، ومعرض حسن — وإنما جعلنا حسن المعرض وقبول الصورة شرطا في البلاغة ، لأن الكلام إذا كانت عبارته رثة ، ومعرضه خلقا ، لم يسم بليغاً وإن كان مفهوم المعنى ، مكشوف المغزى

فعناصر البلاغة إذاً (لفظ ومعنى ، وتأليف للالفاظ) ، يمنحها قوة وتأثيراً وحسنا ، ثم دقة في اختيار الكلمات والأساليب ، على حسب مواطن الكلام ومواقعه ، وموضوعاته وحال السامعين ، والنزعة النفسية التي تتملكهم وتسيطر على نفوسهم — فرب كلمة حسنت في موطن ، ثم كانت مستكرهة في غيره — ورب كلام كان في نفسه حسنا خلابا ، حتى إذا جاء في غير مكانه ، وسقط في غير مسقطه ، خرج عن حد البلاغة ، وكان غرضا لسهام الناقدين

(٢) أي أن الهيئة والصفة الراسخة الثابتة في نفس المتكلم يمكنه بواسطتها أن يعبر عن المعاني التي يريد إفادتها لغيره بعبارات بليغة ؛ أي مطابقة لحال الخطاب ، فلو لم يكن ذا ملكة يقتدر بها على التصرف في أغراض الكلام وفنونه بقول رائع ، وبيان بديع بالغاً من مخاطبه كل ما يريد ، لم يكن بليغاً — وإذاً لا بد للبليغ : أولا — من التفكير =

وتلك غاية لن يَصِل اليها إلاَّ من أحاط بأساليب العرب خُبرا وعرف سُنن تخاطُبهم فى مُنافراتهم، ومُفاخراتهم، ومديحهم، وَهجائهم وَشكرهم، واعتذارهم، لِيَلبس لكلّ حالة لبُوسها «ولكلّ مقام مَقال»

أقوال ذوى النبوغ والعبقرية فى البلاغة

(١) قال قُدَامَةُ : البلاغة ثلاثة مذاهبَ :

المُساواةُ : وهى مُطابقة اللَّفظ المعنى : لا زائداً ولا ناقصاً.

والإشارة : وهى أن يكون اللفظ كاللَّمحةِ الدَّالة .

والتَّذْيِيلُ : وهو إعادة الألفاظ المُترادفة على المعنى الواحد، ليظهر لمن لم يفهمه، ويتأكد عند من فهمه[1]

= فى المعانى التى تجيش فى نفسه، وهذه يجب أن تكون صادقة ذات قيمة، وقوة يظهر فيها أثر الابتكار وسلامة النظر وذوق تنسيق المعانى وحسن ترتيبها، فاذا تم له ذلك عمد إلى الالفاظ الواضحة المؤثرة الملائمة، فألف بينها تأليفاً يكسبها جمالا وقوة .

فالبلاغة ليست فى اللفظ وحده، وليست فى المعنى وحده، ولكنها أثر لازم لسلامة تألف هذين وحسن انسجامهما . وقد علم أن البلاغة أخص والفصاحة أعم لانها مأخوذة فى تعريف البلاغة — وأن البلاغة يتوقف حصولها على أمرين — الأول : الاحتراز عن الخطأ فى تأدية المعنى المقصود، والثانى : تمييز الكلام الفصيح من غيره — لهذا كان للبلاغة درجات متفاوتة تعلو وتسفل فى الكلام بنسبة ما تراعى فيه مقتضيات الحال — وعلى مقدار جودة مايستعمل فيه من الأساليب فى التعبير والصور البيانية والمحسنات البديعية . وأعلى تلك الدرجات ما يقرب من حد الاعجاز، وأسفلها ما إذا غير الكلام عنه إلى ما هو دونه التحق عند البلغاء بأصوات الحيوانات العجم وان كان صحيح الاعراب : وبين هذين الطرفين مراتب عديدة .

(١) نهاية الأرب جزء ٧ ص — ٨

(٢) وقيل لجعفر بن يحيى : ما البيان ؟ فقال: أن يكون اللفظ محيطاً بمعناك ، كاشفاً عن مَغزاك ، وتخرجه من الشركة ، ولا تستعين عليه بطول الفكرة ، ويكون سالماً من التكلّف ، بعيداً من سوء الصّنعة ، بريئاً من التعقيد ، غنياً عن التأمل[١]

(٣) ومما قيل فى وصف البلاغة : لا يكون الكلام يستحقّ اسم البلاغة حتى يُسابِقَ معناهُ لَفْظَهُ . ولَفْظُه معناه ، فلا يكون لَفْظُه إلى سمعك أسْبَقَ من معناه إلى قلبك[٢]

(٤) وسأل معاوية صُحَاراً العَبْدِىَّ : ما البلاغة ؟ قال : أن تُجيب فلا تُبْطِىء . وتُصيبَ فلا تُخْطِىء[٣]

(٥) وقال الفضل : قلت لأعرابى ما البلاغة ؟ قال : الإيجازُ فى غير عَجْز ، والاِطناب فى غير خَطَلٍ[٤]

(٦) وسُئل ابن المُقفَّع : ما البلاغة ؟ فقال: البلاغة اُسْمٌ جَامِعٌ لمعانٍ تجرى فى وجوه كثيرة : فمنها ما يكون فى السكوت ، ومنها ما يكون فى الاستماع ، ومنها ما يكون فى الاشارة ، ومنها ما يكون فى الحديث ، ومنها ما يكون فى الاحتجاج ، ومنها ما يكون جواباً ، ومنها ما يكون ابتداء ، ومنها ما يكون شِعْراً ، ومنها ما يكون سَجْعاً وخُطَباً ، ومنها ما يكون رَسَائلَ . فعامَّةُ ما يكون من هذه الأبواب — الْوَحْىُ فيها ،

---

(١) نهاية الأرب جزء ٧ ص ٦

(٢) من كتاب البيان والتبيين للجاحظ. جزء ١ — صحيفة ٩١

(٣) نهاية الأرب جزء ٧ ص ٨

(٤) البيان والتبيين للجاحظ جزء ١ ص ٩١

والاشارة إلى المعنى ، والإيجاز ، هو البلاغة .

فأمَّا الخُطَبُ بين السِّمَاطَيْنِ ، وفى إصلاحِ ذاتِ الْبَيْنِ ، فالإكثار فى غير خَطَلٍ ، والإطَالَةُ فى غير إمْلال . ولْيَكن فى صَدْرِ كلامك دليلٌ على حاجتك . فقيل له : فإن مَلَّ المُستمعُ الاطالَة التى ذَكَرْتَ أنها حقٌّ ذلك الموقف ؟ قال : إذا أعْطَيْتَ كلَّ مقام حَقَّهُ ، وقمْتَ بالذى يَجِبُ من سياسة ذلك المقام ، وأرْضَيْتَ مَنْ يَعْرِفُ حقوق الكلام — فلا تَهْتَمَّ لِمَا فاتك من رضا الحاسد والعدوّ ، فإنه لا يُرضيهما شىء . وأما الجاهلُ فَلَسْتَ منه ، وليس منك . وقد كان يقال : (رِضاء الناس شىء لا يُنَال[1])

(٧) ولِابْنِ المُعْتَزّ : أبلغُ الكلامِ : ما حَسُنَ إيجازُهُ ، وقَلَّ مَجَازُه ، وكَثُرَ إعْجَازُه ، وتناسَبتْ صُدُوره وأعْجَازُه[2] .

(٨) وسمع خالدُ بنُ صَفْوَان رجلاً يتكلّم ، ويكثرُ الكلام ، فقال : اعلم (رحمك الله) أن البلاغة ليست بِخِفَّةِ اللِّسان ، وكثرة الهَذَيَان ، ولكنها بإصابة المعنى ، والقَصْدِ إلى الحُجّة[3]

(٩) ولِبِشْرِ بن المُعْتَمِر : فيما يجب أن يكون عليه الخطيب والكاتب رسالة من أنفس الرسائل الأدبية البليغة ، جمعت حدود البـــلاغة

---

(١) البيان والتبيين جزء ١ ص ٩١ ، ٩٢

(٢) نهاية الأرب جزء ٧ ص ١١

(٣) مختار العقد الفريد ص ٩٨

وصوّرتها أحسَن تصوير ، وسنذكر مع شيء من الإيجاز ما يتّصل منها بموضوعنا — قال :

خُذْ من نفسك ساعةَ نشاطكَ ، وفراغِ بالِكَ ، وإجابتها إيّاكَ ؛ فإنّ قليلَ تلك الساعة أكرَمُ جوْهَراً ، وأشرفُ حسباً ، وأحْسَنُ فى الأسماع ، وأحْلى فى الصُّدُور ، وأسلمُ من فاحش الخطأ ، وأجلَبُ لكل عيْنٍ وغُرَّة : من لفظٍ شريف ، ومعْنًى بديع .

واعلم أن ذلك أجْدَى عليك : مما يعطيك يوْمُكَ الأطْوَلُ بالكَدِّ والمُطاوَلَة والمجاهَدَة ، وبالتكلُّفِ والمعاودة .

وإيّاكَ والتّوعُّرَ ؛ فإنّ التّوعرَ يُسْلِمُكَ إلى التّعقيد ، والتعقيد هو الذى يَسْتهلك معانيَكَ ، ويَشِين ألفاظَكَ . ومن أراد معنى كريماً فَلْيَلْتمس له لفظاً كريماً ، فإنّ حقّ المعنى الشريف اللفظُ الشريف ، ومن حقّهما أن تصونهما عما يفسدهما ويُهَجِّنُهُمَا . . . .

وكن فى ثلاث منازل : فان أولى الثلاث أن يكون لفظكَ رشيقاً عذباً ، وفخماً سهلاً ، ويكون معناك ظاهراً مكشوفاً ، وقريباً معروفاً ، إمَّا عند الخاصة : إن كنت للخاصة قَصَدْت ، وإمَّا عند العامة : إن كنت للعامة أرَدْت . والمعنى ليس يَشْرُفُ بأن يكون من معانى الخاصة ، وكذلك ليس يتَّضِعُ بان يكون من معانى العامة . وإنما مدار الشرف على الصواب ، وإحراز المنفعة ، مع موافقة الحال ، وما يجب لكل مقام من المقال . وكذلك اللفظُ العامّى والخاصّى . فان أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك ، وبلاغة قلمك ، ولطف مَداخلك ، واقتدارك على نفسك

على أن تفهمَ العامة معانى الخاصة، وتكسوها الألفاظ الواسِعَةَ التى لا تلطُفُ عن الدّهماء، ولا تجفُو عن الأكفاء، فأنت البليغ التام.

فان كانت المنزلة الأولى لا تُواتيك ولا تعتَرِيك، ولا تسنح لك عند أوّل نظرِك، وفى أوّل تكلّفك، وتجد اللفظة لم تقع موْقِعَها، ولم تصل إلى قرارها وإلى حقها: من أماكنها المقسومة لها، والقافيةَ لم تَحُلَّ فى مركزها وفى نِصابها، ولم تصل بشكلها، وكانت قلقة فى مكانها، نافرة من موضعها، فلا تُكرِهْها على اغتصاب الأماكن، والنزول فى غير أوطانها، فانك إذا لم تتعاطَ قرْضَ الشعر الموزون، ولم تتكلّف اختيار الكلام المنثور، لم يَعِبْكَ بترك ذلك أحد. وإن أنت تكلَّفْتَهُ، ولم تكن حاذقاً مطبوعاً، ولا مُحْكِماً لسانك. بصيراً بما عليك أو مالَكَ — عابك من أنت أقلُّ عيباً منه، ورأى من هو دونَكَ أنهُ فوقك.

فإن ابْتليتَ بأن تتكلّفَ القول، وتتعاطى الصّنعة، ولم تسمح لك الطباع فى أول وَهْلَة، وتعَصَّى عليك بعد إحالة الفِكرة — فلا تعْجَلْ ولا تَضْجَرْ، ودَعْهُ بياضَ يومك، أو سوادَ ليلك، وعاوِدْهُ عند نشاطك وفراغ بالك، فإنك لا تَعْدَمُ الاجابة وَالمُواتاة، إن كانت هناك طبيعة، أو جَرَيتَ من الصناعة على عِرْق.

فإن تَمَنَّعَ عليك بعد ذلك من غير حادثِ شُغْلٍ عَرَض، ومن غير طول إهمال — فالمنزلة الثالثة أن تتحوّل من هذه الصناعة إلى أشهى الصناعات إليك، وأخفّها عليك...؛ لأن النفوس لا تجود بمكنونها مع الرَّغْبَة، ولا تسمح بمخزونها مع الرَّهْبَة، كما تَجُودُ به مع المحبّة والشّهوة. فهكذا هذا.

وينبغي للمتكلم: أن يعرف أقدار المعانى ، ويوازن بينها و بين أقدار المستمعين ، و بين أقدار الحالات ؛ فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ، ولكل حالة من ذلك مقاما ، حتى يقسِّم أقدار الكلام على أقدار المعانى ، ويقسِّم أقدار المعانى على أقدار المقامات ، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات .

و بعدُ ، فأَنت ترى فيما قالوه : أن حدّ البلاغة — هو أن تجعل لكل مقام مقــالا ؛ فتوجز : حيث يحسن الإيجاز ، وتطنب : حيث يجمل الاطناب ، وتؤكد : فى موضع التوكيد ، وتقدم أو تؤخر : إذا رأيت ذلك أنْسَبَ لقولك ، وأوفى بغرضك ، وتخاطب الذكى بغير ما تخاطب به الغبى ، وتجعل لكل حال ما يناسبها من القول : فى عبارة فصيحة ، ومعنى مختار .

ومن هنا عَرَّفَ العلماء « البلاغة » بأَنها : مطابقة الكلام لمقتضَى الحال مع فصاحة عباراته .

واعلم : أنَّ الفرق بين الفصاحة والبلاغة : أن الفصاحةَ مقصورةٌ على وصف الألفاظ ، والبلاغةَ لا تكون إلا وصفاً للألفاظ مع المعانى ؛ وأن الفصاحةَ تكون وصفاً للكلمة والكلام ، والبلاغةَ لا تكون وصفاً للكلمة ، بل تكون وصفاً للكلام ؛ وأن فصاحة الكلام شرط فى بلاغته ؛

فكل كلام بليغ :فصيحٌ ، وليس كل فصيح بليغاً ، كالذى يقع فيه الإسهاب حين يجب الإيجاز .

تمرين

بيِّن الحال ومقتضاه فيما يلى

(١) هنَاء محَا ذاكَ العزاءَ المُقدَّما فما عبس المحزونُ حتى تبسَّما

(٢) تقول للرَّاضى عن إثارة الحروب (إن الحربَ متلِفَةٌ للعباد، ذهَّابَةٌ بالطَّارف والتَّلاد)

(٣) يقول الناس إذا رأَوْا لِصًّا أو حريقًا (لِصٌّ — حريقٌ)

(٤) قال تعالى (وَإنَّا لا نَدْرِى أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِى الأَرْض، أمْ أَرَادَ بِهِم رَبُّهُمْ رَشَدًا)

(٥) يقول راثى البرَامِكَة

---

(١) الحال هنا هو تعجيل المسرة — والمقتضى هو تقديم الكلمة الدالة على السرور — « وهى كلمة هناء »

(٢) الحال هنا هو إنكار الضرر من الحرب — والمقتضى هو توكيد الكلام

(٣) الحال هنا هو ضيق المقام — والمقتضى هو الاختصار بحذف المسند اليه والتقدير . هذا لص . هذا حريق

(٤) الحال فى (أشر أريد) هو عدم نسبة الشر الى الله تعالى . والمقتضى هو حذف الفاعل، اذ الأصل . أشر أراده الله بمن فى الأرض

والحال فى (أم أراد بهم ربهم رشداً) هو نسبة الخير إلى الله تعالى . والمقتضى بقاء الفاعل من غير حذف « أى فعل الارادة جاء مع الشر على صورة المبنى للمجهول، ومع الرشد على صورة المبنى للمعلوم، والحال الداعية إلى بناء الأول للمجهول (التأدب) فى جانب الله تعالى بعدم نسبة الشر اليه صراحة، وإن كان الخير والشر مما قدره الله تعالى وأراده »

(٥) الحال هنا هو الخوف من (الرشيد) ناكب البرامكة، والمقتضى حذف الفاعل من اصبت

أُصِبْتُ بسَادةٍ كانوا عيونا ... بهم نُسْقَى إذا انقطَع الغَمامُ

ملاحظات

(١) التَّنافر — يُعرف (بِالذُّوق) السَّلِيم ؛ والحِسِّ الصَّادق[1]

(٢) مخالفة القياس : تُعرف (بعلم الصَّرف)

(٣) ضعف التَّأليف والتَّعقيد اللَّفظى : يُعرفان (بعلم النحو)

(٤) الغرَابة : تُعرف بكثرة (الاطّلاع) على كلام العرب ، والإحاطة بالمفردات المأنوسة

(٥) التَّعقيد المعنوى : يُعرف (بعلم البيان)

(٦) الأحوال ومقتضياتها : تُعرف (بعلم المعانى)

(٧) خَلوُّ الكلام من أوجه التَّحسين التى تكسوه رِقة ولَطافةً بَعْدَ رِعَايَةِ مُطابقته : تعرف (بعلم البديع)

---

(١) الذوق: فى اللغة الحاسة يدرك بها طعم المأكل — وفى الاصطلاح — قوة غريزية لها اختصاص بادراك لطائف الكلام ومحاسنه الخفية ، وتحصل بالمثابرة على الدرس ، وبممارسة كلام أئمة الكتاب ، وتكراره على السمع ، والتفطن لخواص معانيه وتراكيبه — وأيضا تحصل بتنزيه العقل والقلب عما يفسد الآداب والأخلاق فان ذلك من أقوى أسباب سلامة الذوق

واعلم أن (الذوق السليم) هو العمدة فى معرفة حسن الكلمات وتمييز ما فيها من وجوه البشاعة ومظاهر الاستكراه ، لأن الألفاظ أصوات ، فالذى يطرب لصوت البلبل ، وينفر من صوت البوم والغربان ، ينبو سمعه عن الكلمة إذا كانت غريبة متنافرة الحروف — ألا ترى أن كلمتى (المزنة والديمة — للسحابة الممطرة) كلتاهما سهلة عذبة يسكن اليهما السمع ، بخلاف كلمة (البعاق) التى فى معناهما فانها قبيحة تصك الأذن وأمثال ذلك كثير فى مفردات اللغة تستطيع أن تدركه بذوقك — وقد سبق شرح ذلك

فاذاً وجب عَلَى طالب البلاغة معرفةُ : اللغة. والصَّرف. والنَّحو. والمعانى والبيان. والبديع - مع كونه سليمَ الذَّوق، كثير الاطّلاع على كلام العرب، وصاحبَ خبرة وافرةٍ بكُتُب الأدب، ودِرَايةٍ تامَّة بعاداتهم وأحوالهم، واستظهارٍ للجيّد الفاخر من نَثرهم ونظمهم، وعلم كامل بالنَّابغين من شعراء، وخطباء، وكُتَّاب - ممَّن لَهم الأثر البيّن فى اللُّغة والفضلُ الأكبرُ على اللّسان العربى المبين

اسباب ونتائج

يحسُن أيضاً بطالب البلاغة أن يَعرِف شيئاً عن (الأسلوب) الذى هو المعنى المَصُوغُ فى ألفاظ مُؤلَّفة على صورة تكون أقربَ لنيل الغرض المقصود من الكلام، وأفعلَ فى نفوس سامعيه

وأنواع الأساليب ثلاثة:

(١) «الأسلوب العلمى» وهو أهدأُ الأساليب، وأكثرها احتياجاً إلى المنطق السَّليم، والفكرِ المُستقيم، وأبعدُها على الخيال الشِّعْرىِّ. لأنه يخاطب العقل، ويُناجى الفكر، ويَشرَحُ الحقائق العلميَّة التى، لا تَخلو من غموض وخفاء؛ وأظهَرُ ميزات هذا الأسلوب «الوُضُوح». ولا بدَّ أن يبدوَ فيه أثر القوة والجمال، وقوَّته فى سطوع بيانه، ورصانةِ حُجَجه؛ وجَمَاله فى سُهُولةِ عباراته، وسلامة الذَّوق فى اختيار كلماته، وحسن تقريره المعنى فى الأفهام، من أقرب وجوه الكلام

فيجب أن يُعْنَى فيه باختيار الألفاظ الواضحة الصريحة فى معناها الخالية من الاشتراك، وأن تُؤَلَّف هذه الألفاظ في سُهولة وجلاء، حتى

تكون ثوباً شفافاً للمعنى المقصود ، وحتى لا تصبح مثاراً للظنون ، ومجالاً للتوجيه والتأويل

ويحسن التنحي عن المجاز، ومحسنات البديع فى هذا الأسلوب ، إلا ما يجىء من ذلك عفواً، من غير أن يمس أصلا من أصوله،أو ميزة من ميزاته

أما التشبيه الذى يقصد به تقريب الحقائق الى الأفهام ، وتوضيحها بذكر مماثلها ، فهو فى هذا الأسلوب حسن مقبول

(٢) «الأسلوب الأدبى» والجمال أبرز صفاته ، وأظهر مميزاته ،ومنشأ جماله ، لما فيه من خيال رائع . وتصوير دقيق ، وتلمس لوجوه الشبه البعيدة بين الأشياء . وإلباس المعنوى ثوب المحسوس ، وإظهار المحسوس فى صورة المعنوى

هذا ـ ومن السهل عليك : أن تعرف أن الشعر والنثر الفنى هما موطنا هذا الأسلوب ، ففيهما يزدهر ، وفيهما يبلغ قنة الفن والجمال

(٣) «الأسلوب الخطابى» هنا تبرز قوة المعانى والألفاظ ، وقوة الحجة والبرهان ، وقوة العقل الخصيب ، وهنا يتحدث الخطيب إلى إرادة سامعيه لإثارة عزائمهم، واستنهاض هممهم ، ولجمال هذا الاسلوب ووضوحه، شأن كبير فى تأثيره ، ووصوله إلى قرارة النفوس ، ومما يزيد فى تأثير هذا الأسلوب ، منزلة الخطيب فى نفوس سامعيه، وقوة عارضته ، وسطوع حجته، ونبرات صوته ، وحسن إلقائه ، ومحكم إشاراته

ومن أظهر مميزات هذا الأسلوب «التكرار» ، واستعمال المترادفات

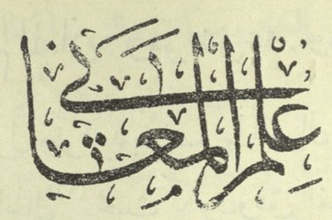
وضربُ الأمثال ، واختيار الكلمات الجزلة ذات الرّنين

وَيحسن فيه أن تتعاقب ضروب التّعبير — من إخبار ، إلى استفهام ، الى تعجّب ، الى استنكار ، وأن تكون مواطن الوقف كافية شافية ، ثم واضحاً قوِيًّا

ويظنّ النّاشئون فى صناعة الأدب : أنه كلمّا كَثُر المجاز ، وكثُرت التّشبيهات . والأخيلة . فى هذا الأسلوب — زاد حُسْنه

وهذا خطأ بيِّن ، فإنه لا يذهب بجمال هذا الأُسلوب أكثر من التّكلُّف ، ولا يفسِده شرٌّ من تعمُّدِ الصّناعة





إنَّ الـكلام البليغ : هو الذى يُصَوِّره المتكلِّم بصورة تناسب أحوالَ المخاطبين ، وإذاً لابُدَّ لطالب البلاغة أن يدرس هذه الأحوال ، ويَعْرِف ما يجب أن يُصَوِّر به كلامه فى كل حالة ، فيجعل لـكلِ مَقام مَقالا

وقد اتفق رجال البيان على تسمية العلم الذى تُعرف به أحوال اللفظ العربى التى بها يُطابِقُ اقتضاء الحال : باسم «علم المعانى[1]»

---

(١) قال بعض العلماء ــ المعانى المتصورة فى عقول الناس المتصلة بخواطرهم ، خفية بعيدة ، لا يعرف الانسان ضمير صاحبه ، ولا حاجة أخيه . ولا مراد شريكه ، ولا المعاون له على أمره . الا بالتعابير التى تقربها من الفهم ، وتجعل الخفى منها ظاهراً والبعيد قريبا ، فهى تخلص الملتبس ، وتحل المنعقد ، وتجعل المهمل مقيداً ، والمقيد مطلقا والمجهول معروفا ، والوحشى مألوفا . وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الاشارة يكون ظهور المعنى ، والعاقل يكسو المعانى فى قلبه ، ثم يبديها بألفاظ عرائس فى أحسن زينة . فينال المجد والفخار ، ويلحظ بعين العظمة والاعتبار . والجاهل يستعجل فى اظهار المعانى قبل العناية بتزيين معارضها ، واستكمال محاسنها ، فيكون بالذم موصوفا . وبالنقص معروفا ، ويسقط من أعين السامعين ، ولا يدرج فى سلك العارفين

واعلم أن الأصل فى اللفظ أن يحمل على ظاهر معناه ، ومن يذهب إلى التأويل يفتقر إلى دليل كما جاء فى القرآن « وثيابك فطهر » فان الظاهر من لفظ الثياب هو ما يلبس ومن تأول ذهب إلى أن المراد هو القلب لا الملبوس . وهذا لابد له من دليل ، لأنه عدول عن ظاهر اللفظ

واعلم أيضاً أنه يجب صناعة على معانى المعانى أن يرجح المعانى بحيث يرجح بين حقيقة ومجاز ــ أو بين حقيقتين . أو مجازين

تعريف علم المعانى . وموضوعه . وواضعه

(١) علم المعانى أصولٌ وقوَاعِد يُعرف بها أحوال الكلام العربى التى يكون بها مُطابقاً لِمُقتضَى الحال[1] بحيث يكون وفق الغَرَض الذى سِيقَ له.

فذكاء المُخاطب : حال تَقتضى إيجاز القول ، فاذا أوجزتَ فى خطابه وكان كلامك مطابقا لمقتضى الحَال ، وعبارته حال تقتضى الاطناب الإطالة — فاذا جاء كلامك فى مخاطبتــه مُطنباً : فهو مطابق لمقتضَى الحال ، ويكون كلامك فى الحالين بليغا ، وَلو أنك عكستَ لانتفتْ من كلامك صفة البلاغة .

(٢) وَموضوعه — اللَّفْظُ العربى ، من حيثُ إفادتُه المعانى الثَّوانى[2] التى هى الأغراضُ المقصودةُ لِلمتكلّم، من جعل الكلامِ مشتملا

---

(١) الحال هو الأمر الداعى للمتكلم إلى إيراد خصوصيـة فى الكلام ، وتلك الخصوصية هى مقتضى الحال — مثلا إن كان بينك وبين مخاطبك عهد بشىء - فالعهد حال يقتضى إيراد الكلام معرفا، والتعريف هو مقتضى الحال ، فالحال هو ما بعد لام التعليل المذكورة بعد كل خصوصية كقولك فى الذكر : ذكر لكون ذكره الأصل وفى الحذف : حذف للاستغناء عنه — وهلم جرا

(٢) أى والمعانى الأول — مايفهم من اللفظ بحسب التركيب ، وهو أصل المعنى مع زيادة الخصوصيات من التعريف والتنكير : قال بعض أهل المعانى الكلام الذى يوصف بالبلاغة ، هو الذى يدل بلفظه على معناه اللغوى . أو العرفى . أو الشرعى — ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانيـة على المعنى المقصود الذى يريد المتكلم إثباته أو نفيه - فهناك الفاظ ومعان أول - ومعان ثوان - فالمعانى الأول هى مدلولات التركيب ، والالفاظ التى تسمى فى علم النحو أصل المعنى — والمعانى الثوانى الاغراض التى يساق لها الكلام ولذا قيل (مقتضى الحال) هو المعنى الثانى ، كرد الانكار ودفع الشك - مثلا إذا قلنا إن زيداً قائم ، فالمعنى الأول هو القيام المؤكد ، والمعنى الثانى هو رد الانكار ، ودفع =

على تلك اللَّطائف والخصوصيَّات، التى بها يُطابِقُ مُقتضَى الحال

(٣) وفائدته : ا — معرفة إعجاز القرآن الكريم، من جهة ماخصهُ الله به من جَودة السَّبك، وحُسن الوصف، وبَراعةِ التَّراكيب، ولُطف الإيجاز وما اشتمل عليه من سُهولة التَّركيب، وجزَالةِ كلماته، وعُذوبةِ ألفاظه وسلامتِها — إلى غير ذلك من محاسنه التى أقعدت العربَ عن مُناهضته، وحارت عقولهُم أمام فصاحته وبلاغته

(ب) والوقوفُ على أسرار البلاغة والفصاحة : فى مَنثور كلام العرب ومنظومه، كى تحتذىَ حذوه، وتَنسُجَ على مِنواله، وتفرِقَ بين جَيِّدِ الكلام وَرديئِهِ

(٤) وواضعه ـ الشيخ (عبد القاهر الجُرجانى) المُتوفَّى سنة ٤٧١ هـ[١]

= الشك بالتوكيد — وهلم جرا — والذى يدل على المعانى خمسة أشياء : اللفظ، والاشارة والكتابة، والعقد، والحال

(١) اعلم أنه لما احتدم الجدل صدر الدولة العباسية، إبان زهو اللغة وعزها فى بيان وجوه اعجاز القرآن . وتعددت نزعات العلماء فى ذلك

ولما قامت سوق نافقة للمناظرة بين أئمة اللغة والنحو، أنصار الشعر القديم الذين جنحوا إلى المحافظة على أساليب العرب، ورأوا الخير كله فى الوقوف عند أوضاعهم وبين الأدباء . والشعراء أنصار الشعر الحديث الذين لم يحفلوا بما درج عليه أسلافهم وآمنوا بأن للحضارة التى غذوا بلبانها آثاراً، غدوا معها فى حل من كل قديم

ولما شجر الخلاف بين أساطين الأدب فى بيان جيد الكلام ورديئه

دعت هذه البواعث ولفتت أنظار العلماء إلى وضع قواعد وضوابط يتحاكم اليها الباحثون، وتكون دستوراً للناظرين فى آداب العرب (المنثور منها والمنظوم)

ولا نعلم أحداً سبق أبا عبيدة بن المثنى المتوفى سنة ٢١١ هـ تلميذ الخليل بن أحمد فى تدوين كتاب فى علم البيان يسمى (مجاز القرآن) كما لانعرف بالضبط أول من أل —

(٥) واستمداده – من الكتاب الشَّريف، والحديث النَّبوى وكلام العرب

واعلم: أنَّ المعانى جمع معنًى؛ وهو فى اللغة: المقصود

وفى اصطلاح البيانيِّين – هو التَّعبير باللَّفظ عمَّا يتصوَّره الذِّهن، أو هو الصُّورة الذِّهْنيَّة: من حيث تُقصَدُ من اللَّفْظ

واعلم أنَّ لكل جملة رُكنين

مُسندًا – ويسمى محكوماً به – أو مُخبراً به

ومُسندًا إليه، ويُسمى محكوماً عليه – أو مُخبرا عنه

وأمَّا النِّسبة التى بينهما فتُدْعَى «إسْناداً»

وما زاد على المسند والمسند إليه من مفعول. وحال. وتمييز. ونحوها –

= فى علم المعانى – وإنما أثر فيه نبذ عن بعض البلغاء كالجاحظ فى كتابه «اعجاز القرآن» وابن قتيبة فى كتابه «الشعر والشعراء» – والمبرد فى كتابه «الكامل»

ولكن نعلم أن أول من ألف فى البديع (الخليفة عبد الله بن المعتز بن المتوكل العباسى) المتوفى سنة ٢٩٦ هـ،

وما زالت هذه العلوم تسير فى طريق النمو، حتى نزل فى الميدان الامام (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجانى) المتوفى سنة ٤٧١ هـ فشمر عن ساعد الجد، ودون كتابيه – أسرار البلاغة – ودلائل الاعجاز – وقرن فيهما بين العلم والعمل، ثم جاء إثر عبد القاهر – (جار الله الزمخشرى)، فكشف فى تفسيره «الكشاف» عن وجوه إعجاز القرآن، وأسرار بلاغته، وأوضح ما فيه من الخصائص والمزايا، وقد أبان خلالها كثيرا من قواعد هذه الفنون – ثم نهض بعده (أبو يعقوب يوسف السكاكى) المتوفى سنة ٦٢٦ هـ فجمع فى القسم الثالث من كتابه «المفتاح» مالا مزيد عليه. وجاء بعده علماء القرن السابع فما بعده يختصرون ويضعون مؤلفاتهم حسب مايسمح به مناهج التعليم للمتعلمين فى كل قطر من الأقطار حتى غدت أشبه بالمعميات والألغاز

فهو قيد زائد على تكوينها — إلا صِلَةَ الموصول ، والمضاف إليه[1]

« والإسناد » انضِمَام كلمةٍ[2] « المُسْند » إلى أخرى[3] « المُسند إليه » على وَجهٍ يُفيد الحكم بإحداهما على الأخرى : ثبوتاً — أو نفياً نحو : اللهُ واحدٌ لا شريكَ له

ومواضع المسند ثمانية :

(١) خبر المبتدأ — نحو « قادرٌ » من قولك — اللهُ قادرٌ

(٢) والفعل التام — نحو « حضر » من قولك — حضر الأمير

(٣) واسم الفعل — نحو « هيهات — وَوَىْ — وآمينَ »

(٤) والمبتدأ الوصفُ المُستغنِي عن الخبر بمرفوعه — نحو «عارف» من قولك — أعارفٌ أخوكَ قدرَ الإنصاف

---

(١) اعلم أن الجمل ليست فى مستوى واحد عند أهل المعانى ، بل منها جمل رئيسية وجمل غير رئيسية . والأولى هى المستقلة التى لم تكن قيداً فى غيرها ، والثانية ما كانت قيدا إعرابيا فى غيرها، وليست مستقلة بنفسها

والقيود هى : أدوات الشرط . والنفى . والتوابع . والمفاعيل . والحال . والتمييز وكان وأخواتها . وان واخواتها . وظن أخواتها — كما سيأتى

(٢) أى — وما يجرى مجراها

(٣) أى — وما يجرى مجراها — كما سيأتى

(تنبيه) الاسناد: مطلقا قسمان حقيقة عقلية ، ومجاز عقلى — فالحقيقة العقلية هى أسناد الفعل أو ما فى معناه إلى ما وضع له عند المتكلم فى الظاهر من حاله نحو : تجرى الأمور بما لا يشتهى البشر . وأنبت الله النبات . والمجاز العقلى (ويسمى اسنادا مجازيا. ومجازاً حكمياً . ومجازا فى الاسناد) هو اسناد الفعل أو مافى معناه إلى غير ماوضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من ارادة الاسناد الى ماهو له نحو — تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن — وله علاقات شتى — فيلائم الفاعل لوقوعه منه نحو سيل مفعم

(٥) وَأَخبار النَّواسخ «كان ونَظَائِرُها — وإنَّ ونظائِرُها»

(٦) والمفعول الثانى — لظنّ وأخواتها

(٧) والمفعول الثالث — لأرَى وأخواتها

(٨) والمصدر النَّائب عن فعل الأمر — نحو «سعياً فى الخير»

بفتح العين أى مملوء — فاسناد مفعم وهو مبنى للمفعول إلى ضمير السيل وهو فاعل مجاز عقلى ملابسته الفاعلية — ويلائم المفعول به لوقوعه عليه نحو عيشة راضية: فاسناد راضية وهو مبنى للفاعل إلى ضمير العيشة وهى مفعول به (مجاز عقلى) ملابسته المفعولية — ويلائم الزمان والمكان لوقوعه فيهما نحو صام نهاره. وسال الميزاب. ونهار صائم. ونهر جار. ويلائم المصدر نحو جد جده. ويلائم السبب نحو بنى الامير المدينة — وكما يقع المجاز العقلى فى الاسناد يقع فى النسبة الاضافية: كمكر الليل. وجرى الانهار. وشقاق بينهما

وغراب البين (على زعم العرب) وفى النسبة الايقاعية: نحو (وأطيعوا أمرى ولا تطيعوا أمر المسرفين)، وأجريت النهر — وكما يكون فى الاثبات يكون فى النفى نحو قوله تعالى فما ربحت تجارتهم، وما نام ليلى — على معنى خسرت تجارتهم، وسهر ليلى قصدا إلى اثبات النفى، لا نفى الاثبات — ويكون أيضاً فى الانشاء كما سبقت الاشارة اليه نحو قوله تعالى أصلاتك تأمرك ونحو ياهامان ابن لى صرحا، وليصم نهارك، وليجد جدك، وليت النهر جار — وما أشبه ذلك

وأقسامه باعتبار حقيقة طرفيه ومجازيتهما أربعة — لأنهما أما حقيقتان لغويتان نحو أنبت الربيع البقل — أو مجازان لغويان نحو أحيا الارض شباب الزمان، إذ المراد باحياء الأرض تهييج القوى النامية فيها، وإحداث نضارتها بأنواع الرياحين، والاحياء فى الحقيقة اعطاء الحياة، وهى صفة تقتضى الحس والحركة، وكذا المراد بشباب الزمان زمان ازدياد قواها النامية، وهو فى الحقيقة عبارة عن كون الحيوان فى زمان تكون حرارته الغريزية مشبوبة أى قوية مشتعلة — أو المسند حقيقية لغوية والمسند اليه مجازى لغوى: نحو أنبت البقل شباب الزمان — أو المسند اليه حقيقة لغوية والمسند مجاز لغوى نحو أحيا الأرض الربيع * ووقوع المجاز العقلى فى القرآن كثير: نحو

ومواضع المسند إليه ستة :

(١) الفاعلُ « للفعل التّام أو شبهه » نحو « فؤاد — وأبوه » من قولك حضر فؤادٌ العالمُ أبوه

(٢) وأسماء النَّواسخ : كان وَأخواتها ، وإنَّ وَأخواتها — نحو « المطرُ » من قولك — كان المطرغزيراً ، ونحو : إنَّ المطرَ غزير

ما تقدم ، ونحو وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ، وينزع عنهما لباسهما ، وأخرجت الأرض أثقالها ، فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا

ولابد له من قرينة صارفة عن ارادة المعنى الأصلى لأن الفهم لولا القرينة يتبادر الى الحقيقة — والقرينة إما لفظية وإما معنوية فاللفظية كقولك هزم الأمير الجند وهو فى قصره ، والمعنوية كاستحالة قيام المسند بالمسند اليه المذكور معه عقلا بمعنى أنه لو خلى العقل ونفسه عد ذلك القيام محالا كقولك محبتك جاءت بى اليك ، لاستحالة قيام المجىء بالمحبه عقلا ، وكاستحالة ماذكر عادة نحو هزم الأمير الجند لاستحالة قيام هزيمة الجند بالأمير وحده عادة ، وان أمكن عقلا ، وكأن يصدر من الموحد : نحو

أشاب الصغير وأفنى الكبير كر الغداة ومر العشى

فأن صدور ذلك من الموحد قرينة معنوية على أن إسناد أشاب وأفنى إلى كر الغداة ومر العشى مجاز ، ثم هذا غير داخل فى الاستحالة إذ قد ذهب اليه كثير من المبطلين ولا يجب أن يكون فى المجاز العقلى للفعل فاعل يعرف الاسناد اليه حقيقة ، بل تارة يكون له فاعل ، يعرف إسناده اليه حقيقة كما تقدم ، وتارة لا — نحو قوله .

يزيدك وجهه حسنا إذا مازدته نظراً

فان اسناد الزيادة للوجه مجاز عقلى وليس لها أى الزيادة فاعل يكون الاسناد اليه معروفا حقيقة ، ومثله سرتنى رؤيتك وأقدمنى بلدك حق لى عليك ، فهذه الأمثلة ونحوها من المجاز العقلى الذى لافاعل له يعرف الاسناد اليه حقيقة : كما قال الشيخ

(٣) وَالمبتدأ الذى له خبر — نحو « العلم » من قولك : العلم نافع

(٤) والمفعول الأول — لظنّ وأخواتها

(٥) والمفعول الثانى — لِأرَى وأخواتها

(٦) ونائب الفاعل — كقوله تعالى (وَوُضِعَ الكِتابُ)

ثم إن المسند والمسند إليه يَتنوَّعان إلى أربعة أقسام :

(١) إمَّا أن يكونا كلمتين حقيقة — كما تَرَى فى الأمثلة السالفة

(٢) وإمَّا أن يكونا كلمتين حُكما — نحو « لاَ إلٰهَ إلاَّ اللهُ يَنجُو قائلها مِن النّار » أى « توحيدُ الإلٰهِ نجاةٌ من النّار »

(٣) وإما أن يكونَ المسند إليه كلمة حكما ، والمسند كلمة حقيقة نحو « تَسْمَعُ بالمُعَيْدِىِّ خيرٌ مِن أنْ تَرَاه » أى « سماعك بالمُعيدى خير من رؤيته »

(عبد القاهر) — وقيل لا بد له من فاعل يعرف الاسناد اليه حقيقة ، ومعرفته إما ظاهرة نحو (فما ربحت تجارتهم) أى فما ربحوا فى تجارتهم — وإما خفية كهذه الأمثلة والفاعل الله تعالى ، هذا — وقد أنكر (السكاكى) المجاز العقلى ذاهبا إلى أن أمثلته السابقة ونحوها منتظمة فى سلك الاستعارة بالكناية فنحو أنبت الربيع البقل يجعل الربيع استعارة عن الفاعل الحقيقى ، بواسطة المبالغة فى التشبيه ، ويجعل نسبة الانبات اليه قرينة الاستعارة وسيأتى مذهبه ان شاء الله تعالى فى فن البيان عند الكلام على الاستعارة بالكناية

(تنبيه) ذكر بعض المؤلفين (مبحث المجاز العقلى والحقيقة العقلية) فى أحوال الاسناد من علم المعانى

وبعضهم ذكرهما فى فن البيان عند تقسيم اللفظ إلى حقيقة ومجاز ولكل وجهة

(٤) وإمَّا بالعكس — نحو «الأميرُ قَرُبَ قُدُومه»[1] أى «الأمير قريبٌ قدومُه»

ويُسَمَّى المُسند — والمسند إليه : رُكنى الجملة

وكل ما عداهما يُعتبر قيداً زائداً عليهما — كما سبق الكلام عليه

وينحصر (علم المعانى) فى ثمانية أبواب — وخاتمة

(١) ففى الأول يؤول — سماعك بالمعيدى خير — وفى الثانى — الأمير قريب قدومه ، وفى نحو : لا إله إلا الله ينجو قائلها من النار — عدم شريك للمولى نجاة من النار

الباب الاول

فى تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء

« وفى هذا الباب ثلاثة مباحث »

المبحث الاول فى حقيقة الخبر

أَلخبرُ : كلامٌ يَحتمِلُ الصِّدْقَ والكذبَ لذاتِهِ(١)

وإن شئت فقل « الخبرُ هوما يتحقّق مدلولهُ فى الخارجِ بدون النُّطق به » نحو : العلم نافعٌ ، فقد أثبتْنا صفة النَّفع للعلم ، وَتلكَ الصِّفة ثابتة له (سواء تلفّظتَ بالجملة السابقة أمْ لم تتلفظ) لأنّ نفعَ العلم أمرٌ حاصل فى الحقيقة والواقع ، وإنما أنت تحكى ما اتّفق عليه الناس قاطبة ، وقضَتْ به الشَّرائعُ ، وهدتْ إليه العقولُ ، بدون نظر إلى إثبات جديد .

والمراد : بصدق الخبر مُطابقته للواقع ونفس الأمر

والمراد بكذبه عدم مطابقته له

فجملة : العلم نافع — ان كانت نِسبتهُ الكلاميَّة (وهى ثبوت النَّفع

---

(١) أى بقطع النظر عن خصوص المخبر . أو خصوص الخبر - وإنما ينظر فى احتمال الصدق والكذب إلى الكلام نفسه لا إلى قائله : وذلك لتدخل الاخبار الواجبة الصدق كأخبار الله تعالى ، وأخبار رسله . والبديهيات المألوفة - نحو السماء فوقنا - والنظريات المتعين صدقها ، ولا تحتمل شكا كاثبات العلم والقدرة للمولى سبحانه وتعالى — ولتدخلِ الأخبار الواجبة الكذب كأخبار المتنبئين فى دعوى النبوة .

للعلم) المفهومة من تلك الجملة مُطابقةً للنسبة الخارجيَّة — أى مُوافقة لِمَا فى الخارج والواقع « فصدقٌ » وإلَّا « فكذب » نحو « الجهل نافع » فنسبته الكلامية ليست مُطابقة ومُوافقة للنّسبة الخارجيَّة(١)

المقاصد والأغراض التى من أجلها يُلقى الخبر

الأصلُ فى الخبر أن يُلقَى لأحد غرضين

(ا) إمّا إفادة المُخاطب الحُكم الذى تَضَمَّنتهُ الجملة ، اذا كان جاهلا له ، ويُسمَّى هذا النوع « فائدةَ الخبر » نحو « الدِّينُ الْمُعَامَلَةُ »

(ب) وإمَّا إفادة المُخاطب أنَّ المتُكلمَ عالمٌ أيضاً بأنّه يَعلم الخبر كما تقولُ : لتلميذ أخفى عليك نجاحه فى الامتحان — وعلمته من طريق آخر : أنتَ نجحت فى الامتحان . ويُسمى هذا النوع

« لازمَ الفائدة » لأنه يلزمُ فى كلّ خبر أن يكون المُخبر به عنده عِلْمٌ أو ظَنّ به

وقد يخرج الخبر عن الغرضين السَّابقين إلى أغراض أخرى تُستَفادُ بالقرائِن ، ومن سِياق الكلام : أهمّها

---

(١) فمطابقة النسبة الكلامية للنسبة الخارجية ثبوتا ونفيا صدق — وعدم المطابقة كذب — فالنسبة التى دل عليها الخبر وفهمت منه تسمى كلامية . والنسبة التى تعرف من الخارج بقطع النظر عن الخبر تسمى خارجية — فحينئذ هناك نسبتان نسبة تفهم من الخبر . ويدل عليها الكلام وتسمى النسبة الكلامية - ونسبة أخرى تعرف من الخارج بقطع النظر عن الخبر وتسمى النسبه الخارجية .

فما وافق الواقع فهو صدق ، وما خالف الواقع فهو كذب

(١) الاسترحامُ والاستعطافُ ، نحو — إنّى فقيرٌ إلى عفو ربّى [١]

(٢) وتحريكُ الهمّة إلى ما يلزمُ تحصيلهُ ، نحو : ليس سواءً عالمٌ وجهُولُ

(٣) وإظهار الضَّعف والخُشوع . نحو (ربِّ إنّى وهَنَ العظمُ منّى)

(٤) وإظهار التحسُّر على شيء محبوب نحو (ربِّ إنّى وضعتها أنثى)

(٥) وإظهار الفرح بمُقبل - والشَّماتة بمُدبر ، نحو (جاء الحق وزهق الباطل)

(٦) والتَّوبيخ كقولكَ للعاثر : (الشَّمس طالعةٌ)

(٧) التَّذكير بما بين المراتب من التَّفاوُت - نحو : (لا يستوى كسلان ونشيط)

(٨) التَّحذير - نحو (أبغضُ الحلال إلى اللهِ الطلاقُ)

(٩) الفخر نحو : إن اللهَ اصطفانى من قُريش

(١٠) المدح كقوله

فانك شمسٌ والملوك كواكبٌ ... إذا طلعتْ لم يَبدُ منهنَّ كوكبُ

وقد يجيء لأغراض أخرى — والمرجع فى معرفة ذلك إلى الذوق والعقل السليم

---

(١) فليس الغرض هنا إفادة الحكم . ولا لازم الفائدة ، لأن الله تعالى عليم ولكنه طلب عفو ربه . ولهذا ترى فى الكلام العربى أخبارا كثيرة لا يقصدبها افادة المخاطب الحكم . ولا أن المتكلم عالم به ، فتكون قد خرجت عن معناها الأصلى السالف ذكره إلى أغراض أخرى .

تمرين

عيِّن الأغراض المستفادة من الخبر فى الأمثلة الآتية

(١) قال تعالى : « لله ما فى السَّمٰوَاتِ وَمَا فى الأرْضِ ، وَإن تبْدُوا مَا فى أنفسِكُمْ أوْ تُخْفوهُ يحَاسِبكُمْ بهِ اللهُ ؛ فيَغفِرُ لِمَنْ يشاء ، وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللهُ عَلى كلِّ شيْءٍ قدِيرٌ »

(٢) وقال تعالى : « عَبَسَ وَتولَّى أنْ جاءَهُ الأعْمى ، ومَا يُدْرِيك لعَلَّهُ يَزَّكَّى ، أوْ يذَّكَّرُ فتَنفعَهُ الذِّكْرى ، أمّا مَن استَغْنى فأنتَ لهُ تَصَدَّى ، ومَا عَليْكَ ألاّ يَزَّكَّى ! وأمَّا مَنْ جاءَكَ يَسْعَى وهُوَ يَخْشى ، فأنتَ عنهُ تَلَهَّى » .

(٣) وقال صلى الله عليه وسلم : « عدْلُ ساعَةٍ فِى حُكُومَةٍ خيرٌ مِنْ عبَادَةِ ستِّينَ سَنَةً .

(٤) وقال : إنَّ أشَدَّ النَّاسِ عذَابًا يوْمَ القِيامَةِ رَجُلٌ أشْرَكَهُ اللهُ فِى حكمِهِ ، فَأدْخلَ عَليْهِ الْجوْرَ فى عَدْلِهِ .

(٥) ومن خطبة له عليه السلام بمكة حين دعا قومه إلى الاسلام :
إنَّ الرَّائدَ لا يَكْذِبُ أهْلَهُ ، واللهِ لو كَذَبتُ النَّاسَ ما كَذَبْتُكُم ولو غَرَرْتُ الناسَ ما غررتكم ، والله الذى لا إله إلا هو إنى رسول الله إليكم حقًّا ، وإلى النَّاس كافّةً .

(٦) وقال الشريف الرضى :

جار الزمانُ فلا جوادٌ يُرْتجَى ... للنائباتِ ولا صديقٌ يشفِقُ
وإذا الحليم رمى بسرٍّ صديقِهِ ... عَمْداً فأوْلَى بالوداد الأحمقُ

(٧) وقال المعرى :

عرفتُ سجايا الدهر ، أمَّا شرورُهُ ... فنقدٌ ، وَأمَّا خيره فوُعودُ

(٨) وقال :

رأيت سكوتى متْجَراً فلزمتُهُ ... إذا لم يفِدْ رِبْحاً فلستُ بخاسِرِ

(٩) وقال أيضاً :

أرَى وَلَدَ الفتى عِبئاً عليه ... لقد سعد الذى أمسى عقيما
فإما أن يربّيهُ عَدوّاً ... وإما أن يُخَلِّفَهُ يتيما

(١٠) قال ابن حيُّوس مادحاً :

بَنِى صالحٍ أقْصَدْتُمُ من رميتُمُ ... وأحييتمُ من أمَّ معروفكم قصدا
وَذَلَّلْتُمُ صَعْبَ الزمانِ لأهلهِ ... فذَلّ وقد كان الجِماح له وكْدَا
مَناقِبُ لو أنّ اللَّيالى توشّحت ... بأذيالها لابيَضَّ منهن ما اُسودا

(١١) وقال أبو فِراس .

صبرتُ على اللأْوَاء صبرَ ابن حُرَّة ... كثيرِ العِدَا فيها قليلِ المُساعِدِ
مَنَعْتُ حِمَى قومى وسُدْتُ عشيرتى ... وقَلَّدْتُ أهلى غُرَّ هذى القلائد

المبحث الثانى

فى كيفيَّة إلقاء المتكلّم الخبر للمخاطب

حيث كان الغرضُ من الكلام الإفصاحَ والإظهارَ ، يجب أن يكون المُتكلم مع المخاطب كالطَّبيب مع المريض ، يشخّص حالتَه ، ويُعطيه ما يناسبها .

فحقّ الكلام : أن يكون بقدر الحاجة ، لا زائداً عنها ، لِئلاَّ يكونَ عبثاً ، ولا ناقصاً عنها ، لِئلاَّ يُخِلَّ بالغرض ، وهو (الإفصاح والبيان) (١)

لهذا — تختلف صُور الخبر فى أساليب اللغة باختلاف أحوال المخاطب الذى يَعتريه ثلاث أحوال :

أولا — أن يكون المخاطب خالىَ الذّهن من الخبر . غير مُتردّد فيه . ولا منكرٍ له — وفى هذه الحال لا يؤكد له الكلام ، لعدم الحاجة إلى التوكيد نحو قوله تعالى — المال والبَنونَ زينة الحياة الدُّنيا

ويُسمَّى هذا الضَّرب من الخبر (ابتدائياً) ويُستعمل هذا الضَّرب حين يكون المخاطب خالى الذّهن من مدلول الخبر فيتمكن فيه لمُصادفته إياه خالياً (٢)

---

(١) كتب معاوية الى أحد عماله . فقال : لا ينبغى لنا أن نسوس الناس سياسة واحدة ، لانلين جميعاً ، فيمرح الناس فى المعصية ولا نشتد جميعاً ، فنحمل الناس على المهالك ، ولكن تكون أنت للشدة والغلظة ، وأكون أنا للرأفة والرحمة

وكتب أبو العباس السفاح فقال : لأعملن اللين حتى لا ينفع إلا الشدة ، ولأكرمن الخاصة ما أمنتهم على العامة ، ولأغمدن سيفى حتى يسله الحق ، ولأعطين حتى لا أرى للعطية موضعاً

(٢) عرفت هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبـا خاليا فتمكنا

ثانياً — أن يكون المُخَاطب مُتردِّداً فى الخبر ، طالباً الوصول لمعرفته ، والوقوف على حقيقته فيُستحسن تأكيد[1] الكلام المُلْقَى إليه تقوية للحُكم ، ليتمكَّنَ من نفسه ، ويَطرحَ الخِلاف وراء ظهره ، نحو — إن الأمير مُنتصرٌ

ويُسَمَّى هذا الضَّرب من الخبر (طَلبيًّا) ويُؤْتى بالخبر من هذا الضَّرب حين يكون المخاطب شاكاً فى مدلول الخبر ، طالباً التثبُّت من صدقه

ثالثاً — أن يكونَ المخاطب مُنكِراً للخبر الذى يُرَاد إلقاؤُه إليه ، مُعتقداً خلافه ، فيجب تأكيدُ الكلام له بمُؤَكِّد . أو مُؤَكدين أوْ أكثرَ ، على حسب حاله من الانكار ، قوَّة — وضعفاً

نحو : إنّ أخاك قادمٌ — أو إنه لقادم — أو والله إنه لقادم

أو لعمرى : إنّ الحقّ يَعلو ولا يُعلَى عليه

ويُسمَّى هذا الضّرب من الخبر (إنْكارِياً) ويؤْتى بالخبر من هذا الضرب حين يكون المخاطب مُنكرا

واعلم أنه كما يكون التأكيد فى الاثبات ، يكون فى النَّفى أيضاً .

نحو : ما المُقتَصد بمُفتقر ، ونحو : واللهِ ما المُستشير بنادم

---

(١) المراد بالتأكيد فى هذا الباب تأكيد الحكم ، لا تأكيد المسند اليه ولا تأكيد المسند .

واعلم أن الخطاب بالجملة الاسمية وحدها : آكد من الخطاب بالجملة الفعلية ـ فاذا أريد مجرد الأخبار أتى بالفعلية ـ وأما أن أريد التأكيد فبالاسمية وحدها ـ أو بها مع إن ـ أو بهما وباللام ، أو بالثلاثة والقسم . واعلم أن لام الابتداء هى الداخلة على المبتدأ . أو اللاحقة للخبر ـ كما أن السين وسوف لاتفيدان التوكيد إلا إذا كانت للوعد أو الوعيد ،

تنبيهات

الأول : لتوكيد الخبر أدوات كثيرة ، وأشهرها إنّ ، وأنّ ، ولام الابتداء ، وأحرفُ التنبيه ، والقسمُ ، ونونا التوكيد ، والحروف الزّائدة (كتفعّل واستفعل) والتكرارُ ، وقد ، وأمّا الشّرطيّة ، وإنّما ، وإسمية الجملة ، وضميرُ الفصل ، وتقديم الفاعل المعنوى

الثانى : يُسمَّى إخراجُ الكلام على الأضرب الثّلاثة السّابقة إخراجاً على مُقتضَى ظاهر الحال[1]

وقد تقتضى الأحوالُ العُدولَ عن مُقتضَى الظّاهر ، ويُورَد الكلامُ على خلافه لاعتبارات يلحظها المتكلم (وسلوك هذه الطريقة شعبة من البلاغة)

(١) منها : تنزيلُ العَالِم بفائدة الخبر ، أو لازمها ، و بهما معاً ـ منزلةَ الجاهل بذلك ، لعدم جَريهِ على مُوجب علمه . فيُلقَى إليه الخبرُ كما يُلقَى الى الجاهل به ، كقولك : لِمن يَعلم وجوبَ الصّلاة ، وهو لا يُصلّى « الصّلاةُ واجبةٌ » توبيخاً له على عدم عمله بمُقتضَى علمه ، وكقولك ، لمن يُؤذِى أباه ـ هذا أبوك

---

(١) اعلم أن (الحال) هو الأمر الداعى إلى إيراد الكلام مكيفا بكيفية ما سواء أكان ذلك الامر الداعى ثابتا فى الواقع ، أو كان ثبوته بالنظر لما عند المتكلم كتنزيل المخاطب غير السائل منزلة السائل

(وظاهر الحال) هو الأمر الداعى إلى ايراد الكلام مكيفاً بكيفية مخصوصة بشرط أن يكون ذلك الأمر الداعى ثابتاً فى الواقع فكل كيفية اقتضاها ظاهر الحال اقتضاها الحال ، ـ وليس كل كيفية اقتضاها الحال اقتضاها ظاهره .

(٢) ومنها: تنزيل خالى الذّهن مَنزلة السّائل المُتردّد، إذا تقدّم فى الكلام ما يَشِير إلى حُكم الخبر كقوله تعالى (وما أُبرّئُ نفسى إنّ النَفس لأمّارة بالسُّوء) فدخول إنّ مُؤكّد لمضمون ما تقدّمه، لإشعاره بالتّردّد فيما تضمّنه مدخولها - وكقوله تعالى «ولاَ تُخاطِبْنى فى الذين ظَلَمُوا إنّهم مُغْرَقون»

لمّا أمر المولى «نوحاً» أوّلاً بصُنع الفُلك، ونهاه ثانيا عن مُخاطبته بالشّفاعة فيهم، صار مع كونه غيرَ سائل فى مَقام السّائل المُتردّد[1] هل حكَم الله عليهم بالاغراق؟؟ فأجيبَ بقوله «إنّهم مغْرَقون»

(٣) ومنها: تنزيل غير المُنكر منزلة المُنكر: إذا ظهر عليه شىء من أمارات الإنكار، كقول حَجَل بن نَضْلَة القَيسِى «من أولاد عَمّ شَقيق»

جاء شَقِيقٌ عارضاً رُمحَهُ إنّ بَنى عمّك فِيهم رِماحُ

---

(١) أى فصار المقام مظنة للتردد والطلب — وان لم يتردد المخاطب، ولم يطلب بالفعل، وذلك لأنه تكاد نفس الذكى إذا قدم لها ما يشير إلى جنس الخبر أن تتردد فى شخص الخبر، وتطلبه من حيث أنها تعلم أن الجنس لا يوجد إلا فى فرد من أفراده فيكون ناظراً اليه بخصوصه كأنه متردد فيه كنظر السائل - فقوله - ولا تخاطبنى يشير إلى جنس الخبر وأنه عذاب - وقوله إنهم مغرقون - يشير إلى خصوص الخبر الذى أشير اليه ضمنا فى قوله ولا تخاطبنى - وكقول الشاعر.

ترفق أيها المولى عليهم فأن الرفق بالجانى عتاب

فالأصل — أن يورد الخبر هنا خاليا من التوكيد، لأن المخاطب خالى الذهن من الحكم، ولكن لما تقدم فى الكلام مايشعر بنوع الحكم أصبح المخاطب متشوقا لمعرفته فنزل منزلة السائل المتردد الطالب، واستحسن القاء الكلام اليه مؤكدا، جريا على خلاف مقتضى الظاهر

(فشقيقٌ) رَجلٌ لا يُنكر رماحَ بَنِي عمّه ، ولكنْ مجيئه على صورة المعجب بشجاعته ، واضعاً رُمحَه على فخذيه بالعرض وهو راكب أو حاملا له عرضاً على كتفه في جهة العدُوّ بدون اكتراثه به ، بمنزلة انكاره أنّ لِبنِي عمّه رماحا ، ولن يَجِد منهم مُقاوِماً له كأنّهم كلهم في نظره عُزْلٌ ، ليس مع أحد منهم رُمحٌ .

فأُكّد له الكلامُ استهزاءً به ، وخُوطبَ خِطاب التفاتٍ بعد غَيبةٍ تهكُّما به ، ورمياً له بالنَّزَق وخُرق الرَّأى

(٤) ومنها تنزيل المُتردِّد[1] منزلة الخالى ، كقولك للمُتردِّد فى قدوم مسافر مع شهرته (قدم الأمير)

(٥) ومنها تنزيل المُتردِّد منزلة المُنكر ، كقولك للسّائل المستبعد لحصول الفرج (إنَّ الفرجَ لَقريبٌ)

(٦) ومنها تنزيل المُنكر منزلة الخالى ، اذا كان لديه دلائل وشواهد لو تأمّلها لارْتَدَع وزال إنكاره ، كقوله تعالى (وإلٰهكم إلٰه واحد) وكقولك لمن ينْكر مَنفعة الطبّ (الطِّبّ نافعٌ)

(٧) ومنها تنزيل المُنكر منزلة المُتردّد ، كقولك لمن يُنكر (شرف الأدب) إنكاراً ضعيفاً «إنَّ الجاه بالمال: انَّما يصحبك ماصحبك المال

(١) وفائدة التنزيل وجوب زيادة التأكيد قوة وضعفا ، لأنه نزل المتردد منزلة المنكر ، فيعطى حكمه حينئذ . وهكذا تفهم فى عكسه وهو تنزيل المنكر منزلة المتردد فى استحسان التوكيد له . واعلم أنه إذا التبس اخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر باخراجه على مقتضى الظاهر يحتاج إلى قرينة تعين المقصود أو ترجحه ـ فان لم توجد قرينة صح حمل الكلام على كل من الأمرين ـ وذلك كجعل السائل كالخالى ، وجعل المتردد كالمنكر ، فان وجدت قرينة عمل بها ، والا صح الحكم بأحدهما .

وأمَّا الجاه بالأدب فأنه غير زائل عنك »

الرابع : قد يؤكَّد الخبر لشرف الحكم وتقويته ، مع أنه ليس فيه تردّد ولا إنكار ، كقولك فى افتتاح كلام (إنَّ أفضل ما نطق به اللّسان كذا)(١)

تدريب

بيِّن أغراض الخبر والمقاصد منه فيما يأتى :

(١) قَومِى هُمُو قتلوا أُمَيْمَ أخِى فإذا رَمَيْتُ يُصِيبُنِى سَهمِى

---

(١) من مزايا اللغة العربية دقة التصرف فى التعبير ، واختلاف الأساليب باختلاف المقاصد والأغراض ، فمن العيب الفاضح عند ذوى المعرفة بها (الاطناب) إذا لم تكن هناك حاجة اليه ، والايجاز والاختصار ، حيث تطلب الزيادة ، وقد تخفى دقائق تراكيبها على الخاصة بل العامة ، فقد أشكل أمرها على بعض ذوى الفطنة من نابتة القرن الثالث : إبان زهو اللغة ونضرة شبابها ، يرشدك إلى ذلك ما رواه الثقاة من أن المتفلسف الكندى : ركب إلى أبى العباس المبرد وقال له . إنى لأجد فى كلام العرب حشوا ، فقال أبو العباس فى أى موضع وجدت ذلك ، فقال أجد العرب يقولون عبد الله قائم . ثم يقولون : إن عبد الله قائم ، ثم يقولون ، إن عبد الله لقائم ، فالالفاظ متكررة ، والمعنى واحد ، فقال أبو العباس بل المعانى مختلفة لاختلاف الالفاظ ، فالأول اخبار عن قيامه ، والثانى جواب عن سؤال سائل ، والثالث جواب عن انكار منكر قيامه ، فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعانى ، فما أحار المتفلسف جوابا

ومن هذا : تعلم أن العرب لاحظت أن يكون الكلام بمقدار الحاجة . لا أزيد والا كان عبثاً - ولا أنقص والا أخل بالغرض — وهو الأفصاح والبيان

(١) اظهار الحسرة على موت أخيه بيد من قرابته

(١) قد كنت عُدَّتى التى أسطو بها ... ويدِى إذا اشتدّ الزمان وساعدى

(٢) أبا المسك أرجو منك نصراً على العِدى ... وآمل عزاً يخضب البِيض بالدَّم

(٣) كفى بجسمى نُحولا أننى رجل ... لولا مُخاطبتى إياكَ لمْ ترنى

(٤) وأنت الذى ربَّيت ذا المُلك مرضَعا ... وليسَ له أمٌّ سِواكَ ولا أب

(٥) ذهب الذين يُعاش فى أكنافِهم ... وبقيتُ فى خلَفٍ كجلد الأجرب

ان كان لا يرجوك إلاَّ محسن ... فبِمَنْ يلوذ ويستجير المُجرم

أدعوك ربِّى كما أمرت تَضرُّعا ... فإذا ردَدْتَ يدى فمن ذا يرحم

ظمِئتُ وفى فمى الأدبُ المُصفّى ... وضِعتُ وفى يدى الكنزُ الثّمينُ

نَموذَج فى بيان مقاصد وأغراض الأخبار

(١) كَانَ مُعاوِيَةُ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ حَسَنَ السِّياسَةِ والتَّدْبيرِ يحلُم فى مَوَاضِعِ الحِلْمِ، ويَشْتَدُّ فى مَوَاضِعِ الشِّدَّةِ

(٢) لَقَدْ أدبْتَ بَنِيك باللّين والرّفقِ، لا بالقَسْوَةِ والعِقابِ

---

(١) اظهار الضعف لكونه أصبح بلا معين

(٢) الاسترحام بطلب المساعدة وشد الأزر

(٣) اظهار الضعف بأن نحوله صيره الى ما وصف

(٤) افادة المخاطب أن المتكلم عالم بقصته وسابق أعماله . فالغرض لازم الفائدة

(٥) التحسر لفقد ذوى المروءة والمصير إلى لئام لاخير فيهم

(١) الغرض إفادة المخاطب الحكم الذى تضمنه الكلام

(٢) « إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بحاله فى تهذيب بنيه

ولمّا دعوتُ الصّبر بعدك والأسى أجاب الأسى طوعاً ولم يجب الصّبرْ

فإن ينقطعْ منك الرجاء فإنّه سيبقى عليك الحُزنُ ما بقى الدّهرُ

(٣) توُفّى عُمَرُ بنُ الخطّاب رَضى اللهُ عنهُ سنة ثلاثٍ وعشرين من الهجْرة

(٤) قال أبو فِراس الحَمْدانىُّ :

وَمكارِمى عدَدُ النجومِ وَمنزِلى مأْوَى الكرامِ ومنزِلُ الأضْياف

(٥) وقال أبو الطيب :

وَما كُلُّ هاوٍ للْجَميل بفاعلٍ وَلا كُلُّ فعّالٍ لهُ بِمُتَمِّمِ

(٦) وقال أيضاً يرْثى أُخْتَ سَيفِ الدَّوْلة :

غَدَرْتَ يا مَوْتُ كَمْ أفنيتَ مِنْ عَددٍ

بِمَنْ أصَبْتَ وَكَمْ أسْكَتَّ من لَجَبِ

(٧) وقال أبُو العتاهية يرْثى وَلَدهُ عليّاً :

بَكيْتُكَ يا علىُّ بدمعِ عَيْنى فما أغنَى البُكاءُ عَليْكَ شيا

وَكانتْ فِى حيَاتِكَ لِى عِظاتٌ وأنتَ اليومَ أوْعَظ مِنكَ حيَّا

(٨) إنَّ الثّمانينَ وبُلّغْتَهَا قد أحوجتْ سمعى الى تَرْجُمانِ

---

(٣) الغرض إفادة المخاطب الحكم الذى تضمنه الكلام

(٤) « إظهار الفخر ، فان أبا فراس إنما يريد أن يفاخر بمكارمه وشمائله

(٥) « إفادة المخاطب الحكم الذى تضمنه الكلام فان أبا الطيب يريد أن يبين لسامعيه ما يراه فى بعض الناس من التقصير فى أعمال الخير

(٦) الغرض إظهار الآسى والحزن

(٧) « إظهار الحزن والتحسر على فقد ولده

(٨) « إظهار الضعف والعجز

(٩) قال أبو العلاء المعرِّى :

وَلِى مَنْطِقٌ لَمْ يَرْضَ لى كُنْهَ مَنْزِلى عَلى أَنَّنِى بَيْنَ السِّمَاكَيْنِ نازِلُ

(١٠) قال إبراهيم بنُ المهدِىِّ يخاطب المأمون :

أتيتُ جُرماً شَنيعاً وأنْتَ لِلْعفوِ أهْلُ

فَإِنْ عَفَوْتَ فَمَنٌّ وإنْ قَتَلْتَ فَعَدْلُ

تطبيق (١)

أحص المؤكدات فى العبارات التالية ، وبيِّن ضروب الخبر الثلاثة

(١) ألاَ فى سبيل المجد ما أنا فاعلٌ عَفافٌ وإقدامٌ وحزمٌ ونائلُ

(٢) وأنَّ امرءًا قد سار خمسين حِجَّةً الى مَنهلٍ من وِرده لَقريب

(٣) ليس الصّديق بمن يعيرك ظاهراً مُتبسِّماً عن باطن مُتجهِّمِ

(٤) قال تعالى : لئنْ أنجيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لنكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ

(٥) قال تعالى: وجَعَلْنَا نَوْمَكم سُباتاً وجَعَلنا الليْلَ لِباساً وَجعلنا النهارَ مَعاشاً

---

(٩) الغرض الافتخار بالعقل واللسان

(١٠) الغرض الاسترحام والاستعطاف

الرقم	المؤكدات	ضرب الخبر
١	ألا (أداة استفتاح وتنبيه)	طلبى
٢	إن ـ قد ـ اللام فى (لقريب)	إنكارى لزيادة المؤكدات على واحد
٣	الباء الزائدة فى (بمن)	طلبى
٤	لام القسم ـ لام التوكيد ـ نون التوكيد	إنكارى
٥	تكرار جعلنا	طلبى

(٦) أمّا الفِراق فانه ما أعهدُ هو تَوْءِمى ، لو أنَّ بيننا يُولد

(٧) إنَّ الذى بَينِى و بين بنى أبى وبين بَنِى عمّى لَمختلفٌ جداً

(٨) انّا إليكم مُرسلون

(١) وإنّى لصبَّار على ما ينوبُنى وحَسبك أنَّ الله أثنى على الصبر

(٢) وإنّى لقوَّال لذى البثّ مرحباً وأهلا إذا ما جاء من غير مرصد

وإنى لحلوٌ تَعترِينى مَرارةٌ وإنى لترّاك لِمَا لم أعوّد

(٣) ولقد نصحتك إن قبلتَ نصيحتى والنّصح أغلى ما يُباع ويُوهب

الرقم	المؤكدات	ضرب الخبر
٦	أما ـ إن ـ أن	طلبى لأن كل مؤكد فى جمده
٧	أن ـ لام الابتداء	إنكارى لزيادة المؤكدات على واحد

(٨) لما روى القرآن قصة رسل عيسى الذين أرسلهم إلى قومه فانكروا رسالتهم قال لهم الرسل إنا « إليكم مرسلون » فالقوا اليهم الكلام مؤكداً بمؤكدين — فكذبوا فقالوا لهم « إنا اليكم لمرسلون » مؤكدين لهم القول بمؤكد ثالث ـ فجحدوا ـ فقالوا لهم « ربنا يعلم إنا اليكم لمرسلون » فزادوا مؤكداً رابعاً وهو القسم

لرقم	الجملة	المؤكدات	ضروب الخبر
١	وانى لصبار	ان ولام الابتداء	إنكارى
٢	وانى لقوال	ان ولام الابتداء	إنكارى
	وانى لحلو	» »	»
	وانى لتراك	» »	»
٣	ولقد نصحتك	القسم وقد	»
	والنصح أغلى	الجملة الاسمية	ابتدائى

(٤) إنَّ الغنيَّ من الرجال مُكرَّمٌ   وتراه يُرجى ما لديه ويرغبُ
(٥) فما الحداثة عن حلمٍ بمانعةٍ   قد يوجد الحلم فى الشبان والشيب

تمرين

اذكر أضرب الخبر وأدوات التوكيد

(١) قال تعالى: « وفى السَّماءِ رِزقُكُمْ وما تُوعدون ، فوربِّ السَّماء والأرضِ إنه لحقٌّ مِثْلَ ما أنَّكم تَنْطِقُون » .

(٢) وقال تعالى: « يأيُّها النَّاسُ إنَّا خلقناكُمْ منْ ذَكَرٍ وأُنْثى ، وجعلناكُمْ شعوباً وقبائلَ لِتعارفُوا ، إنَّ أكرمَكُمْ عِندَ اللهِ أتقاكُمْ إنَّ اللهَ عليمٌ خبيرٌ » .

(٣) وقال صلى الله عليه وسلم: «شرُّ النّاسِ الذين يُكرَمون إتّقاءَ ألسِنتِهِمْ».

(٤) وقال على كرَّم الله وجهه: مارَسْتُ كلَّ شيءٍ فغلبْتَه ، ومارسنى الفقرُ فغلبنى ، إنْ سترْتُه أهلكَنى ، وإنْ أذعْتُهُ فضحَنى » .

(٥) وقال النبي عليه السلام يصف الأنصار: « إنَّكم لتقِلّون عِنْدَ الطَّمعِ ، وتكثُرُونَ عِنْدَ الفزَعِ » .

(٦) وقال بشَّار بن بُرد :

الرقم	الجملة	المؤكدات	ضروب الخبر
٤	ان الغنى	إن — والجملة الاسمية	طلبى
	وتراه يرجى		ابتدائى
٥	فما الحداثة الخ	الباء الزائدة « بمانعة »	طلبى
	قد يوجد الحلم	قد	طلبى

خَليلَيَّ إنَّ المالَ ليس بنافع إذا لم يَنَلْ منه أخٌ وصديق

(٧) وقال أبو العتاهية :

قد يُدْرِكُ الراقد الهادى برَقْدَته وقد يخيبُ أخو الرَّوحاتِ والدُّلَجِ (١)

(٨) وقال :

إن البخيل وَإن أفاد غنًى لَتُرَى عليه مَخايلُ الفقْرْ

مافاتنى خير امرىءٍ وَضعَتْ عنّى يداهُ مَثُوبَةَ الشكر

(٩) وقال آخر :

وما لُبٌّ اللّبيبِ بغير حَظٍّ بأغنى فى المعيشة من فَتِيل

(١٠) وقال آخر :

وَلَلْحِلْمُ خيْر فاعْلَمَنَّ مَغَبَّةً من الجهل إلا أن تُشَمَّسَ من ظُلم

(١١ وقال حسان بن ثابت :

أصون عِرْضى بمالى لا ادَنِّسُهُ لا باركَ اللهُ بعد العِرْضِ فى المال

أحتالُ للمالِ إن أَودَى فأَكسِبُهُ ولستُ للعِرض إن أَوْدَى بمحتالِ

١٢) وقال الشاعر :

ولم أر كالمعروف: أمَّا مذَاقُهُ فحلو ، وأما وجههُ فجميلُ

(١٣) وقال صرَّدُر :

تذلُّ الرجالُ لأطماعهـــا كذُلِّ العبيـــد لأربابها

وأعْلَمُ أن ثياب العفا ف أجملُ زِيٍّ لمُجْتَابِها(٢)

---

(١) الدلج . الظلام (٢) لابسها

(١٤) وقال آخر :

لَعَمْرُكَ ما يَدْرِى امرؤ كيف يَتَّقِى   إذا هو لم يَجْعَلْ له اللهُ واقيا

(١٥) وقال سعيد بن حميد فى العتاب :

أقْلِلْ عتابكَ فالبقاءُ قليلُ   والدهر يَعْدِلُ تارةً ويميلُ
ولعل أحداثَ المنيةِ والرَّدَى   يوماً ستَصْدَعُ بيننا وتَحُولُ
فَلَئِنْ سَبَقْتُ لتبكينَّ بحسرةٍ   وَلَيَكْثُرَنَّ علىَّ منك عَويلُ
ولئن سبقت ـ ولا سبقت ـ ليمضينْ   من لا يشاكِلُهُ لَدَىَّ خليلُ
ولَيَذْهَبَنَّ بهاء كلِّ مُروءةٍ   وليُفْقَدَنَّ جمالُهــا المأهول

(١٦) إنَّ الحياة لثوبٌ سوفَ نخلعهُ   وكل ثوبٍ اذا ما رثَّ ينخلع

(١٧) ثمَّ إنكم بعد ذلك لميتون

تطبيق

أُذكر أضْرُبَ الخبر و بيِّن المؤكدات فِما يأتى :

(١) وعاد فى طَلَب المترُوك تاركهُ   إنَّا لنَغْفُلُ والأيام فى الطَّلب

الرقم	الجملة	المؤكدات	ضروب الخبر
١٦	ان الحياة لثوب	أن ولام الابتداء	إنكارى
	وكل ثوب الخ		ابتدائى
١٧	غفلتهم عن الموت تعد من أمارات الانكار		إنكارى
١	وعاد فى طلب المتروك		ابتدائى
	انا لنغفل	أن ولام الابتداء	إنكارى

(٢) وجعلنا نومكم سُباتاً . وجعلنا اللّيلَ لِباساً . وجعلنا النّهار معَاشاً

(٣) أمَا دون مصر للغنى مُتطلّب بلى — إنّ أسباب الغنى لـكثيرُ

(٤) فيومٌ لنا ويومٌ علينا ويومٌ نُساءُ ويومٌ نُسرْ

(٥) إنَّ من البيان لَسِحراً و إنَّ من الشعر لَحِكمةً

(٦) قد يُدْرِك الشّرفَ الفَتى ورِدَاؤُه خلقٌ

المبحث الثالث

فى تقسيم الخبر الى جملة فعلية وجملة اسمية

«١» الجملة الفعلية: ما تركبت من فعل وفاعل ، أو من فعل ونائب فاعل : وهى — موضوعة لأفادة التّجدّد والحدوثِ فى زمن مُعيّنٍ مع الاختصار[1] نحو : يعيش البخيل عيشة الفقراء ؛ ويُحاسِب فى الآخرة

الرقم	الجملة	المؤكدات	ضروب الخبر
٢	وجعلنا نومكم الخ	تـكرير جعل	طلبى
٣	أما دون مصر	حرف التنبيه (أما)	طلبى
	أن أسباب الغنى لـكثير	ان ولام الابتداء	انكارى
٤	يوم لنا ويوم علينا	التـكرير	طلبى
٥	ان من البيان لسحرا	ان ولام الابتداء	انكارى
	ان من الشعر لحـكمة	ان ولام الابتداء	انكارى
٦	قد يدرك	قد	طلبى

(١) وذلك أن الفعل دال بصيغته على أحد الأزمنة الثلاثة بدون احتياج لقرينة بخلاف الاسم : فانه يدل على الزمن بقرينة ذكر لفظة : الآن — أو أمس — أو غداً ولما كان الزمان الذى هو أحد مدلولى الفعل غير قار بالذات ، أى لاتجمع أجزاؤه فى الوجود كان الفعل مع افادته التقييد بأحد الأزمنة الثلاثة مفيداً للتجدد أيضا .

حسابَ الأغنياء

وبحو : أشرَقتِ الشمسُ وقد ولّى الظّلامُ هاربًا

فلا يستفاد من ذلك إلاّ ثبوتُ الاشراق للشّمس ،وذهاب الظّلام فى الزّمان الماضى

وقد تفيد الجملة الفعلية الاستمرار التجدّدى شيئاً فشيئاً بحسب المقام، وبمعونة القرائن ، لا بحسب الوضع [١] — بشرط أنْ يكونَ الفعلُ مضارعاً . نحو قول المُتنبّى

تُدَبِّر شرقَ الأرض والغربَ كفُّه وليسَ لها يوما عن المجد شاغلُ

فقرينة المدح تدلّ على أن تدبير الممالك دَيدنُه ، وشأْنه المستمرّ الذى لا يَحيد عنه . ويتجدّد آناً — فآناً

« ب » والجملة الاسمية: هى ما تركّبت من مبتدأ وخبر ، وهى تفيد بأصل وضعها ثبوت شىء لشىء [٢] ليس غيرُ — بدون نظر الى تَجدّد ولا استمرار — نحو الأرض متحركة — فلا يستفاد منها سوى ثبوت الحركة للأرض ، بدون نظر الى تجدُّد ذلك ولا حُدُوثهِ

---

(١) وذلك نظير الاستمرار الثبوتى فى الجملة الأسمية نحو (لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم) أى لو استمر على إطاعتكم وقتا فوقتاً لحصل لكم عنت ومشقة

(٢) فالجملة الاسمية موضوعة لمجرد ثبوت المسند للمسند إليه

قال الشيخ عبد القاهر : موضوع الاسم على أن يثبت به الشىء للشىء من غير اقتضاء أنه يتجدد ويحدث شيئا فشيئا : فلا تعرض فى نحو : زيد منطلق — لأكثر من إثبات الانطلاق له فعلا — كما فى زيد طويل وعمرو قصير — أى أن ثبوت الطول والقصر هو بأصل الوضع ، وأما استفادة الدوام فمن الملازمة فى هذين الوصفين ، وحينئذ فالتمثيل للمنفى

وقد تخرج الجملة الإسمية عن هذا الأصل، وتُفيد الدوّام والاستمرار بحسب القرائن : إذا لم يكن فى خبرها فِعلٌ مضارع : وذلك بأن يكونَ الحديث فى مقام المدح ، أو فى معرض الذَّم كقوله تعالى (وإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) فسياق الكلام فى معرض المدح دالّ على إرادة الاستمرار مع الثّبوت — ومنه قول النّضر بن جُؤْبَة يتمدَّح بالغِنى والكرم :

لا يَألف الدِّرهمُ المضرُوب صرّتنا   لكن يَمرّ عليها « وهو مُنطلقُ »

يُرِيدُ أنَّ دراهمه لا ثبات لها فى الصُّرّة ولا بقاء ، فهى دائما تنطلق منها ، وتمرق مُرق السِّهام من قِسِيِّها ، لِتُوزَّعَ على المُعوزينَ وأرباب الحاجات .

واعلم أنَّ الجُملة الإسمية لا تُفيد الثُّبوت بأصل وَضعها ، ولا الاستمرار بالقرائن ، إلاَّ إذا كان خبرها مفرداً نحو : الوطنُ عزيزٌ ،

أو كان خبرها جملة إسمية نحو : الوطن هو سعادتى

أما إذا كان خبرها فعلا فانَّها تكون كالجملة الفعليَّة فى إفادة التَّجدّد والحُدوث فى زمن مخصوص ، نحو : الوطن يسعد بأبنائه — ونحو :

تَعيبُ الغانياتُ علىَّ شيبى   ومن لِى أن أُمتَّعَ بالمشيب

وكقول الآخر

نروح ونغدو لحاجاتِنا   وحاجة من عاش لا تنقضِى

أسئلة يطلب أجوبتها

ما هو علم المعانى ؟ . ماهو الاسناد ؟ . ما هى مواضع المسند والمسند اليه ؟ . ما المراد بصدق الخبر وكذبه ؟ . ما الفرق بين النسبة الكلامية

والنسبة الخارجية ؟ . ما هو الأصل فى إلقاء الخبر ؟ ما هى الأغراض الأخرى التى يلقى إليها الخبر ؟ . ما هى أضرب الخبر ؟ . ما هى أدوات التوكيد ؟ . لماذا يعدل عن مقتضى الظاهر ؟ . الى كم ينقسم الخبر ؟ . لأى شىء وضعت الجملة الاسمية والفعلية ؟ . هل تفيد الجملة الفعلية والاسمية غير ما وضعتا لأجله ؟ .

تدريب

بيِّن فائدة التَّعبير بالجملة الاسمية أو الفعلية فى التَّراكيب الآتية :

(١) قال تعالى « يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ ويثبتُ وَعندَهُ أمُّ الكتَابِ »

(٢) نَروح ونَغدو لحاجاتنا وحاجة من عاش لا تنقضى

(٣) وعلى إثْرِهِم تَسَاقَطُ نفسِى حَسَرَاتٍ وَذكرُهُم لى سِقَامُ

الرقم	الجملة	نوعها	ما تفيده	الايضاح
(١)	يمحو الله	مضارعية	الاستمرار التجددى	محو بعض الخلائق وافناؤها واثبات البعض الآخر مستمر على جهة التجدد
	وعنده أم الكتاب	اسمية	الدوام	أم الكتاب اللوح المحفوظ والقرينة الاسناد الى الله
(٢)	نروح . ونغدو	مضارعية	الاستمرار التجددى	القرينة قوله وحاجة من عاش
(٣)	تساقط	مضارعية	الاستمرار التجددى	
	وذكرهم لى سقام	اسمية	الاستمرار والدوام	القرينة حالية وهى الحزن والاسى

(١) يأتى على الناس زمان لا يُبالى المرء ما أخذ منه — أمِنَ الحلال أم من الحرام

(٢) أو كلما وَردتْ عُكاظَ قَبيلةٌ بَعَثُوا إلىَّ عَرِيفَهم يتَوسَّم

الرقم	الجملة	نوعها	ماتفيده	الايضاح
(١)	يأتى	مضارعية	التجدد	

(٢) يريد أن كل قبيلة ترد سوق عكاظ تبعث عريفها ورئيسها ليتفرس فى وجوه القوم مرة بعد أخرى ، لعله يهتدى إلى معرفتى ، لتأخذ بثأرها منى . وتنكل بى لأنى طالما أوقعت بها ، وأذقتها صنوف المذلة والهوان

وعكاظ: سوق للعرب كانت تجتمع فيها للتفاخر والتنافر ليلا ، ولتصريف المتاجر نهارا



الباب الثانى

فى حقيقة الانشاء وتقسيمه

الإنشاء لغةً : الإيجاد ؛ واصطلاحاً : كلامٌ لا يَحتملُ صدقاً ولا كذباً لذاته[1] ، نحو اغفرْ - وارحمْ ، فلا ينْسَبُ الى قائله صِدق - أو كذب وإن شئت فقل فى تعريف الإنشاء « هو ما لا يحصل مضمونه ولا يتحقق إلاَّ اذا تلفَّظتَ به » فطلبُ الفعل فى « افْعَلْ » وطلب الكف فى « لاَ تَفْعَلْ » وطلب المحبوب فى « التَّمَنِّى » وطلب الفهم فى « الاستفهام » وطلب الاقبال فى « النِّداء » كل ذلك ما حصل إلا بنفس الصيّغ المتلَفَّظ بها

وينقسم الانشاء إلى نوعين : انشاء طلبى - وإنشاء غير طلبى

« فالانشاء غير الطّلبى » ما لا يستدعى مطلوبا غير حاصل وقت الطلب - ويكون : بِصيغ المدح ، والذَّم ، وصيغ العقود ، والقسم ، والتَّعجُّب والرَّجاء ، وكذا يكون بِرُبَّ ولعلَّ ، وكم الخبرية

(١) أما المدح والذم فيكونان : بنعم وبئس - وما جرى مجراهما نحوحبذا - ولا حبذا ، والأفعال المحوَّلة إلى فعُل نحو طاب علىٌّ نفساً ، وخبث بكر أصلا

---

(١) أى : بقطع النظر عما يستلزمه الانشاء ، فان اغفر - يستلزم خبرا وهو أنا طالب المغفرة منك - وكذا لا تكسل - يستلزم خبرا ، وهو أنا طالب عدم كسلك - لكن كل هذا ليس لذاته .

(٢) وأما العقود : فتكون بالماضى كثيراً ، نحو بعتُ واشتريتُ ووهبتُ — وأعتقتُ — و بغيره قليلا — نحو أنا بائع . وَعبدى حرٌّ لوجه الله تعالى

(٣) وَأما القسم : فيكون : بالواو — والباء — والتاء — وبغيرها نحو : لعمرك ما فعلت كذا

(٤) وأما التّعجب : فيكون قياساً بصيغتَيْن ، ما أفعلَه ـ وأفْعلْ به وسمَاعاً بغيرهما ، نحو : لله دَرّه عالما — كيفَ تكفرون بالله وَكنتم أمواتاً فأحيا كم .

(٥) وأما الرَّجاء : فيكون : بعسى — وحرى — واخْلَوْلَقْ ، نحو : عسى الله أن يأتى بالفتح

واعلم أنّ الانشاء غير الطلبى لا تبحث عند علماء البلاغة ، لأن أكثر صِيغه فى الأصل أخبارٌ نقلت إلى الإِنشاء

وإنما المبحوث عنه فى علم المعانى هو (الانشاء الطلَبى) لِمَا يَمتاز به من لَطائفَ بلاغيَّة

« فالإِنشـــاء الطَّلبى » هو الذى يَسْتَدْعِى مَطلوباً[1] غيرَ

---

(١) اعلم أنه إذا كان المطلوب غير متوقع كان الطلب (تمنيا) وإن كان متوقعا فاما حصول صورة أمر فى الذهن فهو الاستفهام) وإما حصوله فى الخارج فان كان ذلك الأمر انتفاء فعل — فهو (النهى) وإن كان ثبوته : فاما بأحد حروف (النداء) فهو النداء — وإما بغيرها فهو (الأمر)

وبهذا تعلم أن الطلب هنا منحصر فى هذه الأنواع الخمسة لاختصاصها بكثير من اللطائف البلاغية .

حاصلٍ[١] فى اعتقاد المتكلم وقت الطّلب

وأنواعه خمسة ، الأمر ، والنَّهى ، والاستفهام ، والتَّمنى ، والنداء[٢]

وفى هذا الباب خمسة مباحث

المبحث الاول فى الامر

ألأمر : هو طلب حصول الفعل من المُخَاطب : على وجه الاستعلاء[٣]

---

(١) أى لأنه لايليق طلب الحاصل ، فلو استعمل صيغ الطلب لمطلوب حاصل امتنع إجراؤها على معانيها الحقيقية ، ويتولد من تلك الصيغ مايناسب المقام ، كطلب دوام الايمان والتقوى فى قوله تعالى (ياأيها الذين آمنو آمنوا بالله) — وهلم جرا

(٢) ويكون الانشاء الطلبى أيضا ، بالعرض والتحضيض ، ولكن لم يتعرض لهما البيانيون لأنهما مولدان على الأصح من الاستفهام والتمنى — فالأول من الهمزة مع لاالنافية فى « ألا » والثانى من هل ولو للتمنى مع لاوما الزائدتين فى « هلا وألا » بقلب الهاء همزة

وكذا : لولا ولوما — واعلم أن الانشاء الطلبى نوعان — الأول ما يدل على معنى الطلب بلفظه ويكون بالخمسه المذكورة . والثانى مايدل على معنى الطلب بغير لفظه كالدعاء

(٣) بأن يعد الآمر نفسه عاليا لمن هو أقل منه شأنا ، سواء أكان عاليا فى الواقع أولا . ولهذا نسب إلى سوء الأدب إن لم يكن عاليا . واشتراط الاستعلاء بهذا المعنى هو ما عليه الأكثر من الماتريدية — والامام الرازى — والآمدى من الأشعرية — وأبو الحسن من المعتزلة . وذهب الأشعرى إلى أنه لايشترط هذا — وبه قال كثير من الشافعية — والأشبه أن الصدور من المستعلى يفيد إيجابا فى الأمر ، وتحريما فى النهى — واعلم أن الأمر للطلب مطلقا — والفور والتراخى من القرائن — ولا يوجب الاستمرار والتكرار فى الأصح . وقيل ظاهره الفور كالنداء والاستفهام إلا بقرينة — وهوما اختاره السكاكى — واعلم أيضا أن الأمر يكون استعلاء مع الأدنى ، ودعاء مع الأعلى ، والتماسا مع النظير

مع الالزام — وله أربع صيغ

(١) فعل الأمر — كقوله تعالى « يا يَحيى خُذِ الكتاب بِقوَّةٍ »

(٢) والمضارع المجزوم بلام الأمر — كقوله تعالى « لِيُنْفِق ذو سَعَةٍ من سَعَتِهِ »

(٣) وإسم فعل الأمر — نحو « عليكم أنفسَكم لا يضركم مَنْ ضلَّ إذا اهتَدَيتُم »

(٤) وَالمصدر النَّائب عل فعل الأمر — نحو سَعياً فى سبيل الخير

وَقد تخرجُ صِيغ الأمر عن معناها الأصلى وهو (الإيجاب والإلزام) الى معانٍ أخرى: تُستفادُ من سِياق الكلام ، وقرائن الأحوال

(١) كالدّعاء فى قوله تعالى « رَبِّ أوْزِعْنى أن أشكرَ نِعمَتَكَ »

(٢) والالتماس كقولك لمن يُساويك — أعطِنى القلمَ أيُّها الأخ

(٣) والإرشاد — كقوله تعالى «إذا تَدَاينتم بِدَيْنٍ إلى أجلٍ مُسَمًّى فا كْتبُوهُ ، وليَكْتُبْ بينكم كاتبٌ بالعَدْل »

(٤) وَالتَّهديد — كقوله تعالى « اعمَلُوا مَا شِئْتُمْ ، إنَّهُ بِمَا تَعْمَلُون بصِيرٌ »

(٥) والتَّعجيز — كقوله تعالى « فأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ »

(٦) والإباحة — كقوله تعالى « وكلُوا واشرَبُوا حَتى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخيْط الأبْيَضُ مِنَ الخيْطِ الأسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ »

ونحو : اجلس كما تشاء

(٧) والتَّسوية — نحو قوله تعالى « إصْبِرُوا أو لاَ تَصبِرُوا »

(٨) والإكرام — كقوله تعالى « ادْخلُوهاَ بِسَلاَمٍ آمِنِين »

(٩) والامتنان — نحو قوله تعالى « فَكلُوا مِمَّا رَزَقَكُم الله »

(١٠) والإهانة — كقوله تعالى « كُونُوا حِجَارَةً أوْ حَدِيداً »

(١١) والدَّوام — كقوله تعالى « إهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيم »

(١٢) والتَّمنِّى — كقول امرىء القيس

ألا أيُّها اللَّيْل الطَّوِيل ألاَ انْجَلِي   بِصُبْحٍ وما الاصباحُ منك بأمثلِ

(١٣) والاعتبار — كقوله تعالى « أُنظرُوا إلى ثَمرِهِ إذا أثْمرَ »

(١٤) والاذن — كقولك: لمن طَرقَ الباب « أُدْخل »

(١٥) والتكوين — كقوله تعالى « كُنْ فيَكونُ »

(١٦) والتخيير — نحو: تزَوَّجْ هنداً أو أختَها

(١٧) والتأديب — نحو: كل ممَّا يليك

(١٨) والتَّعجُّب — كقوله تعالى « أُنظرُ كيفَ ضَرَبُوا لكَ الأَمْثال »

تمرين

بيِّن ما يُراد من صيغ الأمر فى التراكيب الآتية:

فصبراً فى مَجال الموتِ صَبْراً   فما نيلُ الخلود بمُستطاعِ

فغضّ الطَّرفَ إنك من نُمير   فلا كعباً بلغتَ ولا كلابَا

فياموتُ زر إنّ الحياة ذميمةٌ   ويانفسُ جِدِّى إنَّ دهركِ هازل

(١) خُذِ العَفْوَ ، وأْمُر بالعُرْفِ ، وأعرِضْ عنِ الجاهلين

(٢) أسيئى بنا أو أحسِنى لا مَلُومَةٌ لدينَا ولا مَقْلِيَّةٌ إنْ تَقَلَّتِ

(٣) يا ليلُ طُلْ يا نومُ زُلْ يا صبحُ قِفْ لاَ تَطْلعِ

(٤) عِشْ ما بدَا لكَ سالِماً فى ظِلِّ شاهِقَةِ القُصُور

(٥) وأسِرُّوا قولَكُمْ أوِ اجْهرُوا بهِ إنَّهُ عليمٌ بذاتِ الصُّدُور

(٦) تَرَفَّقْ أيُها المولى عليهم فإنَّ الرِّفق بالجانى عتابُ

(٧) أرى العنقاء تكبرُ أن تُصادا فعانِدْ مَنْ تُطيق له عِنادَا

(٨) خليلىَّ هُبَّا طالَمَا قد رقدْتُما أجِدْ كُمالا تقضيانِ كرًا كُما

(٩) أرِينى جوَاداً ماتَ هزْلا لعلَّنى أرَى ما ترَيْنَ أو بخيلا مُخَلَّدَا

(١٠) قال تعالى « قُلْ هاتُوا بُرهَانكم إنْ كُنتُمْ صادِقين »

(١١) قَدْرَشَّحُوكَ لأمرٍ إن فَطِنْتَ لَهُ فاربأ بِنفسكَ أن ترعَى معَ الهَمَل

(١٢) رَبِّ اشْرَح لِى صَدرِى وَيَسِّر لِى أمرِى

الرقم	صيغة الأمر	الغرض منها	الرقم	صيغة الأمر	الغرض منها
(١)	خذ العفو	الارشاد	(٧)	عاند	الاهانة
(٢)	أسيئى بنا	التسوية	(٨)	هبا	الالتماس
(٣)	طل — زل	التمنى	(٩)	أرينى جوادا	التعجيز
(٤)	عش سالما	الدعاء	(١٠)	هاتو برهانكم	»
(٥)	أسروا قولكم	التسوية	(١١)	فاربأ بنفسك	الارشاد
(٦)	ترفق	الدعاء	(١٢)	اشرح لى صدرى	الدعاء

(١٣) ليسَ هذا بعشِّك فادْرُجى

(١٤) اعملْ لدُنياكَ كأنكَ تعيشُ أبداً . واعمل لآخِرَتك كأنكَ تموتُ غداً

(١٥) فمَنْ شاءَ فليبخَلْ ومن شاءَ فليجُدْ كفَانى نداكم عن جميع المطالب

يَا ربِّ لا تَسلبنى حُبَّها أبداً ويرحمُ الله عبداً قال آمينا

(١٦) أُولئك آبائى فجِئْنى بمِثلِهم إذا جمعتنا يا جرير المجامعُ

أَرُونى بخيلا طال عمْراً ببُخلِهِ وهاتوا كريماً مات من كثرة البذل

وحُسنُ ظنك بالأيام مُعجزةٌ فظُنَّ شراً وكُنْ منها على حذر

نموذج

بَيِّنْ نوعَ الإنشاء وصيغته فى الأمثلة الآتية

(١) يَا أَيُّها المُتَحَلِّى غيْرَ شِيمتِهِ وَمنْ شَمَائِلهِ التَّبْدِيلُ والمَلَقُ

ارْجِعْ إلَى خُلْقِكَ المَعْرُوفِ دَيْدَنه إِنَّ التَّخَلُّقَ يَأْتى دُونَهُ الخُلُقُ

(٢) يَا أَبنتى إنْ أردْتِ آيةَ حُسنٍ وَجمَالاً يَزِينُ جِسْماً وَعقْلا

الرقم	صيغة الأمر	الغرض منها	الرقم	صيغة الأمر	الغرض منها
(١٣)	أدرجى	الاهانة	(١٥)	فليبخل	التخيير
(١٤)	اعمل لدنياك	الارشاد	(١٦)	جئنى	التعجيز

رقم المثال	صيغة الانشاء	نوعه	طريقته
١	يأيها المتحلى غير شيمته الخ	طلبى	النداء
	ارجع إلى خلقك المعروف	طلبى	الأمر
٢	يا ابنتى ان أردت آية حسن	«	النداء
	فانبذى عادة التبرج	«	الأمر

فانبُذِى عَادَةَ التَّبَرُّجِ نَبْذًا فَجَمَالُ النُّفُوسِ أَسْمَى وَأَعْلَا
يَصْنَعُ الصَّانِعُونَ وَرْداً وَلَكِنْ وَرْدَةُ الرَّوْضِ لَاَ تُضَارَعُ شَكلاً

(٣) يَالَيْتَ مَنْ يَمْنَعُ المَعْرُوفَ يَمْنَعُهُ حَتَّى يَذُوقَ رِجالٌ غِبَّ مَا صَنَعُوا
(٤) لَعَمْرُكَ مَا بِالْعَقْلِ يُكْتَسَبُ الغِنَى ولا باكْتِسَابِ المالِ يكْتَسَبُ العَقْلُ

أسئلة على الانشاء يطلب أجوبتها

ما هو الانشاء لغة واصطلاحاً ؟ . إلى كم ينقسم الانشاء ؟ . ما هو الانشاء الغير الطلبي ؟ . كم أقسام الانشاء الطلبى ؟ ما هو الأمر ؟ . كم صيغة للأمر ؟ ما هى المعانى التى تخرج اليها صيغ الأمر عن أصل معناها

المبحث الثانى

فى النّهى

النّهى — هو طلب الكفّ عن الشىء على وجه الاستعلاء[1] مع

رقم المثال	صيغة الانشاء	نوعه	طريقته
٣	ياليت من يمنع المعروف	طلبى	التمنى
٤	لعمرك ما بالعقل يكتسب الغنى	غير طلبى	القسم

(١) اعلم : أن النهى طلب الكف عن الشىء ، ممن هو أقل شأنا من المتكلم ، وهو حقيقة فى التحريم : كما عليه الجمهور — فمتى وردت صيغة النهى أفادت الحظر والتحريم على الفور

واعلم أن النهى كالأمر — فيكون استعلاء مع الأدنى ، ودعاء مع الأعلى ، والتماسا مع النظير

الإلزام، وله صيغةٌ واحدةٌ، وهي المضارع المقرون بلا الناهية : كقوله تعالى « ولا تُفسِدُوا فى الأرْض بعد إصلَاحِهَا وَلَاَ تَجَسَّسُوا وَلَاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعضاً »

وقد تخرج هذه الصِّيغة عن أصل معناها إلى معانٍ أُخَر، تُستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال

(١) كالدُّعاء - نحو قوله تعالى « رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إنْ نَسِينَا أوْ أخطَأْنَا »

(٢) والالتماس - كقولك لمنْ يُساويك - أيُّها الأخ لا تتَوانَ

(٣) والارشاد - كقوله تعالى « لاَ تَسْأَلوا عَنْ أشيَاء إنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكم »

(٤) والدَّوام - كقوله تعالى « وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ غافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمونَ »

(٥) وَبيان العاقبة - نحو قوله تعالى « وَلاَ تَحْسَبَنَّ الذِّينَ قُتِلُوا فى سَبِيلِ اللهِ أمْواتاً بَلْ أحياء »

(٦) والتيئيس - نحو قوله تعالى « لاَ تَعْتَذِرُوا قَدْ كفَرْتُمْ بَعْدَ إيمَانكم »

(٧) والتَّمنِّي - نحو يا ليلة الأنسِ لا تَنقضِي

وكقوله — يا ليلُ طُلْ يا نومُ زُل يا صبحُ قِفْ لا تَطلُع

(٨) والتهديد — كقولك لخادمك - لا تطع أمرى

(٩) والكراهة ـ نحو لاَ تلتَفِتْ وأنتَ فى الصَّلاةِ

(١٠) والتوبيخ ـ نحو لا تَنْهَ عن خُلق وتأتىَ مِثله

(١١) والائتناس ـ نحو « لاَ تَحْزَنْ إنّ اللهَ مَعَنا »

(١٢) والتحقير ـ كقوله :

لا تَطلُبِ المجدَ إنَّ المجْدَ سُلَّمُه صَعبٌ، وعِشْ مُستريحاً ناعمَ البال

وكقوله:

دَعِ المكارِمَ لا ترحل لبُغيتها واقْعُدْ فإنكَ أنتَ الطَّاعم الكاسِي

تطبيق

أذكر ما يُراد من صيغ النهى الآتية :

(١) ولاَ تلبِسُوا الحقَّ بالْبَاطِلِ و تَكتُمُوا الحقَّ وأَنْتُمْ تعلمُون

(٢) فلا تلزمن النَّاس غير طباعهم فتتعبُ من طول العتاب ويتعبوا

ولا تغترِرْ منهم بحُسن بشاشة فأكثر إيماض البَوارق خُلَّبُ

(٣) فلا تَهِجْ إنْ كنتَ ذَا إرْبَةٍ حَرْبَ أخِى التَّجْرِبَةِ العاقِلِ

(٤) لا تَعتَذِرُوا اليومَ

الغرض	الغرض
(١) التوبيخ لهم على خلطهم الحق بالباطل	(٣) الارشاد والنصح
(٢) الارشاد إلى حسن الخلق	(٤) التوبيخ والتقريع

(٥) لا تَحْسَبِ المجدَ تمراً أنْتَ آكلهُ لَنْ تَبْلغ المجدَ حتى تلعق الصبرا

(٦) لا تَحْتَجِبْ عن العيُون أيُّها القَمَرُ

(٧) لا تَعْرِضَنَّ لجعفرٍ مُتَشَبِّهاً بِنَدَى يدَيْهِ فَلَسْتَ مِن أَنْدَادِهِ

(٨) لا تيأسُوا أن تَسْتَرِدُّوا مجدَكم فَلَرُبَّ مَغلوبٍ هَوَى ثُمَّ ارْتَقَى

ولا تجلس إلى أهل الدَّنايا فانَّ خلائق السُّفهاء تُعدِى

المبحث الثالث

فى الاستفهام

الاستفهام : هو طلب العِلم بشىءٍ لم يكن معلوماً من قبلُ

وذلك بأداة من إحدى أدواته الآتية ـ وهى :

الهمزة . وهَل. ومَا . ومَتى . وأيّان . وكيفَ . وأينَ . وأنّى . وكم . وأىّ

وتنقسم بحسب الطلب إلى ثلاثة أقسام :

(ا) ما يُطلبُ به التَّصوّر تارة . والتصديق تارة أخرى . وهو ـ الهمزة .

(ب) وما يُطلبُ به التَّصديق فقط . وهو ـ هل

(ج) وما يُطلبُ به التَّصوّر فقط . وهو بقيّة ألفاظ الاستفهام الآتية:

الغرض	الغرض
(٥) التوبيخ والتعنيف	(٧) التوبيخ والتأنيب
(٦) التمنى	(٨) استنهاض الهمة بالنصح

١ - الهمـــزة

يُطلبُ بالهمزة أحد أمرين : تَصوُّرٌ . أو تصدِيقٌ

(ا) فالتَّصوُّر : هو إدراك المفرد(١) نحو أعليٌّ مسافرٌ أم سعيدٌ
تعتقد أنّ السّفرَ حصل من أحدهما ، ولكن تطلُبُ تعيينَه
ولذا يُجاب فيه بالتّعيين ، فيقال سعيد مثلاً

وحكم الهمزة التى لِطَلَب التَّصوّر ، أن يليهَا المسئول عنه بها ،
سواء - أكان :

(١) مُسنداً اليه ـ نحو . أأنتَ فعلتَ هذا أم يوسف

(٢) أم مُسنداً ـ نحو : أراغِبٌ أنت عن الأمر أم راغبٌ فيه

(٣) أم مفعولا ـ نحو : إياىَ تقصد أم سعيداً

---

(١) أى ادراك عدم وقوع النسبة وذلك كادراك الموضوع وحده — أو المحمول وحده — أو هما معاً — أو ذات النسبة التى هى مورد الايجاب والسلب

فالاستفهام عن التصور يكون عند التردد فى تعيين أحد الشيئين — أى يتردد المتكلم فى تعيين أحد أمرين ، تذكر بينهما أم المتصلة المعادلة — وقد تحذف هى وما بعدها اكتفاء بما قبلها — ولا يلى الهمزة غير المستفهم عنه —

والمفرد كما يكون إسما يكون فعلا : نحو أتنتهى عند هذا الحد أم تتمادى

والاستفهام عن التصديق يكون عن نسبة تردد الذهن فيها بين ثبوتها ونفيها وحينئذ للهمزة استعمالان — فتارة يطلب بها معرفة مفرد ، وتارة يطلب بها معرفة نسبة ، وتسمى معرفة المفرد تصوراً ، ومعرفة النسبة تصديقاً — واعلم أن كل همزة استفهام تستعمل فى معناها أو فى غيره إن وليها الفعل كان هو المقصود بمعناها ، وإن وليها الاسم كان هو المراد المقصود ، فان قلت أسافر الأمير ؟ كان الشك فى السفر ، وإذا قلت أسعد سافر ؟ كان السفر مفروضا ، والمستفهم عنه ذات المسافر

(٤) أم حالا ـ نحو : أراكباً حضرتَ أم ماشياً

(٥) أم ظرفا ـ نحو : أيومَ الخميس قدمتَ أم يوم الجمعة

ويُذكر المسئُول عنه فى التَّصور بعد الهمزة: ويكون له مُعادِلٌ يُذكر بَعدَ أمْ غالباً : وتُسمى مُتَّصلة

وقد يُستغنى عن ذكر المُعادل: نحو : أأنتَ فعلتَ هذا بآلهتِنا ياإبراهيم

(ب) وَالتّصديق « هو إدراكُ وُقوعِ نِسبة تامّة بين المسند والمسند اليه — أو عدَمِ وُقوعها»[1] بحيث يكون المتكلم خالىَ الذهن ممَّا استُفهِم عنه فى جُملته . مُصدِّقاً للجواب — إثباتاً « بِنَعَمْ » — أو نفياً « بلا »

وهمزة الاستفهام تدلّ على التصديق إذا أريد بها النِّسبة

ويكثر التّصديق فى الجُمل الفعلية ـ كقولك : أحضرَ الأمير[2] تستفهم عن ثبوت النِّسبة ونفيها ـ وفى هذه الحالة يُجابُ بلفظة : نعم ـ أو ـ لا

ويقلّ التصديق فى الجمل الاسميَّة ـ نحو: أعلىٌّ مسافر

---

(١) أى ادراك موافقتها لما فى الواقع أو عدم موافقتها له ـ واعلم أن ادراك وقوع النسبة أو عدم وقوعها كما يسمى تصديقا، يسمى : حكما ، أو إسناداً ، أو إيقاعا وانتزاعا ، أو إيجابا وسلباً

(٢) أى فقد تصورت الحضور والأمير والنسبة بينهما — وسألت عن وقوع النسبة بينهما ، هل هو محقق خارجا أولا — فاذا قيل حضر . حصل التصديق ، وكذا يقال فيما بعده . فالمسئول عنه فى التصديق نسبة يتردد الذهن فى ثبوتها ، ونفيها كما سبق توضيحه

ويمتنعُ أن يذكر مع همزة التَّصديق مُعادلٌ — كما مُثّل

فإن جاءت « أم » بعدها : قُدّرت مُنقطعةً[1] وتكون بمعنى (بل)

فتدلّ على استئناف الكلام بعدها — كقوله :

ولستُ أُبالِي بعدَ فَقْدِيَ مالكا أموتِيَ ناءٍ أم هُو الآن واقعُ

ونحو :

هل يَسمعنَ النَّضر إن ناديته أم كيف يَسمع ميِّتٌ لا ينطق

٢ — هل

يطلب بها التَّصديق فقط — أى معرفة وقوع النسبة . أو عدم وقوعها لا غير — نحو هل حافظَ المصريّون على مجد أسلافهم

وَلأجل اختصاصها بطلب التصديق لا يذكر معها المعادل بعد أم المتصلة ـ فلذا

(ا) امتنع — هل سعد قام أم سعيد : لأنَّ وقوع المفرد وهو سعيد بعد « أم » الواقعة فى حيز الاستفهام دليل على أنَّ أم مُتَّصلة ، وهى لطلب تعيين أحد الأمرين ـ ولا بُدَّ حينئذ أن يُعلَم بها أوَّلا أصل الحكم

(وهل) لا يناسبها ذلك ـ لأنها لطلب الحكم فقط ، فالحكم فيها غير معلوم ، وإلاَّ لم يُستفهم عنه بها ، وحينئذ يؤدِّى الجمع بين

---

(١) أى : ولا بد من وقوع الجملة بعد أم المنقطعة . فان وقع بعدها مفرد قدر بجملة نحو أحضر الأمير أم جيشه ـ أى بل حضر جيشه

واعلم أنه تلخص مما تقدم أن همزة التصور إن جاء بعدها « أم » تكون متصلة وأن همزة التصديق أو هل: إن جاء بعدها «أم» قدرت منقطعة وتكون بمعنى بل

(هل — وأم) إلى التّناقض

لأنَّ (هل) تفيد أن السَّائل جاهل بالحكم لأنها لطلبه

« وأم » المتصلة : تفيد أنَّ السَّائل عالم به ، وإنما يَطلب تعيين أحد الأمرين ـ فإن جاءت أمْ كذلك، كانت مُنقطعة بمعنى بل التى تفيد الاضراب نحو : هَلْ جاء صديقك أم عدوّك

(ب) وقبحَ استعمالُ « هل » فى تركيبٍ هو مَظنَّة للعلم بحصول أصل النِّسبة ، وهو ما يتقدَّمُ فيه المعمولُ على الفعل ، نحو هل خليلا أكرمت فتقديم المعمولِ على الفعلِ يَقتضى غالباً حصولَ العلم المتُكلم وتكون هلْ لطلب حصول الحاصلِ وهو عبثٌ

تنبيهات

الأوَّل ـ هَلْ ـ كالسّين وسَوْف تُخلِّص المضارعَ للاستقبال

فلا يُقال: هَلْ تَصدُق ؟ جواباً لمن قال أُحِبُّك الآن، بَلْ تقول له ، أتصدُقُ ؟ ولأجل اختصاصها بالتصديق ، وتخليصها المضارع للاستقبال قوِىَ اتّصالُها بالفعل لفظاً أو تقديراً نحو هل يَجِيءُ علىٌّ ـ أو هَل علىٌّ يجىء؟

فإن عُدِل عن الفعلِ الى الاسم لإبراز ما يحصل فى صُورة الحاصل دلالةً على كمال العِناية بحصُوله كانَ هذا العدُول أبلغَ فى إفادة المقصود كقوله تعالى « فَهَلْ أنتُمْ شَاكِرُون » فهذا التَّركيب أدلّ على طلبِ الشكر من قولك ، هَل تَشكرون ـ وذلك لأنَّ الفعلَ لازمٌ بعد هَل والعُدول عنه يدُلّ على قوَّة الدَّاعى لذلك . لِمَا ذكر

الثانى ـ هَل نوعان : بَسيطة ـ ومُركبة

(ا) فالبسيطة هى التى يُستفهمُ بها عن وجود شىء فى نفسه ،أو عدم وجوده ، نحو هل العَنقاء[١] مَوجودة ـ ونحو: هَلِ الخِلّ الوفىّ موجود

(ب) والمُركبة ـ هى التى يُستفهم بها عن وُجود شىءٍ لشىءٍ وعدم وجوده له ـ نحو هل المرِّيخ مسكونٌ ؟ ـ هل النَّبات حَسَّاس ؟

الثالث (هل) لا تدخل على :

(١) المنفى[٢]	فلا يقال هل لم يفهم علىّ
(٢) ولا على المضارع الذى هو للحال	« « تحتقر علياً وهو شجاع
(٣) ولا على إنَّ	« « انَّ الأمير مسافر
(٤) ولا على الشَّرط	« « « إذا زرتُك تكرمنى
(٥) ولا على حرف العطف[٣]	« « « فيتقدَّم أوهل ثُمَّ يتقدم
(٦) ولا على اسم بعده فعل	« « « بَشراً مِنَّا واحداً نَتَّبعُه

بخلاف الهمزة فانها تدخل على جميع ما ذكر

---

(١) حكى الزمخشرى فى (ربيع الأبرار) أن العنقاء كانت طائراً وكان فيها من كل شىء من الألوان وكانت فى زمن أصحاب الرس تأتى إلى أطفالهم وصغارهم فتخطفهم وتغرب بهم نحو الجبل فتأكلهم ، فشكوا ذلك إلى نبيهم (صالح) عليه السلام فدعا الله عليها فأهلكها وقطع عقبها ونسلها فسميت (عنقاء مغرب) لذلك

(٢) أى لأن هل فى الأصل بمعنى قد ، وهى لا تدخل على المنفى ، فلا يقال قد لا يقوم خليل — فحينئذ هى مخصوصة بدخولها على النسب المثبتة ، سواء أكانت جملا فعلية أو اسمية — واعلم أن عدم دخولها على المنفى لا ينافى أنها لطلب التصديق مطلقا سواء فى الايجابى والسلبى

(٣) أى لا تقع هل قبل الحرف العاطف بل تقع بعده دائما

واعلم: أنَّ الهمزة - وهل - يُسأل بهما عمَّا بعدهما - لأنهما حرفان ليس لهما معنى مُستقِل

الرابع - بقيّة أدوات الاستفهام موضوعة (للتصوّر) فقط - فَيُسْأل بها عن معناها - وهيَ :

مَا ، وَمن ، ومَتَى ، وأيَّان ، وكيفَ ، وأينَ ، وأنّى ، وكَمْ ، وأيّ

ولهذا يكون الجوابُ معها بتعيين المسئُول عنه

ما — ومن

ما - موضوعةٌ للاستفهام عن أفراد غير العقُلاء - ويُطْلَبُ بها :

(ا) إيضاحُ الاسم : نحو ما الْعَسْجَدُ ؟ . فيقال فى الجواب إنه ذهبٌ

(ب) أو يطلبُ بها بيان حقيقة المُسمَّى : نحو : ما الشمس ؟ فيجاب بأنه كوكبٌ نهارىّ

(ج) أو يُطلبُ بها بيان الصفة نحو : ما خليلٌ ؟ - وجوابه طويل أو قصير : مثلا

وتقع هل البسيطةُ فى التّرتيب العقلى[1] بين « ما » التى لشرح الاسم ، و«ما» التى للحقيقة

فَمن يَجهلُ معنى البشر مثلا يَسأل أولاً « بما » عن شرحه : فيجاب بانسان ، ثم « بهل » البسيطة عن وجوده ، فيجاب بنعم

ثم « بما » عن حقيقته ، فيجاب بحيوان ناطق

---

(١) الترتيب العقلى : هو أن يكون المتأخر متوقفا على المتقدم ، من غير أن يكون المتقدم علة له — وذلك كتقدم المفرد على المركب

ومَن - موضوعة للاستفهام - ويطلبُ بها تعيين أفراد العقلاء - نحو : مَنْ فتحَ مصرَ ؟ ونحو: من شيَّدَ الهرم الأكبر؟ ونحو:مَنْ شَيَّدَ القناطرَ الخيريَّة؟

متى - وأيَّان

متَى -موضوعة للاستفهام ، ويطلبُ بها تَعيينُ الزَّمان، سواء أكان ماضياَ أو مستقبلا - نحو متَى تولَّى الخِلافةَ عُمَرُ؟ ومتَى نَحظَى بالحْرِّيَّة

وأيَّان - موضوعة للاستفهام، ويطلبُ بها تَعيينُ الزَّمان المُستقبل خاصَّة وتكون فى موضع (التَهويل والتّفخيم) دون غيره كقوله تعالى (يَسألُ أيَّانَ يَوْمُ القيامَةَ [١]) .

كيف - وأين - وأنى - وكم - وأى

كيف: مَوضوعة للاستفهام - ويطلبُ بها تعيينُ الحالُ : كقوله تعالى « فَكَيْفَ إذَا جِئْنَا مِنْ كلِّ أُمَّة بِشَهِيد » . وكقوله :

وكيفَ أخافُ الفقرَ أو أُحرَمُ الغِنى ورأْىُ أميرِ المُؤْمنِين جَميلُ

وأين: موضوعة للاستفهام. ويطلبُ بها تعيينُ المكان نحو: أيْنَ شُرَكَاؤكم

وأنى : موضوعة للاستفهام - وتأتى لمعان كثيرة

(١) فتكون بمعنى كيفَ - كقوله تعالى « أنَّى يُحيِ هذهِ اللهُ بَعْدَ مَوْتِها »

---

(٢) أى فقد استعملت أيان مع يوم القيامة للتهويل والتفخيم بشأنه — وجواب هذا السؤال (يومهم على النار يفتنون)

٢ — وتكون بمعنى مِنْ أين — كقوله تعالى (يَامَرْيَمُ أنَّى لَكِ هذَا)

٣ — وتكون بمعنى متى — كقولك — زُرنى أنَّى شِئْتَ

وكم — موضوعة للاستفهام : ويُطلب بها تعيين عَددٍ مُبهمٍ كقوله تعالى (كَم لَبِثْتُمْ)

وأىّ — موضوعة للاستفهام : ويُطلب بها تمييزُ أحد المُتشاركين فى أمرٍ يَعُمُّهمَا : كقوله تعالى (أىُّ الفَرِيقَينِ خيرٌ مقَاما) ويُسأل بها عن الزمان والمكان، والحال، والعدد، والعاقل؛ وغيره — على حسب ماتُضاف إليه «أى»

ولذا تأخذ « أى » معناها ممّا تُضاف إليه

فان اضيفت إلى ما تفيده (ما) أخذت حكمها

وإن أضيفت إلى ما تفيده« متى — أو كيف » أو غيرها من الأدوات السابقة أخذت معناها

وقد تخرُج ألفاظُ الاستفهام عن معناها الأصلى (وهو طلب العلم بمجهول) فيستفهم بها عن الشّئ مع (العلم به) — لأغراض أخرى : تُفهَم من سِياق الكلام ودلالته — ومن أهمّ ذلك

(١) الأمر — كقوله تعالى (فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُون) أى — انتهوا

(٢) والنَّهى — كقوله تعالى (أتَخْشَوْنَهُمْ[١] فاللهُ أحقُ أنْ تخشَوْهُ)

(٣) والتَّسوية — كقوله تعالى (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أأنذَرْتَهُمْ أمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُون)

(٤) والنفى — كقوله تعالى (هَلْ جزَاءُ الإحْسَان إلاَّ الإحْسَان)[٢]

---

(١) أى : لا تخشوهم فالله أحق أن تخشوه

(٢) أى ما جزاء الاحسان إلا الاحسان

(٥) والإنكار – [١] كقوله تعالى (أغيرَ اللهِ تدْعُون)

(٦) والتَّشويق – كقوله تعالى (هَلْ أدُلُّكم على تِجَارَةٍ تُنْجيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أليم)

(٧) والاستئناس – كقوله تعالى (وما تِلْكَ بِيمينِكَ يامُوسَى)

(٨) والتَّقرير [٢] – كقوله تعالى (ألَمْ نشْرح لكَ صدْرَكَ)

(٩) والتَّهويل – كقوله تعالى (الْحَاقَّةُ ماالْحَاقَّةُ وماأدْراكَ ماالْحَاقَّة)

(١٠) والاستبعاد – كقوله تعالى (أنَّى لهمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جاءَهُمْ رسولٌ مبين) – ونحو : قول الشاعر

مَن لى بإنسانٍ إذا أغضبتهُ وجَهلتُ كان الحلمُ رَدَّ جوابه

(١١) والتَّعظيم – كقوله تعالى(مَنْ ذا الذِّى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلاَّ بإذْنِهِ)

---

(١) اعلم أن الانكار إذا وقع فى الاثبات يجعله نفيا – كقوله تعالى : أفى الله شك ؟ أى لاشك فيه . وإذا وقع فى النفى يجعله اثباتا ، نحو : قوله تعالى ألم يجدك يتيما أى : قد وجدناك . وبيان ذلك : أن انكار الاثبات والنفى نفى لهما . ونفى الاثبات نفى – ونفى النفى اثبات . ثم الانكار قد يكون للتكذيب ، نحو أيحسب الانسان أن يترك سدى – وقد يكون للتوبيخ واللوم على ما وقع

نحو : أتعبدون ما تنحتون

وهذه الآية من كلام ابراهيم عليه السلام لقومه ، حينما رآهم يعبدون الأصنام من الحجارة .

(٢) ويكون غالبا بالهمزة يليها المقرر به ، كقولك (أفعلت هذا) – إذا أردت أن تقرره بأن الفعل كان منه ، وكقولك أأنت فعلت هذا – إذا أردت أن تقرره بأنه الفاعل ، وكقولك أخليلا ضربت – إذا أردت أن تقرره بأن مضروبه خليل

ويكون التقرير أحيانا بغير الهمزة نحو : لمن هذا الكتاب ، وكم لى عليك ؟؟

(١٢) والتحقير — نحو: أهذا الذى مدحته كثيراً ؟؟

(١٣) والتعجّب — كقوله تعالى — (مالِهذَا الرّسول يأْكُلُ الطّعامَ ويمشِى فى الأسْواقِ) — وكقول الشاعر :

خليليّ فيما عشتما هل رأيتما   قتيلا بكى من حبّ قاتله قبلى

(١٤) والتهكم — نحو: أعقلك يُسوِّغُ لك أن تفعل كذا

(١٥) والوعيد — نحو: (ألم ترَ كيفَ فعل ربّك بعادٍ)

(١٦) والاستنباط — كقوله تعالى (مَتى نَصْرُ اللهِ) ونحو: كم دعوتك

(١٧) والتّنبيه على الخطأ — كقوله تعالى (أتَسْتَبْدِلُونَ الذى هوَ أدْنى بالذِى هُوَ خيرٌ)

(١٨) والتّنبيه على الباطل — كقوله تعالى (أفأنْتَ تُسمِعُ الصُّمَّ أوْ تَهْدِى العُمْىَ)

(١٩) والتّحسُّر — كقول شمس الدين الكوفى

مَا للمنازل أصبحتْ لا أهلُها   أهلى. ولا جيرانُها جيرانِى

(٢٠) والتّنبيه على ضلال الطّريق — كقوله تعالى (فأيْنَ تذْهبُونَ)

والتّكثير — كقول أبِى العلَاءِ المعرّى

صاحِ — هذه قبورُنا تملأ الرّحبَ   فأينَ القبُورُ من عهد عاد ؟؟

واعلم أن كل ما وضع من الأخبار فى صورة الاستفهام فى الأمثلة السابقة والآتية تجدّدت له مزية بلاغية، زادت المعنى روعة وجمالا

إذا عرفت هذا — فاعرف أيضاً أنّه يستعمل كل من (الأمر. والنهى. والاستفهام) فى أغراض أخرى، يُرجع فى إدراكها إلى الذوق الأدبى، ولا

يكون استعمالها فى غير ما وضعت له ، إلا لطريفة أدبية ، تجعل لهذا الاستعمال مزية ، يترقى بها الكلام فى درجات البلاغة ؟؟

تطبيق

ماذا يراد بالاستفهام فيما يلى ؟؟

(١) ألستُم خيرَ مَن رَكب المطايا　　وأندَى العالمينَ بُطون راحِ
(٢) أنلهُو وأيّامنَا تذهبُ　　ونلعبُ والموتُ لا يلعَبُ
(٣) متى يبلغ البنيان يوماً تمامَه　　إذا كنت تبنيه وغيرُكَ يهدمُ
(٤) فعلامَ يلتمس العدوُّ مَساءتى　　مِن بعد ما عرفَ الخلائقُ شانى
(٥) وكيف أخافُ الفقر أو أحرم الغنى　　ورأىُ أمير المؤمنين جميل
(٦) وهل نافعى أن تُرْفعٍ الحُجبُ بيننا　　ودُون الذى أمّلتُ منكَ حِجاب
(٧) أضاعونى وأى فتى أضاعوا　　ليوم كريهـة وسداد ثَغر

---

(١) التقرير : لان المقـام للمدح ، وذلك أبلغ فيه ، ولو أن جريراً قال فى مدحه «أنتم خير من ركب المطايا» لـكان قوله (خبراً) يحتمل الصدق والـكذب ، ولـكنه إذ وضعه فى صورة الاستفهام لم يجعله خبراً يشك فيـه . بل جعله حقيقة لا يجهلها أحد . ولا ينـكرها إذا سئل عنها

(٢) النهى عن اللعب — ويصح أن يكون للتهكم

(٣) الانكار — وبيان أن ذلك لن يكون

(٤) التعجب من عمل لا يجديه نفعا

(٥) النفى — وذلك أوقع فى المدح

(٦) النفى — وبيان أن ذلك ليس بمفيد

(٧) التعظيم — وإكبار شأنه

٨) ومَن مثلُ كافور إذا الخيل أحجمتْ وكان قليلا مَن يقول لها اقدمى

(٩) أفى الحق أن يُعطى ثلاثون شاعرا ويُحرمُ مادون الرّضا شاعرٌ مثلى

(١٠) أعندى وقد مارستُ كلَّ خفيّة يُصَدَّق واش أو يُخَيَّب سائل

(١١) فدع الوعيد فما وعيدك ضائرى أطنينُ أجنحة الذّباب يَضير

(١٢) ومن ذا الذى يدْلى بعذر وحجّة وسيف المنايا بين عينيه مُصلَتُ

(١٣) إذا محاسنىَ اللّاتى أتيت بها عُدَّت ذنوبا فقل لى كيف أعتذر

(١٤) إلامَ وفيمَ تنقلنا ركابٌ ونأمل أن يكون لنا أوان

فهل لى أن أراكِ قُبَيْلَ موتى وَلو فى النوم يا بنت الكرام

أسئلة على الاستفهام يطلب أجوبتها

ما هو الاستفهام؟. ما هى أدواته؟. ما الذى يُطلب بالهمزة؟. ماهو التصوُّر؟. ماهو التصديق؟. ما الفرق بين همزة التصور؟ وهمزة التصديق — وهل؟. ماذا يطلب بأدوات الاستفهام غير الهمزة وهل؟. ما الذى يطلب بمن؟. ما الذى يطلب بما؟ ما الذى يطلب بمتى؟. ما الذى يطلب بكيف؟. ما الذى يطلب بكم؟. ما الذى يطلب بأيان؟. ما الذى

---

(٨) النهى — والتنويه بشجاعته

(٩) الانكار — وبيان أن ذلك لاينبغى أن يكون

(١٠) الانكار — وبيان أن ذلك لاينبغى أن يكون

(١١) التهكم والتحقير

(١٢) التعظيم — وتهويل شأن ذلك الموقف

(١٣) النفى

(١٤) الاستبطاء

يطلب بأنّى ؟ ما الذى يطلب بأىّ ؟ .

ما هى المعانى التى تخرج اليها أدوات الاستفهام عن معانيها الأصلية

تمرين

ما هى المعانى التى استعمل فيها الاستفهام فى الأمثلة الآتية :

قال تعالى :

(١) « قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الأعْمَى وَالْبَصِيرُ أمْ هَلْ تَسْتَوِى الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ » .

(٢) « هل مِنْ خَالِقٍ غيرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ »

(٣) « أفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ ، وَبِنِعْمَةِ اللهِ هُمْ يَكْفُرُونَ »

(٤) « ألاَ تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أيْمَانَهُمْ ، وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ ، وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أوَّلَ مَرَّةٍ ، أتَخْشَوْنَهُمْ فَاللهُ أحَقُّ أنْ تَخْشَوْهُ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ »

(٥) أفَتَطْمَعُونَ أنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللهِ ، ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وهُمْ يَعْلَمُونَ »

(٦) « أفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أسْلَمَ مَنْ فِى السَّمٰوَاتِ وَالأرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ »

(٧) « إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أأنْذَرْتَهُمْ أمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ »

(٨) « أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ ، واتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيماً »

(٩) « ومَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللهِ والْيَوْمِ الآخِرِ ، وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ ، وَكَانَ اللهُ بِهِمْ عَلِيماً »

(١٠) « مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ »

(١١) أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى ، أَمْ مَنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ »

(١٢) « أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى ، وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى ، وَوَجَدَكَ عَائِلا فَأَغْنَى »

(١٣) قال أبو نواس :

أنا فى ذِمَّةِ الخَصِيبِ مقيمٌ ‏ ‏ حيث لا تَهْتَدِى صُرُوف الزمان
كيف أخشى علىَّ غولَ الليالى ‏ ‏ وَمكانى من الخصيب مكانى

(١٤) وقال أبو تمام يمدح عبد الله بن طاهر :

يقول فى قُومَسٍ قومى وقد أخَذَتْ ‏ ‏ منَّا السُّرَى وخطى الْمَهْرِية القود
أَمَطْلِعَ الشمْسِ تَبغِى أن تَؤُمَّ بنا ‏ ‏ فقلت كلاَّ ، ولكن مَطْلَعَ الجودِ

(١٥) وقال يفخر بقومه :

مضوا : وكأنَّ المكرمات لَدَيهمُ ‏ ‏ لِكَثْرَةِ ما أوْصَوْا بهنّ شَرَائعُ
فأىُّ يدٍ فى الْمَحل مُدَّتْ فلم تكن ‏ ‏ لها رَاحَةٌ من جُودِهمْ وأصابعُ

(١٦) وقال رجل من الخوارج كان الحجاج قد عفا عنه :

أؤُقاتل الْحجَّاج عن سُلْطَانِهِ بِيَـــدٍ تُقِرُّ بأنَّها موْلاتُهُ

(١٧) وقال أبو تمام :

ألِى بنى عبد الكريم تَشَاوَسَتْ عيناكَ (وَيْحَكَ) خَلْفَ مَنْ تتَفَوَّقُ

ما أُنْشِئَتْ للمكرمات سحابةٌ إلا ومن أيديهم تتَدَفَّقُ

(١٨) وقال المرحوم أحمد شوقى :

إلاَمَ الْخُلْفُ بينكم إلاما وهذى الضجَّة الكبرى علامَا

وفيم يكيدُ بعضكم لبعض وتُبْدُون العـــداوةَ والخِصاما

(١٩) وقال ابن الرومى :

ما كان فى فضلاء النَّاس لى أمَلٌ فكيف أمَّلْتُ خيراً فى المجانين

(٢٠) وقال العباس بن الأحنف :

قلبى إلى ما ضَرَّنى دَاعِى يُكْثِرُ أســقامى وَأوْجَاعى

كيف احتراسى من عدُوِّى إذا كان عَـــدُوِّى بين أضْلاعِى

(٢١) وقال زُفر بن الحارث :

أيذهب يومٌ وَاحدٌ إن أسأته بصالح أيامى وحُسْن بلائيا

(٢٢) وقال زياد الأعجم :

فَمَنْ أنتمُ إنَّا نسينا من أنتم وَرِيحُكُم من أىِّ رِيح الأعاصر

(٢٣) وَقال إبراهيم الموصِلِىّ :

وآمرةٍ بالبخل قلت لها اُقْصِرِى   فليس إلَى ما تأمرينَ سبيلُ
وكيف أخافُ الفقر أو أحرمُ الغنى   وَرأْىُ أمير المؤمنين جميلُ

(٢٤) وقال جميل بن معمر :

ألا ليتَ شِعرى هل أبيتَنَّ ليلةً   بوادى القُرَى إنى إذاً لَسَعِيد
وهل أَلْقَيَنْ سُعْدَى من الدهر مرة   وما رَثَّ من حَبْلِ الصفاء جديدُ

(٢٥) وقال شمس الدين الكوفى :

مالى وللأيام شَتَّتَ خَطبُها   شَمْلِى وخَلَّانى بلا خُلَّانِ

تمرين

وضِّح الأغراض التى خرج إليها — الأمر — والنهى — والاستفهام فى الأمثلة الآتية :

(١) قال أبو الطيب يعاتب رجلاً ظن أنه هجاه ، وكان غيره هو الذى هجاه :

أتُنْكِرُ يا ابن إسحق إخائى   وتَحْسَبُ ماء غيرى من إنائى
أأنطقُ فيك هُجْراً بعْدَ عِلْمى   بأنك خَيْرُ منْ تَحْتَ السماء
وهبنى قلت هذا الصبحُ ليلٌ   أيَعْمَى العالَمُونَ عن الضِّياء

(٢) وقال يخاطب سيف الدولة :

أجِزْنى إذا أنشدتُ شعراً فإنما   بشعرى أتاكَ المادحون مُرَدَّدَا
وَدَعْ كلَّ صوتٍ غير صوتى فإننى   أنا الصائح المحكِىُّ والآخر الصَّدَى

(٣) وقال :

عِشْ عزيزاً أوْ مُتْ وأنت كريم بين طَعْنِ القَنا وَخَفقِ البُنُودِ
واطلب العزّ فى لظًى وذَر الذُّ لَّ ولو كان فى جِنان الخلود

(٤) وقال :

لِمَنْ تَطْلُبُ الدنيا إذا لم ترِدْ بها سرورَ مُحِبٍ أوْ إساءَة مُجْرِم

(٥) وقال أبو فراس :

بمن يثقُ الانسانُ فيما ينوبُهُ ومِنْ أينَ للحرِّ الكريمِ صحاب
وقد صار هذا الناسُ إلا أقلَّهُم ذئاباً علَى أجسادهنّ ثياب

(٦) وقال أبو العتاهية فى عبد الله بن مَعن بن زائدة :

فَصُغْ ما كنتَ حَلَّيْتَ به سيفك خلخالا
وما تَصْنَعُ بالسيف إذا لم تكُ قتّالا

(٧) ولابن رشيق

أيها الليل طُلْ بغير جناحِ ليس للعين راحةٌ فى الصَّباح
كيف لا أُبْغضُ الصباح وفيه بَانَ عنّى نورُ الوجوه الملاحِ

(٨) وقال كثير :

أسيئى بنا أو أحسنى لا مَلُومَةً لَدَينا وَلا مَقْلِيَّةً إن تَقَلَّتِ
فلا يَبْعَدَنْ وَصلٌ لعَزّة أصبحت بعاقبة أسْبابُهُ قد تَوَلَّتِ

(٩) وقال البحترى :

اسْلَمْ أبا الصَّقْرِ للمعروف تَصنَعهُ والمجدِ تبنيه فى ذُهْل بْنِ شَيْبانِ

(١٠) وقال الفرزدق :

أترجو رَبيعٌ أن يجىء صِغارُها بخيرٍ وقد أعيا ربيعاً كبارُها

(١١) وَقال جرير

قل للجبان إذا تأخر سَرْجهُ　　هل أنتَ من شَرَكِ المنية ناجى

(١٢) وقال المعرّى :

إفهم عن الأيام فهى نوَاطقٌ　　ما زال يَضرِبُ صَرْفها الأمثالا

لم يمضِ فى دنياك أمر مُعجبٌ　　إلاَّ أرَتْكَ لِما مضى تمثالا

(١٣) وقال :

ما افتخارُ الفتى بثوب جديد　　وهو من تحته بِعِرْضٍ لَبِيس

والفتى ليس باللَّجينْ وبالتـ　　ـبر ولـكن بِعِزَّةٍ فى النفوسِ

(١٤) وقال المرحوم إسماعيل صبرى باشا يرثى طفلا صغيراً :

يا مالىء العين نوراً والفؤادِ هوًى　　والبيتِ أُنساً ، تمهّل أيُها القمرُ

لا تُخلِ أُفقَكَ يَخلُفْكَ الظَّلامُ به　　وَالْزم مكانَكَ لا يَحلُلْ به الـكدَرُ

المبحث الرابع

فى التَّمنِّى

التّمنّى — هو طَلبُ الشّىء المحبوب الذى لا يُرْجى ، ولا يتَوَقَّع حصُوله

« ١ » إمّا لـكونه مستحيلا — كقوله

الا ليتَ الشّبّابَ يعودُ يوماَ　　فأُخبرَه بما فعلَ المَشيبُ

(٢) وإمّا لـكونه ممكناً غير مطموعٍ فى نيله — كقوله تعالى (ياليْتَ لنا مِثْلَ مَاأُوتىَ قارُون)

وإذا كان الأمرُ المحبوبُ مِمّا يُرْجَى حصولُه كان طلبه تَرجِّيًا ويُعبَّرُ فيهِ « بعسَى ، ولعلَّ » كقوله تعالى « لعلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أمْراً » و « عَسى اللهُ أن يَأْتِيَ بالْفَتْحِ »

وقد تُسْتَعملُ فى التَّرجّى « لَيْت » لغرض بَلَاغِيّ (١)

وللتَّمَنِّى أربعُ أدواتٍ — واحدةٌ أصليةٌ — وهى « لَيْتَ »

وثلاثٌ غيرُ أصليَّةٍ نَائبةٌ عنها — ويُتَمَنَّى بها لغرض بلاغيّ : وهى

(١) هل — (٢) كقوله تعالى (فَهلْ لَنَا مِن شُفعاء فَيشْفعُوا لَنا) (٣)

(٢) ولو (٤) — كقوله تعالى (فلَوْ أن لنا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ المؤْمنين)

(٣) ولَعلَّ (٥) — كقوله

---

(١) الغرض هو إبراز المرجو فى صورة المستحيل مبالغة فى بعد نيله — نحو

فياليت ما بينى وبين أحبتى من البعد ما بينى وبين المصائب

وقد تستعمل أيضا للتندم نحو « ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا »

(٢) اعلم أن سبب العدول عن (ليت) إلى « هل » إبراز المتمنى لكمال العناية به فى صورة الممكن الذى لايجزم بانتفائه ، وهو المستفهم عنه

(٣) لما كان عدم الشفاء معلوما لهم امتنع حقيقة الاستفهام ، وتولد منه التمنى المناسب للمقام

(٤) وسبب العدول إلى « لو » الدلالة على عزة متمناه وندرته ، حيث أبرزه فى صورة الذى لايوجد ، لأن « لو » تدل بأصل وضعها على امتناع الجواب لامتناع الشرط

(٥) وذلك لبعد المرجو ، فكأنه مما لايرجى حصوله ، واعلم أن « هلا . وألا ولوما ، ولولا » مأخوذة من « هل ولو » بزيادة (ما) و (لا) عليهما — وأصل « ألا — هلا » قلبت الهاء همزة ليتعين معنى التمنى ، ويزول احتمال الاستفهام والشرط ، فيتولد من التمنى معنى التنديم فى الماضى نحو : هلا قمت ، ومعنى التحضيض فى المستقبل نحو هلا تقف ولا يتمنى : بهل — ولو — ولعل : إلا فى المقطوع بعدم وقوعه لئلا تحمل على معانيها الأصلية

أسِربَ القَطا هل مَنْ يُعيرُ جناحهُ؟ لعلّى إلى مَنْ قَدْ هَوِيتُ أطيرُ

ولأجل استعمالِ هذه الأدوات فى التَّمَنِّى يُنصبُ المضارع الواقع فى جوابها

تمرين

بيِّن المعانى المُستفادةَ من صِيغ التمنِّى فيما يأتى

قال تعالى : فَهَل إلى خُروجٍ مِن سَبيل

علَّ الليالى الَّتى أضنْت بفُرْقتنا جِسمى سَتجمعُنى يوماً و تجمعه

لو يأتينا فيحَدِّثنا - لعلى أحجُّ فأزورَكَ - ياليتنى اتَّخذتُ مع الرسول سبيلا - هل إلى مردٍّ من سبيل - ياليت لنا مثل ما أُوتى قارون - لعلى أبلغُ الأسباب - لو تتلوا الآيات فتشقَّ سمعى -

كلّ مَن فى الكون يشكو دَهرَهُ ليتَ شِعرى هذه الدنيا لمَن؟

فليت الليلَ فيه كان شهراً ومرَّ نهارُهُ مَرَّ السَّحاب

فليتَ هَوى الأحِبَّة كان عدْلاً فحمَّلَ كلَّ قلبٍ مَا أطَاقا

المبحث الخامس

فى النِّدَاء

النِّداء - هو طلبُ المتكلم إقبالَ المخاطَبِ عليه بحرف نائب مناب « أنادِى » المنقول من الخبر إلى الإنشاء — وأدواته ثمانية

ألهمزة . وأىْ . ويا . وآ . وآى . وأيا . وَهيا . ووا [١]

وهى فى كيفيَّة الاستعمال نوعان

(١) الهمزة — وأىْ : لنداء القريب

(٢) وباقى الأدوات لنداء البعيد

وقد يُنَزَّل البعيدُ منزلة القريب ـ فينادَى بالهمزة — وأىْ . إشارةً إلى أنه لشدَّة استحضاره فى ذهن المتكلّم صار كالحاضر معه . لا يغيبُ عن القلب ، وكأنه ماثِلٌ أمامَ العين ـ كقول الشاعر

أسُكانَ نَعمانِ الأراكِ تيقَّنوا   بأنكُم فى رَبع قلبى سُكَّانُ

وقد يُنَزَّلُ القريب مَنزلة البعيد ـ فينادَى بغير « الهمزة . وأىْ »

« ا » إشارة الى عُلوّ مرتبته . فيجعل بُعدُ المنزلة كأنه بعدٌ فى المكان، كقولك « أيا مولاى » وأنتَ معه للدلالةِ على أن المُنادَى عظيمُ القدر، رفيعُ الشأن

« ب » أو إشارة إلى انحطاط مَنزلته ودرجتِه ـ كقولك « أيا هذا » لِمَن هو معك

« ج » أو إشارة إلى أنّ السامعَ لغفلته وشُرود ذهنه كأنّه غيرُ حاضر كقولك للساهى — أيافلانُ — و كقول البارودى

يأيُّها السادرُ المُزْوَرُّ من صَلَفٍ   مَهْلاً ، فإنك بالأيّام مُنْخَدِعُ [٢]

وقد تخرج ألفاظ النّداء عن معناها الأصلى إلى معان أخرى ، تفهم من السّياق بمعونة القرائن ـ ومن أهمّ ذلك

---

(١) اعلم أن لفظ الجلالة يختص نداؤه — (بيا)

(٢) السادر الذاهب عن الشىء ترفعا عنه ، والذى لايبالى ولا يهتم بما صنع المزور . المنحرف . والصلف الكبر .

(١) الإغراء — نحو قولك لمن أقبل يتظلّم : يا مظلومُ

(٢) والاستغاثة — نحو . يَا للهِ للمُؤْمنين

(٣) والنُّدبة — نحو قول الشاعر

فواعجباً كم يدَّعى الفضلَ ناقصٌ وَوَا أسفاً كم يُظهِر النَّقصَ فاضلُ

(٤) والتّعجب — كقول الشاعر

يالكِ مِن قُبَّرَة بِمَعْمَرِ خلاَ لكِ الجوُّ فبِيضِي وَاصفرِى

(٥) والزجر — كقول الشاعر

أَفُؤَادِى مَتَى المتابُ ألمَّا تَصْحُ والشَّيبُ فوْقَ رَأْسى أَلمَّا

(٦) وَالتحسُّر وَالتَّوجُّـع — كقوله تعالى « يَا لَيْتَنِى كُنْتُ تُرَابًا »

وَكقول الشاعر :

أيَا قَبرَ مَعْنَ كيفَ وَارَيْتَ جُودَهُ وَقد كانَ منهُ البرُّ وَالبحر مُترعَا

(٧) وَالتّذكر كقوله :

أيا منزِلىْ سَلمى سلامٌ عليكما هل الأزمُن اللاّتى مَضَيْنَ رَوَاجع

(٨) وَالتَّحيّر وَالتَّضَجُّر — نحو قول الشاعر

أيا مَنازلَ سَلمى أينَ سَلماكِ منْ أجل هذا بكيناهَا بكيناكِ

ويكثر هذا فى نداء الأطلال وَالمطَايا : ونحوها

(٩) وَالاختصاص[١] — هو ذكر اسم ظاهر بعد ضمير لأجل بيانه .

---

(١) بيان ذلك أن النداء تخصيص المنادى بطلب إقباله عليك — فجرد عن لطب الاقبال ، واستعمل فى تخصيص مدلوله من بين أمثاله بما نسب إليه منها .

نحو قوله تعالى: « رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أهلَ البيتِ إِنَّهُ حميد مَجِيد » . وَنحو: نحن العُلماءَ ورثةُ الأنبياء :

ويكون الاختصاص

« ا » إمَّا للتَّفاخُر — نحو: أنا أُكْرِمُ الضيفَ أيها الرَّجُلُ

«ب» وإما للتَّواضُع — نحو: أنا الفقيرُ المسكينُ أيُّها الرَّجلُ

وَنحو: اللَّهُم اغفر لنا أيَّتُهَا العِصابَة (١)

تمرين

بيِّن المعانى الحقيقيَّة المُستفادة من صِيغ النِّداء ـ وَالمعانى المجازية المستفادة من القرائن

صاحِ شمِّر ولا تزَلْ ذَاكِرَ المو ت فنسيانُهُ ضَلَالٌ مُبين

يا لقوْمى وَيا لأمثَالِ قَوْمى لأُناسٍ عُتُوُّهم فى ازْدِيادٌ

يَا للرِّجالِ ذَوِى الألباب من نفرٍ لا يَبرَحُ السَّفهُ المرْدِى لهم دِيناً

أيها القلبُ قد قضَيتَ مرَاماً فإلامَ الوُلُوع بالشَّهَواتِ

أيا شجر الخابور مالكَ مُورقاً كأنك لم تجزَع على ابنِ طَرِيفِ

يا أيها الظالم فى فعــــله الظلم مَردُودٌ على من ظَلَم

---

(١) أى: اللهم اغفر لنا مخصوصين من بين العصائب ، فصورته صورة النداء وليس به — إذا لم يرد به إلا مادل عليه ضمير المتكلم السابق. ولذا لا يجوز إظهار حرف النداء فيه

أريحانة العينين والأنف والحشا ... ألا ليت شعرى هل تغيّرت من بعدى

يا ناقُ سِيرى عَنقاً فسيحاً ... إلى سُليمان فتستريحا

حَجبوه عن الرّياح لأنى ... قلتُ يا ريحُ بلّغيه السّلاما

ياليتنى كنْتُ صبيًّا مُرضعا ... تحملنى الذّلفاء حوْلاً أكتعا

يا ليلة لستُ أنسى طيبها أبداً ... كأنّ كلّ سرور حاضرٌ فيها

يا ليلة كالمسك مَخْبرُها ... وكذاك فى التشبيه منظرها

أحييتها والبدرُ يخدُمنى ... والشَّمس أنهاها وآمُرها

يا من تذَكّرنى شمائله ... ريح الشّمال تنفَّسَت سحرا

وإذا امتطى قلمٌ أناملَه ... سحر العقول به وما سحرا

يا قلب ويحك ما سمعت لناصحٍ ... لمّا ارتميتَ ولا اتّقيت ملاما

يا أعدل الناس إلا فى معاملتى ... فيك الخِصام وأنت الخَصم والحكم

يا رحمةَ الله حلّى فى منازلنا ... وجَاوِرِينا فَدَتْكِ النفس من جَار

تنبيهات

الأول — يُوضع الخبرُ موضعَ الإنشاء لأغراضٍ كثيرة — أهمها التَّفاؤل — نحو هداكَ اللهُ لصالح الأعمال

(كأنَّ الهدايةَ حصلت بالفعل) فأخبرَ عنها — ونحو: وفَّقك الله

(٢) والاحتراز عن صورة الأمر تأدّباً واحتراماً، نحو: رحم الله فلانا

ونحو: ينَظر مولاىَ فى أمرى ويقضِى حاجتى

(٣) والتنبيه على تيسير المطلوبِ لقوة الأسباب

كقول الأمير لجنده « تأخذونَ بنواصيهم وتُنزلونهم من صَياصيهم »

(٤) والمُبالغة فى الطَّلب للتَّنبيه على سُرعة الامتِثال

نحو (وإذ أخذْنا مِيثاقَكُمْ لاتَسْفِكُونَ دِماءَكُمْ)

لم يقُل لاتَسفكوا. قصداً للمُبالغة فى النَّهى، حتى كأنهم نُهوا فامتثلوا

ثم أخبر عنهم بالامتثال

(٥) إظهار الرَّغبة — نحو قولك فى غائب : رَزَقَنِى اللهُ لِقاءهُ

الثانى — يُوضع الانشاء موضعَ الخبر لأغراض كثيرة

« ا » منها : إظهار العِناية بالشئ : والاهتمامِ بشأنه — كقوله تعالى (قلْ أمَرَ رَبِّى بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ)

لم يقل : وإقامةِ وجوهكم ، إشعاراً بالعناية بأمر الصلاةِ ، لعظيم خَطَرِها ، وجَليل قَدرها فى الدِّين

«ب» ومنها : التَّحاشِى والاحتراز عن مُساواة اللَّاحق بالسّابق ،

كقوله تعالى (قالَ إنِّى أُشْهِدُ اللهَ ، واشْهَدُوا أنِّى بَرِىءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ) لم يقُل وأُشهدكم تَحاشياً وفراراً مِنْ مُساواة شهادتهم بشهادة الله تعالى

الثالث — الانشاء كالخبر فى كثيرٍ مِمّا ذُكرفيه ، ومما سيُذكر فى الأبواب التالية — من الذكرى والحذف وغيرهما . إن شاء الله تعالى

الرابع — يُستَعملُ كلّ من (الأمر والنَّهى والاستفهام) فى أغراض أخر يرجع فى إدراكها إلى الذَّوق الأدبى ، ولا يكون استعمالُها فى غير

ما وُضِعَت له إلاَّ لطريفة أدبية تجعل لهذا الاستعمال مَزِية يَترقى بها الـكلام فى درجات البلاغة ، كما سبق القول

تطبيق

بيِّن المعانى المستفادة من النِّداء ، وسبب استعمال أداةٍ دون غيرها فيما يلى :

(١) أيا مَنازِلَ سَلمى أيْنَ سَلماكِ ... مِنْ أجْل هذَا بكيناها بكيناكِ [١]

(٢) صادحَ الشَّرق قدْ سكتَّ طَويلا ... وعزِيزٌ علينَا ألاَّ تقولا [٢]

(٣) أيا قبر معْنٍ كيف واريتَ جُوده ... وَقد كان منه البَرُّ والبحر مُترعا [٣]

(٤) يا دُرَّةً نُزِعَتْ من تاج وَالدِها ... فأَصبحت حِلْيةً فى تاج رِضوانَ

(٥) فيا لائمِى دعنى أُغالى بقيمتى ... فقيمةُ كلِّ النَّاسِ ما يحسنونه

الرقم	الأداة	المعنى المستفاد	سبب إيثار الأداة
١	أيا	التضجر والتحير معا	تنزيل المنازل المخاطبة منزلة البعيد لعظم شأنها لديه
٢	يا الملحوظة	» » »	كون المنادى بعيد المرتبة حقيقة .
٣	أيا	التحسر	تنزيل المخاطب منزلة البعيد إشعاراً برفعة شأنه
٤	يا	»	تنزيل المنادى منزلة البعيد تنويها بعظم الأمر ورفعة القدر
٥	يا	الطلب	للاشارة إلى أن المخاطب منحط الدرجة

(١) يريد لعدم وجود سلمى بكيناها وبكينا المنازل — فواو العطف محذوفة

(٢) صدح الرجل رفع صوته بالغناء (٣) المترع أى المملوء .

تطبيق آخر

وضِّح الاعتبار الدَّاعى لوضع كلٍّ من الخبر والانشاء موضع الآخر

(١) قال تعالى (وَقَضَى رَبُّكَ أَنْ لاَ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا

(٢) وقال تعالى (وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا) وقال الشاعر

(٣) أتانى أبيتَ اللَّعنَ أنك لُمْتَنِي وتِلك التى أهتمُّ منها وأنصَبُ [١]

(٤) إذاً فعاقبنى ربِّى مُعاقبة قرَّت بها عينُ مَنْ يأتيك بالحسد

تدريب

بيِّن فيما يلى الغرضَ من وضع الإنشاء موضعَ الخبر وبالعكس

(١) كلُّ خليلٍ كنتُ خاللتُه لا ترك اللهُ له واضحه

(٢) قال الله تعالى (وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللهِ مَجْرِيهَا)

(٣) تقول لصديقك . رزقنى اللهُ لِقاءك — ويقول الشاعر

(٤) ولائمة لامتك يافضل فى النَّدَى فقلتُ لها هل أثر اللَّومُ فى البحر

أتَنْهَيْنَ فضلاً عن عطاياه للورى ومَن ذا الذى يَنهَى الغَمام عن القَطر

الرقم	نوع الكلام	البيان	الاعتبار
١	الانشاء	اذالتقدير أحسنوا بالوالدين والمقام للاخبار	الاهتمام وإظهار العناية
٢	الخبر	إذ المعنى ليأمن من دخله	إظهار الحرص على وقوعه
٣	»	المقام للإنشاء إذالغرض الدعاءله	التفاؤل بالدعاء
٤	»	المقام للطلب	لأظهار الحرص على وقوعه

(١) أبيت اللعن . كانت تحية الملوك ، ومعناها أبيت أن تفعل شيئا تلعن به
اهتم أى أصير ذا هم . أنصب أى أتعب

تمرين

عين الجمل الخبرية والإنشائية فيما يأتى : قال الله تعالى :

(١) « آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إلَيْهِ من رَبِّهِ ، وَالمُؤْمِنُون كُلٌّ آمنَ باللهِ ومَلائِكَتِهِ وكُتبِهِ وَرُسُلِهِ » .

(٢) « يَمْحقُ اللهُ الرِّبَا وَيُرْبى الصَّدَقَات ، واللهُ لا يُحِبُّ كل كفَّار أثيم »

(٣) « يَاأيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، أطيعُوا اللهَ وَأطيعُوا الرَّسُولَ وَأُولى الأمْرِ مِنْكُمْ »

(٤) قال الرسول صلى اللهُ عليهِ وَسلم :

اسْتَعِينُوا عَلَى قَضاء حَوائِجِكُمْ بالكِتْمان فَانَّ كلَّ ذى نعمَة مَحْسُودٌ

(٥) ومن وَصية عبد الْملك بن مَرْوَانَ لأولاده :

« يا بَنِيَّ ، كُفُّوا أذَا كُمْ ، وابْذُلُوا معروفَكُمْ ، وَاُعفُوا إذا قَدَرْتم ، وَلا تبْخَلُوا إذَا سُئِلْتمْ ، وَلا تُلْحِفُوا إذا سَألْتُمْ ، فان من ضَيَّقَ ضَيَّقَ اللهُ عَلَيْهِ ، وَمن أعْطَى أخْلفَ اللهُ له »

(٦) وقال أبو العلاء المعرى :

لا تَحْلفَنَّ على صدْق ولا كَذب ... فما يُفيدكَ إلا المَأْثَمَ الحَلِفُ

(٧) وقال :

لَا تفْرَحَنَّ بما بلغتَ من العلا ... وَإذا سَبَقْتَ فمن قليل تُسْبَق

وَلْيَحْذَر الدَّعْوَى اللبيبُ فانها ... لِلْفَضْل مَهْلَكَة وخَطْبٌ مُوبِقُ

(٨) وقال أبو العتاهية :

بكيتُ على الشباب بدَمْعِ عيْني فلم يغْنِ البكاءُ ولا النَّحيبُ
ألاَ لَيْتَ الشبابَ يَعُودُ يوماً فأخبِرهُ بما فَعَلَ الْمشيب

(٩) وقال :

يا صاحبَ الدنيا المحبَّ لها أنت الذى لا يَنْقضى تعبُه

(١٠) وقال :

ما أحسنَ الدنيا وَإقبالَها إذا أطاعَ اللهَ مَنْ نالها
من لم يُوَاس الناسَ من فضْلها عَرَّضَ للإدبار إقبْالَها

(١١) وقال الشاعر :

أراكَ تُؤَمِّلُ حُسْنَ الثناء ولم يرزق اللهُ ذاكَ البخيلا
وكيف يسودُ أخو فِطْنَةٍ يَمُنُّ كثيراً وَيُعْطى قليلا

(١٢) وقال سَعيدُ بن حُمَيْد .

وأراكَ تكْلَفُ بالعتاب وَوُدُّنا صافٍ عليه من الوفاء دليل
ولعل أيامَ الحياةِ قصيرة فعلام يكثر عَتْبُنا وَيطولُ

أسئلة يطلب أجوبتها

(١) عرِّف التَّمنى ، واذكر ألفاظه
(٢) بيّن الفرق بين التَّمنِّي والتَّرجى . واذكر ألفاظ ثانيهما
(٣) بيّن النّداء ، واذكر أدواته : وقسِّمها من حيث الاستعمال
(٤) متى يُنزَّل القريب منزلة البعيد ، وبالعكس

(٥) بيّن المعانى المجازية التى تُستفاد من ألفاظ النّداء

(٦) بيّن الأغراضَ الدّاعية لايثار الخبر فى مقام الانشاء

(٧) لِمَ يُوضع الانشاء موضع الخبر ؟؟

تطبيق عام على الباب الثانى

أنا الذائد الحامى الذمار وإنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى

الجملة الأولى — خبرية اسمية من الضرب الابتدائى . والمراد بها الفخر واظهار الشجاعة — المسند اليه (أنا) . والمسند (الذائد) . والجملة الثانية خبرية فعلية من الضرب الثالث لما فيها من التوكيد بانما . والمراد بها الفخر وإظهار الشجاعة أيضا . المسند (يدافع) . والمسند اليه (أنا) .

وما ربك بظلام للعبيد — جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث — والمراد بها التوبيخ — المسند اليه (رب) . والمسند (ظلام)

أنت خرجت عن حدك — جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث — والمراد بها التوبيخ — المسند اليه (أنت) . والمسند جملة (خرجت)

رب إن قومى كذبون — جملة (رب) انشائية ندائية . والمراد بها الدعاء . المسند والمسند اليه محذوفان نابت عنهما ياء النداء المحذوفة — وجملة : إن قومى كذبون . خبرية اسمية من الضرب الثالث . والمراد بها إظهار التحسر . المسند اليه (قومى) . والمسند جملة كذبون

زارنا الغيث — جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائى . والمراد بها إظهار الفرح — المسند اليه : الغيث . والمسند : زار . وأتى بها فعلية لافادة الحدوث فى الزمن الماضى مع الاختصار .

ذهب عنا الحزن — جملة خيرية فعلية من الضرب الابتدائى . والمراد بها إظهار الشماتة بمدبر — المسند (ذهب) . والمسند اليه (الحزن) — وأتى بها فعلية لأفادة الحدوث فى الزمن الماضى مع الاختصار

قابلت الأمير — جملة خبرية فعليـــة من الضرب الابتدائى . والمراد بها إظهار السرور . المسند قابل . والمسند اليه التاء

أنا ممتثل لأمرك — جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائى والمراد بها إظهار التواضع - المسند اليه أنا . والمسند ممتثل . وأتى بها اسمية لمجرد ثبوت المسند للمسند اليه

إن الله لايظلم الناس شيئا — جمـلة خبرية اسمية من الضرب الثالث ، والمراد بها التوبيخ للناس . المسند اليـه لفظ الجلالة ، والمسند جملة (لا يظلم)

وأتى بالمسند جملة لتقوية الحـكم بتـكرار الاسناد — والجملة الاسمية مفيدة للاستمرار الآن بقرينة الاسناد إلى الله تعالى

ما جاءنا من أحد — جملة خبرية فعليـة من الضرب الثالث . والمراد بها فائدة الخبر . المسند جاء ، والمسند إليه أحد ، وأتى بها فعلية لما تقدم

أنت نجحت — جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث لما فيها من تقوية الحـكم بتـكرار الاسناد . والمراد بها لازم الفائدة . المسند اليـه أنت . والمسند جملة نجحت

حضر الأمير — جملة خبرية فعليـة من الضرب الابتدائى . والمراد بها أصل الفائدة — المسند حضر . المسند اليه الأمير

سيحرم المقصر — خبرية فعلية من الضرب الابتدائى — والمراد بها الذم . المسند سيحرم . والمسند اليه المقصر . وهى تفيد الاستمرار التجددى بقرينة الذم

ما برح المقصر نادما — جملة خبريه اسمية من الضرب الابتدائى — والمراد بها الذم ، المسند اليه المقصر . والمسند نادما . وهى مفيدة للاستمرار بقرينة (ما برح)

كلما جئتنى أكرمتك — جملة أكرمتك خبرية فعلية من الضرب الابتدائى . وهى الجملة ، وما قبلها قيد لها ، لأن الشرطية لا تعتبر إلا بجوابها ، المسند أكرم ، والمسند اليه التاء ، وهى مفيدة للاستمرار التجددى : بقرينة كلما

ما مجتهد صاحباك — جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائى ، ولا يقال اسمية لأن الاسم حل محل الفعل — ولذلك رفع مابعده على أنه فاعله ، والمراد بها الاستمرار بقرينة الذم ، المسند مجتهد . والمسند إليـه صاحباك ، وقس عليها

نحو مامبغوض أنت ، وماحسن فعل أعدائك . وأقائم أخواك ، وهل منصف أصحابك

كلما ذاكر المجتهد استفاد — جملة استفاد : فعليـــة خبرية من الضرب الابتدائى المسند استفاد ، والمسند اليه هو ، وهى مفيدة للاستمرار التجددى بقرينة كلما

الشمس طالعة — تقولها للعاثر — جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائى المسند اليه الشمس — والمسند طالعة . والمراد بها التوبيخ

الكريم محبوب — جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائى ، المسند اليه الكريم والمسند محبوب ، والمراد بها الاستمرار بقرينة المدح

من يسافر — جملة انشائية استفهاميـة . المسند إليه من . والمسند جملة يسافر

التفتوا — جملة انشائية أمرية . المسند التفت . والمسند إليه الواو

لا تتركوا المذاكرة — جملة إنشائية نهيية . المسند تترك . والمسند إليه الواو

ليت البخيل يجود — جملة إنشائية تمنية إسمية. المسندإليه البخيل. والمسندجملة يجود

هل فهمتم — جملة إنشائية استفهامية . المسند فهم . والمسند إليه التاء

ياتلاميذ — جملة انشائية ندائية . المسند والمسند إليه محذوفان تقديرهما : أدعو نابت عنها (يا)

قل أغير الله أبغى ربا وهو رب كل شيء — الهمزة الداخلة على لفظ (أغير) ليست للاستفهام الحقيقى ، بل هى للانكار الذى لم يقع على أنه يبغى رباً ، ولـكنه وقع على أن يكون المبغى ربا غير الله

الباب الثالث

فى أحوال المُسند اليه

المُسْند اليه: هو المبتدأ الذى له خبر، والفاعل، ونائبه، وأسماء النّواسخ
وأحواله هى: الذكر، والحذف، والتّعريف، والتّنكير، والتقّديم، والتّأخير
وغيرها . وفى هذا الباب عدة مباحث

المبحث الأول

فى ذكر المُسْند اليه

كلّ لفظٍ يدلّ على مَعنى فى الكلام خَليقٌ طبعاً بالذكر، لتأدية المعنى المُرادِ به — فلهذا يُذكر المُسندُ اليه وجوبا. حيث إنّ ذكرهُ هو الأصل ولا مُقتضَى للحذف، لعدم قرينة تدلّ عليه عند حذفه

وإلاّ كان الكلام مُعمًّى مُبهماً، لا يستبينُ المرادُ منه

وقد يَترجّحُ الذكر مع وجود قَرينة تمكّن من الحذف، حين لا يكون منه مانع — فَمِن مُرجّحات الذّكر (١)

---

(١) بيان ذلك أنه إذا لم يوجد فى الكلام قرينة تدل على مايراد حذفه ، أو وجدت قرينة ضعيفة غير مصحوبة بغرض آخر يدعو إلى الحذف ، فلا بد من الذكر جريا على الأصل ، وقد تدعو الظروف والمناسبات إلى ترجيح (الذكر) مع وجود قرينة تمكن من (الحذف) وذلك لأغراض مختلفة ، ترجع إلى أساليب البلغاء ، فتجدهم قد ذكروا أحيانا مايجوز أن يستغنى عنه ، وحذفوا مالا يوجد مانع من ذكره ، فرجحوا الذكر أحيانا . والحذف أحيانا . لأسباب بلاغية اقتضت ذلك

(١) زيادةُ التّقرير والإيضاح للسَّامع ـ كقوله تعالى (أُولئكَ على هَدًى منْ رَبِّهم وَأُولئكَ هُمُ الْمفلحُون)[١] ـ وكقول الشاعر

هو الشَّمس فى العَلْيَا هو الدَّهر فى السَّطا

هو البدرُ فى النَّادى هو البحر فى النَّدى

(٢) قِلَّة الثقة بالقرينة: لضعفها — أو ضعف فهم السّامع

نحو سعدٌ نِعمَ الزَّعيمَ: تقول ذلك إذا سبق لك ذكر سعد، وطال عهد السامع به، أو ذُكر معه كلام فى شأن غيره

(٣) الرَّد على المُخَاطب: نحو: الله واحدٌ، ردًّا على من قال: الله ثالثُ ثلاثة

(٤) التَّلذُّذُ. نحو الله ربى، اللهُ حسبِي.

(٥) التعريضُ بغباوة السَّامع: نحو سعيدٌ قال كذا — فى جواب ماذا قال سعيد؟

(٦) التَّسْجيل على السَّامع، [٢] حتَّى لا يَتـأتَّى له الإنكار — كما إذا قال الحاكم لشاهد — هل أقرّ زيد هذا بأنَّ عليـه كذا؟ فيقول الشاهد نَعَمْ زيد هذا أقرَّ بأنّ عليه كذا [٣].

(١) الشاهد فى (أولئك هم المفلحون) حيث كرر اسم الاشارة المسند إليه للتقرير والايضاح تنبيها على أنهم كما ثبتت لهم الأثرة والميزة بالهدى فهى ثابتة لهم بالفلاح أيضا

(٢) أى كتابة الحكم عليه بين يدى الحاكم

(٣) فيذكر المسند إليه لئلا يجد المشهود عليه سبيلا للانكار بأن يقول للحاكم عند التسجيل، انما فهم الشاهد أنك أشرت إلى غيرى — فأجاب: ولذلك لم أنكر ولم أطلب الاعذار فيه

(٧) التَّعجُّب — إذا كان الحكم غريباً — نحو: عليٌّ يُقاوم الأسدَ في جوابِ من قال: هل عليٌّ يُقاوم الأسدَ؟

(٨) التعظيم — نحو حضر سيفُ الدّولة. في جواب من قال: هل حضر الأمير؟

(٩) الإهانة — نحو السَّارق قادم. في جواب من قال: هل حضر السَّارق؟

المبحث الثاني

في حذف المُسْند اليه

الحذف خِلاف الأصل، ويكون لمجرَّد الاختصار والاحترَازِ عن العبث بناء على وجود قرينة تدُلّ على المحذوف — وهو قسمان

« ا » قسمٌ يظهر فيه المحذوف عند الإعراب: كقولهم — أهلا وسهلا فإنَّ نصبهما يدُلّ على ناصب محذوف يُقدَّر بنحو: جئتَ أهلا ونزلت مكاناً سهلا — وليس هذا القسم من البلاغة في شيء

« ب » وقسم لا يَظهر فيه المحذوفُ عند الاعراب — وإنَّما تَعلَم مكانه إذا أنتَ تصفَّحْتَ المعنى، ووجدتَه لا يتمِّ إلا بمُراعاته. نحو يُعطى — ويمنَع أي — يُعطى من يشَاء، ويَمْنعُ من يَشاء — ولكن لاسبيلَ إلى إظهار ذلك المحذوف، ولو أنت أظهرْته زالت البهجة، وضاع ذلك الرَّونَق[1]

---

(١) وفي هذا القسم تظهر دقائق البلاغة ومكنون سرها وروائع أساليبها. ولهذا يقول الامام (عبد القاهر الجرجاني): في باب الحذف: إنه باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فانك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الافادة أزيد للافادة، وتجدك أنطق ماتكون إذا لم تنطق، وأتم =

وَمن دواعى الحذف : إذا دلّتْ عليه قرينة ، وتعلقَ بتركه غرض من الأغراض الآتية :

(١) ظهوره بدَلالة القرائن عليه ـ نحو : فَصكّتْ وجْهَهَا وَقالَتْ عجوز عَقِيم « أى أنا عجوز »

(٢) إخفاءُ الأمر عن غير المُخَاطب ـ نحو أقبلَ « تُريد عليًّا مثلا »

(٣) تيَسُّر الانكار إنْ مَسَّت اليه الحاجة ـ نحو (لئيم خسيس) بعد ذكر شخص لا تذكر اسمه ليتأَتّى لك عند الحاجة أن تقول ما أَرَدته ولا قصدته

(٤) الْحَذر منْ فوات فرصة سانحة — كقول مُنَبِّه الصَّياد :

غَزالٌ « أى هذا غزال »

(٥) اختبار تَنَبُّه السَّامع له عند القرينة ـ أو مقدارَ تنبهه ـ نحو نُوره مُسْتفادٌ من نور الشَّمس ـ أو هو واسطة عِقد الكَواكب « أى القمر » فى كلّ من المثالين

(٦) ضيق المقام عن إطالة الكلام بسبب تَضجّر وتَوَجّع ـ كقَوْله

قالَ لى كَيْفَ أنتَ قلْتُ عَليلٌ ... سَهَرٌ دائمٌ وحُزْنٌ طَوِيلُ (١)

(٧) المحافظة على السَّجْع ـ نحو

= ما تكون بيانا إذا لم تبن ، وهذه جملة قد تنكرها حتى تخبر ، وتدفعها حتى تنظر والأصل فى جميع المحذوفات على اختلاف ضروبها أن يكون فى الكلام ما يدل عليها ، وإلا كان الحذف تعمية وألغازاً لا يصار اليه بحال — ومن شرط حسن الحذف أنه متى ظهر المحذوف زال ما كان فى الكلام من البهجة والطلاوة ، وصار إلى شىء غث لا تناسب بينه وبين ما كان عليه أولا (والقرينة شرط فى صحة الحذف) إذا اقترن بها غرض من الأغراض المذكورة

(١) أى لم يقل أنا عليل لضيق المقام بسبب الضجر الحاصل له من الضنى

من طابَتْ سريرَتُهُ ، حُمِدَتْ سيرَتُهُ [١]

(٨) المُحافظة على قافية كقوله

وما المالُ والأهْلُونَ إلاَّ ودَائعٌ ولاَ بُدَّ يوماً أن تُرَدَّ الوَدائعُ [٢]

(٩) المُحافظة على وزن — كقوله

على أنَّنى راضٍ بأنْ أحملَ الهوَى وأخلصَ منه لاعَلَىَّ ولاَ لِيَا [٣]

(١٠) كون المسندإليه مُعيّناًمعلوماً «حقيقة» نحو: (عالِمُ الغيْبِ والشَّهادة) « أى — الله» — أومعلوماً «ادّعاءً» نحو وهَّابُ الألوف «أى فلان»

(١١) إتباع الاستعمال الوارد على تركه [٤] — نحو : رَمْيَةٌ منْ غير رام « أى هذه رمية » ونحو : نِعمَ الزَّعيم سعدٌ : أى هو سعدٌ

(١٢) إشعار أنَّ فى تركه تطهيراً له عن لسانك : أو تطهيراً للسانك عنه ، مثال الأول (مُقَرِّرٌ للشَّرائع . مُوَضِّحٌ للدّلائل) تريد صاحب الشريعة ومثال الثانى (صُمٌ بُكْمٌ عُمْىٌ)

(١٣) تكثيرُ الفائدة — نحو : فصبرٌ جميل «أى فأمرى صَبرٌ جميل»

(١٤) تَعيُّنه بالعهديّة — نحو : (واستَوَتْ على الْجُودِيِّ [٥]) أى السَّفينة

---

(١) أى لم يقل حمد الناس سيرته للمحافظة على السجع المستلزم رفع الثانية

(٢) فلو قيل : أن يرد الناس الودائع : لاختلفت القافيـة لصيرورتها مرفوعة فى الأول منصوبة فى الثانى

(٣) أى لا على شىء ، ولا لى شىء

(٤) وكذا أيضا الوارد على ترك نظائره مثل الرفع على المدح نحو مررت بزيد الهمام — وعلى الذم نحو رأيت بكراً اللئيم — وعلى الترحم مثل : ترفق بخالد المسكين

(٥) قيل الجودى هو الجبل الذى وقفت عليه سفينة نوح — وهى معهودة فى الكلام السابق فى قوله واصنع الفلك بأعيننا الخ

ونحو « حتى توارت بالحجاب » أى الشمس

ومرجع ذلك إلى الذوق الأدبى : فهو الذى يُوحى إليك بما فى القول من بلاغة وحسن بيان

تدريب

بيِّن أسباب ذكر وحذف المسند إليه فى الأمثلة الآتية

وإنَّا لانَدْرى أشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فى الأرْضِ أمْ أرادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً

الرَّئيس كلَّمنى فى أمرك — والرئيس أمرنى بمُقابلتك[1] — الأمير نشر المعارف ، وأمَّن المخاوف[2] . مُحتالٌ مُراوغٌ[3] . مُنضِجةٌ للزَّرع . مُصْلِحَةٌ للهواء[4]

فعبَّاسٌ يصُدُّ الخطبَ عنَّا وعبَّاسٌ يجيرُ مَن استجارا

خَلَقَ فَسَوَّى . مقرِّرٌ للشَّرائع ، مُوضِّحٌ للدلائل ، ولوْ شاءَ لَهَدَاكُمْ أجْمَعين[5]

وإنى من القوم الذين همُ همُ إذا مات منهم سيِّدٌ قام صاحبه

أنا مصدرُ الكلمِ البوادِي بين المحاضر وَالنَّوادى

أنا فارسٌ أنا شاعرٌ فى كلِّ ملحمة ونادى

---

(١) تخاطب غبيا

(٢) جوابا لمن سأل ما فعل الأمير ؟ ؟

(٣) بعد ذكر إنسان

(٤) تعنى الشمس

(٥) أى لوشاء هدايتكم

إن حلَّ فى رُومٍ ففيها قيْصَرٌ … أو حلَّ فى عُرْبٍ ففيها تُبَّعُ

تُسَائِلُنِى ما الحبُّ قلت عواطفٌ … منوّعة الأجناس موطنها القلبُ

تطبيق

وضح دَواعى الحذف فى التراكيب الآتية :

ملوكٌ وإخوانٌ إذا ما مدحتهم … أُحكَّمُ فى أموالهم وأُقَرَّبُ

أمَا والذى أبكى وأضْحَكَ والذى … أماتَ وأحْيَا والذى أمرُه أمرُ

(١) لَسِنٌ إذا صَعِدَ المنابرَ أو نَضا … قَدَماً شأى الخُطَبَاءَ والكُتَّابَا[1]

(٢) عَليلُ الجسم مُمْتَنِعُ القيام … شديدُ السُّكْر منْ غير المُدَامَ

(٣) أحجاجُ لا يفلل سلاحُكَ إنما ال … منايا بكفّ الله حيثُ تراها[2]

(٤) حَريصٌ على الدنيا مُضيعٌ لدينه … وليس لما فى بَيته بِمُضيع

(٥) وإنى رأيت البُخْل يُزْرِى بأهله … فأكْرَمْتُ نفسى أن يُقال بَخيل

رقم	المحذوف	السبب
	المسند إليه	ادعاء العلم به فى مقام
٢		المدح
٣	»	ضيق المقام من التوجع
	»	العلم به
٤	المسند إليه	ادعاء العلم به فى مقام الذم
٥	»	العلم به

(١) نضا بمعنى جر — شأى . سبق

(٢) فلول السيف كسور فى حده

(٦) لو شئتَ لم تُفسد سماحة حاتمٍ كَرَماً ولم تهدم مآثر خالدِ

(٧) بَرِّدْ حشايَ (١) إنِ استطعتَ بِلَفْظَةٍ

فلقد تضرُّ إذا تشاءُ وَتَنْفعُ

(٨) نجومُ (٢) سماءٍ كلّما غارَ كَوكَبٌ

بَدَا كوْكبٌ تَأوِى إليه الكواكب

وقد علِمَ القبائلُ من معدٍّ إذا قببٌ بأبطحها بنينا

بأنّا المطعمونَ إذا قدرنا وأنّا المهلِكُونَ إذا ابتُلينا

وأنّا المانعونَ لما أردنا وأنّا النّازلون بحيثُ شِينا

وأنّا التّاركون إذا سَخطنا وأنّا الآخذُون إذا رضِينا

أنا النبيُّ لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب ، أنا سيدُ ولد آدم يوم القيامة ولا فخر — خلّاق لما يشاء — الحمد لله الحميدُ — لا تخاطب السّفيه اللئيمُ ، وأحسن إلى الفقير المسكينُ .

حَيُّوا العُروبةَ فى عُليَا مراتبها وخيرِ فرسانها شِيباً وشُبّانا

نمرة	المحذوف	السبب
٦	المفعول	البيان بعد الابهام
٧	«	عدم تعلق الغرض به تنزيل المتعدى منزلة اللازم
٨	المسند إليه	ادعاء تعيينه فى مقام المدح

(١) الحشا ، ما انطوت عليه الضلوع

(٢) أى هؤلاء نجوم

المبحث الثالث

فى تعريف المسند اليه

حقُّ المسند اليه : أن يكون معرفة ، لأنَّه المحكوم عليه الذى ينبغى أن يكون معلوماً . ليكونَ الحكم مُفيداً .

وتعريفه[1] إمّا : بالإضمار ، وإمّا بالعلَمِيَّة ، وإمَّا بالإشارة ، وإمّا بالموصولية ، وإمَّا بأل ، وإمَّا بالإضافة ، وإمّا بالنداء .

المبحث الرابع

فى تعريف المسند اليه بالإضمار

يُؤْتَى بالمسند اليه ضميرا — لأغراض :

(١) لكون الحديث فى مقام «التكلُّم» كقوله عليه الصلاة والسلام

---

(١) اعلم أن كلا من المعرفة والنكرة يدل على معين ،وإلا امتنع الفهم — إلا أن الفرق بينهما أن (النكرة) يفهم منها ذات المعين فقط ، ولا يفهم منها كونه معلوما للسامع وأن (المعرفة) يفهم منها ذات المعين ، ويفهم منها كونه معلوما للسامع لدلالة اللفظ على التعيين ، والتعيين فيها — إما بنفس اللفظ من غير احتياج إلى قرينة خارجية كما فى العلم واما بقرينة تكلم أو خطاب أو غيبة كما فى الضمائر ، وأما بقرينة إشارة حسية كما فى الاشارة — وإما بنسبة معهودة كما فى الأسماء الموصولة ، واما بحرف وهو المعرف بال . والنداء . واما باضافة معنوية وهو المضاف إلى واحد مما ذكر . ما عدا المنادى

واعلم أنه قدم ذكر (الاضمار) لأنه أعرف المعارف — وأصل الخطاب أن يكون لمعين ، وقد يستعمل أحيانا دون أن يقصد به مخاطب معين كقول المتنبى

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته   وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

أخرج الكلام هنا فى صورة الخطاب ليفيد العموم

(أنا النبيّ لا كذب ، أنا ابنُ عبدالمطَّلب)

(٢) أو لكون الحديث فى مقام « الخطاب » كقول الشاعر :

وأنتَ الذى أخلفتَنى ما وعدتنى　　وأشمتَّ بِى مَن كان فيك يَلومُ

(٣) أو لكون الحديث فى مقام « الغَيبة » لكون المسند اليه مذكورا — أو فى حكم المذكور لقرينة — نحو : هو اللهُ تبارك وتعالى ولا بدَّ من تقدّم ذكره .

« ا » إمَّا لفظاً — كقوله تعالى « واصْبِرْ حتى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنا وَهوَ خيرُ الْحاكِمين » .

« ب » وإمَّا معنى — نحو « وإنْ قِيل لَكمُ ارْجِعوا فارجِعُوا هو أزكى لكُم » « أى » « الرجوع »

ونحو « اعدلوا هو أقربُ للتقوى » — أى العدل :

« جـ » أو دلتْ عليه قرينة حال — كقوله تعالى « فَلَهُنَّ ثُلثُا مَا تَرَكَ » « أى الميت » .

تذنيبهات

الأوّل : — الأصل فى الخطاب أن يكون لمشَاهد مُعيّن .

نحو أنت استرقَقْتَنى بإحسانك

وقد يُخاطب :

« ا » غيرُ المشاهَد إذا كان مُستحضراً فى القلب نحو « لا إلٰه إلاّ أنْتَ » — ونحو :

جودى بقرْبك أبلُغْ كلَّ أُمنيتى　　أنت الحياة وأنتِ الكون أجمعهُ

« ب » وغير المعيّن : إذا قُصِدَ تَعميمُ الخطاب لكلِّ من يُمكن

خطابه على سبيل البدَل ـ لا التناوُل دَفعة واحدة — كقول المتنبِّي :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته   وإن أنت أكرمت اللئيم تمرّدا

الثانى : الأصلُ فى وضع الضمير عدمُ ذكره إلا بعد تقدُّم ما يفسِّره

وقد يُعدلُ عن هذا الأصل : فيقدّمُ الضمير على مرجعه لأغراضٍ كثيرة

« ا » منها تمكين ما بعد الضمير فى نفس السامع لتشوُّقه اليه

كقوله : * هىَ النفس ما حمَّلتَها تتحمَّلُ *

فأنها لا تعمى الأبصار ـ ونِعمَ رجلا علىٌّ ـ فالفاعل ضمير يفسِّره التمييز ، ويطَّرد ذلك فى بابى نِعم وبئس ، وفى باب ضمير الشأن ـ نحو قوله تعالى : « هُو اللهُ أحدٌ » .

« ب » ومنها ادّعاء أن مرجع الضمير دائم الحضور فى الذّهن ، نحو : أقبل وعليه الهيبة والوقار . . ونحو قول الشاعر :

أبت الوِصالَ مَخافةَ الرقباء   وأتتكَ تحت مدارع الظلماء

ويُسمَّى هذا العدولُ بالإضمار فى مقام الإظهار

الثالث : يوضع الظاهر (سواء أكان علما ، أو صفة ، أو اسم اشارة) موضع الضمير ، لأغراض كثيرة :

(١) منها إلقاء المَهابة فى نفس السامع ـ كقول الخليفة : أمير المؤمنين يأمر بكذا

(٢) وتمكين المعنى فى نفس المخاطب ـ نحو : اللهُ ربى ولا أُشرِكُ بربى أحداً

(٣) ومنها التلذذ كقول الشاعر :

سقَى الله نجداً والسَّلام على نجد   ويا حبَّذا نجدٌ على القُرب والبعد

(٤) ومنها الاستعطاف ـ نحو : اللَّهم عبدك يَسألك المغفرة (أى أنا أسألك) ويسمَّى هذا العدول بالإِظهار فى مقام الإِضمار

المبحث الخامس

فى تعريف المسند اليه بالعلميَّة

يُؤتى بالمسند اليه علماً : لاحضار معناه فى ذهن السَّامع ، ابتداء باسمه الخاص لِيمتاز عمّا عداه — كقوله تعالى « وإذْ يَرْفَعُ ابْرَاهِيمُ الْقوَاعِدَ مِنَ الْبَيت واسماعِيلُ » .

وقد يقصد به مع هذا أغراضٌ أخرى تُناسب المقام :

(١) كالمدح فى الألقاب التى تَشعِر بذلك — نحو : جاء نصر — وحضر صلاح الدين .

(٢) والذَّم والإِهانة — نحو : جاء صَخر — وذهب تأَبَّط شرّاً

(٣) والتفَّاؤل — نحو جاء سُرور

(٤) والتَّشاؤم — نحو : حربٌ فى البلد

(٥) والتبرُّك — نحو : اللهُ أكرمنِى . فى جواب : هل أكرمك الله ؟

(٦) والتَّلذُّذ — كقول الشاعر :

بالله يا ظَبيَاتِ القَاعِ قُلْنَ لنا   لَيلاىَ منكُنَّ أم لَيلَى من البَشَرِ

(٧) والكناية عن معنى يَصْلح العلمُ لذلك المعنى : بحسب معناه الأصلى قبل العلميَّة — نحو : أبولهب فعل كذا . . كِناية عن كونه جَهَنَّمياً لأن اللَّهَب الحقيقى هو لَهبُ جهنم — فيصحّ أن يُلاحظ فيه ذلك

المبحث السادس

فى تعريف المسند اليـه بالإشارة

يُؤتى بالمسند اليه اسمُ إشارة : إذا تعينَّ طريقاً لأحضار المشار اليه فى ذهن السَّامع ، بأن يكون حاضراً محسوساً ، ولا يَعرفُ المتكلم والسَّامع اسمه الخاص ، ولا مُعيِّناً آخر ، كقولك أتبيع لى هذا — مُشيراً إلى شىء لا تعرف له اسما — ولا وصفاً .

أمّا إذا لم يَتعيّن طريقاً لذلك ، فيكون لأغراض أُخرى

« ا » بيان حاله فى القُرْب — نحو : هذه بضاعتنا

«ب» بيان حاله فى التَّوسط — نحو : ذاك ولدى

« ج » بيان حاله فى البُعد — نحو : ذلك يوم الوعيد

(١) تعظيم درجته بالقُرب ، نحو : (إنَّ هَذَا الْقرآنَ يَهدى لِلتى هِيَ أقوم) .

أو تعظيم درجته بالبُعد ، كقوله تعالى (ذَلكَ الْـكِتابُ لا رَيْبَ فيِه)

(٢) أو التَّحقير بالقُرب — نحو : (هَلْ هَذَا إلاَّ بشرٌ مِثلُـكمْ) ؟

أو التَّحقير بالبُعد — كقوله تعالى « فَذَلِكَ الذِى يَدُعُّ اليَتيم »

(٣) وإظهار الاستغراب — كقول الشاعر :

كم عاقلٍ عاقلٍ أعْيَتْ مَذَاهِبُهُ   وجاهلٍ جاهلٍ تلقاهُ مَرْزُوقا

هذا الذى تركَ الأوهام حائرةً   وصيَّر العالمَ النِّحرير زنديقا

(٤) وكمال العناية وتمييزه أكمل تمييز — كقول الفرزدق :

هذا الذى تَعرفُ البطحاءُ وَطأته   والبيتُ يعرفهُ والحِلّ والحرَم

ونحو قوله : هذا أبو الصقَّر فرداً فى مَحَاسِنه

(٥) والتعَّريض بغباوة المخاطب، حتى كأنه لا يفهم غير المحسوس، نحو:

أُولئك آبائى فجئْنى بمثلهم   إذَا جمعَتنا يا جَرِيرُ المجامع

(٦) والتَّنبيه على أَن المشار اليه المُعَقبَ بأوصاف ، جديرٌ لأجل تلك الأوصاف بما يُذكر بعد اسم الإشارة — كقوله تعالى « أُولئكَ عَلَى هُدًى مِنْ ربِّهِم وأُولئك هُمُ المُفْلِحُونَ »[1]

وكثيراً: مايُشَار إلى القريب غير المُشاهَد باشارة البعيد، تنزيلاً للبُعد عن العيان، منزلة البعد عن المكان نحو: (ذَلِكَ تأْوِيلُ ما لم تَستَطِع عَلَيْهِ صَبْراً)

المبحث السابع

فى تعريف المسند اليه بالموصُولِيّة

يُؤْتى بالمسند اليه اسمُ موصول : إذا تعَيَّنَ طريقاً لاحضار معناه كقولك — ألذى كان معنا أمس سافر ، إذا لم تكن تَعرف اسمه

أمَّا إذا لم يَتعيَّنَ طريقاً لذلك : فيكون لأغراض أخرى

(١) منها التَّشويق — وذلك فيما إذا كان مضمون الصّلة حُكماً غريباً — كقوله

والذى حارَت البريَّة فيه   حيَوانٌ مُستحدَثٌ من جَماد[2]

---

(١) أى فالمشار اليه بأولئك . هم المتقون . وقد ذكر عقبه أوصاف هى الايمان بالغيب، وإقامة الصلاة وما بعدها — ثم أتى بالمسند اليه اسم إشارة وهو أولئك تنبيها على أن المشار إليهم جديرون وأحقاء من أجل تلك الخصال ، بأن يفوزوا بالهداية عاجلا ، والفوز بالفلاح آجلا .

(٢) يعنى تحيرت البرية فى المعاد الجسمانى

(٢) ومنها إخفاء الأمر عَنْ غير المخاطب — كقول الشاعر

وأخذتُ ماجاد الأميرُ به وقضيتُ حاجاتى كما أهوَى

(٣) ومنها التَّنبيه على خطأ المخاطَب ، نحو : (إنَّ الذين تَدعونَ مِنْ دون الله عبادٌ أمثالكم) — وكقول الشاعر

إنَّ الَّذين تُرَونهم إخوانَكم يَشفى غليلَ صُدورهم أن تُصرَعوا[٢]

(٤) ومنها التَّنبيه على خطأ غير المُخاطَب — كقوله :

إنَّ التى زَعمتْ فؤادك ملّها خلقتْ هواكَ كما خلقتَ هوَى لهَا

(٥) ومنها تعظيم شأن المحكوم به — كقول الشاعر :

إنَّ الذى سمكَ السَّماء بَنى لنا بيتاً دَعائمهُ أعزُّ وأطوَلُ[١]

(٦) ومنها التَّهويل : تعظيماً ـ أو تحقيراً ـ نحو : فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَم ماغَشِيَهُمْ)[٢]

ونحو : ـ مَنْ لم يَدْرِ حقيقة الحال قال ماقال

(٧) ومنها استهجان التّصريح بالاسم — نحو الذى ربّانى أبى[٣]

(٨) ومنها الإشارة إلى الوجه الذى يُبنى عليه الخبر من ثواب أو عقاب كقوله تعالى (الذين آمنوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات لَهُمْ مَغفرَةٌ وَرِزقٌ كَرِيم)

---

(١) أى من تظنون اخوتهم يحبون دماركم فأنتم مخطئون فى هذا الظن — ولا يفهم هذا المعنى (لو قيل إن قوم كذا يشفى الخ)

(١) أى أن من سمك السماء بنى لنا بيتا من العز والشرف ، هو أعز وأقوى من دعائم كل بيت

(٢) أى غطاهم وسترهم من البحر موج عظيم ، لاتحيط العبارة بوصفه

(٣) أى بأن كان اسمه قبيحاً كمن اسمه (برغوث . أو جحش . أو بطة . أو غيره)

(٩) ومنها التَّوْبيخ — نحو : الذى أحسن اليك قد أسأْتَ اليه

(١٠) ومنها الاستغراق — نحو : الذين يأتونك أ كْرِمْهم

(١١) ومنها الإبهام — نحو : لكلّ نفس مَاقدَّمتْ

واعلم أنَّ التَّعريفَ بالموصوليَّة مبحث دقيق المسلك ، غريب النَّزعة يُوقفكَ على دَقائق مِن البلاغة . تؤنسكَ إذا أنتَ نظرتَ اليها بثاقبِ فكرك ، وتُثلجُ صدرك إذا تأمَّلتَها بصادق رأيك ، فأسرارُ ولطائف التّعريف بالموصولية لا يمكن ضبطها ، واعتبر فى كل مقام ماتراه مناسباً

المبحث الثامن

فى تعريف المسند اليه بأل

يُؤْتى بالمُسند اليه مُعرّفاً (بأل الْعَهْدِيَّة) أو (أل الجنسية) لأغراض آتية

أل العهدية

أل العهدية — تدخل على المُسند اليه للإشارة إلى فرد مَعْهُود خارجاً بين المُتخاطبين — وعهده يكون :

« ا » إمّا بتَقدُّم ذكره « صريحًا » كقوله تعالى « كما أرسلْنا إلى فِرْعَوْن رَسُولاً فَعصى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ » — ويُسمَّى عهدا صَريحيًّا

« ب » وإمَّا بتقدُّم ذكره « تَلويحًا » — كقوله تعالى « وَلَيْسَ الذّكر كالأُنْثَى » (فالذّكر) وإن لم يكن مسبُوقاً صريحاً . إلا أنه

إشارة إلى « ما » فى الآية قبـــله (رَبِّ إنى نَذَرْتُ لَكَ « ما » فِي بَطْنِي مُحَرَّراً) (١)

فانهم كانوا لا يُحَررونَ لخِدمة بيت المقدس إلا الذكور ، وهو المعنىّ « بما » ويُسمَّى « عهدا كنائياً »

« ج » وإما بحضُوره بذاته نحو : (أليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمُ دِينكُم) أو بمعرفة السّامع له — نحو: هل انعقد المجلس - ويُسَمى (عهداً حُضوريا)

أل الجنسية

أل الجنسيَّة : وتُسَمَّى (لامَ الحقيقة) تدخل على المسند اليه لأغراض أربعة

(١) للاشارة الى الحقيقة: من حيث هى — بقطع النَّظر عن عمومها وخصوصها، نحو: الإنسان حيوانٌ ناطق

وتُسَمَّى (لامَ الجنس) لأن الإشارة فيه إلى نفس الجنس ، بقطع النظر عن الأفراد - نحو : الذهب أثمن من الفضَّة .

(٢) أو للإشارة الى الحقيقة فى ضمن فرد مُبهم ، اذا قامت القرينة على ذلك . كقوله تعالى « وأخَافُ أنْ يَأْكُلَهُ الذِّئبُ »

ومدخولها فى المعنى (كالنكرة) فيُعَامل مُعاملتها

وتُسَمّى « لامَ العهد الذّهنى » .

---

(١) التحرير هو العتق لخدمة بيت المقدس . أى — وليس الذكر الذى طلبت كالأنثى التى وهبت لها ، فطلبها الذكر كان بطريق الكناية فى قولها (رب إنى نذرت لك ما فى بطنى محرراً) فان ذلك كان مقصوراً عندهم على الذكور ، فأل فى (الذكر) عائدة إلى مذكر بطريق الكناية ، وأل فى (الأنثى) عائدة إلى مذكور صريحا فى قولها (رب إنى وضعتها أنثى) — فالعهد الخارجى ثلاثة أنواع — صريحى ، وكنائى ، وعلمى

(٣) أو للإشارة إلى كلّ الأفراد التى يتناولها اللفظ بحسب اللغة

« ا » بمعونة قرينة « حالية » نحو: « عَالِمُ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ »

أى كل غائب وشاهد

« ب » أو بمعونة قرينة «لفظية» نحو: « إنَّ الانْسَانَ لَفِي خُسْرٍ »

أى كلّ انسان — بدليل الاستثناء بعده

ويُسمَّى « استغراقاً حقيقياً » .

(٤) أو للاشارة إلى كلّ الأفراد مقيَّداً — نحو: جمع الأميرُ التُّجار وألقى عليهم نصائحه — أى جمع الأمير « تجَّار مملكته » لا تجَّار العالَم أجمعَ

ويسمَّى « استغراقاً عرفياً »

تنبيهات

التنبيه الأول — علم مما تقدم أن أل التعريفية قسمان

القسم الأول — لام العهد الخارجى ، وتحته أنواع ثلاثة : صريحى — وكنائى وحضورى .

والقسم الثانى — لام الجنس : وتحته أنواع أربعة : لام الحقيقة من حيث هى — ولام الحقيقة فى ضمن فردمبهم — ولام الاستغراق الحقيقى — ولام الاستغراق العرفى

التنبيه الثانى — (استغراق المفرد أشمل) من استغراق المثنى ، والجمع ، واسم الجمع لأن المفرد : يتناول كل واحد واحد من الأفراد . والمثنى إنما يتناول كل اثنين اثنين . والجمع إنما يتناول كل جماعة جماعة — بدليل صحة (لا رجال فى الدار) إذا كان فيها رجل أو رجلان — بخلاف قولك (لا رجل) : فانه لا يصح إذا كان فيها رجل أو رجلان

وهذه القضية ليست بصحيحة على عمومها ، وانما تصح فى النكرة المنفية ، دون الجمع المعروف باللام — لأن المعروف بلام الاستغراق يتناول كل واحد من الأفراد نحو « الرجال قوامون على النساء » بل هو فى المفرد أقوى ، كما دل عليه الاستقراء وصرح به (أئمة اللغة وعلماء التفسير) فى كل ما وقع فى القرآن العزيز — نحو (أعلم غيب السموات والأرض) — (والله يحب المحسنين) — (وعلم آدم الأسماء كلها) — إلى غير ذلك من آى الذكر الحكيم — كما فى المطولات

المبحث التاسع

فى تعريف المسند اليه بالإضافة

يُؤْتَى بالمسند اليه مُعرَّفاً بالاضافة إلى شيء من المعارف السَّابقة لأغراض كثيرة .

(١) منها أنها أخصر طريق الى إحضاره فى ذهن السَّامع — نحو: جاء غلامى — فأنه أخصر من قولك : جاء الغلام الذى لى

(٢) ومنها تعذُّر التَّعدُّد : أو تعسُّره — نحو : أجمع أهل الحقِّ على كذا — وأهلُ مصرَ كرامٌ

(٣) ومنها الخروجُ مِن تَبِعة تقديم البعض على البعض — نحو : حضر أمراء الجند

(٤) ومنها التعظيم للمضاف نحو : كتاب السُّلطان حضر

أو التعظيم للمضاف اليه — نحو : الأمير تلميذى — أو غيرهما : نحو : أخو الوزير عندى

(٥) ومنها التَّحقير للمضاف — نحو : وَلدُ اللّصّ قادم

أو التحقير للمضاف اليه — نحو : رفيق زيد لصٌّ — أو غيرهما : نحو : أخو اللصّ عند عمرو

(٦) ومنها الاختصار لضيق المقام : لفرط الضَّجر والسآمة — كقول جعفر بن عُلْبة « وهو فى السِّجن بمكة »

التنبيه الثالث — قد يعرف الخبر بلام الجنس لتخصيص المسند اليه بالمسند المعرف وعكسه « حقيقة » نحو : هو الغفور الودود . ونحو - وتزودوا فان خير الزاد التقوى أو « ادعاء » للتنبيه على كمال ذلك الجنس فى المسند اليه نحو : محمد العالم - أى الكامل فى العلم - أو كماله فى المسند - نحو الكرم التقوى (أى لا كرم إلا هى)

هواىَ مع الرّكب اليمانين مُصعِدٌ   جَنيبٌ وجُثمانى بمكّة مُوثَقُ(١)

واعلم أنَّ هيئة التركيب الاضافى : موضوعة للاختصاص المصحّح لأن يقال «المضاف للمضاف اليه . فاذا استعملت فى غير ذلك كانت مجازاً كما فى الاضافة لأدنى ملابسة — نحو : (مكرُ الليل) — وكقوله :

إذا كوكبُ الخرقاء لاحَ بسَحرةٍ   «سُهيلٌ» أذاعت غزلَها فى القرائبِ(٢)

المبحث العاشر

فى تعريف المُسند اليه بالنّداء(٣)

يُؤْتى بالمسند إليه معرفاً بالنداء : لأغراض كثيرة

(١) منها إذا لم يُعرف للمُخاطب عنوان خاصٌّ ـ نحو ـ يارجلُ

(٢) ومنها الإشارة إلى عِلَّة ما يُطلب منه ـ نحو : ياتلميذ اُكتب الدَّرس

---

(١) أى — من أهواه وأحبه ذاهب مع ركبان الابل ، القاصدين إلى اليمن ، منضم إليهم ، مقود معهم ، وجسمى مقيد بمكة ، محبوس وممنوع عن السير معهم ـ فلفظ هواى أخصر من الذى أهواه — ونحوه

(٢) أضاف الكوكب إلى (الخرقاء) أى المرأة الحمقاء مع أنه ليس لها ، لانها لا تتذكر كسوتها إلا وقت طلوع (سهيل) سحراً فى الشتاء ـ وتفصيل ذلك أنه يقال إن المرأة الحمقاء كانت تضيع وقتها فى الصيف ، فاذا طلع سهيل وهو كوكب قريب من القطب الجنوبى فى السحر ، وذلك قرب الشتاء ، أحست بالبرد ، واحتاجت إلى الكسوة ، ففرقت غزلها أى قطنها أو كتانها الذى يصير غزلا فى أقاربها ، ليغزلوا لها بسبب عجزها عن الغزل ما يكفيها لضيق الوقت ، فاضافة كوكب الخرقاء لأدنى ملابسة ـ وقد جعل الشاعر هذه الملابسة بمنزلة الاختصاص

(٣) اعلم أن أغلب البيانين لم يثبت (التعريف بالنداء) فى تعريف المسند اليه . وتحقيق ذلك يطلب من المطولات فى علوم البلاغة

المبحث الحادى عشر

فى تنكير المسند إليه

يُؤتى بالمسند إليه نكرة: لعدم عِلْم المُتكلم بجهةٍ من جهات التّعريف حقيقةً ـ أو ادّعاءً، كقولك ـ جاء هنا رجل يسأل عنك . إذا لم تَعرف مايُعيِّنه من عَلَم أو صلة أو نحوهما ، وقد يكون لأغراض أخرى

(١) كالتّكثير[1] نحو : وإنْ يُكَذّبُوكَ فقَدْ كُذّبَتْ رُسُلٌ مِن قَبلِكَ (اى رُسُلٌ كثيرة)

(٢) والتّقليل ـ نحو : لو كان لنا من الأمر شىء ، ونحو : ورضوان من الله أكبر

(٣) والتّعظيم والتّحْقير ـ كقول ابن أبى السَّمط

لهُ حاجبٌ عنْ كل أمْرٍ يشينهُ ... وليس لهُ عَنْ طالب العُرْف حاجب

أى له مانع عظيم . وكثيرٌ عن كلّ عيب ـ وليس له مانع قليل ـ أو حقير عن طالب الإحسان[2] فيحتمل التّعظيم والتّكثير والتّقليل والتّحقير

(٤) وإخفاء الأمر — نحو : قال رجل إنك انحرفت عن الصّواب تخفى اسمه ، حتّى لا يلحقه أذًى

---

(١) اعلم أن الفرق بين التعظيم والتكثير : أن التعظيم بحسب رفعة الشأن وعلو الطبقة — وأن التكثير باعتبار الكميات والمقادير — تحقيقا كما فى قولك إن له لإبلا ، وإن له لغنما — أو تقديراً نحو : ورضوان من الله أكبر — أى قليل من الرضوان أكبر من كل شىء — ويلاحظ ذلك الفرق فى التحقير والتقليل أيضا

(٢) ومنه قوله :

ولله عندى جانب لا أضيعه ... وللهو عندى والخلاعة جانب

ويحتمل التكثير والتقليل قوله تعالى (إنى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن)

(٥) وقصد الإفراد ـ نحو : وَيلٌ أهْوَنُ من ويْلين

« أى ويل واحد أهون من ويلين »

(٦) وقصد النَّوعية ـ نحو : لكلّ داءٍ دَواء

(أى لكلّ نوع من الدَّاء نوع من الدَّواء)

المبحث الثانى عشر

فى تقديم المسند اليه(١)

مَرتبة المُسند اليه : « التَّقديمُ » وذلك لأنّ مدلولَه هو الذى يخطُر أولاً فى الذهن ، لأنه المحكوم عليه ، والمحكوم عليه سابق للحكم طبعاً

(١) معلوم : أن الالفاظ قوالب المعانى . فيجب أن يكون ترتيبها الوضعى حسب ترتيبها الطبيعى . ومن البين أن (رتبة المسند اليه التقديم) لانه المحكوم عليه، ورتبة المسند التأخير، إذ هو المحكوم به ـ وما عداهما فهو متعلقات وتوابع تأتى تالية لهما فى الرتبة ولكن قد يعرض لبعض الكلم من المزايا والاعتبارات مايدعو إلى تقديمها، وإن كان من حقها التأخير فيكون من الحسن اذاً تغيير هذا الأصل واتباع هذا النظام ليكون المقدم مشيراً إلى الغرض الذى يؤدى اليه، ومترجما عما يريد

ولا يخلو (التقديم) من أحوال أربع

الأول ـ ما يفيد زيادة فى المعنى مع تحسين فى اللفظ وذلك هو الغاية القصوى ، واليه المرجع فى فنون البلاغة ـ والكتاب الكريم هو العمدة فى هذا . انظر إلى قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) تجد أن لتقديم الجار فى هذا قد أفاد التخصيص وأن النظر لا يكون إلا لله ، مع جودة الصياغة وتناسق السجع

الثانى ـ ما يفيد زيادة فى المعنى فقط نحو (بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) فتقديم المفعول فى هذا لتخصيصه بالعبادة ، وأنه ينبغى ألا تكون لغيره ، ولو أخر ما أفاد الكلام ذلك

الثالث ـ ما يتكافأ فيه التقديم والتأخير، وليس لهذا الضرب شىء من الملاحة كقوله =

فاستحقَّ التَّقديم وضعاً ، ولتقديمه دواعٍ شتَّى

(١) منها تعجيل المسَرَّة — نحو : ألعفوُ عنك صدر به الأمر

(٢) ومنها تعجيلُ المساءة — نحو : القِصَاصُ حكم به القاضى

(٣) ومنها التَّشْويق الى المتأخّر — اذا كان المُتقدِّمُ مُشْعِراً بغرابة

كقول أبي العَلاء المعرِّى

والذى حارت البَرِيَّة فيـه حَيوانٌ مُسْتَحْدثٌ من جَماد (١)

(٤) ومنها التَّلذُّذ — نحو : لَيلى وصلَت — وسَلْمى هجرت

(٥) ومنها التَّبرك — نحو : اسمُ الله اهتديتُ به

(٦) ومنها النَّص على عُموم السلَّب — أو النَّصّ على سَلْب العُموم

= وكانت يدى ملأى به ثم أصبحت « بحمد إلهى » وهي منه سليب

فتقديره : ثم أصبحت وهى منه سليب بحمد إلهى

الرابع - ما يختل به المعنى ويضطرب ، وذلك هو التعقيد اللفظى - أو المعاظلة التى تقدمت، كتقديم الصفة على الموصوف ، والصلة على الموصول ، أو نحو ذلك من الانواع التى خرجت عن الفصاحة — ومنها قول الفرزدق

إلى ملك ما أمه من محارب أبوه ولا كانت كليب تصاهره

فتقديره : إلى ملك أبوه ما أمه من محارب ، أى ما أم أبيه منهم ، ولا شك أن هذا لا يفهم من كلامه للنظرة الأولى، بل يحتاج إلى تأمل وتريث ورفق ، حتى يفهم المراد منه .

(١) قيل (الحيوان) هو الانسان — و (الجماد) الذى خلق منه هو النطفة وحيرة البرية فيه هو الاختلاف فى إعادته للحشر — وهو يريد أن الخلائق تحيرت فى المعاد الجسمانى ، يدل لذلك قوله قبله

بان أمر الآله واختلف النا س فداع إلى ضلال وهادى

« فعمومُ السّلب » : يكون بتقديم أداة العموم (١) كـكلّ – وجميعِ على أداة النفى – نحو : كل ظالم لا يُفلح ـ المعنى : لا يفلح أحد من الظَّلَمة

ونحو : كل ذلك لم يكن : أى لم يقع هذا – ولا – ذاك

ونحو : كل تلميذ لم يُقصِّر فى واجبه – « ويسمَّى شمول النفى » –

واعلم : أن (عُموم السّلب) يكون النَّفى فيه لـكلِّ فرد

وتوضيح ذلك : أنك إذا بدأت بلفظة « كلّ » كنتَ قد سلَّطت الـكلية على النَّفى ، وأعملتهاَ فيه ـ وذلك يقتضى ألاَّ يشذَّ عنه شىء

و (سلب العموم) يكون بتقديم أداة النفى على أداة العموم

نحو : لم يكن كلّ ذلك ، أى لم يقع المجموع ، فيحتمل ثبوت البعض ويحتمل نفى كل فرد ، لأنَّ النَّفى يُوَجَّه الى الشمول خاصة ، دون أصل الفعل ويُسَمَّى « نفى الشّمول »

واعلم : أن (سلب العُموم) يكون النَّفى فيه للمجموع غالباً كقول المتُنّبى

* ما كلُّ رأيِ الفتى يدعُو إلى رَشَدِ

وقد جاء لعموم النفى قليلا : قوله تعالى (إنَّ اللّهَ لا يُحِبُّ كلَّ مُخْتال فَخُور) – ودليل ذلك : الذَّوق والاستعمال

(٧) ومنها إفادة التَّخصيص ـ قطعاً (٢) اذا كان المسند اليه مسبوقاً

---

(١) بشرط أن تـكون أداة العموم غير معمولة للفعل الواقع بعدها كما مثل – فان كانت معمولة للفعل بعدها : سواء تقدمت لفظا أو تأخرت ، نحو : كل ذنب لم أصنع – ولم آخذ كل الدراهم ، أفاد الـكلام سلب العموم ونفى الشمول غالبا

(٢) وذلك يكون فى ثلاثة مواضع =

بنفى ، والمسند فعلا — نحو : ما أنا قُلت هذا ولا غيرى - أى : لم أقله : وهو مقول لغيرى

ولذا : لا يصحّ أن يقال : ما أنا قلت هذا ولا غيرى ، لأن مفهوم (ما أنا قلت) أنّه مقول للغير ، ومنطوق (ولا غيرى) كونه غير مقول للغير (فيحصل التناقض سلباً وإيجاباً)

وإذا لم يَسبق المسند اليه نفىٌ — كان تقديمه محتملا[1] لتخصيص الحكم به أو تقويته ، اذا كان المسند فعلا[2] نحو : أنتَ لا تبخل

ونحو : هو يهب الألوف ، فإنّ فيه الإسناد مرتين . إسناد الفعل إلى ضمير المخاطب : فى المثال الأول . وإسناد الجملة إلى ضمير الغائب : فى المثال الثانى

= الأول — أن يكون المسند اليه معرفة ظاهرة بعد نفى ، نحو : ما فؤاد فعل هذا
الثانى — أن يكون المسند اليه معرفة مضمرة بعد نفى ، نحو : ما أنا قلت ذلك
الثالث — أن يكون المسند إليه نكرة بعد نفى ، نحو : ما تلميذ حفظ الدرس

(١) وذلك فى ستة مواضيع
الأول — أن يكون المسند اليه معرفة ظاهرة قبل نفى ، نحو فؤاد ما قال هذا
الثانى — أن يكون المسند اليه معرفة ظاهرة مثبتة ، نحو عباس أمر بهذا
الثالث — أن يكون المسند اليه معرفة مضمرة قبل نفى ، نحو أنا ما كتبت الدرس
الرابع — أن يكون المسند اليه معرفة مضمرة مثبتة ، نحو أنا حفظت درسى
الخامس — أن يكون المسند اليه نكرة قبل نفى ، نحو رجل ما قال هذا
السادس — أن يكون المسند اليه نكرة مثبتة ، نحو تلميذ حضر اليوم فى المدرسة
واعلم أن ما ذكرناه هو مذهب عبد القاهر الجرجانى وهو الحق ، وخالفه السكاكى

(٢) فان قيل : لماذا اشترط أن يكون المسند فعلا ، وهل إذا كان المسند وصفا مشتملا على ضمير ، نحو : أنت بخيل — لم يكن كالفعل فى إفادة التقوية
أقول : لما كان ضمير الوصف لا يتغير : تكلما ، وخطابا ، وغيبة . فهو شبيه بالجوامد وكانت تقويته قريبة من الفعل ، لا مثلها تماماً

(٨) ومنها كون المُتقدّم محطّ الانكار والغرابة ـ كقوله

أَبَعْدَ المشيب المُنْقضى فى الذَّوائب ‌‌ تُحاوِل وصل الغانيات الكَوَاعِبِ

(٩) ومنها سُلوك سبيل الرُّقى ـ نحو: هذا الكلام صحيح ، فصيح ، بليغ — فاذا قلت «فصيح» بليغ . لا يحتاج إلى ذكر صحيح . وإذا قلت «بليغ» لا يحتاج الى ذكر فصيح

(١٠) ومنها مُراعاة التّرتيب الوُجودى ـ نحو (لا تأْخُذُهُ سِنَةٌ ولا نَوْمٌ)

تمرين

ما نوع المقدّم . وما فائدة التّقديم فى الأمثلة الآتية :

(١) قال الله تعالى : « لِلّٰهِ الأمرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ »

(٢) وقال تعالى : « مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً »

(٣) وقال أبو فِراس :

إلى اللهِ أشكُو أنَّنا بِمنازِلٍ ‌‌ تحكّمُ فى آسَادِهِنَّ كِلاب

(٤) وقال ابن نباته يخاطب الحسن بن محمد المهلّبي :

وَلِى هِمّةٌ لاَ تَطْلُبُ المَالَ لِلْغِنَى ‌‌ وَلـكِنّها مِنْكَ المودّةَ تطْلُبُ

(٥) وقال أبو نواس :

إنى انْتَجَعْتُ العبَّاسَ مُمْتَدِحاً ‌‌ وَسِيلَتِى جُودُهُ وأشْعَارِى

عَنْ خِبْرَةٍ جِئْتُ لا مُخَاطَرَة ‌‌ وبِالدَّلالاَتِ يَهْتَدِى السَّارِى

(٦) وقال الأبيوردى :

وَمِنْ نَكَدِ الأيَّام أنْ يَبلغَ المُنَى ‌‌ أخُو اللُّؤْم فِيهَا والكَرِيم يَخِيبُ

(٧) وقال أبو الطيب المتنبى يهجو كافوراً :

مِنْ أَيَّةِ الطّرْقِ يأتى مِثْلَكَ الكَرَمُ   أينَ المَحَاجِمُ يا كَافُورُ وَالْجَلَمُ

(٨) وقال المعرى :

أَعِنْدِى وقَدْ مارَسْتُ كلَّ خفيَّة   يُصدَّقُ واش أو يُخَيَّبُ سائلُ

(٩) وقال أيضاً :

إلى اللهِ أشكو أننى كلَّ لَيلةٍ   إذا نمْتُ لمْ أَعْدَمْ خَوَاطِرَ أوهَامِ

فإنْ كانَ شرًّا فهو لا شكَّ وَاقِعٌ   وإنْ كانَ خيْراً فهوَ أضْغاثُ أحلامَ

(١٠) وقال أيضاً :

وكالنَّارِ الحياةُ فمِنْ رَمَاد   أواخِرُها وأوَّلها دُخان

(١١) وقال بعض الشعراء فى الحث على المعروف :

يدُ الْمعْرُوف غُنْمٌ حَيثُ كانتْ   تحَمَّلَهَا شَكورٌ أو كَفُور

ففى شكرِ الشَّكور لهَا جزَاءٌ   وَعِندَ اللهِ مَا جحَدَ الكفُور

(١٢) وقال الآخر :

أنَلْهُو وأيَّامُنا تذْهَبُ   ونلْعبُ والدَّهرُ لا يَلعَبُ

(١٣) وقال محمد بن وهيب يمدح الخليفة المعتصم (وكنيته أبو إسحق):

ثلاثَةٌ تُشرِقُ الدُّنيَا بِبهْجَتِهَا   شَمْسُ الضُّحَى وأبو إسحق والقمَرُ

(١٤) وقال آخر :

ثلاثةٌ يُجْهَلُ مقْدَارُها   الأمْنُ والصِّحَّةُ والقُوتُ

فلاَ تثِقْ بالمالِ من غيْرِها   لَوْ أنَّهُ دُرٌّ ويَاقُوتُ

(١٥) وقال آخر يهجو بخيلا :

أأنْتَ تجُودُ إنَّ الجودَ طَبْعٌ   ومَالَكَ منهُ ياهذا نَصيبُ

(١٦) وقال آخر يستنكر أن يشرب الخمر حين دُعِيَ لشربها :

أَبَعْدَ سِتِّينَ قَدْ نَاهَزْتُهَا حِجَجًا   أُحَكِّمُ الرَّاحَ فى عَقلى وَجُسْمَانى

(١٧) وقال الآخر :

غَافلٌ أنتَ واللَّيَالِي حَبَالَى   بصُنوفِ الرَّدَى تَرُوحُ وَتَغْدُو

(١٨) وقال ابن المُعتَزّ:

وَمن عَجَبِ الأيَّام بَغْيُ مَعَاشرٍ   غِضَابٍ على سَبْقِي إذا أنا جَارَيْتُ
يَغِيظهم فضلِي عليهم ونَقْصُهمْ   كأنِّيَ قَسَّمْتُ الحظوظَ فحابَيت

المبحث الثالث عشر

فى تأخير المسند اليه

يؤخَّر المسند اليه : إن اقتضى المقامُ تقديم المسند — كما سيجىء ولا نَلتمس دواعىَ للتقَّديم والتأخير إلا اذا كان الاستعمال يبيح كليهما

تطبيق عام على أحوال المسند اليه وما قبله

أمير المؤمنين يأمرك بكذا — جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث ، المراد بالخبر بيان سبب داعى الامتثال . المسند اليه أمير المؤمنين . ذكر للتعظيم . وقدم لذلك والمسند جملة يأمر ، ذكر لأن الأصل فيه ذلك ، وأخر لاقتضاء المقام تقديم المسند إليه وأتى به جملة لتقوية الحكم بتكرار الاسناد (والتعظيم وتقوية الحكم وكون ذكر المسند هو الأصل ولا مقتضى للعدول عنـــه واقتضاء المقام تقديم المسند اليه) «أحوال» والذكر والتقديم والتأخير «مقتضيات» — والاتيان بهذه الجملة على هذا الوجه «مطابقة لمقتضى الحال»

أنت الذى أعاننى. وأنت الذى سرنى — ذكر (أنت) ثانيا لزيادة التقرير والايضاح

فزيادة التقرير والايضاح (حال) — والتكرير (مقتضى) — والاتيان بالجملة على هذا الوجه (مطابقة لمقتضى الحال)

سعيد يقتحم الاخطار « بعد مدحه » ذكر سعيد للتعظيم والتعجب ، فالتعظيم والتعجب حال — والذكر مقتضى ، والاتيان بالجملة على هذا الوجه : مطابقة لمقتضى الحال.

حضر الكريم سعد « بعد : أحضر سعد » ذكر الكريم لتعظيم سعد ومدحه فالتعظيم حال ، والذكر مقتضى والاتيان بالجملة على هذا الوجه : مطابقة لمقتضى الحال

على كتب الدرس « جواب — ما الذى عمل على » — ذكر على للتعريض بغباوة السامع . وقدم لتقوية الحكم لكون الخبر فعلا ، فالتعريض والتقوية حالان والذكر والتقديم مقتضيان . والاتيان بالجملة على هذا الوجه : مطابقة لمقتضى الحالين

محمود نعم التلميذ « بعد مدح كثير له » - ذكر محمود لقلة الثقة بالقرينة وقدم لتقوية الحكم

ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله - حذف المسند وهو (خلقنا) - للعلم به

خلق الانسان من عجل — حذف المسند اليه وهو الله تعالى للعلم به

معطى الوسامات والرتب — حذف المسند اليه للتنبيه على تعيين المحذوف ادعا (كالسلطان مثلا)

ألم يجدك يتيما فآوى — حذف مفعول آوى للمحافظة على الفاصلة

صاحبك يدعو إلى وليمة العرس — حذف مفعول يدعو للتعميم باختصار

لا يعطى ولا يمنع إلا الله تعالى — حذف المفعولان لعدم تعلق الغرض بهما

أهين الأمير — حذف الفاعل للخوف عليه

(لسان الفتى نصف ، ونصف فؤاده) : قدم نصف الثانى للمحافظة على الوزن

(ما كل ما يتمنى المرء يدركه) : قدمت أداة النفى على أداة العموم لافادة سلب العموم ونفى الشمول

جميع العقلاء لا يسعون فى الشر — قدمت أداة العموم على أداة النفى لافادة عموم السلب وشمول النفى

وعلى الله فليتوكل المؤمنون — قدم الجار والمجرور للتخصيص

ونحن التاركون لما سخطنا ونحن الآخذون لما رضينا

الجملة الأولى خبرية اسمية ، من الضرب الابتدائى — والمراد بالخبر إظهار الفخر والشجاعة . المسند اليه نحن . ذكر لأن ذكره الأصل . وقدم للتعظيم ، وعرف بالاضمار ، لكون المقام للتكلم مع الاختصار . والمسند التاركون . ذكر وأخر لأن الأصل ذلك

وأنت الذى أخلفتنى ما وعدتنى وأشمت بى من كان فيك يلوم

جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائى . والمراد بالخبر التوبيخ . المسند اليه أنت . ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك . وعرف بالاضمار لكون المقام للخطاب مع الاختصار . والمسند لفظة الذى ، وقد ذكر وأخر لأن الأصل فيه ذلك . وعرف بالموصولية للتعليل

يعنى أن إخلاف وعده كان سبب الشماتة واللوم . وأما جملة أشمت فمعطوفة على جملة أخلفت . ووصلت بها لما تقدم . وعرف المسند اليه وهو الفاعل فى يلوم بالاضمار لكون المقام للغيبة مع الاختصار

أبو لهب فعل كذا — جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث لما فيها من تقوية الحكم بتكرار الاسناد . والمراد بالخبر أصل الفائدة لمن يجهل ذلك . المسند اليه أبو لهب . ذكر وقدم لأن الاصل فيه ذلك . وعرف بالعلمية للكناية عن كونه جهنميا

أسئلة على احوال المسند اليه يطلب اجوبتها

ماهو المسند اليه ؟ — ماهى أحواله ؟ . — متى يجب ذكره ؟ ماهى الوجوه التى ترجّح ذكره عند وجود القرينة ، . متى يحذف ؟ ما الفرق بين المعرفة والنكرة ؟ . لمَ يُعرَّف المسند اليه بالاضمار ؟ . — . ماهو الأصل فى الخطاب ؟ — ما الأصل فى وضع الضمير ؟ — هل يقدم الضمير على مرجعه ؟ . هل الظاهر يوضع موضع الضمير ؟ . — لم يعرّف المسند اليه بالعلمية ؟ . — لم يعرّف بالاشارة ؟ لم يُعرف بالموصولية ؟ . — لم يُعرَّف بأل . . ؟ الى كم تنقسم أل ؟ — لم يعرّف بالاضافة ؟ ، — لم يعرَّف بالنداء ؟ لأى شىء ينكر المسند اليه ؟ . لم يقدَّم المسند اليه ؟ . ما الفرق بين عموم السلب وسلب العموم . — لِم يؤخَّر المسند اليه ؟ ؟

الباب الرابع

فى المسند وأحواله[1]

المُسند : هو . الخبر ، والفعل التام ؛ واسم الفعل ، والمبتدأ الوصف المستغنى بمرفوعه عن الخبر وأخبار النَّواسخ . والمصدر النَّائب عن الفعل وأَحواله: هى — الذكر ، والحذف ، والتَّعريف ، والتّنكير ، والتّقديم والتأخير ، وغيرها ـ وفى هذا الباب ثلاثة مباحث

المبحث الاول

فى ذكر المسند أو حذفه

يُذكر المُسند للأغراض التى سبقت فى ذكر المُسند اليه ـ وذلك

(١) كـكون ذكره هو الأصل ، ولا مُقتضى للعُدول عنه نحو العلم خيرٌ من المال

(٢) وكضعف التَّعويل على دَلالة القرينة — نحو حالى مستقيم ورزقى ميسور « إذ لو حُذف ميسور — لا يدلُّ عليه المذكور »

(٣) وكضعف تَنبُّه السَّامع ، نحو (أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا ثَابِتٌ) (إذ لو حُذف (ثابت) رُبما لا يتنبَّه السامع لضعف فهمه)

---

(١) وانما ذكر المسند بعد المسند اليـه لان المسند محكوم به — والمسند اليه محكوم عليه ، والمحكوم به مؤخر عن المحكوم عليه طبعا ـ فاستحق ذلك الترتيب وضعا ومبحث الذكر : لم يتعرض له كثير كأبى هلال العسكرى . والامام عبد القاهر ولعله يتعلق كثيرا بالنحو : لا بالبلاغة .

(٤) وكالرَّد على المخاطب ـ نحو (قلْ يُحْيِيهَا الذِى أَنشأَهَا أوّل مَرَّةٍ) جواباً لقوله تعالى (مَنْ يُحْيِى العِظَامَ وَهِىَ رَمِيمٌ) ؟ ؟

وكإفادة أنه « فِعلٌ » فيفيد التَّجدّد والحـــدوث ، ومقيَّداً بأحد الأزمنة الثلاثة بطريق الاختصار

أو كإفادة أنه «اسم» فيفيد الثبوتَ مطلقاً ، نحو يُخَادِعُونَ اللّٰهَ وَهوَ خادِعهم ،

فانّ (يخادعون) تُفيد التَّجدُّد مرَّة بعد أخرى ، مُقَيَّداً بالزمان من غير افتقار الى قرينة تدلّ عليه ـ كذكر (الآن ـ أو الغد)

وقوله (وهو خادعهم) ـ تفيد الثّبوت مطلقاً من غير نظر الى زمان

ويُحذف المسند : لأغراض كثيرة

(١) منها ـ اذا دلت عليه «قرينة» ، وتعلَّق بتركه غرض مِمّا مرَّ فى حذف المسند اليه

والقرينة « ا » إمّا مذكورة — كقوله تعالى (ولَئِنْ سَأَلتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّموات وَالأرضَ لَيَقُولُنَّ الله) أى : خَلَقَهنَّ الله

«ب» وإمَّا مُقدَّرة — كقوله تعالى (يُسَبِّحُ لهُ فِيهَا بالغدُوِّ والآصالِ رِجالٌ) أى : يُسَبحهُ رِجالٌ ـ كأنَّه قيل : من يُسَبِّحُه ؟

(٢) ومنها الاحتراز عن العَبث ـ نحو (إن الله بريءٌ مِنَ المُشركينَ ورَسولُه — أى : ورسوله بريءٌ منهم أيضاً

فلو ذكر هذا المحذوف لكان ذكره عبثاً لعدم الحاجة اليه

(٣) ومنها ضِيق المقام عن إطالة الكلام : كقول الشاعر

نحنُ بما عندنا وأنتَ بما عنـــدك راض والرأىُ مُختلِف

« أى : نحن بما عندنا راضُون ـ فحذف لضيق المقام »

(٤) ومنها اتِّباع ومجاراة ماجاء فى استعمالاتهم (الواردة عن العرب) نحو : لولا أنتم لكنَّا مؤمنين)

« أى : لولا أنتم موجودون »

وقولهم فى المثل « رمية من غير رامٍ » (أى هذه رمية)

تمرين

عيِّن أسباب الحذف ونوع المحذوف فى الأمثلة الآتية :

(١) نحو: «ذَلِكُمْ أزْكَى لَكمْ وأطْهر واللهُ يَعْلَمُ وأنْتُمْ لاَ تَعلَمُونَ»

(٢) وقال صلى الله عليه وسلم : عَلاَمَةَ الْمُؤْمِنِ ثَلاَثٌ : إذَا حَدَّث صَدَقَ ، وإذا وَعدَ وَفى . وَإذَا اؤْتُمِنَ لَمْ يَخُنْ

(٣) وقال : يقول ابن آدم : مَالِى مَالِى ، وإنَّمَا لَكَ مِنْ مَالِك مَا أكَلْتَ فَأفْنَيْتَ ، أوْ لَبِسْتَ فأبْلَيْتَ ، أوْ تَصَدَّقْتَ فأبْقَيت

(٤) وقال : إنَّ أحبَّكم إلىَّ وأقْرَبكم مِنى مجَالِسَ يوْمَ القِيامَةِ ، أحَاسِنكُمْ أخْلاقاً ، الموطَّئُونَ أكْنَافاً ، الذِين يَألفُونَ وَيُؤْلَفونَ

(٥) وقال أبو العتاهية :

جَزى اللهُ عَنِّى صالحاً بِوَفائه وأضْعَفَ أضعافاً لَهُ فى جزائه

صَدِيقٌ إذا ما جِئتُ أبْغيه حاجةً رَجعتُ بِمَا أبغِى، وَوَجْهِى بِمائه

(٦) وقال أبو نواس :

إذَا لمْ تَزُرْ أرْضَ الخَصيبِ رِكابُنا فَأىَّ فَتًى بَعْدَ الخصِيبِ تَزُورُ

فَتًى يشْتَرِى حُسْنَ الثنَاءِ بِماله وَيعْلَمُ أنَّ الدَّائراتِ تَدُورُ

فَإِنْ تُوالِنى مِنك الجميلَ فأهلُه وإلاَّ فإِنى عاذِرٌ وَشكورُ

(٧) وقال البُحْترى يمدح الفتْحَ بن خاقان :

رزينٌ إذا ما القومُ خفّت حلومُهُم وَقُورٌ إذا ما حادِثُ الدَّهرِ أجلبا

فتًى لم يُضيِّع وَجهَ حزمٍ وَلم يبت يُلاحِظُ أعجازَ الأمُورِ تعقُّبا

(٨) وقال الشاعر :

مَنْ قاسَ جَدْوَاكَ يوماً بِالسُّحْبِ أخطأ مَدْحَكْ

السُّحْبُ تُعْطِى وَتبْكِى وأنتَ تُعْطِى وَتضْحَكْ

(٩) وقال المتنبى :

وَلمَّا صارودُّ النَّاسِ خِبًّا جَزيْتُ على ابْتِسامٍ بابْتِسام

وَصِرْتُ أشُكُّ فيمنْ أصْطَفيه لِعِلْمِى أنّهُ بعضُ الانام

(١٠) وقال :

لَوْلاَ المشقَّةُ سادَ الناسُ كلُّهُمُ الْجُودُ يُفْقِرُ والإِقْدامُ قتَّالُ

(١١) وقال أبو فراس :

لا تطْلُبنَّ دُنُوَّ دَا رٍ منْ خليلٍ أو مُعَاشِرْ

أبْقَى لأسْبابِ الْمَوَدَّ ةِ أن تَزُورَ وَلا تُعَاشِرْ

تدريب

عيّن أسباب الذكر فى الأمثلة الآتيه :

(١) قال الله تعالى : « فوَيْلٌ للَّذينَ يكْتُبُونَ الْكِتَاب بأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولونَ هذا مِنْ عِنْدِ الله لِيشْتَرُوا به ثَمَناً قليلاً ، فوَيْلٌ لهُمْ ممَّا

كَتَبَتْ أيْدِيهِمْ ، وَوَيْلٌ لهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ »

(٢) وقال مَرْوانُ بنُ أبى حفصةَ يمدح مَعْنَ بن زائدة :

بنو مطرٍ يومَ اللقاء كأنَّهُمْ أُسُودٌ لها فى بَطنِ خفَّانَ أشْبُلُ
هُمُ يَمْنَعونَ الجارَ حتى كأنما لِجارِهِمُ بَيْنَ السِّماكَيْنِ منزِلُ

(٣) وقال السَّمَوْءلُ بن عادِيا :

إذا المرْءُ لمْ يَدْنَسْ مِنَ اللؤْمِ عِرضُهُ فَكلُّ رِداءٍ يَرْتَدِيهِ جميلُ
وَإنْ هو لمْ يَحْمِلْ على النَّفْسِ ضَيْمَهَا فَلَيْسَ إلى حُسْنِ الثَّناء سبيلُ

(٤) وقال أبو العتاهية :

إذا أنتَ لمْ تَشرَبْ مِراراً على القَذى ظَمِئْتَ وأىُّ الناس تَصفُو مشارِبُهُ

(٥) وَقال الشاعر :

الجِدُّ يُدْنِى كلَّ أمرٍ شاسِعٍ وَالجِدُّ يَفتَحُ كلَّ بابٍ مُغلَقِ

تمرين

(١) قال الله تعالى : « وأنَّا لا نَدْرِى أشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فى الأرضِ أم أرادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً » .

(٢) وقال : « ألمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فآوَى ، وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى ، وَوَجَدَكَ عَائِلاً فأغْنَى »

(٣) وقال : « فأمَّا مَنْ أعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى »

(٩) وقال تعالى : « إنَّ اللهَ يأمُرُ بالعَدْلِ والإِحْسَانِ وَإيتَـاءِ ذِى القُرْبَى وَ ينْهى عَنِ الفَحْشاءِ والمُنْـكَرِ والْبغيِ يَعِظْـكم لَعلَّـكم تَذَكَّرُونَ »

المبحث الثانى

فى تعريف المسند : أو تنكيره

يُعرَّف المسند

(١) لإفادة السامع حُـكماً على أمر معلوم عنده بأمر آخر مثله : بإحدى طُرُق التعريف — نحو هذا الخطيب . وذاك نقيب الأشراف

(٢) ولإفادة قصره على المسند اليه « حقيقة » نحو (سعد الزعيم) إذا لم يكن زعيم سواه — أو « ادعاءً » مبالغة لكمال معناه فى المسند اليه، نحو : (سعدٌ الوطنىُّ) أى الكامل الوطنية ، فيخرج الكلام فى صورة تُوهّم أن الوطنية لم توجد إلا فيه ، لعدم الاعتداد بوطنية غيره

وذلك : إذا كان المسند (معرفاً بلام الجنس)[1]

ويُنكَّرُ المسند: لعدم الموجب لتعريفه ـ وذلك

(١) لقصد إرادة العهد ـ أو الحصر ـ نحو أنت أميرٌ ـ وهو وزير

---

(١) على أن التعريف بلام لجنس لا يفيد أحيانا القصر — كقول الخنساء

إذا قبح البكاء على قتيل وجدت بكاءك الحسن الجميل

فالخنساء : لا تقصد قصر الجنس على بكاء قتيلها ، ولكنها تريد أن تثبت له ، وتخرجه من جنس بكاء غيره من القتلى — فهو ليس من القصر فى شىء

(٢) ولاتباع المسند اليه فى التنكير ـ نحو : تلميذ واقفٌ بالباب
(٣) ولافادة التَّفخيم - نحو : (هُدًى للمُتَّقين)
(٤) ولقصد التَّحقير ـ نحو : ما خالد رجلا يُذكر

المبحث الثالث

فى تقديم المسند : أو تأخيره

يُقدَّمُ المسند : اذا وُجد باعث على تقديمه كأن يكون عاملا نحو قام على
أو ممَّا له الصدارة فى الكلام، نحو : أين الطريق ؟؟
أو إذا أريد به غرض من الأغراض الآتية

(١) منها التَّخصيص بالمسند اليه ـ (نحو للهِ مُلْكُ السموت والأرض)
(٢) ومنها التنبيه من أوَّل الأمر على أنه خبرٌ لا نعتٌ — كقوله

له هِممٌ لا مُنتهى لِكبارها وَهمتّه الصغرى أجلُّ من الدَّهر
لهُ راحـةٌ لو أنَّ مِعشارَ جُودها على البرِّ كان البرُّ أندَى من البحر

فلو قيل « هممَ له » لتُوهِّم ابتداءً كون « له » صفة لما قبله

(٣) ومنها التَّشويق للمُتأخر، اذا كان فى المتقدِّم ما يُشَوِّق لذكره
كتقديم المسند فى قوله تعالى (إنَّ فى خَلْقِ السموَاتِ والأرْضِ
وَاخْتِلافِ اللَّيل والنَّهارِ لآياتٍ لأولِى الألْبَابِ) — وكقوله

خيرُ الصَّنائع فى الأنام صنيعةٌ تنبُو بحاملها عن الإذلال

(٤) ومنها التفاؤل : كما تقول للمريض (فى عافية) أنتَ) وكقوله

سَعِدتْ بغُرَّة وجهك الأيامُ وَتَزيَّنتْ بِلِقائك الأعْوامُ

(٥) ومنها — إفادة قصرِ المُسند اليه على المُسند ، نحو : (لَكم دِينكمُ وَلىَ دِين) « أى — دِينكم مقصورٌ عليكم ، وَدِينى مقصور علىَّ »

(٦) ومنها — المساءة نِكايةً بالمُخاطب : كقول المتنبى

ومِنْ نكَدِ الدُّنيا عَلى الحرُّ أن يرى　　عدُوًّا له مامِن صَداقتِه بُدُّ

(٧) ومنها — تعجيل المسرّة للمخاطب . أو التّعجّب . أو التّعظيم . أو المدح . أو الذّم . أو التَّرحم . أو الدّعاء

نحو : لله دَرّك ، وعظيمٌ أنتَ يا ألله . ونِعْم الزعيم سعدٌ — وهَلُمّ جرًّا وبئس الرجل خليل ، وفقير أبوك ، ومُبارَكٌ وُصولك بالسَّلامة

ويُؤَخَّر الْمُسْنَدُ لأنَّ تأخيره هو الأصل ، وتقديم المسند اليه أهمّ نحو : الوطن عزيز

وينقسم المسند من حيث الأفراد وعدمُه إلى قسمين - مفرد - وجملة

فالمسند (المفرد) قسمان - فعل : نحو قدم سعدٌ - واسم : نحو سعدٌ قادمٌ

والمسند (الجملة) ثلاثة أنواع

(١) أن يكون سببيا نحو خليل أبوه مُنتصر - أو أبوه انتصر - أو انتصر أبوه

(٢) وأن يُقصد تخصيص الحكم بالمسند اليه - نحو أنا سعيت فى حاجتك (أى السَّاعى فيها أنا لا غيرى)

(٣) وأن يُقصد تأكيد الحكم — نحو : سعد حضر .

وذلك : لما فى الجملة : من تكرار الاسناد مرّتين

ويؤتى بالمسند : ظرفا للاختصار - نحو خليل عندك

وجارًّا ومجروراً - نحو : محمود فى المدرسة

تمرين

بيِّن أسباب التقديم والتأخير فيما يأتى :

(١) ما كلّ ما فوق البسيطة كافياً — فاذا قنعت فبعض شىء كافى

(٢) وما أنا وحدى قلت ذا الشعر كلّه — ولكن شعرى فيه من نفسه شعر

(٣) إذا شئت يوما أن تسود عشيرة — فبالحلم سُدْ لا بالتَّسرع والشتَّم

(٤) ثلاثة تُشرُق الدنيا ببهجتها — شمس الضحى وأبو اسحاق والقمر

(٥) أَفى الحق أن يُعطَى ثلاثون شاعرا — ويُحرم مادون الرِّضا شاعرٌ مثلى

(٦) فكيف وكلٌّ ليس يعدو حِمامه — وما لامرىء عمّا قضى الله مرحل

---

(١) قدم حرف النفى وهو « ما » على لفظ العموم وهو (كل) ليدل على عموم السلب — والمعنى لا يكفيك جميع ما على الأرض إذا كنت طامعا

(٢) إذا كان المسند فعلا منفياً ووسط المسند اليه بين الفعل وحرف النفى كما فى هذا المثال وهو (ما أنا قلت) دل ذلك على التخصيص . والمعنى لست القائل لذلك الشعر وحدى ، بل شاركنى فيه غيرى

ولذلك يعد من الخطأ الذى لا يستقيم معه معنى ، أن تقول ما أنا فعلت هذا ، ولا غيرى ، لأن معنى ما أنا فعلت — يفيد من نفسه نفى الفعل عنك وثبوته لغيرك — فقولك ولا غيرى ، يكون تناقضاً كما سبق بيانه

(٣) قدم الجار والمجرور فى قوله (بالحلم سد) ليدل على التخصيص — أى انك تسود بالحلم لا بغيره . وكذا إذا تقدم الظرف ، وما أشبههما ، مما رتبته التأخير : كما سلف

(٤) قدم العدد وهو ثلاثة وأخر المعدود ليشوق اليه . لان الانسان إذا سمع العدد مجموعا يشتاق إلى تفصيل آحاده

(٥) قدم الجار والمجرور بعد الاستفهام فى قوله أفى الحق أن يعطى — ليدل على أن ذلك المقدم هو محط الانكار . فتحليل المعنى : أنه لا ينكر الاعطاء ، ولكنه ينكر أن يعد ذلك حقا وصوابا مع حرمانه هو

(٦) قدم أداة العموم على أداة السلب فى قوله (كل ليس يعدو) ليدل على عموم السلب — أى أن الناس واحداً واحداً يشملهم حكم الموت ولا مفر منه

(٧) وقال الله تعالى « بَلِ اللهَ فاعْبُدْ ، وَكُنْ مِنَ الشاكِرِين »

(٨) بك اقتدتِ الأيام فى حسناتها   وشيمتها لولاك هَمٌّ وتكريبُ

تطبيق عام على أحوال المسند

لما صدأت مرآة الجنان . قصدت لجلائها بعض الجنان — الجملة الشرطية لا تعتبر إلا بجوابها وهو (قصدت) . وهى خبرية فعلية من الضرب الابتدائى — والمراد بها أصل الفائدة المسند قصد . ذكر : لأن ذكره الأصل . وقدم لافادة الحدوث فى الزمن الماضى مع الاختصار . والمسند اليه التاء - ذكر لأن الأصل فيه ذلك - وأخر لاقتضاء المقام تقديم المسند ، وعرف بالاضمار لكون المقام للتكلم مع الاختصار

كأنه الكوثر الفياض — جملة خبرية أسمية من الضرب الابتدائى — والمراد بها المدح ، فهى تفيد الاستمرار بقرينة المدح . المسند اليه الهاء . ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك ، وعرف بالاضمار لكون المقام للغيبة مع الاختصار . والمسند الكوثر ذكر وأخر لأن الأصل فيه ذلك — وعرف بأل للعهد الذهنى

كتاب فى صحائفه حكم — التنكير فى هذه الجملة للتعظيم

ما هذا الرجل انسانا — نكر المسند « إنسانا » للتحقير

له همم لا منتهى لكبارها — المسند له — قدم لافادة أنه خبر من أول الامر لانه لو تأخر لتوهم أنه صفة للمسند اليه لانه نكرة

ولم يكن له كفواً أحد . قدم المسند « كفوا » . على المسند اليه « أحد » للمحافظة على الفاصلة — على رأى بعضهم . والمنصوص عليه فى كتب التفسير المعتبرة أن التقديم للمبادرة إلى نفى المثل

زهرة العلم أنضر من زهرة الروضة — جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائى

---

٧) قدم المفعول على الفعل فى قوله (الله فاعبد) ليدل على التخصيص أى أعبد الله ولا تعبد غيره

(١) قدم الجار والمجرور على الفعل فى قوله (بك اقتدت) ليدل على التخصيص أى أن الاقتداء كان بك لا بغيرك

والمراد بها الاستمرار بقرينة المدح . المسند اليه زهرة العلم . ذكر وقدم لأن الاصل فيه ذلك . وعرف بالاضافة إلى العلم لتعظيمه . والمسند أنضر . ذكر وأخر لان الاصل فيه ذلك ، ونكر لتعظيمه

غلامى سافر . أخى ذهبت جاريته . أنا أحب المطالعة — الحق ظهر . الغضب آخره ندم ـ أتى بالمسند فى هذه المثل جملة لتقوية الحكم لما فيها من تكرار الاسناد

اسئلة على احوال المسند يطلب اجوبتها

ما هو المسند ؟ . ـ ما هى أحواله ؟ . ـ لأى شىء يذكر المسند ؟ . ـ لأىّ شىء يحذف ؟ . لِمَ يقُدّم ؟ . ـ لِمَ يؤخر ؟ . ـ لِمَ يُعرّف ؟ . ـ لم ينكّر ؟ ـ لم يؤتى به جملة ؟ .

الباب الخامس

في الاطلاق[1] والتَّقييد

إذا اقتُصِرَ في الجملة على ذكر جُزأيها «المسند اليه والمسند» فالحكم (مطلقٌ) وذلك: حِينَ لا يتعلق الغرض بتقييد الحكم بوجه من الوجوه لِيذهبَ السَّامع فيه كلَّ مَذهبٍ مُمكن

وإذا زِيدَ عليهما شيءٌ ممَّا يتعلق بهما ـ أو بأحدهما. فالحكم (مُقيّدٌ) وذلك: حَيث يُراد زيادة الفائِدة وتقويتها عند السامع، لِمَا هو معروفٌ من أن الحكم كلما كثرت قيوده ازداد إيضاحا وتخصيصا، فتكون فائدته أتمّ وأكمل، ولو حُذف القيَد لكان الكلام كذباً ـ أو غيرَ مقصود نحو: قوله تعالى (وما خَلَقنَا السمَّوَاتِ والأرضَ وما بَينَهُمَا لاعِبِين)

فلو حُذف الحال وهو (لاعبين) لكان الكلام كذباً. بدليل المشاهدة والواقع

ونحو: قوله تعالى (يكاد زيتها يضيء) إذ لو حُذف (يكاد) لفاتَ الغرض المقصود، وهو إفادة المقاربة

واعلم: أن معرفة خواصِّ التراكيب وأسرار الأساليب وما فيها من دقيق الوضع، و باهر الصّنع، ولطائف المزايا، يسترعى لُبَّك، إلى

---

(١) الاطلاق والتقييد: وصفان للحكم. فالأطلاق أن يقتصر في الجملة على ذكر (المسند والمسند إليه) حيث لا غرض يدعو إلى حصر الحكم، ضمن نطاق معين بوجه من الوجوه ـ نحو: الوطن عزيز. والتقييد أن يزاد على المسند والمسند إليه شيء يتعلق بهما، أو بأحدهما، مما لو أغفل لفاتت الفائدة المقصودة، أو كان الحكم كاذبا نحو: الولد النجيب يسر أهله

أنَّ التَّقييد بأحد الأنواع الآتية: يكون لزيادة الفائدة، وتقويتها عند السامع لِمَا هو معروف من أنَّ الحكم كلّما ازدادت قيوده ازداد إيضاحاً وتخصيصاً.

والتقييد: يكون. بالتَّوابع. وضمير الفصل. والنَّواسخ. وأدوات الشرط والنفى. والمفاعيل الخمسة. والحال. والتمييز — وفى هذا الباب جملة مباحث[1]

المبحث الاول

فى التَّقييد بالنَّعت

أما النَّعت: فيؤتَى به للمقاصد والأغراض التى يدُلّ عليها

(ا) منها — تخصيص المنعوت بصفة تُميِّزه إن كان نكرة — نحو: جاءنى رجل تاجر

(ب) ومنها — توضيح المنعوت إذا كان معرفة — لغرض

(١) الكشف عن حقيقته، نحو: الجسم الطويل. العريض. يُشغل حَيزاً من الفراغ

(٢) أو التأكيد — نحو: تلك عشرة كاملة، وأمسِ الدَّابرُ كان يوماً عظيماً

(٣) أو المدح — نحو: حضر سعد المنصور

(٤) أو الذَّم — نحو: (وامْرَأتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ)

(٥) أو الترحُّم — نحو: قَدِمَ زيد المسكينُ

---

(١) اعلم أن التقييد: يكون لتمام الفائدة. لما تقرر من أن الحكم كلما زاد قيده زاد خصوصية، وكلما زاد خصوصية زادت فائدته. لافرق بين مسند إليه أو مسند أو غيرهما، كما لافرق بين تقييده بالتوابع — أو غيرها.

المبحث الثانى

فى التَّقييد بالتوكيد

أمّا التّوكيد : فيُؤتَى به للأغراض التى يدُلّ عليها ، فيكون

(١) لمُجرّد التّقرير ، وتحقيق المفهوم عند الإحساس بغفلة السَّامع نحو جاء الأميرُ الأَميرُ

(٢) وللتّقرير مع دفع توهُّم خلاف الظاهر — نحو جاءنى الأميرُ نفسه

(٣) وللتّقرير مع دفع توهُّم عدم الشّمول نحو (فَسَجَدَ الملائكةُ كُلُّهمْ أجمعُون)

(٤) ولإرادة انتقاش معناه فى ذهن السّامع نحو (أُسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجكَ الْجَنَّةَ)

المبحث الثالث

فى التّقييد بعَطف البيان

أمّا عطف البيان : فيُؤتى به للمقاصد والأغراض التى يدُلّ عليها — فيكون

«ا» لمجرَّد التَّوضيح للمتبوع باسم مُختصّ به[1] نحو أقسمَ بالله أبو حفص عُمَر

«ب» وللمدح : كقوله تعالى (جعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبيتَ الْحَرَامَ قِياماً لِلنَّاس) — فالبيتَ الحرامَ ، عطف بيان : للمدح

المبحث الرابع

فى التَّقييد بعطف النَّسَق

أَمّا عطف النّسَق : فيُؤْتى به للأغراض الآتية

---

(١) يكفى فى التوضيح : أن يوضح الثانى الأول ، عند الاجتماع ، وإن لم يكن أوضح منه عند الانفراد ، نحو على زين العابدين ، ونحو : عسجد ذهب

(١) لِتفصيل المسند اليه باختصار، نحو: جاء سعد وسعيد، فانه أخصر مِن: جاء سعد، وجاءسعيد، ولا يُعلم منه تفصيلُ المسند لأن الواوَ لمطلق الجمع

(٢) ولِتفصيل المسند مع الاختصار أيضاً، نحو — جاء نصرٌ فمنصورٌ[1] أو ثم منصور، أو جاء الأميرُ حتى الجُند. لأنَّ هذه الأحرفَ الثلاثةَ مُشتركة فى تفصيل المسند — إلا أنَّ (الأولَ) يفيد الترتيبَ مع التَّعقيب (والثانى) يفيد الترَّتيب مع التراخى — و (الثالث) يفيد ترتيبَ أجزاء ما قبله، ذاهباً من الأقوى الى الأضعف، أو بالعكس — نحو مات الناس حتّى الأنبياء

(٣) ولِردِّ السامع الى الصواب مع الاختصار — نحو جاء نصر — لا منصور — أو: لكن منصور

(٤) ولِصَرف الحكم الى آخرَ — نحو ما جاء منصور. بل نصر

(٥) وللشكّ من المتكلم — أو التَّشكيك للسّامع، أو للابهام

---

(١) قد تجىء الفاء للتعقيب فى الذكر: دون الزمان — إما مع ترتيب ذكر الثانى على الأول: كما فى تفصيل الاجمال فى قوله تعالى: ونادى نوح ربه فقال رب إن ابنى من أهلى — ونحو قوله تعالى: ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين

وإما بدون ترتيب: وذلك عند تكرير اللفظ الأول — نحو: بالله — فبالله

وقد تجىء ثم للتراخى فى الذكر: دون الزمان — إما مع الترتيب المذكور. نحو:

ان من ساد ثم ساد أبوه ثم ساد قبل ذلك جده

ونحو: هو الكلب وابن الكلب والكلب جده ولا خير فى كلب تناسل من كلب

فان الغرض ترتيب درجات حال الممدوح فى البيت الأول، فابتدأ بسيادته، ثم بسيادة أبيه. ثم بسيادة جده. وإما بدون ترتيب، نحو: وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك مايوم الدين.. ولاستبعاد مضمون جملة عن مضمون جملة أخرى، نحو: ثم أنشأناه خلقا آخر فنزلوا الترتيب فى هذه الأمور منزلة الترتيب الزمانى، المستفاد منها باصل الوضع. ولذا يكون استعمالها فى هذه الأمور مجازاً

نحو قوله تعالى : (وَإنّا أوْ إيّا كمْ لَعَلى هُدًى أوْ فى ضَلَالٍ مُبِين)

(٦) وللاباحة : أو التّخيير —

مثال الأول : تعلم نحواً أوصرفاً . أو نحو: تعلّم إمَّا صرفاً وإمَّا نحواً،

ومثال الثانى: تَزَوَّجْ هنداً أو أختها أو نحو: تزوج إمَّا هنداً وإمَّا أختها

المبحث الخامس

فى التَّقييد بالبدل

أمَّا البدل : فيـُؤْتى به للمقاصد والأغراض التى يَدُلّ عليها

ويكون: لزيادة التقرير والإيضاح، لأن البدل مقصودٌ بالحكم بعد إبهام

نحو حضر ابنى علىّ . فى (بدل الكلّ)

ونحو : سافر الجندُ أغلبُه فى (بدل البعض)

ونحو : نفعنى الأستاذ علمُه . (فى بدل الاشتمال)

ونحو : وجهك بدرٌ شمسٌ — فى (بدل الغَلَط) (١)

وذلك : لإفادة المبالغة التى يقتضيها الحال .

المبحث السادس

فى التقييد بضمير الفصل

يؤتى بضمير الفَصل : لأغراض كثيرة

(١) منها التّخصيص، نحو (ألَمْ يَعْلَمُوا أنَّ اللهَ هو يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَن عبادِهِ)

(٢) ومنها تأكيد التّخصيص إذا كان فى التركيب مُخصِّصٌ آخرُ

كقوله تعالى (إنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)

---

(١) لكن الحق الذى عليه الجمهور : أن بدل الغلط لايقع فى كلام البلغاء

(٣) ومنها — تمييز الخبر عن الصفة ، نحو : العالِم هو العاملُ بعلمه

المبحث السابع

فى التقييد بالنّواسخ

التَّقييد بها : يكون للأغراض التى تُؤدِّيها معانى ألفاظ النّواسخ كالاستمرار — أو لحكاية الحال الماضية : فى « كان »[١]

وكالتّوقيت بزمن مُعَيَّن : فى « ظلّ ، وبات ، وأصبح ، وأمسى ، وأضحى »

وكالتوقيت : بحالة مُعَيَّنة : فى « مادام »

وكالمُقاربة : فى « كاد ، وكَرب ، وأوشك »

وكالتأكيد : فى « إنّ وأنّ » — وكالتّشبيه : فى « كأنّ »

وكالاستدراك : فى « لكنّ » — وكالرّجاء : فى « لعلّ » —

وكالتمنّى : فى « ليت » — وكاليقين : فى « وجد ، وألفَى ، ودَرى ، وعلم »

وكالظنّ : فى خالَ ، وزعِم ، وحسِب ، وكالتّحوُّل : فى اتّخذ . وجعل . وصيَّر

المبحث الثامن

فى التّقييد بالشَّرْط

التّقييد به : يكون للأغراض التى تُؤدِّيها معانى أدوات الشّرط : كالزمان فى « متى . وَأيّان » والمكان : فى أين ، وأنّى ، وحيثُما ـ والحال : فى « كيفما » واستيفاء ذلك : وتحقيق الفرق بين تلك الأدوات يُذكر فى علم النحو وإنما يفرّق هنا بين (إنْ وإذَا وَلو) لاختصاصها بمزايا تُعدُّ من وجوه البلاغة

(١) فالجملة تنعقد من الاسم والخبر — أو من المفعولين اللذين أصلهما مبتدأ وخبر ويكون الناسخ قيداً — فاذا قلت . رأيت الله أكبر كل شىء . فمعناه (الله أكبر كل شىء على وجه العلم واليقين . وهكذا .

الفرق بين : إن ـ وإذا ـ ولو

الأصل عدم جزم وقطع المتكلم بوقوع الشرط فى المستقبل مع « إنْ » ومِنْ ثَمَّ كَثُرَ أن تُسْتعملَ « إنْ » فى الأحوال التى ينْدُر وقوعها ووجب أنْ يتلوَها لفظ (المضارع) لاحتمال الشكّ فى وقوعه[1]

بخلاف « إذا » فتُستعمل بحسب أصلها فى كل ما يَقطعُ المتكلمُ بوقوعه فى المستقبل ـ ومن أجل هـذا لا تُسْتعمل « إذا » إلاّ فى الأحوال الكثيرة الوقوع . ويتلوها (الماضى) لدلالته على الوقوع والحصول قطعاً ـ

كقوله تعالى (فإِذَا جاءَتْهمُ الْحسَنةُ قالوا لَنا هذِهِ ، وإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئةٌ يطَّيَّرُوا بِمُوسى وَمَنْ مَعَهُ)

فلكونِ مجىء الحسنة منه تعالى مُحَقَّقاً – ذكرهو والماضى مع (اذا) وإنَّما كان ما ذُكر مُحققَّاً — لأنَّ المرادَ بها مُطلقُ الحسنة الشامل لأنواع كثيرة — من خَصب ، ورخاء ، وكثرة أولاد ، كما يفهم من التّعريف بأل الجنسـية فى لفظة « الحسنة »

ولـكون مجىء السَّيئة نادراً ، ذُكرهو والمضارع مع (أن) وإنَّما كان ماذكر نادراً لأن المراد بها نوعٌ قليل : وهو جدبٌ وبلاءٌ كما يُفهم من التَّنـكير فى لفظ « سيئة » الدال على التقليل

---

[1] (١) ولذا : لا يقال إن طلعت الشمس أزرك : لأن طلوع الشمس مقطوع بوقوعه ، وإنما يقال إذا طلعت الشمس أزورك ـ قال أبو تمام

إن يكن فى الأرض شىء حسن ـــ فهو فى دور بنى عبـد الملك

ولو : للشرط فى الماضى مع الجزم والقطع بانتفائه، فيلزم انتفاء الجزاء على معنى أنَّ الجزاء كان يمكن أن يقع ، لو وُجد الشرط

ويجب كون جملتيها فعليَّتين ماضويَّتين ، نحو : لو أتقنتَ عملك لبلغت أملك

وتُسَمَّى « لو » حرفَ امتناعٍ لامتناعٍ — كقوله تعالى (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إلا الله لَفَسَدَتَا) ونحو : (وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِين) أى انتفت هدايته إيّاكم، بسبب انْتفاء مشيئَته لها

تنبيهات

الأول — عُلم مما تقدم : أن المقصود بالذّات من الجملة الشَّرطية هو الجواب : فاذا قلت إن اجتهد فريد كافأته ، كنت مخبِراً بأنك ستكافئه ، ولكن فى حال حصول الاجتهاد ، لا فى عموم الأحوال[1]

ويتفرع على هذا: أنها تُعَدّ خبريَّة أو إنشائية باعتبار جوابها

الثانى — ما تقدَّم من الفرق بين « إنْ » و « إذا » هو مقتضى الظاهر وقد يَخْرجُ الكلامُ على خلافه ، فتستعملُ « إنْ » فى الشّرْط المقطوع بثبوته أو نفيه — لأغراض كثيرة

---

(١) قال السكاكى : قد يقيد الفعل بالشرط لاعتبارات تستدعى التقييد به ولا يخرج الكلام بتقييده به عما كان عليه من الخبرية والانشائية — فالجزاء إن كان خبرا : فالجملة خبرية نحو إن جئتنى أكرمك أى أكرمك لمجيئك ، وإن كان إنشاء فالجملة إنشائية ، نحو إن جاءك خليل فأكرمه ، أى أكرمه وقت مجيئه ، فالحكم عنده فى الجمل المصدرة بإن وأمثالها فى الجزاء ، وأما نفس الشرط فهو قيد للمسند فيه ، وقد خرجته الأداة عن الخبرية واحتمال الصدق والكذب

«ا» كالتَّجاهل — نحو قول المُعْتذر — إن كُنْتُ فعلتُ هذا فَمن خَطأ

«ب» وكتنزيل المخاطب العالم منزلة الجاهل: لمخالفته مقتضَى علمه كقولك للمتكبر توبيخاً له — إنْ كنتَ من تراب فلا تفتخر

«جـ» وكتغليب غير المُتَّصف بالشرط على المتَّصف به: كما إذا كان السفرُ قطعيَّ الحصول لسعيد، غيرَ قطعيّ لخليل، فتقول ان سافرتما كان كذا [1]

وقد تُستعمل (إذا) فى الشرط المشكوك فى ثبوته أو نفيه، لأغراض

(ا) منها — الإشعار بأن الشك فى ذلك الشرط لا ينبغى أن يكون مشكوكا فيه. بل لا ينبغى ألاّ يكون مجزوماً به — نحو اذا كثُر المطر فى هذا العام أخصب الناس

(ب) ومنها — تغليب المتصف بالشرط على غير المتصف به — نحو اذا لم تسافرْ كان كذا — وهلم جرًّا من عكس الأغراض التى سبقت

الثالث — لما كانت (إن) و (إذا) لتعليق الجزاء على حصول الشرط فى المستقبل وجب أن يكون شرطُ وجزاء كل منهما جملةً فعليةً استقبالية لفظاً ومعنى، كقوله تعالى (وإنْ يَسْتَغيثُوا يُغَاثوا بِماءٍ كالْمُهْلِ)

---

(١) أى ففيه تغليب لمن لم يقطع له بالسفر على من قطع له به، فاستعملت (إن) فى المجزوم: وهو من قطع له به بسبب تغليبه على من لم يقطع له به — وهذا السبب مساغ لذكر (إن) — واعلم أن التغليب (الذى هو أن يعطى أحد المصطحبين، أو المتشاكلين حكم الآخر) باب واسع يجرى فى أساليب كثيرة لنكات عديدة، سمحت بها المطولات فى هذا المقام. واعلم أيضا: أن المقصود بالذات من جملتى الشرط والجواب: هو جملة الجواب فقط، وأما جملة الشرط فهى قيد لها، فاذا قلت إن زارنى سليم أكرمته فالمقصود أنك ستكرم سليما، ولكن فى حال زيارته لك. فتعد الجملة اسمية أو فعلية أو خبرية. أو إنشائية: باعتبار الجواب كما سبق توضيحه مفصلا: فارجع إليه إن شئت

ونحو: والنَّفس راغبة إذا رغَّبتها وإذا تُرد إلى قليلٍ تقنعُ

وَلا يُعدلُ عَن استقبالية الجملة لفظاً. ومعنى. الى استقباليتها معنى فقط — إلاَّ لدواع غالباً

« ا » منها — التفاؤل — نحو — إنْ عِشت فعلتُ الخير[1]

«ب» ومنها — تخيّل إظهار غير الحاصل « وهو الاستقبال » فى صورة الحاصل « وهو الماضى » — نحو — إنْ متُّ كان ميراثى للفقراء

الرَّابع — عُلم مما تقدم من كون « لو » للشَّرط فى الماضى: لزومُ كون جملتى شرطها وجزائها فعليتين ماضَوِيَّتين . وعدم ثبوتهما

وهذا هو مُقتضَى الظاهر — وقد يخرج الكلام على خلافه فتُستعمل « لو » فى المضارع لدواعٍ اقتضاها المقامُ — وذلك

« ا » كالاشارة الى أن المضارعَ الذى دخلت عليه يقصد استمرارهُ فيما مضى : وقتاً بعد وقت ، وحصوله مرة بعد أخرى —

كقوله تعالى (لوْ يُطيعكم فى كثيرٍ مِنَ الأمْرِ لَعَنِتُّمْ)[2]

«ب» وكتنزيل المضارع منزلة الماضى (لصدوره عمَّن المُستقبلُ عنده)

---

(١) وقد تستعمل (إن) فى غير الاستقبال لفظا ومعنى — وذلك فيما إذا قصد بها تعليق الجزاء على حصول الشرط الماضى حقيقة كقول أبى العلاء المعرى

فياوطنى إن فاتنى بك سابق من الدهر فلينعم بساكنك البال

وقد تستعمل (إذا) أيضا فى الماضى حقيقة نحو: حتى إذا ساوى بين الصدفين وللاستمرار نحو : وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا

(٢) أى امتنع عنتكم، أى وقوعكم فى جهد وهلاك بسبب امتناع استمراره فيما مضى على اطاعتكم

فى تَحقُّق الوقوعِ ، ولا تخلُّفَ فى أخباره : كقوله تعالى (وَلَو تَرَى إذِ المُجْرِمُونَ نَا كِسُوا رُءوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ) (١)

المبحث التاسع

فى التقييد بالنفى

التقييد بالنفى : يكون لسلب النِّسبة على وجه مخصوص ، ممّا تفيده أحرف النّفى السّبعة — وهى — لا . وما . ولات . وإنْ . ولنْ . ولم . ولمّا (فلا) للنفى مطلقاً — و (مَا . وإن . ولاَتَ) لنفى الحال . إن دخلت على المضارع و (لن) لنفى الاستقبال و (لم — ولما) لنفى المُضىّ — الا أنه (بلمّا) يَنسحبُ الى ما بعد زمن التكلُّم : ويختصّ بالمتوقّع — وعلى هذا : فلا يقال لمّا يقم خليلٌ ثم قام . ولا : لمّا يجتمع النَّقيضان — كما يقال لم يقم علىٌّ ثم قام ولم يجتمع الضّدان ، فلمّا فى النفى تقابل (قد) فى الاثبات . وحينئذ يكون منفيُّها قريباً من الحال — فلا يصح لمّا يجىء خليل فى العام الماضى

المبحث العاشر

فى التقييد بالمفاعيل الخمسة ونحوها

التقييدُ بها : يكون لبيان نوع الفعل ، أوما وقع عليه . أو فيه . أو لأجله أو بمُقارنته . ويُقيَّد بالحال لبيان هيئة صاحبها وتقييد عاملِها . ويُقيَّد بالتميز

---

(١) نزل وقوفهم على النار فى يوم القيامة منزلة الماضى : فاستعمل فيه (إذ) . ولفظ الماضى . وحينئذ فكان الظاهر أن يقال (ولو رأيت) بلفظ الماضى — لكن عدل عنه إلى المضارع تنزيلا للمستقبل الصادر عمن لاخلاف فى خبره . منزلة الماضى الذى علم وتحقق معناه — كأنه قيل : قد انقضى هذا الأمر ومارأيته — ولو رأيته لرأيت أمرا فظيعا

لبيان ماخفِىَ من ذَات — أو نِسبة . فتكون القيود هى محطّ الفائدة والكلام بدونها كاذب — أو غير مقصود بالذات — كقوله تعالى (وَمَا خَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَالأرضَ وَمَا بينهُمَا لاَعبين)

وقد سبق القول فى أول الباب مفصلا ، فارجع إليه إنْ شئتَ

تنبيهات

الأول — عُلم مِمَّا تقدَّم أن التقييد بالمفاعيل الخمسة ونحوها للأغراض التى سبقت — وتقييدها اذا كانت (مذكورة)

أمّا إذا كانت محذوفة فتفيد أغراضاً أخرى

(١) منها — التَّعميم باختصار كقوله تعالى (واللهُ يَدْعُو إلى دَارِ السَّلاَم) (أى جميعَ عباده) لأنّ حذف المعمول يؤذن بالعموم[1] (ولو ذُكر لفات غرض الاختصار المُناسب لمقتَضَى الحال)

(٢) ومنها — الاعتماد على تقدُّم ذكره — كقوله تعالى (يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ ويُثبِتُ) — أى ويثبِتُ ما يشاءُ

(٣) ومنها — طلب الاختصار — نحو (يَغْفِرُ لمَنْ يَشَاءُ) أى يغفر الذنوب

(٤) ومنها — استهجان التصريح به نحو: (ما رأَيتُ منه ولا رأى مِنِّى) أى العورة

(٥) ومنها — البيانُ بعد الابهام — كما فى حذف مفعول فعل المشيئة[2]

---

(١) أى مالم يكن تعلق فعل المشيئة بالمفعول غريبا كقوله

فلو شئت أن أبكى دما لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

وأعددته ذخراً لكل ملمة وسهم المنايا بالذخائر أولع

فان تعلق فعل المشيئة ببكاء الدم غريب. فلذا لم يحذف المفعول ليتقرر فى نفس السامع

(٢) هذا التعميم وإن أمكن بذكر المفعول على صيغة العام ، لكن يفوت الاختصار المطلوب

ونحوها[1] اذا وقع ذلك الفعل شرطاً فإنَّ الجواب يدل عليه ، ويبينه بعد إبهامه ، فيكون أوقع فى النفس ، ويقدر المفعول مصدرا من فعل الجواب ، نحو : (فَمَنْ شَاء فَلْيُؤْمِنْ) — أى فمن شاء الإيمان

(٦) ومنها — المحافظة على سجع ـ أو : وزن

فالأول — كقوله تعالى .(سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشى)

إذ لو قيل : يخشى الله — لم يكن على سنن رؤوس الآى السابقة

والثانى — كقول المتنبى

بناها فأعلى . والقنا يقرع القنا ومَوجُ المنايا حولها مُتلاطِمُ

أى : فأعلاها

(٧) ومنها — تعيُّن المفعول ـ نحو رعت الماشية (أى نباتاً)

ومنها — تنزيل المُتَعدِّى منزلة اللازم لعدم تعلق الغرض بالمعمول ، بل يجعل المفعول منْسياً ، بحيث لا يكون ملحوظاً مقدّرا

كما لا يلاحظ تعلق الفعل به أصلا — كقوله تعالى (هَلْ يَسْتوِى الذِينَ يَعْلَمُون والذِينَ لاَ يَعْلَمُون)[2]

الثانى ـ الأصل فى العامل أن يُقدَّم على المعمول

وقد يُعكس : فيقدَّم المعمول على العامل لأغراض شتَّى

---

(١) أى مايرادفها فى المعنى كالارادة والمحبة

(٢) أى فالغرض مجرد إثبات العلم ونفيه ، بدون ملاحظة تعلقه بمعلوم عام أو خاص — والمعنى : لايستوى من ثبتت له حقيقة العلم ، ومن لم تثبت له ، فلو قدر له مفعول ، وقيل : هل يستوى الذين يعلمون الدين ، والذين لايعلمونه ، لفات هذا الغرض

(١) ومنها — التَّخْصيص — نحو إيَاكَ نَعْبُدُ ، وإيَّاكَ نَسْتَعِين)[١]

(٢) ومنها — ردُّ المخاطَب إلى الصّواب عندَ خطئه في تَعيين المفعول نحو : نصراً رأيت — رداً لمن اعتقد أنك رأيت غيره

(٣) ومنها — كون المتقدم محطّ الأنكار مع التَّعجب نحو : أَبَعْدَ طُول التّجربة تنخدع بهذه الزَّخارف

(٤) ومنها — رعاية مُوَازاة رؤوس الآى نحو: (خُذُوهُ فغُلوهُ ، ثُمَّ الْجَحيم صَلُّوهُ) — وَهلمَّ جرًّا من بقية الأغراض التى سبقت

تطبيق عام على الاطلاق والتقييد

إذا كنت فى نعمة فارعها فان المعاصى تزيل النعم

جملة فارعها : انشائية أمرية ، والأمر مستعمل فى أصل معناه ، المسند إليه أنت وهى مقيدة بالمفعول به لبيان ماوقع عليه الفعل ، ومقيدة بالشرط للتعليق ، وكانت أداة

---

(١) وذلك لأن المناسب لمقام عرض العبادة له تعالى تخصيصها به ، لا لمجرد الإخبار بأن العبادة له ، فاستفادة التخصيص من التقديم إنما هى بحسب المقام ، لا بأصل الوضع

(٢) أى فيكون التقديم : للتبرك . والتلذذ . وموافقة كلام السامع . والاهتمام . وضرورة الشعر ، وغير ذلك — واعلم أن اختلاف الترتيب بين المعمولات

إما لأمر معنوى : نحو وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى — فلو أخر المجرور لتوهم أنه من صلة الفاعل ، والمراد كونه من صلة فعله

وإما لأمر لفظى : نحو ولقد جاءهم من ربهم الهدى — فلو قدم الفاعل لاختلفت الفواصل ، لأنها مبنية على الألف — وقد يتقدم بعض المفاعيل على بعض — إما لاصالة فى التقدم لفظا : نحو حسبت زيداً كريما فان زيداً وإن كان مفعولا فى الحال لكنه مبتدأ فى الأصل — أو معنى: نحو أعطى زيد عمراً درهما فان عمراً وإن كان مفعولا بالنسبة إلى زيد لكنه لايخلو من معنى الفاعلية بالنسبة إلى الدرهم ، لأنه آخذه ، والدرهم مأخوذ

الشرط (إذا) لتحقق الحصول «فان المعاصى تزيل النعم» جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث، والمراد بالخبر التحذير من المعاصى

- المسند إليه (المعاصى) والمسند جملة: تزيل، وأتى به جملة لتقوية الحكم بتكرار الاسناد، وقيد بالمفعول به «النعم» لبيان ماوقع عليه الفعل، والحكم مقيد بأن للتوكيد

إن اجتهد خليل أكرمته — الجملة «أكرمته» وهى جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائى، المسند أكرم، والمسند إليه التاء، وهى مقيدة بالمفعول به لبيان ماوقع عليه الفعل، وبالشرط للتعليق. وكانت أداة الشرط «إن» لعدم الجزم بوقوع الفعل

وأصابت تلك الربى عين شمس أورثتها من لونها اصفرارا

كلما جال طرفها تركت النا س سكارى وما هم بسكارى

«وأصابت تلك الربى» جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائى. والمراد بالخبر أصل الفائدة — المسند أصاب، ذكر — لأن الأصل فيه ذلك. وقدم لافادة الحدوث فى الزمن الماضى مع الاختصار، والمسند إليه عين شمس، وذكر: لأن الأصل فيه ذلك وأخر: لاقتضاء المقام تقديم المسند، وخصص بالاضافة لتعينها طريقا لاحضار معناه فى ذهن السامع. والمضاف إليه (شمس) قيد بالصفة «أورثتها من لونها» لأنها فى محل جر صفة شمس للتخصيص. وقيد الحكم بالمفعول به «تلك» لبيان ماوقع عليه الفعل، وعرف المفعول به بالاشارة لبيان حاله فى البعد. وقيد المفعول بالبدل «الربى» لتقرير حاله فى نفس السامع «تركت الناس سكارى» هى الجملة الرئيسية، لأن الشرطية لا تعتبر إلا بجوابها، وهى جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائى، والمراد بالخبر التفخيم، المسند اليه الناس، ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك، وعرف بأل للعهد الذهنى، لأن المراد بالناس الذين نظروا اليها، والمسند سكارى، ذكر وأخر لأن الأصل فيه ذلك، ونكر للتهويل، والحكم مقيد (بترك) لافادة التحويل، وبالشرط للتعليق وكانت أداة الشرط (كلما) لافادة التكرار «وما هم بسكارى» جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث. والمراد بالخبر اصل الفائدة. والمسند اليه هم، والمسند سكارى والحكم مقيد بما لنفى الحال.

لا تيأسن وكن بالصبر معتصما لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

«لا تياسن» جملة انشائية نهيية. والمراد بالنهى الارشاد. المسند لا تياس

والمسند اليه أنت . و « كن بالصبر معتصما » أصلها : أنت معتصم بالصبر . وهي جملة انشائية أمرية ، والمراد بالأمر الارشاد أيضاً ، المسند اليه الضمير المستتر فى كن والمسند معتصما ، والحكم مقيد « بالصبر » لبيان ما وقع عليه الفعل ، وبالأمر « كن » لافادة التوقيت بالاستقبال

« لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا » أصلها لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبر — وهى جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائى ، والمراد بالخبر الحث على الصبر . المسند تبلغ ، والمسند اليه أنت ، والحكم مقيد بلن للنفى فى المستقبل . وبالجار والمجرور لبيان غاية الفعل .

عسى الكرب الذى أمسيت فيه   يكون وراءه فرج قريب

فى البيت جملة إنشائية ، غير طلبية ، وهى إسمية من الضرب الثالث ، لما فيها من تقوية الحكم بتكرار الاسناد — المسند اليه « الكرب » ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك وعرف بال للعهد الذهنى ، وقيد بالنعت « الذى أمسيت فيه » لتوضيحه . والمسند يكون الخ ، والحكم مقيد بعسى لافادة الرجاء — وأما جملة النعت « الذى أمسيت فيه » فهى جملة خبرية اسمية من الضرب الابتدائى : المسند اليه فيها التاء — والمسند الجار والمجرور والحكم مقيد بأمسى لافادة المساء ، وجملة الخبر (يكون وراءه فرج قريب) جملة خبرية إسمية من الضرب الابتدائى . المسند اليه فيها (فرج) ذكر لأن الأصل فيه ذلك ، وأخر لضرورة النظم ، وقيد بالنعت (قريب) لافادة القرب ، والمسند وراءه — ذكر لأن الأصل فيه ذلك ، وقدم للضرورة ، والحكم مقيد بالناسخ (يكون) لافادة الاستقبال

يوشك من فر من منيته   فى بعض غراته يوافقها

أصل الجملة: يوشك من فر من منيته يوافقها فى بعض غرّاته — وهى جملة خبرية إسمية من الضرب الثالث ، والمراد بها التيئيس من الخلود فى هذه الدنيا ، المسند اليه (من) ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك ، وعرف بالموصولية لعدم العلم بما يخصه غير الصلة والمسند جملة يوافقها . ذكر وأخر لأن الأصل فيه ذلك ، وأتى به جملة لتقوية الحكم وقيد بالجار والمجرور لبيان زمنه . والحكم مقيد بالناسخ (يوشك) لافادة المقاربة

إن الثمانين وبلغتها   قد أحوجت سمعى إلى ترجمان

إن الثمانين قد أحوجت . جملة خبرية اسمية من الضرب الثالث ، والمراد بها اظهار الضعف — المسند إليه (الثمانين) ذكر وقدم لأن الأصل فيه ذلك ، وعرف بأل

للعهد الذهنى . والمسند (قد أحوجت) ذكر وأخر لأن الأصل فيه ذلك ، وأتى به جملة لتقوية الحكم — والحكم مقيد بأن ، وقد للتوكيد ، وأما قوله وبلغتها فهى جملة معترضة للدعاء ، وهى جملة خبرية فعلية من الضرب الابتدائى . المسند اليه التاء ، والمسند بلغ والحكم مقيد بالمفعول به ، لبيان ما وقع عليه الفعل .

أسئلة على الاطلاق والتقييد يطلب اجوبتها

ما هو الاطلاق ؟ . ما هو التقييد ؟ . متى يكون الاطلاق ؟ . متى يكون التقييد ؟ . لماذا يقيّد بالنعت ؟ . لماذا يقيد بالتوكيد ؟ . لماذا يقيد بعطف النسق ؟ . لماذا يقيد بالبدل ؟ . لماذا يقيد بالمفاعيل الخمسة ؟ . لماذا يقيد بالحال ؟ . لماذا يقيد بالتمييز ؟ . لماذا يقيد بالنواسخ ؟ . لماذا يقيد بضمير الفصل ؟ . لماذا يقيد بالشرط ؟ . ما الفرق بين إن – وإذا – ولو ؟ . ما المقصود من الجملة الشرطية ؟ . هل يمكن أن تستعمل (إن) فى مقام الجزم بوقوع الشرط ؟ . هل يمكن أن تستعمل (إذا) فى مقام الشك ؟ . هل يمكن أن تستعمل (لو) مع المضارع ؟ . لماذا يقيد بالنفى .

الباب السادس

فى أحوال متعلقات الفعل

مُتعلَّقات الفعل كثيرة — منها :

المفعول ، والحال ، والظَّرف ، والجاروالمجرور ، وهذه (المتعلقات) أقل فى الأهمية من (رُكنى الجملة) ومع ذلك فقد تتَقَدَّمُ عليها — أو على أحدهما :

فَيقدَّم المفعول لأغراضٍ — أهمها :

(١) تخصيصه بالفعل (٢) مُوافقة المخاطب : أو تخطئته

(٣) الاهتمام بالفعل (٤) التبَرّك به (٥) التَّلذّذ به

ويتقدّم كلٌّ من الحال، والظَّرف، والجار والمجرور، لأغراض كثيرة

(١) منها : تخصيصها بالفعل

(٢) ومنها : كونها موضع الانكار

(٣) ومنها : مراعاة الفاصلة : أو الوزن

والأصل فى المفعول : أن يُؤَخَّر عن الفعل ، ولا يُقدّمُ عليه إلاَّ لأغراضٍ كثيرة

(١) منها — التخصيص ـ نحو : (إيَّاكَ نعبُدُ) ردًّا على من قال : أعتقد غير ذلك

(٢) ومنها — رعاية الفاصلة ـ نحو : (ثمَّ الْجحِيمَ صلُّوهُ)

(٣) ومنها — التَّبرُّك — نحو : قرآناً كريماً تلوتُ .

(٤) ومنها — التَّلَذُّذ ـ نحو : الحبيبَ قابلتُ

والأصل فى العامل : أن يُقدَّمَ على المعمول ؛ كما أنَّ الأصل فى المعمول أن تُقدَّم عُمدتُه على فَضلتِه - فيحفظ هذا الأصل بين الفعل والفاعل

أمَّا بين الفعل والمفعول ونحوه : كالظرّف ، والجارّ والمجرور ، فيختلف التَّرتيبُ - للأسباب الآتية :

(ا) إمَّا لأمر معنوىّ - نحو : (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجلٌ يَسْعَى) (فلو أُخّر المجرور لتُوُهّم أنه من صلة الفاعل، وهو خلاف الواقع لأنه صلة لفعله)

(ب) وإمَّا لأمر لفظى - نحو : (وَلَقَدْ جَاءَهُم مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى) فلو قدّم الفاعل لاختلفت الفواصلُ ، لأنها مبنية على الألف

(ج) وإمَّا للأهميةِ - نحو : قُتل الخارجىُّ فلانٌ

وأمَّا تقديم الفضلات على بعض : فقد يكون

(١) للأصالة فى التقدُّم لفظاً - نحو : حسِبتُ الهلال طالعاً . فانّ الهلال وإن كان مفعولاً فى الحال ، لكنه مبتدأ فى الأصل

أو للأصالة فى التقدُّم معنى - وذلك كالمفعول الأول فى نحو : أعطى الأمير الوزير جائزة ، فإن الوزير : وإن كان مفعولا بالنسبة إلى الأمير ، لكنه فاعل فى المعنى بالنسبة إلى الجائزة [1]

(٢) أو لا خلال فى تأخيره - نحو : مررت راكباً بفلان - فلو أخرت الحال لتُوهّم أنها حال من المجرور ، وهو خلاف الواقع ، فانها حال من الفاعل والأصل فى المفعول ذكره ، ولا يحذف إلا لأغراض تقدم ذكرها

---

(١) لأن الجائزة مأخوذة ، والآخذ لها الوزير الذى فيه معنى الفاعلية التى تستدعى حق التقدم .

تمرين

لبيان المتقدّم من ركني الجملة. ومتعلقات الفعل. وسبب تقدمه

١ — قال الله تعالى : فللّه الآخرة والأولى .

٢ — وكتب ابن المُعتز لأحد خلّانه : —

قلبي نجيّ ذِكرِك ، ولساني خادمُ شُكرِك ،

٣ — وقال الله تعالى : الله يبسط الرّزق لمنْ يشاءُ وَيقدِر .

٤ — كل حيّ وإنْ أقامَ كَنُوحٍ في أمان من الرّدَى سوفَ يَفْنَى

٥ — أنْشأ يمزّقُ أثوابي يؤدّبني أبعدَ شيبيَ يَبْغي عندي الأدَبا

٦ — مَنْهومان لا يشبعَان : طالبُ علم ، وطالبُ مال .

٧ — عباسُ مولايَ أهداني مظلّته يظلّل الله عبّاساً ويرعاه

الجملة	نوع المتقدم	سبب تقدمه
١ — فلله الآخرة والأولى	خبر	تخصيص الخبر بالمبتدأ
٢ — قلبي . ولساني	مبتدأ	أنه الأصل
٣ — الله يبسط الرزق	مبتدأ	تخصيصه الخبر
٤ — كل حي وان أقام	مبتدأ	إفادة التعميم
٥ — أبعد شيبي يبغي	ظرف	موضع الانكار
٦ — منهومان لا يشبعان	مبتدأ	التشويق إلى المبتدأ
٧ — عباس مولاي	مبتدأ	التعظيم

٨ — أنا أكرمتك ، وفي منزلي آويتُكَ

٩ — لك عندي وعِندَ صَحْبي أيادٍ سوف تبقى وكل شيء سيَفنى

١٠— ما كل ما يتمنَّى المرءُ يدركه تأتى الرياح بما لاتشتهى السّفنُ

وقال المرحوم حافظ ابراهيم بك فى وصف الشمس : —

١١ — إنما الشمسُ وما فى آيها من معان لمعَتْ للعارفين

حكمةٌ بالغــةٌ قد مثَّلَتْ قُدْرَةَ اللهِ لقــومٍ غافلين

١٢ ـ فمثلَ عُلاك لم أرَ فى المعالى ولا تاجاً كتاجك فى الجلال

تمرين آخر

١ — لشرح معنى التخصيص . واذكر مواضعه فى باب التقديم .

٢ — أىّ أجزاء الجملة يفيد تقديمه . التبرك . أو التلذذ . أو التعظيم ؟

ومتى يفيد ذلك ؟ .

٣ — ماهى متعلقات الفعل ؟ وما أسباب تقديمها عليه ؟

٤ — كيف تشوّق لـكلٍّ من المبتدأ والخبر ؟ ومتى يفيد المبتدأ التعميم

الجملة	نوع المتقدم	سبب تقدمه
٨ — أنا أكرمتك	مبتدأ	تخصيصه بالخبر الفعلى
وفى منزلى آويتك	جار ومجرور	تخصيصه بالفعل
ومطمئنا قلت لك	حال	موضع العناية والاهتمام
نجاتك تحققت	مبتدأ	تعجيل المسرة
لك جرائم	الخبر	التنبيه على أنه خبر لا صفة
٩ — لك عندى	خبر	للتنبيه على أنه خبر لا صفة
كل شىء سيفنى	مبتدأ	افادة التعميم
١٠ — ما كل مايتمنى المرء يدركه	مبتدأ	نفى العموم
١١ — الشمس وما فى آيها . حكمة	مبتدأ	التشويق للخبر
١٢ — مثل علاك لم أر	مفعول	تخصيص المفعول بالفعل

إذا قدمته ؟ . ومتى يدل على التخصيص بالخبر ؟

٥ — ميز المبتدأ الذي جرى في التقديم على أصله من الذي تقدم زائداً ؟؟

تدريب

العبارات الآتية تقدم فيها بعض أجزاء الكلام على بعض .

أذكر المتقدم — وبين نوعه في كل عبارة :

١ — إثنان لا يستغني عنهما إنسان : العلم والمال

٢ — قال صلى الله عليه وسلم : إخوانكم خولكم ، جعلهم الله تحت أيديكم .

٣ — إليك على بعد المزار وصعبه نوازع شوق ما ترد عوازبه

٤ — قال تعالى : فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون

٥ — قبيح أن يحتاج الحارس إلى من يحرسه

٦ — وقال تعالى كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون ، وبالأسحار هم يستغفرون .

٧ — إلى الله كل الأمر في الخلق كلهم وليس إلى المخلوق شيء من الأمر

تمرين

عين المتقدم من ركني الجملة أو من متعلقات الفعل ، واذكر سبب تقدمه

١ — قال الله تعالى : وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون

٢ — الدنيا دار عناء . ليس لأحد فيها البقاء . وغداً تسر أو تساء

٣ — ألقت مقاليدها الدنيا إلى رجل ما زال وقفاً عليه الجود والكرم

٤ — وقال الله تعالى : وله من فى السموات والأرض ، كلٌّ له قانتون

٥ — وقال الله تعالى : قالوا الآن جئت بالحق

٦ — بأىّ لفظٍ تقول الشعر زعنفةٌ   تجوزُ عندك لا عُرْبٌ ولا عجم

٧ — ولأحمد بن يوسف : بالأقلام تساسُ الأقاليم

٨ — أسعدُ الناس بشفاعتى يوم القيامة : من قال لا إله إلا الله بقلْبِه خالصاً

٩ — قال الله تعالى : إنَّا نحنُ نُحيي ونُميت وإلينا المصير

١٠ — رأى الرسول رجلا نذر أن يمشى فقال : إن الله عن تعذيب هذا نفسَه لَغنىّ

١١ — يساورُنى طولَ الدجى وأساورُه   مَلالٌ وطَرْفى ساهدُ الليل ساهرُه

إختبار للذّاكرة

كوِّن أربع جمل : تقدَّم فى أولاها (الخبر) ليفيد التشويق إلى المبتدأ . وتقدّم (المبتدأ) فى الثانية لتعجيل المسرة . وتقدم فى الثالثة (الحال) لأنه موضع الانكار . وتقدم (الظرف) فى الرابعة لأنه موضع العناية

الباب السابع

فى تعريف القصر

القصر : لغة الحبس — قال الله تعالى (حور مقصورات فى الخيام)
واصطلاحاً : هو تخصيص شىء بشىء بطريق مخصوص

والشىء الأول : هو المقصور ، والشىء الثانى : هو المقصور عليه
والطريق المخصوص لذلك التخصيص يكون بالطُّرُق والأدوات الآتية :
نحو : ماشوقى إلا شاعر ، فمعناه تخصيص (شوقى بالشعر) وقصره
عليه ، ونفى صفة (الكتابة) عنه — (ردًّا على مَن ظنَّ أنَّه شاعر : وكاتب)
والذى دل على هذا التخصيص هو النفى بكلمة (ما) المتقدمة ، والاستثناء
بكلمة (إلاّ) التى قبل الخبر

فما قبل « إلاَّ » وهو « شوقى » يُسمَّى مقصوراً عليه ، وما بعدها وهو
(شاعر) يسمَّى مقصوراً — (وما ـ وإلاّ) طريق القصر وأدواته

ولو قلت (شوقى شاعرٌ) بدون (نفى واستثناء) مافُهم هذا التَّخصيص

ولهذا : يكون لكل قصر طرفان « مقصور ، ومقصور عليه » ويُعرَفُ
(المقصور) بأنَّه هو الذى يُؤلِّف مع (المقصور عليه) الجملة الأصلية فى الكلام

ومن هذا تعلم أن القصر : هو تخصيص الحكم بالمذكور فى الكلام ونفيه
عن سِواهُ بطريقٍ من الطُّرق الآتية

وفى هذا الباب أربعة مباحث

المبحث الاول

فى طُرُق القصر

للقصر طُرُق كثيرة — وأشهرها فى الاستعمال أربعة [1] وهى:

(١) ومن طرق القصر التى ليست مشهورة الاستعمال لفظ: وحده. أو: فقط. أو: لاغير. أو: ليس غير. أو: مادة الاختصاص، أو: مادة القصر. أو: توسط ضمير الفصل. أو: تعريف المسند اليه. أو: تقديم المسند اليه على خبره الفعلى أحيانا، وغير ذلك وهذه الطرق خالية من اللطائف البلاغية وقد أوصلها (جلال الدين السيوطى) فى كتابه (الاتقان فى علوم القرآن) إلى أربعة عشر طريقا.

أهمها الطرق الأربعة المشهورة الاستعمال — وهى تختلف مع بعضها من أوجه كثيرة.

منها — أن (لا) العاطفة لاتجتمع مع النفى والاستثناء: لأن شرط المنفى بها لا يكون منفيا صريحا قبلها بغيرها فلا تقول: ما على إلا مجتهد لا متكاسل — ولذا عيب على الحريرى قوله.

لعمرك ما الانسان إلا ابن يومه   على ما تجلى يومه لا ابن أمسه

وتجتمع «لا» مع (انما) أو (التقديم) نحو إنما أنا مصرى لا سورى، ونحو المجتهد أكرمت لا المتكاسل، لان النفى فيهما غير مصرح به

ومنها — أن الاصل فى الحكم مع النفى والاستثناء: أن يكون مجهولا منكرا للمخاطب (أى شأنه أن يجهله المخاطب وينكره) بخلاف (انما) لأن النفى مع الاستثناء لصراحته أقوى فى التأكيد من (انما) فينبغى أن يكون لشديد الانكار. ونحو: قولك (وقد رأيت شبحاً من بعد) ماهو إلا زيد: لمن اعتقد أنه غيره، ونحو: (إن أنتم إلا بشر مثلنا) لما كانوا مصرين على دعوى الرسالة مع زعم المكذبين امتناع الرسالة فى البشر. زد المكذبون اصرارهم عليها بقولهم ذلك.

وقد ينزل المعلوم منزلة المجهول لغرض بلاغى، فيستعمل فيه النفى والاستثناء، نحو (وما محمد إلا رسول) فقد قصر الله محمدا على صفة الرسالة ونفى عنه أن يظن فى أمره الخلود. فلا يموت أو يقتل

وهذا معلوم للصحابة، لكن لاستعظامهم موته، لشدة حرصهم على بقائه صلى الله عليه وسلم، نزلوا منزلة من لا يعلمه =

أولاً: يكون القصر (بالنفي والاستثناء)[٢]، نحو: ما شوقي إلا شاعر — أو: ما شاعر إلاّ شوقي

ثانيا: يكون القصر (بإنّما) — نحو: « إنّما يخشى اللهَ من عباده العلماء »

وكقوله: إنما يشترى المحامدَ حُرٌّ طابَ نفساً لهُنّ بالأثمانِ

ثالثا: يكون القصر (بالعطف بلا — وبل — ولكنْ) — نحو: الأرض متحركة لا ثابتة. وكقول الشاعر:

عُمرُ الفتى ذِكرُه لا طُولُ مدته ومَوتُه خزْيه لا يومُهُ الدّاني

وكقوله: مَا نال فى دُنياه وان بُغْيةً لكن أخو حَزْم يَجِدّ ويعمَل

رابعاً: يكون القصر (بتقديم ماحقّه التأخير) نحو: إيّاكَ نعبدُ وإيّاكَ نستعين — (أى: نخصك بالعبادة والاستعانة)

فالمقصور عليه « فى النفى والاستثناء » هو المذكور بعد أداة الاستثناء — نحو: وما توفيقى إلا بالله

= وقد ينزل المجهول منزلة المعلوم — نحو (انما نحن مصلحون) لادعائهم أن كونهم مصلحين أمر ظاهر. ولهذا رد عليهم بقوله (ألا إنهم هم المفسدون) مؤكد بما ترى بالجملة — فالاستثناء لقوته يكون لرد شديد الانكار حقيقة — أو ادعاء، و « إنما » لضعفها تكون لرد الانكار فى الجملة، حقيقة أو ادعاء — ويكون للقصر (بإنما) مزية على العطف لأنه يفهم منها الحكمان، أعنى الاثبات للمذكور، والنفى عما عداه معاً، بخلاف العطف لأنه يفهم منه أولا الاثبات، ثم النفى، أو عكسه، نحو انما خليل فاهم — خليل فاهم لا حافظ — وأحسن مواقعها التعريض نحو (انما يتذكر أولوا الألباب)

واعلم أن « غير » كإلا: فى إفادة القصرين، وفى امتناع اجتماعه مع لا العاطفة، فلا يقال: ما على غير شاعر لا منجم، وما شاعر غير على لا نصر

(٢) يكون النفى بغير (ما) كقوله تعالى (إن هذا إلا ملك كريم) كما يكون الاستثناء بغير (إلا) نحو: لم يبق سواكَ نلوذ به مما نخشاه من المحن

٢ — والمقصور عليه : مع (إنَّما) هو المذكور بعدها ، ويكون مؤخرا في الجملة وجوبا ، نحو : إنما الدنيا غرُور

٣ — والمقصور عليه : مع (لا) العاطفة : هو المذكورُ قبلها والمُقابلُ لما بعدها . نحو : الفخر بالعلم لا بالمال

٤ — والمقصور عليه مع (بَلْ) أو (لكنْ) العاطفتَين : هو المذكور ما بعدهما ، نحو : ما الفخر بالمال بَلْ بالعلم - ونحو : ما الفخر بالنَّسب لكن بالتقوى

٥ — والمقصور عليه : في (تقديم ما حقُّه التَّأخير) هو المذكور المتقدِّمُ نحو : على الله توكّلنا — وكقول المُتنبِّى :

ومن البليَّة عذل من لا يرعَوى　　عن غَيِّه وخطاب من لا يفهم

ملاحظات

أوّلا — يشترط في كلٍّ من « بل — ولكن » أن تُسْبق بنفي ، أو : نهى وأن يكون المعطوف بهما مفرداً ، وألَّا تقترن (لكن) بالواو

ثانياً — يشترط في « لا » إفراد معطوفها ، وأن تُسْبق بإثبات ، وألّا يكون ما بعدها داخلا في عموم ما قبلها

ثالثاً — يكون للقصر (بإنما) مزيَّة على العطف ، لأنها تفيد الاثبات للشيء ، والنفي عن غيره دَفعة واحدة ، بخِلاف العطف ، فانه يفهم منه الاثبات أوّلا ، ثم النفي ثانياً - أو عكسه

رابعاً — التّقديم : يَدُلّ على القصر بطريق الذّوق السليم ، والفكر الصّائب ، بخلاف الثلاثة الباقية فتدل على القصر بالوضع اللّغوى (الأدوات)

خامساً — الأصلُ أن يتأخَّر المعمول عن عامله إلا لضرورة

ومَن يتتبع أساليب البلغاء فى تقديم ما حقُّه التأخير: يجد أنهم يريدون بذلك: التخصيص.

المبحث الثانى

فى تقسيم القصر باعتبار الحقيقة والواقع إلى قسمين

(ا) قصر حقيقى [١] — وهو أن يختصَّ المقصورُ بالمقصور عليه بحسب الحقيقةِ والواقع، بألاَّ يتعدَّاه إلى غيره أصلا — نحو لا إلٰه إلاَّ اللهُ

تنبيهات

الأول — الاصل فى العطف أن ينص فيه على المثبت له الحكم، والمنفى عنه الا اذا خيف التطويل — وفى الثلاثة الباقية ينص على المثبت فقط

الثانى — النفى بلا العاطفة — لا يجتمع مع (النفى والاستثناء) فلا تقول ما محمد الا ذكى لاغبى. لان شرط جوازالنفى (بلا) أن يكون ما قبلها منفيا بغيرها ويجتمع النفى بلاالعاطفة مع كل من (انما — والتقديم). فتقول: انما محمد ذكى لا غبى وبالذكاء يتقدم محمد لا بالغباوة

والأصل فى العطف (بلا) أن يتقدم عليه مثبت، ويتأخر منفى بعده. وقد يترك ايضاحه اختصاراً، مثل: على يجيد السباحة لا غير. أى لا المصارعة — ولا الملائكة ولا غير ذلك من الصفات

الثالث — الأصل فى (النفى والاستثناء) أن يجىء لأمر ينكره المخاطب — أو يشك فيه — أو لما هو منزل هذه المنزله: ومن الاخير قوله تعالى: (وما أنت بمسمع من فى القبور * إن أنت إلا نذير)

---

(١) ومنه نوع يسمى بالقصر الحقيقى (الادعائى) ويكون على سبيل المبالغة بفرض أن ما عدا المقصور عليه لا يعتد به

(ب) وقصر إضافى ـ وهو أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحسب الإضافة والنسبة إلى شىء آخر معيّن، لا لجميع ما عداه، نحو: ماخليل إلا مسافر: فانك تقصد قصر السفر عليه بالنسبة لشخص غيره، كمحمود مثلا وليس قصدك أنه لا يوجد مسافر سواه، إذ الواقع يشهد ببطلانه

الرابع ـ الأصل فى (إنما) أن تجىء لأمر من شأنه ألا يجهله المخاطب، ولا ينكره، وإنما يراد تنبيه فقط. أو لما هو منزل هذه المنزلة. فمن الأول قوله تعالى: (إنما يستجيب الذين يسمعون) وقوله تعالى (إنما عليك البلاغ وعلينا الحساب) ومن الثانى قوله تعالى حكاية عن اليهود (إنما نحن مصلحون) فهم قد ادعوا أن إصلاحهم أمر جلى لا شك فيه ـ وقال الشاعر:

أنا الزائد الحامى الذمار وإنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلى

أسباب ونتائج

الغاية من القصر: تمكين الكلام وتقريره فى الذهن ـ كقول الشاعر

وما المرء إلا كالهلال وضوئه يوافى تمام الشهر ثم يغيب

ونحو: وما لامرىء طول الخلود وإنما يخلده طول الثناء فيخلد

وقد يراد بالقصر المبالغة فى المعنى ـ كقول الشاعر:

وما المرء إلا الأصغران لسانه ومعقوله والجسم خلق مصور

وكقوله: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا على

و (ذو الفقار) لقب سيف الامام على كرم الله وجهه، وسيف العاص بن منبه

والقصر: قد ينحو فيه الأديب مناحى شى، كأن يتجه إلى القصر الاضافى، رغبة فى المبالغة ـ كقوله:

وما الدنيا سوى حلم لذيذ تنبهه تباشير الصباح

وقد يكون من مرامى القصر التعريض ـ كقوله تعالى (إنما يتذكر أولوا الألباب) اذ ليس الغرض من الآية الكريمة أن يعلم السامعون ظاهر معناها، ولكنها تعريض بالمشركين الذين فى حكم من لا عقل له

المبحث الثالث

فى تقسيم القصر باعتبار طرَفيه

ينقسم القصر باعتبار طرفيه (المقصُور والمقصور عليه) سواء أكان القصر حقيقياً أم إضافياً إلى نوعين:

(ا) قصر صِفة على موصوف: هو أن تحبس الصِّفة على موصوفها وتَختصّ به، فلا يتَّصَف بها غيره. وقد يتَّصِف هذا الموصوف بغيرها من الصفات

مثاله من الحقيقى (لا رازق إلاَّ الله)

ومثاله من الإضافى، نحو: لا زعيم إلا سعد

«ب» قصر موصوف على صفة، هو أن يُحبس الموصوف على الصفة ويختصّ بها، دون غيرها، وقد يشاركه غيره فيها

مثاله من الحقيقى، نحو: ما اللهُ إلا خالق كلّ شىء[1]

ومثاله من الإضافى، قوله تعالى (وَمَا مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسولٌ[2] قد خَلَتْ مِن

---

(١) قصر الموصوف على الصفة فى القصر الحقيقى، لا يكاد يوجد لتعذر الاحاطة بصفات الشىء، حتى يمكن إثبات شىء منها ونفى ما عداها. ويكثر القصر الحقيقى فى قصر الصفة على الموصوف، بخلاف القصر الاضافى الذى يأتى كثيراً فى كل من قصر الصفة على الموصوف، وقصر الموصوف على الصفة. واعلم أن المراد بالصفة هنا الصفة المعنوية التى تدل على معنى قائم بشىء، سواء أكان اللفظ الدال عليه جامداً أو مشتقاً، فعلا أو غير فعل، فالمراد بالصفة ما يحتاج إلى غيره ليقوم به كالفعل ونحوه وليس المراد بها (الصفة النحوية المسماة بالنعت)

(٢) فقد قصر الله محمداً على صفة الرسالة، نفى عنه أن يظن فى أمره الخلود، فلا يموت — أو يقتل

قبله الرسلُ، أفإنْ ماتَ أوْ قُتلَ انقَلبتم على أعْقابكمْ، ومَنْ ينقَلِبْ على عَقِبَيْه فلن يَضُرَّ اللهَ شيئاً

المبحث الرابع

فى تقسيم القصر الإضافى

ينقسم القصر الإضافىُّ بنوعيه السّابقين[1] على حسب حال المخاطب إلى ثلاثة أنواع

(ا) قصر إفراد - إذا اعتقد المخاطب الشَّرِكة، نحو: إنَّما اللهُ إلهٌ واحدٌ رَدّاً على مَن اعتقد أنَّ اللهَ ثالثُ ثلاثةٍ

« ب » قصر قَلْب - إذا اعتقد المخاطب عكسَ الحكم الذى تُثبتُه نحو: ما سافر إلا علىّ « ردّاً على من اعتقد أن المسافرَ خليل لا علىّ »

فقد قلبتَ وعكست عليه اعتقادَه

(ج) قصر تعَيين - إذا كان المخاطب يتردّد فى الحكم: كما إذا كان متردّدا فى كون الارض متحرّكةً أو ثابتة، فتقول له: الأرض متحركة لا ثابتة « رداً على مَنْ شكَّ وتَردّدَ فى ذلك الحُكم »

واعلم أنّ القصر بنوعيه يقع بين المبتدأ والخبر، وبين الفعل والفاعل وبين الفاعل والمفعول، وبين الحال وصاحبها - وغير ذلك من المتعلقات، ولا يَقعُ القصرُ مع المفعول معه

---

(١) بخلاف القصر الحقيقى بنوعيه، اذ العاقل لا يعتقد اتصاف أمر بجميع الصفات أو اتصافه بجميعها إلا واحدة، أو يتردد فى ذلك، كيف وفى الصفات ما هى متقابلة فلا يصح أن يقصر الحكم على بعضها وينفى عن الباقى: إفراداً - أو قلبا - أو تعيينا وعلى هذا المنوال قصر الصفة على الموصوف، كما فى المطول - وشراح التجريد

والقصر من ضروب الايجاز الذى هو أعظم ركن من أركان البلاغة . إذ أنّ جملة القصر فى مقام جملتين . فقولك (ما كامل إلا الله) تعادل قولك : الكمال لله . وليس كاملا غيره

وأيضا : القصرُ يحدد المعانى تحديداً كاملا ، ويكثر ذلك فى المسائل العلمية : وما يماثلها

تطبيق (١)

وضّح فيما يلى نوع القصر وطريقه

(١) ماالدّهرُ عندك إلا روضة أُنُفٌ ... يامن شمائلُهُ فى دهره زهر [١]

(٢) ليس عارٌ بأن يُقالَ فقيرٌ ... إنما العار أن يُقال بخيلُ

(٣) وإنما الأمم الأخلاق مابقيت ... فإنْ همُو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

(٤) فلمّا أبى إلا البكاءَ رَفَدْتُهُ ... بعينين كانا للدّموع على قَدْرِ [٢]

(٥) مالنا فى مديحه غيرُ نظم ... للمساعى التى سعاها ووصفُ

نمرة	الجملة	نوعه باعتبار المقصور	نوعه باعتبار الواقع	طريقه
١	ما الدهر ...	موصوف على صفة	إضافى	النفى والاستثناء
٢	انما العار ...	موصوف على صفة	»	إنما
٣	انما الأمم	موصوف على صفة	حقيقى — ادعائى	»
٤	فلما أبى . . .	صفة على موصوف	إضافى	النفى والاستثناء
٥	ما لنا . . .	» » »	»	» »

(١) روضة أنف ، لم يرعها أحد

(٢) رفده أعانه . قدر . مصدر قدر على الشىء بمعنى اقتدر

(٦) بك اجتمع المُلكُ المُبَدَّدُ شملُه وضمّتْ قواصٍ منه بعد قواصي (١)

(٧) سيذكرني قومي إذا جدَّ جدُّهم وفي الليلة الظلماء يُفتقَدُ البدرُ (٢)

(٨) ما افترقنا في مديحه بل وَصَفْنَا بعضَ أخلاقه وذلك يَكفي

وقال عليه الصلاة والسلام (ليس لك من مالكَ إلاّ ما أكلتَ فأفنيتَ، أو لبِستَ فأبليْتَ، أو تصدَّقتَ فأبقيْتَ)

تطبيق (٢)

(١) قال الله تعالى (إنَّما اللهُ إلهٌ واحدٌ)

(٢) قال تعالى (إنْ حسَابُهمْ إلاَّ على ربِّي لوْ تشعُرُونَ)

(٣) قال تعالى (لِلهِ ما في السَّموَاتِ وما فِي الأرْضِ)

رقم	الجملة	نوعه باعتبار المقصور	نوعه باعتبار الواقع	طريقه
٦	بك اجتمع	صفة على موصوف	إضافي	تقديم الجار والمجرور
٧	وفي الليلة ..	موصوف على صفة	»	» » »
٨	ما افترقنا ..	» »	اضافي	بل

رقم	الجملة	نوعه باعتبار الواقع	باعتبار المقصور	باعتبار المخاطب	طريقه
١	إنما الله	إضافي	موصوف على صفة	إفراد	إنما
٢	إن حسابهم	»	» »	»	النفي والاستثناء
٣	لله ما في السموات	حقيقي	صفة على موصوف		التقديم

(١) المبدد المفرق. القواصي جمع قاصية، وهي الناحية البعيدة.

(٢) جد في أمره اجتهد. والجد (بكسر الجيم). الاجتهاد. وضده الهزل.

بقصد يطلب:

(٤) قالَ اللهُ تعالى (إنْ أَنْتُمْ إلا تَكْذِبُون)

(٥) فإنْ كانَ فى لبسِ الفتى شَرَفٌ له ... فما السَّيْفُ إلا غِمْدُه والحمائلُ[1]

(٦) ليس اليتيمُ الذى قد ماتَ والدُه ... بَلِ اليتيمُ يتيمُ العِلْمِ والأَدب

(٧) وماشاب رأسى من سنينَ تَتابعَتْ ... علىَّ ولكن شيَّبَتْنى الوقائع

(٨) إن الجديدَينِ فى طولِ اختلافهما ... لا يَفسُدانِ ولكن يَفسُدُ الناسُ

(٩) لا يألفُ العِلمَ إلا ذكىٌّ — ولا يجفوه إلا غبىٌّ

(١٠) قد علمتْ سلْمى وجاراتُها ... ما قطَّرَ الفارسَ إلاّ أنا

(١١) إنما الدنيا هِباتٌ ... وعوارٍ مُسْتَرَدَّه

شِدَّةٌ بعدَ رَخاءٍ ... وَرَخاءٌ بعدَ شِدَّه

(١٢) على اللهِ توَكّلْنا — إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّات، وإنما لكلِّ امرئٍ مانوى

الرقم	الجملة	نوعه باعتبار الواقع	باعتبار المقصور		باعتبار المخاطب	طريقه	
٤	إن أنتم . . .	إضافى	موصوف على صفة		إفراد	النفى والاستثناء	
٥	فما السيف . . .	»	»	»	محتمل	»	»
٦	ليس اليتيم . . .	»	صفة على موصوف		»	العطف	ببل
٧	وما شاب . . .	»	»	»	»	»	بلكن
٨	لا يفسدان . . .	»	»	»	»	»	»

الرقم	الجملة	نوعه باعتبار المقصور	باعتبار الواقع	طريقه
٩	لا يألف العلم الا ذكى	قصر صفة على موصوف	حقيقى	النفى والاستثناء
١٠	ماقطر الفارس الا أنا	» » »	»	» »
١١	انما الدنيا هبات	قصر موصوف على صفة	إضافى	إنما
١٢	على الله توكلنا	قصر صفة على موصوف	»	التقديم

(١) جفن السيف غمده ؛ والحمائل : جمع حمالة : علاقة السيف

(١) محاسنُ أوصاف المُغنِّين جمَّة ومَا قصباتُ السبْق إلا لمعْبَد

(٢) إلى اللهِ أشكو أنَّ في النفس حاجةً تمُرّ بها الأيَّام وهي كما هِيَا

(٣) عند الامتحانِ يُكرَمُ المرءُ أو يُهان

اختبار للذاكرة

(١) هات جملة تفيد نجاحَ سعد — وعدم نجاحَ سعيد — بواسطة إنما

(٢) رُدَّ بطريق القصر بأنما على من ظنَّ أن المطر يكثر شتاء في السودان

(٣) (ا) مَنْ تُخاطب بالجملة الآتية ؟؟ فيكون القصر (قصر قلب)
(ب) من تُخاطب بالجملة الآتية ؟؟ فيكون القصر (قصر إفراد)
(ج) مَن تُخاطب بالجملة الآتية ؟؟ فيكون القصر (قصر تعيين)

وهى (ماأدَّيتُ الاَّ الواجبَ علىَّ)

(٤) غيِّر الجملة الاتيةَ بحيث تفيد القصر بالعطف
« بالاختراعات الحديثة ارتقت الامم الغربيّة »

نمرة	الجملة	نوعه باعتبار المقصور	باعتبار الواقع	طريقه
١	ماقصبات السبق الخ	قصر صفة على موصوف	إضافى	النفى والاستثناء
٢	الى الله اشكو	« « «	حقيقى	التقديم
٣	عند الامتحان يكرم الخ	قصر صفة على موصوف	اضافى	التقديم

(١) إنما نجح سعد لا سعيد

(٢) إنما يكثر المطر فى السودان ربيعاً لا شتاء

(٣) (ا) إذا كان المخاطب يعتقد أنك أديت غير الواجب عليك
(ب) إذا كان المخاطب يعتقد أنك أديت الواجب وغيره
(ج) إذا كان المخاطب متردداً فى تأدية الواجب وغيره

(٤) ارتقت الأمم الغربية بالاختراعات الحديثة لا بغيرها

تطبيق عملي

(١) لم يبقَ سواكَ نلوذ به ... مما نخشاه من المحِن

(٢) إنما يشترى المحامدَ حُرٌّ ... طاب نفساً لهُنَّ بالأثمان

(٣) إنَّما الدُّنيا متاعٌ زائل ... فاقتصدْ فيه وَخُذ منهُ وَدَعْ

(٤) عُمْرُ الفتى ذِكرُهُ لا طُول مُدَّته ... وَموتُهُ خِزيُهُ لا يومُهُ الدَّاني

(٥) ما نال في دُنياه وان بغْيَةً ... لكِن أخو حَزمٍ يجدُّ ويعْمَلُ

(٦) ومنَ البَليَّة عذلُ مَنْ لا يَرْعَوِي ... عَن غيِّه وَخِطابُ من لا يَفهمُ

(١) في هذا البيت إستثناء بغير إلا

(٢) يقول إن شراء المحامد مقصور على الأحرار ، فهم الذين تطيب نفوسهم ببذل المال في سبيل الحمد . والذى دل على هذا القصر هو لفظ (إنما) وهذا (قصر صفة) وهى الشراء على (موصوف) وهو الحر

(٣) فقد قصر الدنيا على صفة من صفاتها . وهى كونها متعبة لا تدوم لحى . وهو كما ترى (قصر موصوف على صفة)

(٤) أى إن حياة الانسان لا تقاس بطول المدة ، ولكن بالذكر الخالد . وأن الموت لا يكون بمفارقة الحياة ، بل بما يرضى به بعض الأحياء من خزى وهوان ، وقد جاء فى كل شطر بقصر ، إذ قصر العمر على الذكر فى الشطر الأول ، وقصر الموت على الخزى فى الشطر الثانى ، والذى دل على القصر فيهما هو العطف (بلا) فى قوله « لا طول مدته » « ولا يومه الدانى »

(٥) يقول : إن المهمل لا ينال أمانيه ، إنما الذى ينال ما يرجوه هو الحازم الذى يجد ويعمل ، فقصر نيـــل البغية على أخى الحزم ، وطريق القصر هنا هو العطف « بلكن »

(٦) يقول : إن لوم من لا يرجع عن باطله ، وإن التحدث إلى من لا يعى عنك ولا يفهم : مقصور على صفة لا يفارقها ، وهى كونه بلاء ونكداً — والذى دل على هذا القصر تقديم الخبر على المبتدأ

بالعلم والمال يبني الناسُ مُلكهمُ   لم يُبْنَ مُلْكٌ على جهل وإقلال[١]

تمرين آخر

عيِّن المقصور، والمقصور عليه، ونوع القصر وطريقته، فيما يأتى:

(١) قال الله تعالى: « فَذَكِّرْ إنَّما أنتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِر. »

(٢) وقال الله تعالى: « قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحى إلَيَّ أَنَّمَا إلَهُكُمْ إلَهٌ وَاحِدٌ. »

(٣) وقال تعالى: إنما يَفتَرِى الْكَذِبَ الذينَ لا يُؤْمِنُونَ بآياتِ الله وَأولئكَ هُمُ الْكاذِبُونَ ».

(٤) قال ابن الرومى:

غَلِطَ الطبيبُ عَلَيَّ غَلْطَةَ مُوردٍ   عَجِزَتْ مواردُهُ عن الإِصْدَارِ
والناسُ يَلْحَوْنَ الطبيبَ وَإنَّمَا   غَلَطُ الطبيبِ إصابةُ الأقْدَارِ

(٥) قال المتنبى:

والظلم من شِيَمِ النفوسِ فإن تجِدْ   ذا عفةٍ فلِعلّةٍ لا يَظْلِمُ

(٦) قال الطِّرِمَّاحُ بنُ حَكيمٍ:

وما مُنِعَتْ دارٌ ولا عزَّ أهلُها   مِنَ النَّاس إلاَّ بالقَنَا والقَنَابِلِ

(٧) قال حطَّان بن المعلَّى:

وَإنَّمَا أولادُنَا بيننا   أكبادُنا تَمشى على الأرْض

---

(١) قصر بناء الملك على العلم والمال بتقديم الجار والمجرور على الفعل

(٨) وقال رجل من بنى أسد :

ألا إنَّ خَيْرَ الوُدِّ وُدٌّ تَطوعت به النفسُ لا ودٌّ أتى وهو مُتْعَبَ

(٩) قال أبو تمام :

شاب رأسى وما رأيت مَشيب الـرأسِ إلاَّ من فَضلِ شَيْب الفؤاد

وكذاك القلوب فى كل بُؤْس ونعيم طـلائعُ الأجْسَادِ

(١٠) قال المتنبى :

وما أنا إلا سَمْهَرِىٌّ حملته فزَيَّنَ معروضاً وراع مُسَدَّدا

وما الدهر إلا من رُواة قصائدى إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا

(١١) وقال أيضاً :

وما الخوفُ إلا ما تَخَوَّفَهُ الفتى ولا الأمن إلا ما رآه الفتى أمنا

(١٢) وقال أبو فراس الحمدانى :

إذا الخِلّ لم يهجرك إلا ملالة فليس له إلا الفراق عتـاب

(١٣) وقال أبو العتاهية :

عَلّلْ النفسَ بالكفاف وإلاَّ طَلَبَتْ منك فوق ما يكفيها

إنما أنتَ طولَ عمرِكَ ما عُمِّـرْتَ فى الساعة التى أنت فيها

(١٤) قال مِهيار :

وما الحرصُ إلا فَضْلَةٌ لو نَبَذْتَهَا لما فاتَكَ الرِّزقُ الذى أنت آكله

(١٥) قال الطُّغرائى :

وإنمـا رَجل الدنيا وواحدُها من لا يُعَوِّلُ فى الدنيا على رجل

(١٦) قال الغَزِّى :

ليس التَّغربُ أن تشكو نوى سفرٍ   وإنما ذاك فَقْدُ العزِّ فى الوَطن

(١٧) وقال أيضاً :

إنما هذه الحيـــاة متاعٌ   والسفيهُ الغبيُّ من يصطفيها
مامضى فات ، والمؤمَّلُ غيب   ولك الساعة التى أنْت فيها

(١٨) وقال الأرَّجانى :

تطلَّعت فى يومَىْ رخاء وشدةٍ   وَناديتُ فى الأحياء هل من مساعد
فلم أر فيما ساءنى غـــير شامتٍ   ولم أرَ فيما سرَّنى غـير حاسد

(١٩) وقال الأبيوَردِىّ :

ومن نَكَدِ الأيام أن يبلُغَ المنى   أخو اللوْمِ فيها والكريم يخيب

(٢٠) وقال أيضاً :

ولا تَصْطَنِعْ إلا الكرامَ فإنهم   يجازُونَ بالنَّعماءِ من كان مُنْعِمَا

أسئلة على القصر وأنواعه تطلب أجوبتها

ماهو القصر لغة واصطلاحاً ؟ ؟ كم قسما للقصر ؟ ؟ ماهو القصر الحقيقى ماهو القصر الإضافى ؟ ـ كم قسما للقصر الحقيقى ؟ ـ كم قسما للقصر الاضافى مامثال قصر الصفة على الموصوف من الحقيقى ؟ — مامثال قصر الصفة على الموصوف من الأضافى ؟ ما مثال قصر الموصوف على الصفة من الحقيقى ؟ مامثال قصر الموصوف على الصفة من الإضافى ؟ ـ كم قسما للاضافى بقسميه ؟

على من يُرَدّ بقصر الأفراد ؟ — على مَنْ يُرَدُّ بقصر القلب ؟ ـ على من يُرَد بقصر التَّعيين ؟ — ماهى طرق القصر المصطلح عليها فى هذا الباب ؟ ما أقواها

أيمكن وقوع القصر بين الفعل والفاعل؟ أيمكن وقوع القصر بين الفاعل والمفعول أيمكن وقوع القصر بين الفعل ومعمولاته؟. — أيمكن وقوع القصر بين المفعولين؟. — متى يجب تأخير المقصور عليه؟ ومتى يكثر تأخير المقصور عليه؟. ـ لماذا يجب تأخير المقصور مع انما؟ ـ ويكثر مع النفى والاستثناء؟!

تطبيق عام على القصر وأنواعه والأبواب السابقة

لا حول ولا قوة إلا بالله ـ جملتان خبريتان اسميتان من الضرب الثالث لما فيهما من التوكيد بالقصر الذى هو أقوى طرق التوكيد ـ المسند اليه (حول وقوة) والمسند الجار والمجرور. ولا نظر لتقديم الخبر لأن ذلك مراعاة لقاعدة نحوية لايعتبرها أهل المعانى ولايعدون حذفه ايجازاً. والحكمان مقيدان بالنفى والاستثناء لافادة القصر ـ ففيهما (قصر صفة) وهو التحول عن المعاصى، والقوة على الطاعة على (موصوف) وهو الذات الأقدس. وهو قصر اضافى طريقه النفى والاستثناء. ثم ان كان للرد على من يعتقد أن التحول عن المعاصى والقوة على الطاعة بغير الله تعالى فهو قصر قلب. أو على من يعتقد الشركة فهو إفراد. أو على من يتردد فهو تعيين

إياك نعبد وإياك نستعين ـ جملتان خبريتان فعليتان من الضرب الثالث ـ المسند. نعبد ونستعين. والمسند إليه الضمير المستتر فيهما ـ وهما مقيدتان بالمفعولين إياك وقدم المفعولين لافادة القصر ـ ففيهما قصر (صفة) وهو العبادة والاستعانة، على (موصوف) وهو الذات الأقدس. طريقه تقديم ماحقه التـأخير ـ وهو إضافى. ثم إن كان للرد على من يعتقد أن المعبود غير الله تعالى ـ فهو. قلب ـ أو على من يعتقد الشركة فهو إفراد. أو على من يتردد فهو ـ تعيين

إنما شوقى شاعر ـ فيه قصر موصوف وهو شوقى على صفة وهو الشعر ـ وطريقه إنما ـ وهو قلب ـ أو إفراد ـ أو تعيين ـ على حسب حال المخاطب

الله الغفور الرحيم ـ فيه قصر الصفة وهو المغفرة والرحمة ـ على موصوف وهو الله تعالى ـ طريقه تعريف المسند بأل

وهو : قلب — أو إفراد — أو تعيين — على حسب حال المردود عليه

إنما الشجاع علي — فيه قصر صفة وهو الشجاعة — على موصوف وهو علي وطريقه إنما

المرء بآدابه لا بثيابه — فيه قصر الموصوف على الصفة ، قصر قلب بين المسند إليه والمسند . طريقه العطف بلا

إنما الآله واحد — فيه قصر الموصوف على الصفة ، قصراً حقيقيا — طريقه إنما . وهو واقع بين المسند إليه والمسند

الباب الثامن

فى الوصل والفصل

تمهيـــــد

العلمُ بمواقع الجُمل، والوقوف على ما ينبغى أن يُصنع فيها من العطف والاستئناف، والتهدّى إلى كيفية إيقاع حروف العطف فى مواقعها

أو تركها عند عدم الحاجة اليها صعبُ المسلك، لا يُوفّق للصواب فيه إلاَّ مَن أُوتى قسطاً موفوراً من البلاغة، وطُبع على إدراك محاسنها، ورُزق حظّا من المعرفة فى ذوق الكلام، وذلك لغُموض هذا الباب، ودِقة مَسلكه، وَعظيم خَطَره؟ وكثير فَائدته: يَدلّ لهذا، أَنَّهم جعلوه حدًّا للبلاغة

فقد سُئِل عنها بعضُ البُلغاء، فقال: هى «معرفة الفصل والوصل»

تعريف الوصل والفصل فى حدود البلاغة

الوصل عطف جملة على أخرى بالواو ـ والفصل ترك هذا العطف(١)

---

(١) إذا توالت الجملتان. لايخلو الحال من أن يكون ـ للأولى محل من الأعراب ـ أولا. وان كان لها محل من الاعراب فلا بد من أن يقصد تشريك الثانية لها فى حكم الاعراب ـ أولا. فان قصد التشريك عطفت الثانية عليها نحو الله يحي ويميت ـ وإلا فصلت عنها نحو قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون الله يستهزىء بهم. لم يعطف قوله الله يستهزىء بهم على ماقبله لئلا يشاركه فى حكم المفعولية للقول وهو ليس مما قالوه كما سيأتى ـ وإن لم يكن لها محل من الاعراب، فان كان لها حكم لم يقصد اعطاؤه للثانية وجب الفصل ـ دفعا للتشريك بينهما ـ نحو إنما أنت منذر ولكل قوم هاد. الله يعلم ماتحمل كل أنثى ـ لم يعطف (قوله الله يعلم) على ماقبله=

بين الجملتين، والمجيء بها مَنثُورةً، تُستأنَفُ واحدة منها بعد الأخرى

فالجملة الثانية: تأتى فى الأساليب البليغة مفصولة أحيانا، وموصولة أحيانا

فمن الفصل، قوله تعالى «وَلا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ إدْفَعْ بالَّتى هى أحسَنُ» فجملة (ادفع) مفصولة عمَّا قبلها، ولو قيل: وادفع بالتى هى أحسن، لمَا كان بَليغاً

ومن الوصل قوله تعالى «يأيُّها الذِينَ آمَنُوا اتقُّوا الله وكونوا مع الصَّادِقين» عطف جملة: وكونوا على ما قبلها

ولو قلت: اتقوا الله كونوا مع الصادقين، لما كان بليغاً

فكلّ من الفصل والوصل يجيء لأسباب بلاغيَّة

ومن هذا يُعلم أنّ الوصل جمع وربط بين جُملتين (بالواو خاصة) لصلة

= لئلا يشاركه فى حكم القصر فيكون تعالى مقصوراً على هذا العلم — وإن لم يكن لها ذلك الحكم نحو: زيد خطيب وعمرو متشرع — أو قصد إعطاء حكمها للثانية نحو إنما زيد كاتب وعمرو شاعر، وجب الوصل كما رأيت — مالم تكن إحدى الجملتين مطلقا منقطعة عن الأخرى انقطاعا كاملا بحيث لا يصلح ارتباطهما — أو متصلة بها اتصالا كاملا، بحيث لا تصح المغايرة بينهما. فيجب الفصل لتعذر ارتباط المنقطعتين بالعطف وعدم افتقار المتصلتين إلى ارتباط به. ويحمل شبه كل واحد من الكمالين عليه فيعطى حكمه — واعلم أنه لا يقبل فى العطف إلا عطف المتناسبات مفردة أو جملا بالواو أو غيرها، فالشرط وجود جهة جامعة بين المتعاطفات، فنحو الشمس والقمر والسماء والأرض، محدثة (مقبول) ونحو الشمس والأرنب والحمار. محدثة (غير مقبول) لكن اصطلاحهم اختصاص الوصل والفصل (بالجمل، وبالواو) — فلا يحسن الوصل إلا بين الجمل المتناسبة. لا المتحدة ولا المتباينة. والافصل —

واعلم أنه إن وجدت الواو بدون معطوف عليه قدر مناسب للمقام — نحو (أو كلما عاهدوا عهداً) فتقدر (أكفروا وكلما عاهدوا) لأن الهمزة تستدعي فعلا

بينهما فى الصورة والمعنى ؛ أو لدفع اللّبس

والفصل : ترك الربط بين الجُملتين . إمَّا لأنهما مُتحدتان صورة ومعنى ، أو بمنزلة المتحدتين ، وإمَّا لأنه لا صِلةَ بينهما فى الصُّورة أو فى المعنى

بلاغة الوصل

و بلاغة الوصل: لا تتحقق إلا (بالواو) العاطفة فقط دون بقيَّة حروف العطف ـ لأن (الواو) هى الأداة التى تخفى الحاجةُ اليها ، ويحتاج العطف بها إلى لُطف فى الفهم ، ودِقَّة فى الإدراك ، إذ لا تفيد إلاَّ مُجَرَّدَ الرّبط ، وتَشريك مَا بعدها لِمَا قبلها فى الحكم، نحو: مَضَى وقت الكسلْ وجاءَ زمن العمل، وقُم واسْعَ فى الخير

بخلاف العطف بغير (الواو) فيُفيدُ مع التَّشريك معانىَ اخرى — كالترتيب مع التَّعقيب فى (الفاء) وكالتَّرتيب مع التَّراخى) فى (ثُمَّ) وهكذا باقى حروف العطف التى إذا عُطف بواحد منها ظهرت الفائدة ، ولا يقع اشتباه فى استعماله

وشرط العطف (بالواو) أن يكون بين الجملتين (جامعٌ)

كالمُوافقةِ : فى نحو : يقرأويكتبُ ، وكالمُضادّة: فى نحو: يضحك ويبكى

و إنَّما كانت المضادّة فى حكم المُوافقة ، لأنَّ الذّهنَ يَتصوّر أحد الضّدين عند تصوّر الآخر ، (فالعلم) يخطر على البال عند ذكر (الجهل) كما تخطر (الكتابة) عند ذكر (القراءة)

(والجامع) يجب أن يكون باعتبار المسند اليه والمسند جميعاً

فلا يُقال: خليل قادم، والبعير ذاهب، لعدم الجامع بين المسند اليهما
كما لا يقال: سعيد عالم، وخليل قصير، لعدم الجامع بين المسندين
وفى هذا الباب مبحثان

المبحث الاول

فى اجمال مواضع الوصل

الوصلُ: عطفُ جملة على أخرى (بالواو) - ويقع فى ثلاثة مواضع[1]
الأول – إذا إتَّحدتْ الجملتانْ فى الخبرية والانشائية لفظاً ومعنى
أو معنى فقط[2] ولم يكن هناك سببٌ يقتضى الفصل بينهما. وكانت بينهما
مُناسبةٌ تامَّةٌ فى المعنى - فمثال الخبريتين قوله تعالى (إنَّ الأبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ[3].
وإنَّ الفجَّارَ لَفِي جحِيم) ومثال الانشائيتين قوله تعالى (فادْعُ واستقِمْ
كَمَا أُمِرْتَ) وَقوله تعالى (واعْبُدُوا اللهَ ولا تُشرِكُوا بهِ شَيئًا)

وصل جملة «ولا تشركوا» بجملة «واعبدوا» لاتحادهما فى الانشاء،
ولأن المطلوب بهما مما يجبُ على الانسان أن يؤدِّيه لخالقه، ويختصَّه به
ومن هذا النوع قول المرحوم شوقى بك:

عالجوا الحِكمة واستشفوا بها ... وانشدُوا ما حلَّ منها فى السِّيَرْ

فقد وصل بين ثلاث جمل، تتناسب فى أنها مما يتعلق بأمر (الحكمة)
وبواجب (الشباب) فى طلبها، والانتفاع بها

---

(١) الوصل يقع وجوبا بين جملتين متناسبتين لا متحدتين ولا مختلفتين كما سيأتى تفصيل ذلك
(٢) المعول عليه اتحادهما فى المعنى لأن العبرة به ولا قيمة لاختلاف الصورة اللفظية
(٣) فى هذا الكلام جملتان خبريتان وصلت الثانية بالأولى لأن بين الجملتين تناسباً
فى الفكر، فاذا جرى فى الذهن حال أحد الفريقين تصور حال الفريق الآخر

ومثال المختلفتين، قوله تعالى (إِنِّى أُشْهِدُ اللّهَ ، واشْهَدُوا أَنِّى بَرِىءٌ مِمَّا تشركون)

أى : إنّى اشْهِدُ اللهَ وأُشْهِدُ كُم [١] . فتكون الجملة الثانية فى هذه الآية : إنشائية لفظاً ، ولـكنها خبرية فى المعنى [٢]

وَنحو : إذهبْ إلى فلان، وتقول له كذا ، فتكون الجملة الثانية من هذا المثال خبرية لفظاً ، ولـكنها إنشائية معنى « أى : وقُلْ له »

فالاختلاف فى اللفظ ،لا فى المعنى المُعوّل عليه ، ولهذا (وجب الوصل) وعطف الجملة الثانية على الأولى لوجود الجامع بينهما ، ولم يكن هناك سبب يقتضى الفصل بينهما ، وكل من الجملتين لا موضع له من الإعراب

الثانى — دفع توهُّم غير المُراد، وذلك اذا اختلفت الجملتان فى الخبرية والإنشائية، وكان الفصل يُوهم خِلَافَ المقصود [٣] كما تقول مجيباً لشخص بالنَّفى « لا — شفاه الله [٤] »

لمن يسألك: هل بَرِىَ عَلِيٌّ من المرض ؟؟ « فترك الواو يُوهم السَّامع

---

(١) والداعى لذكر الجملة الثانية إنشائية ، ولم تذكر كالأولى خبرية ، لأجل التحاشى عن مساواة شهادتهم بشهادته عز وجل — تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً

(٢) اعلم أن صور الجملتين ثمانية — لأنهما (إما خبريتان) لفظا ومعنى — أو معنى لا لفظا — أو الأولى جملة خبرية معنى لا لفظا — أو بالعكس

(وإما انشائيتان) لفظا ومعنى — أو معنى لا لفظا — أو الأولى جملة خبرية صورة والثانية إنشائية — أو بالعكس كما مثلنا

(٣) أما إذا لم يحصل إيهام خلاف المقصود فيجب الفصل نحو سافر فلان سلمه الله

(٤) فجملة شفاه الله خبرية لفظا إنشائية معنى: والعبرة بالمعنى — واعلم أن الجملة الأولى المدلول عليها بكلمة « لا » جملة خبرية إذ التقدير « لا برء حاصل له » وهكذا يقدر المحذوف بحسب كل مثال يليق به

الدُّعاء عليه، وهُو خلافُ المقصُود، لأنَّ الغرض الدُّعاء له »[١]

ولهذا (وجبَ أيضاً الوصلُ)

وعطف (الجملة الثَّانية) الدُّعائية الإنشائية على (الجملة الأولى) الخبريَّة المُصَوَّرة بلفظ «لا» لدفع الإيهام، وكلٌّ من الجملتين لا محل له من الاعراب

الثالث — إذا كان (للجملة الأولى) محلٌّ من الاعراب، وقُصِد تَشريكُ (الجملة الثانية) لها فى الاعراب حيث لامانعَ، نحو: علىٌّ يقول، و يفعلُ[٢]

---

(١) كما حكى: أن (أبا بكر) مر برجل: فى يده ثوب. فقال له: أتبيع هذا: فقال) الرجل «لا — يرحمك الله» فقال أبو بكر «لاتقل هكذا» قل «لا — ويرحمك الله» وهكذا إذا سئلت عن مريض: هل أبل؟؟ فقل «لا — وشفاه الله» حتى لايتوهم السامع أنك تدعو عليه، وأنت تريد الدعاء له، فالجملة الأولى المدلول عليها بكلمة «لا» خبرية، والثانية إنشائية فى المعنى، لأنها لطلب الرحمة والشفاء، وكان الواجب الفصل بينهما، لولا مايسببه الفصل من الوهم

(٢) فجملة (يقول) فى محل رفع خبر المبتدأ، وكذلك جملة: (ويفعل) معطوفة على جملة يقول: وتشاركها بأنها فى محل رفع خبر ثان للمبتدأ، فاشتراك الجملتين فى الحكم الاعرابى يوجب الوصل

وحكم هذه الجملة حكم المفرد المقتضى مشاركة الثانى للأول فى إعرابه

والأحسن أن تتفق الجملتان فى الاسمية والفعلية، والفعليتان فى الماضوية والمضارعية

أى: أن تعطف الاسمية على مثلها، وكل من الماضوية والمضارعية على مثلها

وكذا الاسميتان فى نوع المسند من حيث الافراد — والجملة — والظرفية:

ولا يحسن العدول عن ذلك إلا لأغراض

«ا» كحكاية الحال الماضية، واستحضار الصورة الغريبة فى الذهن، نحو: (إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله، ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون)

«ب» وكافادة التجدد فى إحداهما، والثبوت فى الاخرى - نحو:

(أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين) فقد لوحظ فى الأولى إحداث تعاطى الحق وفى الثانية الاستمرار على اللعب، والثبات على حالة الصبا - ونحو: الصديق يكاتبنى وأنا =

تمرين

وضح أسباب الوصل فى الجمل الآتية :

(١) قال الله تعالى «ولا تجعل يدك مغلولةً إلى عُنقك ولا تبسُطها كل البَسْط فتقعُدَ ملوماً محسوراً»

(٢) وقال تعالى «ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارونَ وزيراً»

(٣) وقال تعالى «قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إنَّمَا أنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ، فَالذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ، وَالذِين سَعَوْا فى آياتِنَا مُعاجزِينَ أولئكَ أصْحَابُ الْجَحِيم»

(٤) وقال صلى الله عليه وسلم : «اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ. وأتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»

(٥) قال أبو العتاهية :

تأتى المكارهُ حين تأتى جُمْلَةً ... وأرَى السُّرورَ يجىء فى الفَلَتَات

(٦) وقال المتنبى :

وكلُّ امرىء يُولِى الجميلَ مُحَبَّبٌ ... وكلُّ مكان يُنْبِتُ العزَّ طيّب

(٧) وقال المعرى :

اضْرِبْ وليدكَ وادْلُلْهُ عَلَى رَشَدٍ ... ولا تقل هو طفلٌ غيرُ مُحْتَلِمِ

= مقيم على وده، وذلك لأن الدلالة على التجدد تكون بالجملة الفعلية، وعلى الثبات بالجملة الاسمية — ومثل هذا : يحصل عند إرادة المضي فى إحداهما والمضارعية فى الأخرى

فربَّ شقٍّ برأس جرَّ منفعةً وَقِسْ على نفع شَقِّ الرأسِ في القلم

(٨) وقال :

يصونُ الكريمُ العِرْضَ بالمال جاهداً
وذو اللّؤمِ للأَموال بالعِرض صائنُ

(٩) وقال مسلم بن الوليد :

يجودُ بالنفس إن ضَنَّ الجَوادُ بها والجُودُ بالنفس أقصى غايةِ الجُودِ

(١٠) وقال أبو نواس :

نسيبُك من ناسَبْتَ بالودِّ قلبَهُ وجارُكَ من صافيتَ لا من تُصاقِبُ

(١١) وقال الغزى :

إنما هذه الحيـــاة متاعٌ والسفيهُ الغبيُّ من يَصطَفِيها
ما مضى فات ، والمؤمَّلُ غَيْبٌ ولكَ الساعة التى أنتَ فيهـــا

تمرين آخر

بين أسباب الفصل فى الأمثلة الآتية :

قال الله تعالى :

(١) « وضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ . قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيم * قُلْ يُحْيِيهَا الذى أنْشَأَها أوَّلَ مَرَّةٍ »

(٢) وقال تعالى « فَإِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً . إنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً »

(٣) وقال تعالى « إنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ وجَعَلَ أهْلَهَا شِيَعاً

يَسْتَضْعِفُ طائِفَةً مِنهمْ يُذَبِّحُ أبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُم إنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ »

(٤) وقال تعالى « إنَّ الذينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أأنْذَرْتَهُم أمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ * خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ »

(٥) وقال تعالى « وَإذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأنَّ فِى أُذُنَيْهِ وَقْرًا »

(٦) وقال تعالى « وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إبْرَاهِيمَ * إذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلاَماً . قَالَ إنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ * قَالُوا لاَ تَوْجَلْ إنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلاَمٍ عَلِيمٍ * قَالَ أبَشَّرْتُمُونِى عَلَى أنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ * قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ »

(٧) قال أبو العتاهية :

الصَّمْتُ أجمَلُ بالفتى … من مَنْطقٍ فى غيرِ حِينه
لا خير فى حَشْوِ الكلا … م إذا اهتَدَيتَ إلى عُيوبهِ
كلُّ امرىء فى نفسهِ … أعلى وأشرف من قرينه

(٨) قال أبو تمام :

ليس الكريم الذى يُعْطِى عَطيَّتَهُ … عن الثناء وإن أغْلى به الثمنا
إن الكريم الذى يعطى عطيَّته … لغير شىء سوى استحسانهِ الحَسَنا
لا يَسْتَثِيبُ ببذل العُرْفِ مَحْمَدَةً … ولا يَمُن إذا ما قلَّدَ المننا

(٩) وقال المتنبي :

لولا المشقةُ سادَ الناسُ كلُّهمُ الجودُ يُفقِرُ والإقدامُ قتّالُ

(١٠) وقال الشريف الرضى :

لا تأمننَّ عدواً لانَ جانِبُهُ خُشُونَةُ الصِّلِّ عُقْبي ذلك اللِّين

(١١) وقال المعرى :

لا يُعجبنَّكَ إقبالٌ يريك سناً إن الخمودَ لعَمْري غايةُ الضَّرَمِ

(١٢) وقال الخفاجي

الناس شتّى وإن عمّتهم صُوَرٌ هي التّناسب بين الماء والآل

(١٣) وقال أبو فراس :

لا تطلبنَّ دُنُوَّ دا رٍ من خليل أو مُعَاشِرْ

أبقى لأسباب المودّة أن تزور ولا تجاورْ

(١٤) وقال الحُطيئة :

من يفعل الخيرَ لا يَعدَمْ جوازِيَه لا يذهبُ العُرْفُ بين اللهِ والناس

(١٥) وقال أعرابى قتل أخوه ابناً له :

أقول للنفس تأساءً وتعزيةً إحدى يدَيَّ أصابتني ولم تُرِدِ

كلاهما خلَفٌ من فقد صاحبه هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي

(١٦) وقال الغزى :

من أغفل الشِّعْرَ لم تعرَفْ مناقبُه لا يُجْتَنَى ثمرٌ من غير أغصان

(١٧) وقال ابن شرف :

لا تسألِ الناسَ والأيامَ عن خبرٍ هما يَبُثّانكَ الأخبارَ تفصيلا

(١٨) ولكل حُسْنٍ آفة موجودة   إن السراج على سناه يُدَخِّنُ

(١٩) بالعلم والمال يبني الناس ملكهم   لم يُبْنَ مُلْكٌ على جهل وإقلال

المبحث الثاني

في مُجْمَل مواضع الفصل(١)

من حق الجُمَل : اذا ترادفت ووقع بعضُها إثْر بعض : أن تُربط بالواو لتكونَ على نَسق واحد(١) — ولكن قد يعرِض لها مايُوجب ترك الواو فيها : ويُسمى هذا فصلا — ويقع في خمسة مواضع

الأول — أن يكون بين الجملتين اتحادٌ تامٌّ : وامتزاجٌ معنويٌّ ، حتى كأنَّهما أُفرِغا في قالَب واحد ، ويُسَمَّى ذلك « كمال الاتصال »

الثاني — أن يكون بين الجملتين تبايُنٌ تامٌّ : بدون إيهام خلاف المراد ويُسمَّى ذلك « كمالَ الانقطاع »

الثالث — أن يكون بين الجملتين رابطة قوية ، ويُسمى ذلك « شِبه كمال الاتصال »

الرابع — أن يكون بين الجملة الأولى والثانية (جملةٌ أخرى ثالثة مُتوسّطة) حائلة بينهما

فلو عُطفت الثالثةُ على « الأولى المناسبة لها » لتوُهِّم أنها معطوفة على « المتُوسطة » فيترك العطف ، ويُسمى ذلك « شِبهَ كمال الانقطاع »

الخامس — أن يكون بين الجملتين تناسبٌ وارتباط ، لكن يمنع من

---

(١) الفصل : ترك الربط بين الجملتين : إما لأنهما متحدتان صورة ومعنى . أو بمنزلة المتحدتين : وإما لأنه لا صلة بينهما في الصورة ، أو في المعنى

عطفهما مانع : وهو عدم قصد اشتراكهما فى الحكم ، ويُسمَّى ذلك « التَّوسُّط بين الكمالين »

المبحث الثالث

فى تفصيل مواضع الفصل الخمسة السابقة

أحيانا : تتقاربُ الجمل فى معناها تقاربا تاما ، حتى تكون الجملة الثانية كأنها الجُملة الأولى . وقد تنقطعُ الصِّلة بينهما

إمَّا : لاختلافهما فى الصُّورةَ ، كأن تكون إحدى الجُملتين إنشائية والأخرى خبرية .

وإمّا لتباعد معناهما ، بحيث لا يكون بين المعنيين مُناسبة ، وفى هذه الأحوال يجب الفصلُ فى كلّ موضع من المواضع الخمسة الآتية — وهى

الموضع الأول — « كمال الاتصال » وهو اتحادُ الجملتين اتحاداً تاماً : وامتزاجاً معنوياً — بحيث تُنزَّل الثانية من الأولى مَنزلةَ نفسها

« ا » بأن تكون الجملة الثانية بمنزلة البدل من الجُملة الأولى ، نحو : (واتَّقُوا الذى أمَدَّكم بما تَعْلَمُون أمدَّكُم بِأنْعَام وبنِين) [1]

« ب » أو : بأن تكون الجملة الثانية بيانا لإبهام فى الجملة الأولى كقوله تعالى (فوَسْوسَ إليْهِ الشَّيطانُ قالَ يا آدمُ هَلْ أدُلّكَ على

---

(١) هذا فى بدل البعض — وأما فى بدل الكل : فنحو قوله تعالى — (بل قالوا مثل ماقال الأولون . قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) فجملة (قالوا أئذا متنا وكنا تراباً) كالبدل المطابق — وأما بدل الاشتمال فنحو قوله

أقول له ارحل لا تقيمن عندنا ‌ ‌ ‌ وإلا : فكن فى السر والجهر مسلما

فجملة لا تقيمن بمنزلة البدل من جملة (ارحل) بدل اشتمال لأن بينهما مناسبة بغير الكلية والجزئية

شَجَرةِ الخُلْدِ) فجملة (قال يا آدم) : بيان لماوسوس به الشيطان اليه

« ج » أو : بأن تكون الجملة الثانية مؤكِّدة للجملة الأولى (بما يشبهُ أن يكون توكيداً لفظياً أو معنوياً) كقوله تعالى (فَمَهِّلِ الكافرينَ أَمْهِلهم رُوَيْداً) وكقوله تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله و باليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا) فالمانع من العطف فى هذا الموضع اتحاد الجملتين اتحاداً تاماً يمنع عطف الشىء على نفسه « ويُوجب الفصل »

الموضع الثانى — « كمال الانقطاع » وهو اختلاف الجملتين اختلافاً تاماً .

« ا » بأن يَختلفا خبراً وإنشاءً . لفظاً ومعنىً ، أومعنى فقط ، نحو : حضر الأمير حفظه الله ، ونحو : تكلَّمْ إنى مُصْغٍ اليك — وكقول الشاعر

وقال رائِدُهم أُرسُوا نُزَاوِلها فحتفُ كلِّ امرئٍ يَجرِى بمقدار[1]

«ب» أو : بألَّا تكون بين الجملتين مناسبة فى المعنى ولا ارتباط ، بل كلٌّ منهما مُستقِلٌّ بنفسه — كقولك : علىٌّ كاتبٌ — الحمام طائر ، فإنه لا مناسبة بين كتابة علىٍّ . وطيران الحمام

وكقوله : إنّما المرءُ بأصغرَيْهِ كلُّ امرئٍ رَهْنٌ بما لَديْه

فالمانع من العطف فى هذا الموضع « أمر ذاتى » لا يمكن دفعه أصلا وهو التَّبايُن بين الجملتين ، ولهذا : وجب الفصل ، وترك العطف لأنَّ العطف يكون للرَّبط ، ولا ربطَ بين جملتين فى شِدَّة التَّباعد وكمال الانقطاع

---

(١) أى أوقفوا السفينة كى نباشر الحرب ، ولا تخافوا من الموت ، فان لكل أجل كتابا — أى فالمانع من العطف فى هذا الموضع أمر ذاتى لا يمكن دفعه أصلا ، وهو كون إحداهما جملة خبرية ، والأخرى إنشائية ، ولا جامع بينهما

الموضع الثالث — « شِبه كمال الاتصال » وهو كون الجملة الثانية قَوية الارتباط بالأولى، لوقوعها جوابًا عن سؤَال يُفهم من الجملة الأولى فتُفصَلُ عنها، كما يُفصَل الجواب عن السؤَال — كقوله تعالى

وما أبرّىءُ نفسى إنّ النَّفس لأمَّارة بالسُّوء (١) — ونحو: قول الشاعر

زعَم العَوازلُ أنَّنِى فى غَمرة صَدقوا، ولـكن غمرَتى لا تَنْجَلِى

« كأنَّه سُئِل: أصَدَقوا فى زعمهم أم كذبوا ؟؟ فأجاب: صدقوا » (٢)

ونحو: السَّيف أصْدق أنباءً من الـكتب فى حدّه الحدّ بين الجِدّ واللّعِبِ

---

(١) الجملة الثانية شديدة الارتباط بالجملة الأولى لأنها جواب عن سؤال نشأ من الأولى « لم لا تبرىء نفسك ؟ ؟ فقال « إن النفس لأمارة بالسوء » فهذه الرابطة القوية بين الجملتين مانعة من العطف، فأشبهت حالة اتحاد الجملتين — وبذلك ظهر الفرق بين كمال الاتصال، وشبه كمال الاتصال

(٢) وبيان ذلك بعبارة أخرى أنه إذا اجتمعت جملتان: فذلك على خمسة أحوال أولا — أن تكون الثانيـة بمعنى الأولى، أو جزءاً منها، فيجب ترك العطف لأن الشىء لا يعطف على نفسه، وكذا الجزء لا يعطف على كله

فيقال حينئذ: إن بين الجملتين كمال الاتصال — ومواضعه:

« ا » أن تكون الثانيـة توكيداً للاولى — مثل قوله تعالى (ماهذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم)

« ب » أن تكون الثانية بدلا من الأولى — مثل أطعت الله — أديت الصلاة

« ج » « « « بياناً للاولى — مثل بثنى شكواه. قال: إنى لا أجد قوت يومى

ثانياً — أن تكون الثانيـة مباينة للاولى تمام المباينة، فيجب ترك العطف لأن العطف يكون للربط، ولا ربط بين المتباينين، فيقال بين الجملتين كمال الانقطاع. ومواضع ذلك

« ا » أن تختلفا خبراً وإنشاء مثل — مات فلان، رحمه الله

إلا اذا أوهم ترك العطف خلاف المقصود فيجب العطف نحو لا وشفاك الله =

فكأنَّه استفهم . وقال: لِمَ كان السيف أصدق؟؟ ، فأجاب بقوله: فى حَدِّه : الخ
فالمانع من العطف فى هذا الموضع وجود الرَّابطة القوية بين الجملتين
فأشبهت حالة اتحاد الجملتين ـ ولهذا (وجب أيضاً الفصل)

الموضع الرابع « شبه كمال الانقطاع » وهو أن تُسْبق جملة بجملتين

= « ب » أن تتحدا خبرا وإنشاء ، ولكن لا يوجد بينهما رابط ، مثل القمر طالع — أكلت كثيراً

ثالثا — أن تكون الجملتان متناسبتين وبينهما رابطة ، ويسمى ذلك التوسط بين الكمالين — وذلك على نوعين

« ا » ألا يمنع من العطف مانع فيعطف — مثل اجتهدوا وتأدبوا

« ب » أن يمنع من العطف مانع وهو عدم قصد التشريك فى الحكم ، فيمتنع العطف مثل قوله تعالى (وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون الله يستهزىء بهم)

رابعا — أن تكون الثانية قوية الرابطة بالاولى ، لانها جواب عن سؤال يفهم من الاولى ، فهذه الرابطة القوية تمنع العطف ، لأنها أشبهت حالة اتحاد الجملتين (ويسمى ذلك (شبه كمال الاتصال) — مثل رأيته مبتسما ، أظنه نجح)

خامسا — أن تكون الأخيرة مناسبة للاولى ، ولامانع من عطفها عليها ، ولكن يعرض حائل بينهما ، وهو جملة أخرى ثالثة متوسطة ، فلو عطفت الثالثة على الأولى المناسبة لها ، لتوهم أنها معطوفة على المتوسطة ، فامتنع العطف بتاتا ، وأصبحت الجملتان كأنهما منقطعتان بهذا الحائل — ويسمى ذلك (شبه كمال الانقطاع) ، نحو : قول الشاعر

وتظن سلمى أننى أبغى بها بدلا أراها فى الضلال تهيم

واعلم أن التركيب الذى تجاذبت فيه أسباب الوصل وتعاضدت دواعيه قد يفصل إما لمانع من تشريك الجملة الثانية مع الأولى ويسمى قطعا كما سبق ، وإما لجعله جواب سؤال مقدر لأغناء السامع عنه « أو لكراهة سماعه له لو سأل ، أو لكراهة انقطاع كلامه بكلام السائل ، أو للاختصار ، ويسمى الفصل لذلك استئنافا — كقوله

فى المهد ينطق عن سعادة جده أثر النجابة ساطع البرهان

على تقدير أنه جواب — كيف ينطق ؟ ؟ وهو رضيع لم يبلغ أوان النطق ! »

يصحُّ عطفها على الأولى لوجود المناسبة ، ولـكن فى عطفها على الثانية فساد فى المعنى ، فيُترك العطف بالمرَّة : دفعاً لتوهم أنه معطوف على الثانية – نحو

وَتَظُنُّ سَلمى أَنَّنى أَبغِى بِها بدلاً أُراها فى الضَّلال تَهيمُ

فجملة « أُراها » يصحّ عطفها على جملة « تظنُّ » لـكن يمنع من هذا توهّم العطف على جملة « أبغِى بها » فتكون الجملة الثالثة من مظنونات سَلْمى ، مع أنه غير المقصود – ولهذا امتنع العطف بَتَاتاً (ووجب أيضاً الفصل)

والمانع من العطف فى هذا الموضع « أمر خارجى احتمالى » يمكن دفعه بمعونة قرينة » — ومن هذا : وممَّا سبق ، يفهم الفرق بين كل من

« كمال الانقطاع – وشبه كمال الانقطاع »

الموضع الخامس – التَّوسط بين الـكمالين مع قيام المانع » وهو كون الجملتين متُناسبتين : وبينهما رابطة قوية – لـكن يمنع من العطف مانع ، وهو عدم قصد التَّشريك فى الحُـكم – كقوله تعالى (وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِم قالوا إنَّا معَكم إنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ »

فجملة « اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ » لا يصح عطفها على جملة إنَّا معكم » لاقتضائه أنه من مقول المنافقين : والحال أنه من مقوله تعالى « دعاء عليهم » ولا على جملة « قالوا » لئلا يُتوهَّم مشاركته له فى التقييد بالظَّرف – وأنَّ استهزاء الله بهم مقيد بحال خُلوّهم إلى شياطينهم « والواقع أن استهزاء الله بالمنافقين غيرُ مقيد بحال من الأحوال — ولهذا (وجب أيضاً الفصل)

تنبيهـــان

الأول - لمَّا كانت الحال تجيء جملة ، وقد تقترن بالواو ، وقد لا تقترن ، فأشبهت الوصل والفصل ، ولهذا يجب وصل الجملة الحالية بما قبلها بالواو إذا خلت من ضمير صاحبتها — نحو جاء فؤاد والشمس طالعة[1]

---

(١) بيان ذلك أن الحال

إما مؤكدة — فلا واو : للاتحاد بين الجملتين لأنها مقررة لمضمونها نحو سعد أبوك كريم وإما منتقلة — لحصول معنى حال النسبة (أى نسبة العامل إلى صاحب الحال) فلزم فيها أمران . الحصول والمقارنة: فالحال المفردة صفة فى المعنى ، فلا تحتاج لواو للاتحاد وأما الحال الجملة — فالمضارع المثبت لا يؤتى له بواو للارتباط معنى. لوجود الحصول والمقارنة معا ، فلا حاجة للربط بها - نحو وجاءوا أباهم عشاء يبكون — ونحو . قدم الأمير تتسابق الفرسان أمامه ، ولا يجوز وجاؤا أباهم عشاء ويبكون ، ولا قدم الامير وتتسابق وهذه إحدى المسائل السبع المذكورة فى النحو التى تمتنع فيها الواو

الثانية — الحال الواقعة بعد عاطف نحو (فجاءها بأسنا بياتا أوهم قائلون) .

الثالثة — المؤكدة لمضمون الجملة — نحو (هو الحق لا شك فيه ، ذلك الكتاب لا ريب فيه)

الرابعة — الماضى التالى إلا — نحو ما تكلم زيد الا قال خيراً —

وقيل يجوز اقترانه بالواو — كما ورد فى قوله :

نعم امرؤ هرم لم تعر نائبة إلا وكان لمرتاع بها وزرا

الخامسة — الماضى المتلو باو ، نحو — لأضربنه ذهب أومكث — ومنه قول الشاعر

كن للخليل نصيراً جار أو عدلا ولا تشح عليه جاد أو بخلا

السادسة — المضارع المنفى بلا — نحو وما لنا لا نؤمن بالله ، مالى لا أرى الهدهد — وقوله

لو أن قوما لارتفاع قبيلة دخلوا السماء دخلتها لا أحجب

السابعة — المضارع المنفى بما — كقوله

عهدتك ماتصبو وفيك شبيبة فما لك بعد الشيب صبا متيماً

وأبعد الجمل فى الصلاح للحالية الجملة الأسمية لدلالتها على الثبوت — لا على الحصول =

ويجب فصلها فى ثلاثة مواضع

(١) إذا كان فعلها ماضياً تالياً «إلاّ» — أو وقع ذلك الماضى قبل «أو» التى للتسوية — نحو ما تكلّم فؤاد إلا قال خيراً — وكقول الشاعر

= والمقارنة، فيجب فيها الواو — نحو (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون)

وقد يكتفى فيها بالضمير ندورا — نحو كلمته فوه الى فى — أى مشافهة —

ثم الماضى مثبتا لعدم المقارنة فيحسن معها الواو، لان الماضى يدل على الحصول المتقدم، لا الحصول حال النسبة

وتجب «قد» تحقيقا أو تقديراً — لتقربه من الحال، أى لتجعل (قد) الفعل الماضى الدال على حصول متقدم — لا حصول حال النسبة قريبا من حال النسبة، لا من حال التكلم — إذ اللازم فى الحال مقارنتها لزمان النسبة لا لزمان التكلم — وإنما اكتفى بهذا التقريب فى صحة الحال وان كان اللازم الاقتران — إما لانه ينزل قرب الحال إلى زمان النسبة منزلة المقارنة مجازاً — وإما لانه يعتبر قربها فى الفعل هيئة للفعل —

فاذا قلت جاءنى زيد وقد ركب — فكأنك نزلت قرب ركوبه من مجيه منزلة مقارنته له — أو جعلت كون مجيئه بحيث يقرب منه ركوبه هيئة لمجيئه، وحالا له

— قالوا — وتمتنع (قد) مع الماضى الممتنع ربطه بالواو. وهو التالى إلا والمتلو بأو — لكن فى (شرح الرضى) — أنهما قد يجتمعان بعد إلا — نحو ما لقيته إلا وقد أكرمنى، ويلى الماضى المثبت، الماضى المنفى، لأنه هيئة للفعل بالتأويل. لان قولك جاء زيد ليس راكبا — فى قوة جاء زيد ماشيا، فيتحقق الحصول ويستمر غالبا، فيقارن كذلك فيحسن ترك الواو نظراً الى تحقق الحصول والمقارنة — ويجوز ذكرها أيضا نظراً إلى كونه ما كان هيئة للفعل الا بعد تأويل — ونظراً الى كون استمراره أغلبيا لا دائميا

والأحسن فى الظرف إذا وقع حالا ترك الواو نظراً للتقدير بمفرد، تقول نظرت الهلال بين السحاب. ومثله الجار والمجرور، نحو فخرج على قومه فى زينته — ونحو أبصرت البدر فى السماء — وان جوزوا الواو بتقدير فعل ماض

وما يخشى فيه التباس الحال بالصفة أتى فيه بالواو وجوبا، ليتميز الحال، فيقال جاء رجل ويسعى — إذا لو قيل: يسعى — لالتبس الحال بالصفة فى مثله

كُنْ للخليل نَصيراً جارَ أو عدلا   ولا تَشحّ عليه جاد أوْ بخلا

(٢) اذا كان فعلها مضارعا مُثبتاً أو منفيًّا « بما - أو - لا » نحو : (وَجاءُوا أَبَاهُم عشاءَ يَبْكُونَ) ونحو : وَمَا لَنَا لا نؤْمِنُ باللهِ) ونحو :

عَهِدْتُكَ ما تَصبُو وَفيكَ شَبيبةٌ   فمالكَ بعد الشَّيبِ صبًّا مُتيَّما

(٣) إذا كانت جملة اسمية واقعة بعد حرف عطف — أو كانت اسمية مؤكدة لمضمون ما قبلها — كقوله تعالى (فجاءَها بأْسُنا بيَاتاً أوْ هُم قائلُونَ) وكقوله تعالى (ذَلكَ الْكِتابُ لارَيْبَ فِيهِ هُدًى للْمُتَّقِين)[1]

الثانى - علم مما تقدَّم أن من مواضع الوصل اتفاق الجملتين فى الخبرية والانشائية — ولابد مع اتفاقهما من (جهة) بها يتجاذبان، وأمر (جامع) به يتآخذان ، وذلك (الجامع) : إما - عقلى[2] - أوْ: وَهمى[3] - أو : خيالى[4]

---

(١) لما كان قوله (ذلك الكتاب) فيه مظنة مجازفة بسبب ايراد المسند اليه اسم إشارة - والمسند معرفا بأل - أكده بقوله (لا ريب فيه) تأكيداً معنويا.

ولما كانت الدعوى المذكورة مع إدعاء عدم المجازفة مظنة استبعاد - أكده بقوله « هدى للمتقين » تأكيداً لفظيا — حتى كأنه نفس الهداية

(٢) فالجامع العقلى - أمر بسببه يقتضى العقل إجتماع الجلتين فى القوة المفكرة كالاتحاد فى المسند : أو المسند اليه - أو فى قيد من قيودهما - نحو زيد يصلى ويصوم ويصلى زيد وعمرو . . وزيد الكاتب شاعر . وعمرو الكاتب منجم . وزيد كاتب ماهر ، وعمرو طبيب ماهر - وكالتماثل والاشتراك فيهما - أو فى قيد من قيودهما أيضا بحيث يكون التماثل له نوع اختصاص بهما أو بالقيد - لا مطلق تماثل - فنحو زيد شاعر وعمرو كاتب لايحسن إلا إذا كان بينهما مناسبة ، لها نوع اختصاص بهما - كصداقة أو أخوة أو شركة أو نحو ذلك - وكالتضايف بينهما . بحيث لا يتعقل أحدهما الا بالقياس الى الآخر ، كالأبوة مع البنوة - والعلة مع المعلول - والعلو والسفل - والأقل والأكثر - إلى غير ذلك

تمـــــرين آخر

عين أسباب الوصل والفصل فى الأمثلة الآتية :

قال الله تعـــــالى :

١ — « مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ ، وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إلهٍ ، إذاً لَذَهَبَ كل إلهٍ بما خَلَقَ ، وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ » .

= (٣) والجامع الوهمى - أمر بسببه يقتضى الوهم اجتماع الجملتين فى المفكرة ، كشبه التماثل الذى بين نحو لونى البياض والصفرة - فان الوهم يبرزها فى معرض المثلين من جهة أنه يسبق اليه أنهما نوع واحد، زائد فى أحدهما عارض فى الآخر - بخلاف العقل فانه يدرك أنهما نوعان متباينان داخلان تحت جنس واحد ، هو اللون - وكالتضاد بالذات - وهو التقابل بين أمرين وجوديين بينهما غاية الخلاف - يتعاقبان على محل واحد - كالسواد والبياض - أو التضاد بالعرض كالاسود والأبيض - لأنهما ليسا ضدين لذاتهما لعدم تعاقبهما على محل واحد - بل بواسطة ما يشتملان عليه من سواد وبياض — وكشبه التضاد كالسماء والارض — فان بينهما غاية الخلاف ارتفاعا وانخفاضاً ، لكن لا يتعاقبان على محل واحد ، كالتضاد بالذات ، ولا على ما يشمله كالتضاد بالعرض

(٤) والجامع الخيالى — أمر بسببه يقتضى الخيال اجتماع الجملتين فى المفكرة ، بأن يكون بينهما تقارن فى الخيال سابق على العطف لتلازمهما فى صناعة خاصة ، أو عرف عام -

كالقدوم . والمنشار . والمنقاب — فى خيال النجار

والقلم . والدواة . والقرطاس — فى خيال الكاتب

وكالسيف . والرمح . والدرع — فى خيال المحارب - وهلم جرا

وللقرآن الكريم اليد البيضاء فى هذا الباب — كقوله تعالى (أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت) — فالمناسبة بين الابل والسماء — وبينها وبين الجبال والأرض غير موجودة بحسب الظاهر. ولكنه (أسلوب حكيم) فى غاية البلاغة — لأنه لما كان الخطاب مع العرب ، وليس فى تخيلاتهم إلا الابل ، لأنها رأس المنافع عندهم — والأرض لرعيها والسماء لسقيها — وهى التى توصلهم إلى الجبال التى هى حصنهم عند ما تفاجئهم حادثة أورد الكلام على طبق ما فى تخيلاتهم

٢ — وقال الله تعالى «قُلْ للمؤمنينَ يَغُضوا من أبصارِهم، ويَحفظوا فرُوجهمْ، ذَلكَ أزْكَى لهمْ، إنّ اللهَ خبيرٌ بما يصنعونَ».

٣ — وقال تعالى «لَهُ مَقاليدُ السَّمَوَاتِ وَالأرْضِ، يبسُطُ الرِّزقَ لِمَنْ يشاءُ وَيقدِرُ، إنّهُ بكلِّ شيءٍ عليم»

٤ — وقال تعالى «يُسَبِّحُ للهِ ما في السَّمواتِ وما في الأرْضِ، لَهُ المُلْكُ ولَهُ الحمْدُ، وهُوَ عَلَى كلِّ شيءٍ قديرٌ * هو الّذي خَلَقَكمْ فمنكُمْ كافرٌ ومنكم مؤمنٌ، واللهُ بما تعْملونَ بصيرٌ * خلقَ السَّمواتِ وَالأرْضَ بالحقِ وصوَّرَكم فأحسَنَ صُوَرَكمْ وإليْهِ المَصيرُ * يَعْلَمُ ما في السَّمواتِ والأرْضِ، ويَعْلَمُ ما تُسِرونَ ومَا تعْلنونَ، واللهُ عليمٌ بذَاتِ الصُّدُورِ».

٥ — قال أبو العتاهية :

وإذا ابتُليتَ ببذلِ وجهك سائلا	فابْذُلْهُ للمتكرِّمِ المفضالِ
ما اعتاضَ باذلُ وَجهِهِ بسؤاله	عوَضاً ولو نال الغنى بسؤالِ

٦ — وقال :

من عَرَفَ النّاسَ في تَصَرفهمْ	لم يتَتَبعْ من صاحب زللاَ
إن أنت كافأتَ من أساء فقد	صِرْتَ إلى مثلِ سوءِ ما فعلاَ

٧ — قال أبو تمام :

أوْلَى البرية حقًّا أن تُرَاعيَهُ	عندالسرُور الذى آساكَ في الحزَنِ
إنّ الكرامَ إذا ما أيْسَرُوا ذَكَرُوا	من كان يألفُهُمْ في المنزل الخشِنِ

٨ — وقال المتنبي :

ذَلَّ من يَغبط الذليلَ بعيْش   رُبَّ عيش أخفّ منه الحِمَامُ

من يَهُنْ يَسْهُلِ الهوانُ عليه   ما لجُرحٍ بميت إيـــلام

٩ — وقال :

أفاضِلُ الناسِ أغرَاضٌ لِذَا الزمنِ   يخلو من الهَمّ أخلاهم من الفِطَنِ

١٠ — وقال أيضاً :

إذا نحن شبهناكَ بالبدرِ طالعاً   بخسْناكَ حقَّا أنت أبهى وَأجملُ

١١ — وقال بشار :

الشيب كُرْهٌ وكرْهٌ أن يفارِقنى   إعجبْ لشيء على البغضاء موْدُودُ

١٢ — وقال أبو نواس :

عليك باليأس من النـاسِ   إن غِنَى نفسك فى اليْاسِ

وقال المعرى :

إنَّ الشبيبة نارٌ إنْ أردتَ بها   أمراً فبادرْ انَّ الدهر مُطفِيها

وقال الطغرائى :

جاملْ عدوّك ما استطعتَ فانّه   بالرِّفق يُطْمعُ فى صلاح الفاسد

وَاحذر حسودك ما استطعت فانه   إن نمْتَ عنه فليس عنك براقد

اسئلة على الوصل والفصل يطلب اجوبتها

ماهو الوصل ؟ . — ماهو الفصل ؟ . — كم موضعاً للوصل ؟ . — كم موضعاً للفصل ؟ . — ماهو الجامع العقلى ؟ . — ما هو الجامع الوهمى ؟ . ما هو الجامع الخيالى ؟ . — متى يجب وصل الجملة الحالية بما قبلها ؟ — فى كم موضع يجب فصل الجملة الحالية.

تطبيق عام على الوصل والفصل

جربت دهرى وأهليه فما تركت لى التجارب فى ود امرىء غرضاً

فصلت الثانية ، لشبه كمال الاتصال ، فانها جواب سؤال

يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله

فصلت الثانية لشبه كمال الاتصال ، فانها جواب سؤال ناشىء مما قبلها

فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا — عطف الجملة الثانية على الأولى لاتفاقهما فى الانشاء ، مع المناسبة التامة بين المفردات ، فان المسند اليه فيهما متحد ، والمسند وقيدهما متقابلان .

ان الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم — عطف الجملة الثانية على الأولى لاتفاقهما خبراً ، لفظاً ومعنى ، مع المناسبة التامة بين مفرداتها — فان المسندين المقدرين فيهما متحدان ، والمسندان اليهما متقابلان . وقيدهما الأول متحد . والثانى متقابل

أشكر الله على السراء ينجيك من الضراء — لم تعطف الثانية على الأولى لكمال الانقطاع . فان الأولى انشائية لفظا ومعنى — والثانية عكسها .

اصبر على كيد الحسود لا تضجر من مكائده — لم تعطف الثانية على الأولى لكمال الاتصال ، فانها مؤكدة لها

أنت حميد الخصال — تصنع المعروف وتغيث الملهوف — فصلت الثانية من الأولى لكمال الاتصال . فانها بيان لها . ووصلت الثالثة بالثانية للتوسط بين الكمالين ، مع وجود مانع من الوصل

تمرين (١)

بيِّن سر الفصل والوصل فيما يلى

(١) أخطُ مع الدهر إذا ما خطا واجرِ معَ الدهـر كما يجرى

(١) وصل بين الجملتين لاتفاقهما إنشاء ، مع وجود المناسبة وعدم المانع

(١) حكم المنية فى البرية جارى | ما هـذه الدنيا بدار قرار
(٢) لا تدعُه إن كنت تنصف نائباً | هو فى الحقيقة نائمٌ لا نائب
(٣) قال لى كيف أنت قلتُ عليل | سهر دائم وحـزن طويل
(٤) قالت بُليتَ فما نراك كعهدنا | ليتَ العهودَ تجدَّدتْ بعد البلى
(٥) وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً
وإنما المرءُ بأصـغريهِ | كل امرئ رهن بما لديه
لا تَطْلُبَنَّ بآلة لكَ حاجةً | قلمُ البليغ بغير حَظٍّ مِغْزَلُ
(٦) يَرَى البَخيلُ سَبيلَ المالِ واحدةً | إن الـكريم يَرَى فى ماله سُبلا
(٧) نفسى له نفسى الفداء لنفسه | لـكنَّ بعض المالـكين عفيف

(١) فصل الشطر الثانى عن الأول، لانه توكيد معنوى له — إذ يفهم من جريان حكم الموت على الخلق أن الدنيا ليست دار بقاء، فأكد ذلك بالشطر الثانى، فبينهما كال الاتصال

(٢) فصل الشطر الثانى عن الاول لاختلافهما خبراً وانشاء، إذ الثانى خبر، والاول إنشاء — فبينهما كمال الانقطاع

(٣) فصل بين قال وقلت — لأن الثانى جواب سؤال — إذ جرت العادة أنه إذا قيل للرجل كيف أنت ؟؟ أن يجيب أنا عليل — وكذا بين جملتى سهر دائم وحزن طويل، فكأنه قيل: فما سبب علتك ؟ فأجاب سهر دائم الخ — فنى كل منهما (شبه كال الاتصال)

(٤) بين الشطر الثانى والاول كال الانقطاع لأن أولها خبر والثانى إنشاء

(٥) بين جملتى ترى وتحسب كال الاتصال لأن الثانية بدل اشتمال من الأولى

(٦) بين الشطر الثانى والاول شبه كمال الاتصال لأن الثانية جواب عن سؤال مقدر نشأ من الاولى: كأنه قيل: فما حال الكريم فى ماله ؟؟ فقال إن الكريم الخ

(٧) بين نفسى له، ونفس الفداء (كمال الاتصال) لأن الثانية توكيد لفظي للاولى

(٨) مَاهَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلا مَلَكٌ كَرِيمٌ

(٩) يُدَبِّرُ الأَمْرَ يفصلُ الآياتِ لقَوْمٍ يعقلُون

(١٠) وَمَا يَنطقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى

(١١) قَالُوا سَلاَماً ، قَالَ سَلام

(١٢) يهوَى الثَّناء مُبرِّز ومقصِّرٌ حبُّ الثناء طبيعة الانسان

(١٣) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَاهُمْ بِمُؤْمِنِين يُخَادِعُونَ الله

(١٤) وإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكبراً كأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً

---

(٨) إن هذا إلا ملك - توكيد معنوى لقوله ماهذا بشراً ، إذ مجرى العادة والعرف أنه إذا قيل فى معرض المدح : ماهذا بشراً ، وما هذا بآدمى ، أن يكون الغرض أنه ملك ، فيكنى به عن ذلك . فبينهما كمال الاتصال .

(٩) بين يدبر ، ويفصل : كمال الاتصال ، لأن الثانية بدل بعض من كل

(١٠) بين قوله ومابنطق عن الهوى، وقوله إن هو الا وحى يوحى . كمال الاتصال لأن الثانية توكيد معنوى لأن تقرير كونه وحياً نفى لأن يكون عن هوى

(١١) بين قالوا . وقال : شبه كمال الاتصال ، لأن الثانية جواب عن سؤال مقدر كانه قيل: فماذا قال لهم ! حينئذ؟؟ أجيب بأنه قال سلام — وهكذا الحال فى حكاية القصص فى كل ماجاء فى القرآن الكريم ، والحديث النبوى ، وكلام العرب

(١٢) فصل بين الشطر الثانى والاول ، لأن بينهما كمال الاتصال — إذ الشطر الثانى مؤكد للاول

(١٣) فصل جملة يخادعون عما قبلها ، لأن بينهما كمال الاتصال ، لان هذه المخادعة ليست شيئا غير قولهم آمنا — دون أن يكونوا مؤمنين ، فهى إذا توكيد معنوى للاولى

(١٤) فصلت جملتا (كأن لم يسمعها — وكأن فى أذنيه وقرا) ، عما قبلهما لانهما كالتوكيد له ، إذ المقصد من التشبيهين واحد ، وهو أن ينفى الفائدة فى تلاوة ماتلى عليه من الآيات — فهما من كمال الاتصال

(١٦) ألا مَن يشترِى سهراً بنَوم سعيدٌ مَنْ يَبيتُ قرِيرَ عيْن

(١٧) فآبوا بالرماح مكسّرات وأُبْنا بالسيوف قد انحنينـــا

(١٨) فما الحـداثة عن حلم بمانعة قَدْ يوجدالحلمُ فى الشُّبَّان والشيَّبِ

(١٩) يقولون إنى أحْمل الضيّم عندهم أعوذ بربى أن يُضام نظيرى

(٢٠) إنَّ الذينَ كَفَروا سوَاءٌ عَلَيْهِمْ أأنْذَرْتهُمْ أمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لايُؤْمِنون

(٢١) فياموتُ زُر إنَّ الحيـاةَ ذميمة ويانَفسُ جدِّى إن دهرك هاذل

(٢٢) يَسُومُونَــكم سُوءَ الْعذَاب يُذَبِّحُونَ أبْناءَكُمْ

(٢٣) وَتَرَى الْجبالَ تَحْسبهُاجامِدَةً وَهِىَ تَمرُّ مَرَّ السَّحَاب

(٢٤) يُدَبِّرُ الأمْرَ يفَصِّلُ الآيات

(٢٥) وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلكَ يَلْقَ أثَاماً يضاعَفْ لَهُ الْعذَابُ

---

(١٦) فصل الشطر الثانى عن الاول لاختلافهما خبرا وإنشاء — فبينهما كمال الانقطاع

(١٧) بين جملتى آبوا وأبنا، توسط بين الـكمالين لاتفاقهما فى الخبرية معوجود المناسبة

(١٨) بين الشطر الثانى والاول شبه كمال الاتصال ، إذ الثانى جواب سؤال مقدر

(١٩) هذا البيت من حيث عدم عطف أعوذ على ماقبله . على حد قوله : و تظن سلمى الخ .

(٢٠) لم تعطف على ما قبلها مع أن بينهما مناسبة فى المعنى بالتضاد ، لانها مبينة لحال الـكفار ، وما قبلها مبين لحال المؤمنين ، وان بيان حال المؤمنين غير مقصود لذاته ، بل ذكر استتباعا لبيان حال الـكفار ، وليس بين بيـان حال المؤمنين وحال الـكفار مناسبة تقتضى الوصل

(٢١) لم يعطف قوله أن الحياة: على ما قبله لأنه جواب لسئوال مقـدر كانه قيل لماذا تطلب زيارة الموت ؟ ؟ فأجاب إن الحياة ذميمة

(٢٢) لم يعطف قوله يذبحون على يسومون ، لـكونه بيانا له

(٢٣) فجملة تحسبها جامدة — بدل اشتمال

(٢٤) فجملة يفصل الآيات — بدل بعض

(٢٥) فجملة يلق أثاما — بدل كل - وقد أنكر بدل الـكل علماء البيان خلافاً للنحاة

الباب التاسع

فى الايجاز . والاطناب . والمساواة

كلُّ ما يجُول فى الصدر من المعانى ، ويَخطُر ببالك معنًى منها لا يَعدُو التعبير[1] عنه طريقاً من طرقٍ ثلاث

أولا — إذا جاء التَّعبيرُ على قدر المعنى ، بحيث يكون اللَّفظ مساوِياً لأصل ذلك المعنى — فهذا هو «المُساواة» —

وهى الأصلُ الذى يكون أكثر الكلام على صورته ، والدستورُ الذى يُقاس عليه

ثانياً — إذا زاد التَّعبيرُ على قدر المعنى لفائدة ، فذاك هو « الإطناب »
فإن لم تكن الزيادة لفائدة فهى حشو : أو تطويل

ثالثاً — إذا نَقص التعبير على قدر المعنى الكثير ، فذلك هو « الايجاز »[2]

---

(١) أى : إذا أردت أن تتحدث إلى الناس فى معنى من المعانى ، فأنت تعبر عنه تعبيراً صحيحا مقبولا فى إحدى صور ثلاث . وهى — المساواة . والايجاز . والاطناب

(٢) قال الامام على: مارأيت بليغا قط الاوله فى القول إيجاز ، وفى المعانى إطالة وقالت بنت الحطيئة لأبيها — ما بال قصارك أكثر من طوالك ، قال : لانها بالآذان أولج ، وبالافواه أعلق — وقيل لشاعر — لم لا تطيل شعرك ؟؟

فقال: حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق

فكلُّ ما يخطر ببال المتكلّم من المعانى فله فى التعبير عنه بإحدى هذه الطرُّق الثلاث

فتارةً (يُوجِزُ). وتارةً (يُسْهِبُ)، وتارة يأتى بالعبارة (بيْنَ بيْنَ)

ولا يُعدّ الكلام فى صورة من هذه الصور بليغاً: إلا إذا كان مطابقاً لمُقتضى حال المخاطب، ويدعو اليه مواطن الخطاب

فاذا كان المقام للاطناب مثلا، وعدلت عنه إلى: الايجاز، أو المساواة لم يكن كلامك بليغاً — وفى هذا الباب ثلاثة مباحث

المبحث الاول

فى الإيجاز وأقسامه

الايجاز — هو وضع المعانى الكثيرة فى ألفاظ أقلّ [1] منها، وافية بالغرض المقصود، مع الإبانة والإفصاح، كقوله تعالى (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)

---

(١) بأن يكون اللفظ أقل من المعهود عادة، مع وفائه بالمراد، فان لم يف كان الايجاز إخلالا وحذفا رديئا فلا يعد الكلام صحيحاً مقبولا — كقول عروة بن الورد

عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم ... ومقتلهم عند الوغى كان أعذارا

يريد: إذ يقتلون نفوسهم فى السلم — لكن صوغ كلامه لا يدل عليه. ومثله قول بعضهم نثرا (فان المعروف إذا زجا كان أفضل منه إذا وفر وأبطأ) ولأجل تمام ما يريد: كان عليه أن يقول — إذا قل وزجا. ولا يعد مثل هذا الكلام صحيحا مقبولا واعلم أن متعارف أوساط البلغاء هم الذين لم يرتقوا الى درجة البلغاء، ولم ينحطر الى درجة البسطاء، فالمساواة: هى الدستور الذى يقاس عليه كل من الايجاز والاطناب

فهذه الآية القصيرة جمعتْ مكارم الأخلاق بأسرها ـ وكقوله تعالى
(ألا لهُ الخلقُ والأمرُ) وكقوله عليه الصلاة والسلام « إنّما الأعمال بالنّيات »
فاذا لم تفِ العبارة بالغرض سُمّي « إخلالا وحذفا رديئا » كقول اليشكري

والعيشُ خيرٌ في ظلا   ل النُّوكِ ممّن عاش كدّا

« مرادهُ : أنّ العيشَ الناعم الرّغد في حال الحُمق والجهل ، خيرٌ من العيش
الشاقّ في حال العقل » لكن كلامه لا يُعدّ صحيحاً مقبولا
وينقسم الإيجاز إلى قسمين . إيجاز قِصرٍ —[1] وإيجاز حذف

---

(١) وإيجاز القصر . هو ماتزيد فيه المعاني على الالفاظ . ولا يقدر فيه محذوف ويسمى (إيجاز البلاغة) لأن الأقدار تتفاوت فيه . وللقران الكريم فيه المنزلة التي لا تسامى — والغاية التي لا تدرك

فمن ذلك قوله تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) فهذه الآية قد جمعت مكارم الأخلاق . وانطوى تحتها كل دقيق وجليل . إذ في العفو الصفح عمن أساء ، وفي الأمر بالمعروف صلة الارحام . ومنع اللسان عن الكذب وغض الطرف عن كل المحارم — وقوله عز اسمه (والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس) استوعبت تلك الآية الكريمة أنواع المتاجر . وصنوف المرافق التي لا يبلغها العد — وقوله (ألا له الخلق والأمر) هاتان كلمتان أحاطتا بجميع الأشياء على غاية الاستقصاء — وقوله عليه الصلاة والسلام (المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء . وعودوا كل جسم ما اعتاد) فقد تضمن ذلك من المعاني الطبية شيئا كثيراً

وقول الامام علي كرم الله وجهه « من استقبل وجوه الآراء عرف وجوه الخطأ
وقول بعض الأعراب (اللهم هب لي حقك ، وأرض عني خلقك)

فسمعه الامام علي كرم الله وجهه فقال : هذا هو البلاغة . ومنه قول السموءل

وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها   فليس إلى حسن الثناء سبيل

فقد اشتمل على حميد الصفات من سماحة وشجاعة وتواضع وحلم وصبر واحتمال مكاره في سبيل طلب الحمد ـ إذ كل هذه مما تضيم النفس لما يحصل في تحملها من المشقة والعناء . =

(فإيجاز القِصَرِ) « ويسمَّى إيجازَ البلاغة » يكون بتضمين المعانى الكثيرة فى ألفاظ قليلة من غير حذف، كقوله تعالى (وَلَكُمْ فى الْقِصَاصِ حيَاةٌ) فانّ معناه كثير، ولفظَهُ يسير، إذ المراد. أنّ الانسان إذا علم أنه متى قَتَلَ قُتِلَ : امتنع عن القتل ، وفى ذلك حياتُه وحياة غيره ، لأنَّ القتل أنفى للقتل (١) وبذلك تطول الأعمار ، وتَكثر الذرّية ، ويُقبلُ كلٌّ واحد عَلَى ما يعود عليه بالنفع، ويتم النظام، ويكثر العُمران

فالقِصاص : هو سبب ابتعاد الناس عن القتل ، فهو الحافظ للحياة وهذا القسم مَطمحُ نَظَرِ البُلغاء ، وبه تَتَفاوت أقدارهم ، حتى أن بعضهم سُئل عن (البلاغة) فقال : هى « إيجاز القِصَر »

وقال أكثم بن صَيّفى خطيب العرب « البلاغة الإيجاز »

(وإيجاز الحذف) يكون بحذف شىء من العبارة لا يخلّ بالفهم ، عند وجُود ما يَدلُّ على المحذوف، من قرينة لفظيّة — أو معنويّة

وذلك المحذوف — إما أن يكون

والسبب فيما له من الحسن والروعة دلالة قليل الالفاظ على كثير المعانى إلى مافيه من الدلالة على التمكن فى الفصاحة والبراعة .

ولذا قال محمد الأمين « عليكم بالايجاز : فان له إفهاما. وللاطالة استبهاما » وقال آخر « القليل الكافى خير من كثيرغير شاف » .

---

(١) لقد أثر ونقل عن العرب قولهم « ألقتل أنفى للقتل » وأين هذا المثل من بلاغة هذه الآية الشريفة التى بلغت حد الاعجاز وتمتاز بوجوه — منها أنها كلمتان ، وما نقل عنهم أربع — ومنها أنه لا تكرار فيها . وفيما قالوه تكرار — ومنها أنه ليس كل قتل يكون نافيا للقتل، وإنما يكون كذلك إذا كان على جهة القصاص — ومنها حسن التأليف وشدة التلاؤم المدركان بالحس فى الآية الكريمة التى أعجزتهم أن يأتوا بمثلها . لا فيما قالوه فى مثلهم البسيط الذى لا يزيد عن متعارف الاوساط

(١) حرفاً — كقوله تعالى (وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا) - أصله: ولم أكن [١]

(٢) أو إسماً مضافاً نحو - (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ) أى: فى سبيل الله

(٣) أو إسما مضافاً اليه — نحو (وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ) أى: بعشر ليال

(٤) أو إسماً موصوفاً — كقوله تعالى (وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا) أى: عملا صالحاً

(٥) أو إسماً صفة - نحو (فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ) أى: مضافاً إلى رجسهم

(٦) أو شرطاً — نحو (اتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) أى: فان تتبعونى

(٧) أو جواب شرط — نحو (ولو تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ)

أى: لرأيت أمراً فظيعاً

(٨) أو مسنداً — نحو (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) أى: خلقهن الله

(٩) أو مسنداً اليه - كما فى قول حاتم

أماوىُّ ما يغنى الثّراء عن الفتى   إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدرْ

أى: إذا حشرجت النفس يوماً

(١٠) أو مُتعلَّقاً - نحو: لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ) أى عمّا يفعلون

---

(١) وكحذف لا فى قول عاصم المنقرى

رأيت الخمر جامدة وفيها   خصال تفسد الرجل الحليما

فلا والله أشربها حياتى   ولا أسقى بها أبدا نديما

يريد: لا أشربها

ويقع إيجاز الحذف كثيراً فى أساليب البلغاء بشرط أن يوجد ما يدل على المحذوف، وإلا كان الحذف رديئاً، والكلام غير مقبول

(١١) أو جملة ـ نحو (كانَ الناسُ أُمَّةً واحدةً فبعثَ اللهُ النَّبِيِّينَ)

أى فاختلفوا : فبعث

(١٢) أو جُمَلا ـ كقوله تعالى (فأرسلونِ يوسفُ أيُّها الصدِّيقُ)[١]

أى فأرسلونى إلى يوسف لأستعبره الرؤيا، فأرسلوه فأتاه. وقال له: يوسف

واعلم أنَّ دواعى الإيجاز كثيرة — منها الاختصار، وتسهيل الحفظ وتقريب الفهم، وضيق المقام، وإخفاء الأمر على غير السَّامع، والضَّجر والسآمة، وتحصيل المعنى الكثير باللَّفظ اليسير — الخ

ويُستحسن «الإيجاز» فى الاستعطاف، وشكوى الحال، والاعتذارات والتَّعزية، والعتاب، والوعد، والوعيد — والتَّوْبيخ، ورسائل طلب الخراج. وجباية الأموال. ورسائل الملوك فى أوقات الحرب إلى الوُلاة والأوامر. والنَّواهى الملكية، والشكر على النعم

ومَرْجعك فى ادراك أسرار البلاغة إلى الذّوق الأدبى، والإحساس الرّوحى

المبحث الثانى

فى الإطناب وأقسامه

الإطناب : زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، أو هو تأدية المعنى بعبارة

---

(١) فأرسلون : حكاية عن أحد الفتيين الذى أرسله العزيز إلى يوسف ليستعبره ماراه. واعلم أنه لابد من دليل يدل على المحذوف وهو —
إما العقل وحده : نحو وجاء ربك — وإما العقل مع غيره : نحو حرمت عليكم الميتة — أى تناولها —

وإما العادة : نحو فذلكن الذى لمتننى فيه — أى فى مراودته . وإما الشروع فيه : نحو بسم الله الرحمن الرحيم — أى أؤلف مثلا . وإما مقارنة الكلام للفعل : كما تقول لمن تزوج « بالرفاء والبنين » أى أعرست متلبسا بالالفة والبنين

زائدة عن متُعارف أوساط البلغاء: لفائدة تقويته وتوكيده ـ نحو (رَبِّ إني وَهنَ العظمُ مِنِّي وَاشتعلَ الرَّأسُ شيباً) — أي: كبرتُ

فاذا لم تكن فى الزِّيادة فائدة، يُسَمَّى «تطويلا» إن كانت الزِّيادة فى الكلام غير متعيِّنة

ويُسمى «حَشْواً» إن كانت الزيادة فى الكلام متُعيِّنةً لا يفسُد بها المعنى

فالتطويل — كقول عدىّ العبادى: فى جُذيمةَ الأبرَش

وَقدَّدَتِ الأديمَ لرَاهشَيْه وألفَى قولها كذِباً وَميناً(١)

فالمينُ والكذب بمعنى واحد. ولم يتعيَّن الزائد منهما، لأنَّ العطف بالواو: لا يفيد ترتيباً ولا تعقيباً ولا مَعيَّة، فلا يتغير المعنى باسقاط أيِّهما شئت

والحشو — كقول زُهير بن أبى سُلْمى

(تنبيه) حذف الجمل أكثر ما يرد فى كلام الله عز وجل، إذ هو الغاية فى الفصاحة، والنهاية فى مراتب البلاغة. واعلم أن كلا من الحشو والتطويل يخل ببلاغة الكلام. بل لا يعد الكلام معهما إلا ساقطا عن مراتب البلاغه كلها

(١) وقدت أى قطعت. والضمير فيه يعود على الزباء. وهى امرأة ورثت الملك عن أبيها — والأديم الجلد، ولراهشيه، أى: الى أن وصل القطع للراهشين، وهما عرقان فى باطن الذراع يتدفق الدم منهما عند القطع — والضمير فى ألفى يعود على المقطوع راهشاه، وهو جذيمة الابرش. والمراد الاخبار بأن جذيمة غدرت به الزباء، وقطعت راهشيه، وسال منه الدم حتى مات، وأنه وجد ما وعدته من تزوجه بها كذبا ومينا — وهما بمعنى واحد، واحدى الكلمتين زائدة فلا يتغير المعنى باسقاط أيهما شئت وكقول الشاعر

ألا حبذا هند وأرض بها هند وهند أتى من دونها النأى والبعد

فالنأي والبعد بمعنى واحد، ولا يتعين أحدهما للزيادة

وأعلمُ عِلم اليومِ والأمسِ قبلَه ولكنَّنى عن علم ما فى غد عَمِى(١)

وكلٌّ من الحشو والتطويل مَعيبٌ فى البيان، وكلاهما بمعزل عن مراتب البلاغة

واعلم أنَّ دواعى الاطناب كثيرة . منها تثبيت المعنى ؛ وتوضيح المراد والتَّوكيد ، ودفع الايهام ، وإثارة الحمية — وغير ذلك

وأنواع الاطناب كثيرة(٢)

(١) منها — ذكر الخاص بعد العام : كقوله تعالى (حَافِظوا على الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الوُسْطى) وفائدته التنبيه على مزيَّة: وفضلٍ فى الخاص حتى كأنه لفضله ورِفعته ، جُزءٌ آخرُ ، مغاير لما قبله

ولهذا خصَّ الصَّلاَةَ الوُسطى (وهىَ العصر) بالذكر لزيادة فضلها

(٢) ومنها — ذكر العام بعد الخاص: كقوله تعالى(٣) (رَبِّ اغفِرْ لِى وَلِوَالِدَىَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِى مُؤْمِناً وَلِلمُؤْمِنِينَ والمُؤْمِنَاتِ)

وفائدته شُمول بقية الأفراد ، والاهتمام بالخاص لذكره ثانياً فى عُنوان عام . بعد ذكره أولا فى عُنوان خاص

(٣) ومنها — الايضاح بعد الإبهام ؛ لتقرير المعنى فى ذهن السَّامع بذكره مرتين ، مرَّة على سبيل الإبهام والأجمال ، ومرَّة على سبيل

---

(١) الشاهد فى قوله — قبله ، لأنه معلوم من قوله أمس : وكقول الآخر

ذكرت أخى فعاودنى صداع الرأس والوصب

فان الصداع لا يكون الا فى الرأس ، فذكر الرأس لا فائدة فيه

(٢) ومنها الحروف الزائدة . وتكثير الجمل — نحو فبما رحمة من الله لنت لهم

(٣) من دعاء سيدنا نوح لنفسه ولوالديه وللمؤمنين

التفصيل والإيضاح ، فيزيده ذلكَ نُبلاً وشرفاً كقوله تعالى : يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم — وكقوله تعالى (وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأمرَ أنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطوعٌ مُصْبِحِين)

فقوله (أنّ دابر هؤلاء) تفسير وتوضيح لذلك (الأمر) المبهم وفائدته توجيه الذّهن إلى معرفته، وتفخيم شأن المبيّن ،وتمكينه فى النفس فأبهَمَ فى كلمة (الأمر) ثم وضّحه بعدَ ذلك تَهويلا لأمر العذاب

(٤) ومنها ـ التّوشيع : وهو أن يُؤْتى فى آخر الكلام بمُثَنًّى مفسر بمفردين ليُرى المعنى فى صورتين ، يخرج فيهما من الخفاء المستوحش إلى الظهور المأنوس ، نحو : العلم عِلمان ، علم الأبدان ، وعلم الأديان .

(٥) ومنها ـ التكريرُ ـ وهو ذكر الشىء مرّتين أو أكثر ـ لأغراض

الأوّل ـ التأكيد وتقرير المعنى فى النفس كقوله تعالى (كلاَّ سوف تَعْلَمون ثمّ كلاَّ سوف تَعْلَمُون) [١] وكقوله تعالى (فإنّ مع العُسر يُسراً إنّ مع العُسر يُسراً)

الثانى ـ طول الفصل — لئلا يجىء مبتوراً ليس له طَلاوة

كقوله تعالى « ياأبتِ إنى رَأيْتُ أحَدَ عشرَ كوكباً وَالشَّمسَ وَالقمرَ رَأيتُهم لى ساجدين ، فكرّر (رأيت) لطول الفصل — ومن هذا قول الشاعر

وإنّ امرأ دامتْ مَواثيقُ عهده على مثل هذا إنه لكريمُ [٢]

---

(١) أى سوف تعلمون ما أنتم عليه من الخطأ إذا شاهدتم هول المحشر ، فقد أكد الانذار بتكريره ليكون أبلغ تأثيرا وأشد تخويفا .

(٢) الشاهد فى تكرير (إن) التى فى أول البيت ، وتكريرها فى آخره . الآية الكريمة كرر (رأيت) لطول الفصل

الثالث ـ قصد الاستيعاب: نحو ـ قرأت الكتاب باباً باباً ـ وفهمته كلمة كلمة

الرابع ـ زيادة الترغيب فى العفو ـ كقوله تعالى (إنَّ مِنْ أزْواجِكُم وَأوْلادِكُمْ عَدُوّاً لَكُم فاحذَرُوهُمْ . وَإنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فإنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)

الخامس ـ التَّرغيب فى قبول النّصح باستمالة المخاطب لقبول الخطاب كقوله تعالى (وَقالَ الذى آمَنَ ياقَوْمِ اتبِعونِ أهْدِكُمْ سَبيلَ الرَّشادِ يا قومِ إنَّما هذهِ الْحياةُ الدُّنيا مَتاعٌ وإنَّ الآخرةَ هِيَ دار القرار) — ففى تكرير (ياقوم) تعطيف لقلوبهم، حتى لا يَشُكُّوا فى إخلاصه لهم فى نُصحه

السادس — التنويه بشأن المخاطب: نحو ـ إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن ابراهيم

السابع ـ التَّرديد: وهو تكرار اللفظ مُتعلِّقاً بغير ما تعلَّق به أوَّلا نحو — السَّخِيُّ: قريبٌ من الله، قريبٌ من الناس، قريبٌ من الجنّة والبَخِيل: بعيدٌ من الله، بعيدٌ من الناس، بعيدٌ من الجنّة

الثامن — التلذذ بذكره، نحو قول مَروان بن أبى حَفصة

سقَى الله نجداً والسّلامُ على نجد ... ويا حبّذا نجد على القُرب والبُعد

التاسع — الارشاد إلى الطريقة المُثلَى، كقوله تعالى (أوْلى لكَ فأوْلَى ثمَّ أوْلى لكَ فأوْلَى)

(٦) ومنها — الاعتراض لغرضٍ يَقصده المتكلم — وهو أن يُؤْتَى فى أثناء الكلام، أو بين كلامين متَّصلين فى المعنى، بجملة مُعترضة: أو

أكثر، لا محلّ لها من الاعراب [1]

وذلك لأغراض يرمى إليها البليغ - غيرَ دَفع الإيهام

(ا) كالدُّعاء — نحو: إنِّى «حفظك الله» مريضٌ

وكقول عوف بن محلم الشَّيبانى

إنّ الثَّمـــانين وبُلّغتَهـا قد أحوجت سمعى إلى تَرجمان [2]

(ب) والتنبيه على فضيلة العلم — كقول الآخر

واعلمْ فعـلمُ المرء ينفعهُ أنْ سوف يأتى كل ماقُدرا

(ج) والتنزيه — كقوله تعالى (وَيَجْعَلونَ للهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مايَشْتَهُون)

(د) وزيادة التأكيد — كقوله تعالى (وَوَصَّيْنَا الإنْسَانَ بِوَالدَيْهِ حَمَلَتْهُ أمُّهُ وَهْنًا على وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فى عَامَيْنِ أنْ اشْكُرْ لِى وَلِوَالدَيْكَ إلىَّ المصير)

(هـ) والاستعطاف — كقول الشاعر

وخفوقِ قلب لو رأيتَ لهيبَه يا جنّتى لرأيت فيــــه جهنَّما

(و) والتهويل — نحو (وَإنَّهُ لَقَسَمٌ لوْ تَعْلَمُونَ عَظِيم)

---

(١) لم يشترط بعضهم وقوعه بين جزئى جملة ولا بين كلامين، بل جوز وقوعه آخر الكلام مطلقا، سواء وليه ارتباط بما قبله أولا — كقوله تعالى (وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) — فجملة ونعم الوكيل معترضة، وليست معطوفة على ماقبلها، حتى يلزم عطف الانشاء على الخبر

(٢) بلغتها بفتح التاء أى بلغك الله اياها — وترجمان كزعفران، ويجوز ضم التاء مع الجيم . واعلم أن الدعاء من الشاعر موجه إلى المخاطب بطول عمره — وأن يعيش مثله ثمانين سنة — واعلم أنه قد يقع الاعتراض فى الاعتراض كقوله تعالى (فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم أنه لقرآن كريم فى كتاب مكنون)

(٧) ومنها الإِيغال — وهو ختم الكلام بما يُفيد نُكتة، يتمّ المعنى بدونها — كالمبالغة: في قول الخَنْسَاء

وإنّ صَخْراً لتأتمُّ الهُداة به كأنه علَمٌ في رأسه نارُ

فقولها: «كأنه علَم» واف بالمقصود، لكنها أعقبته بقولها «في رأسه نار» لزيادة المبالغة، ونحو: قوله تعالى (واللهُ يرزُقُ مَنْ يشاءُ بغير حساب)

(٨) ومنها التذييلُ — وهو تعقيب جملة بجملة أخرى مستقلَّة، تشتمل على معناها، تأكيداً لمنطوق الأولى، أو لمفهومها — [١] نحو: قوله تعالى (وَقُلْ جَاءَ الحقّ وَزَهقَ الْبَاطِلُ إنّ الْبَاطلَ كانَ زَهُوقاً)

ونحو: قوله تعالى (ذَلكَ جزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِى إلاَّ الكَفُور)

والتَّذييلُ «قسمان» قسمٌ يستقلّ بمعناه، لجريانه مَجْرَى المثَل وقسمٌ لا يستقلّ بمعناه، لعَدَمِ جَرَيانِه مَجْرَى المثَل

فالأول: الجارى مَجْرَى الأمثال، لاستقلال معناه، واستغنائه عما قبله كقول طَرَفةَ

كلُّ خليل قد كنت خاللته لا ترك الله له واضحه

كلّكم أروغُ من ثعلب ما أشبه الليلة بالبارحه

والثانى: غير الجارى مجرى الأمثال، لعدم استغنائه عمّا قبله، ولعدم استقلاله بافادة المعنى المراد، كقول النّابغة

---

(١) التأكيد ضربان: تأكيد المنطوق كما فى هذه الآية، وتأكيد المفهوم كقوله:

ولست بمستبق أخا لا تلمه على شعث أى الرجال المهذب ؟؟

فقد دل بمفهومه على نفى الكمال من الرجال، فأكده بقوله (أى الرجال المهذب)

لم يُبق جُودك لى شيئاً أُؤمِّلُه   تركتَنِى أصحب الدنيا بلا أملِ

فالشطر الثانى : مؤكد للأول، وليس مستقلا عنه ، فلم يجر مجرى المثل

(٩) ومنها الاحتراس — ويقال له التكميل ، وهو أن يُؤْتى فى كلام يوهم خلاف المقصود ، بما يدفع ذلك الوهم)

فالاحتراس : يوجَدُ حينما يأتى المتكلم بمعنى ، يمكن أن يدخل عليه فيه لومٌ ، فيفطن لذلك : ويأتى بما يخلّصه

سواء أوقع الاحتراس فى وسط الكلام

كقول طرفة بن العبد

فَسَقَى ديارَكِ غيرَ مُفسدِها   صَوْبُ الرَّبيع وَدِيمَةٌ تَهْمِى[1]

فقوله : غير مفسدها : للاحتراس

أو وقع الاحتراس فى آخره ، نحو : (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ على حبه أى : مع حبِّ الطعام : واشتهائهم له،وذلك أبلغ فى الكرم ، فلفظ على حبِّه فضلة للاحتراس ولزيادة التحسين فى المعنى

وكقول أعرابية لرجل (أذلَّ اللهُ كل عدوٍّ لك إلاّ نفسك)

(١٠) ومنها التتميم — وهو زيادة فُضلة ، كمفعول — أوحال أو تمييز — أوجار ومجرور ، تُوجد فى المعنى حُسنا بحيث لو حذفت صار الكلام مبتذلا

كقول ابن المعتز يصف فرساً

صَببنا عليها (ظالمين) سِياطَنا   فطارت بها أيدٍ سراعٌ وأرجلُ

إذ لو حذف (ظالمين) لكان الكلام مُبتذلا ، لا رِقّة فيه ولا طَلاوة وتوهّم أنها بليدة تستحق الضرب

---

(١) لما كان دوام المطر مما يسبب الخراب ، دفع هذا الوهم بقوله (غير مفسدها) .

ويُستحسن الإطناب فى الصلح بين العشائر ، والمدح، والثناء ، والذّم والهجاء ، والوعظ ، والإرشاد ، والخطابة : فى أمر من الأمور العامة ، والتهنئة ومنشورات الحكومة إلى الأمة ، وكتب الولاة إلى الملوك ، لاخبارهم بما يحدث لديهم من مهام الأمور

وهناك أنواع أخرى من الإطناب، كما تقول فى الشىء المستبعد: رأيته بعينى ، وسمعته بأذنى ، وذقته بفمى : تقول ذلك لتأكيد المعنى وتقريره .

وكقوله تعالى (فخرّ عليهم السَّقفُ من فوقهم) والسّقف لا يخر طبعاً إلا من فوق . ولكنه دلّ بقوله (من فوقهم) على الإحاطة والشّمول

واعلم : أن الأطناب أرجحُ عند بعضهم من الإيجاز ، وحُجّته فى ذلك أنّ المنطق إنما هو البيان ، والبيان لايكون الا بالاشباع . والإشباع لا يقع إلا بالاقناع . وأفضل الكلام أبينه. وأبيَنُه أشدهُ إحاطة بالمعانى . ولا يحاط بالمعانى إحاطة تامة ، إلا بالاستقصاء والاطناب

والمختار: أن الحاجة إلى كلٍّ من الاطناب . والايجاز . ماسة : وكل موضع لا يسدّ أحدهما مكان الآخر فيه

وللذوق السليم : القول الفصل فى موطن كلٍّ منهما .

المبحث الثالث

فى المُساواة

المُساواة — هى تأديةُ المعنى المراد : بعبارة مساوية له [1] — بأن

(١) المساواة هى ماساوى لفظه معناه: بحيث لا يزيد أحدهما على الآخر — وهى نوعان الأول — مساواة مع الاختصار ، وهى أن يتحرى البليغ فى تأدية المعنى أوجز ما يكون من الالفاظ القليلة الأحرف . الكثيرة المعانى — كقوله تعالى (هل جزاء الاحسان إلا الاحسان) وكقوله تعالى (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله) .

تكون الألفاظ على قدر المعانى ، لا يَزيد بعضها على بعض

ولسنا بحاجة إلى الكلام على المساواة ، فإنها هى الأصل المقيس عليه ، والدستور الذى يُعتمد عليه

كقوله تعالى (وَمَا تُقدمُوا لأنفُسكم مِنْ خَيْرٍ تجِدُوهُ عنْدَ الله

وكقوله تعالى (كل امرىء بما كسب رهين)

وكقوله تعالى (من كفر فعليه كُفره)

وكقوله صلى الله عليه وسلم (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء مانوى)

فإن اللفظ فيه على قدر المعنى ، لا ينقص عنه ، ولا يزيد عليه

وكقول طَرَفَة بن العبد .

سِتُبدِى لك الأيام ما كنتَ جاهلا ويأتيك بالأخبار مَن لم تزوِّد

هذه أمثلة للمساواة ، لا يَستغنى الكلام فيها عن لفظ منه ، ولو حُذف منه شىء لأخلّ بمعناه

اسئلة على الايجاز والاطناب والمساواة تطلب اجوبتها

ماهى المساواة ؟ — ماهو الايجاز ؟ . — ماهو الاطناب ؟ . — كم قسما للإيجاز ؟ . — ماهو إيجاز القصر ؟ — ماهو ايجاز الحذف ؟ . بأى

والثانى — مساواة بدون اختصار « ويسمى متعارف الاوساط » وهو تأدية المقصود من غير طلب للاختصار . كقوله تعالى (حور مقصورات فى الخيام)

والوجهان فى المركز الأسمى من البلاغة — غير أن الأول أدخل فيها وأدل عليها .

والمساواة فن من القول عزيز المنال . تشرأب اليه أعناق البلغاء ، لكن لا يرتقى الى ذراه إلا الأفذاذ لصعوبة المرتقى ، وجلال المقصد ، والمساواة يعتبرها بعضهم وسطا بين الايجاز والاطناب — وبعضهم يدمجها ، ولا يعدها قسما ثالثا للايجاز والاطناب .

شیء يكون إيجاز الحذف ؟ . كم قسما للإطناب . ؟ماهو ذكر الخاص بعد العام ؟ ما هو ذكر العام بعد الخاص ؟ ماهو الايضاح بعد الابهام ؟ ماهو التكرار؟ ما هو الاعتراض ؟ . ماهو الايغال ؟ . ماهو التوشيع ؟ . ماهو التذييل ؟ ماهو التكميل ؟ ماهو التتميم ؟ . ماهو الاحتراس ؟ . ماهو الفرق بين التطويل والحشو ؟ . ماهى دواعى الايجاز ؟ . ماهى دواعي الاطناب كم قسما للتذييل ؟ . أيكون الاطناب بغير هذه الانواع

تطبيق عام على الايجاز والاطناب والمساواة

درست الصرف — فيه مساواة : لأن اللفظ على قدر المعنى — ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا . فيه اطناب بالتتميم : فان (على حبه) فضلة لزيادة التحسين فى المعنى

ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله — فيه مساواة .

المرء بأدبه — فيه إيجاز قصر: لتضمن العبارة القصيرة معانى كثيرة .

تالله تفتأ تذكر يوسف — فيه ايجاز حذف وهو لا .

وأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق — فيه إيجاز حذف جملة أى فضرب فانفلق .

ألا كل شيء ما خلا الله باطل — فيه اطناب بالاحتراس .

إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه

فيه الاطناب بالتذييل . والجملة الثانية جارية مجرى المثل .

جوزى المذنب بذنبه وهل يجازى الا المذنب . فيه إطناب بالتذييل ، وليس جاريا مجرى المثل

ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه — فيه أطناب بالاحتراس

البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة — فيه أطناب بالترديد

ولكن البر من اتقى — فيه ايجاز حذف مضاف — أى ذا البر

واهتم للسفر القريب فانه أنأى من السفر البعيد وأشنع

فيه إطناب بالايغال . فان (أشنع) مزيدة للترتيب فى الاهتمام

خلطوا عملا صالحا وآخر . فيه ايجاز حذف ـ أى خلطوا عملا صالحا بسيء وعملا سيئا بصالح

والليل اذا يسر ـ فيه ايجاز بحذف الياء . وسبب حذفها ان الليل لما كان غير سار وانما يسرى من فيه . نقص منه حرف ، اشارة الى ذلك جريا على عادة العرب فى مثل ذلك

ليحق الحق ويبطل الباطل ـ فيه ايجاز بحذف جملة ـ أى فعل ذلك

تمرين

بيِّن الايجاز . والاطناب . والمساواة : وأقسام كل منها فيما يأتى

قال الله تعالى (إنَّ فى خَلق السَّموات وَالأَرْضِ واخْتلاف الليل وَالنَّهَار ، والفُلْكِ الَّتى تجْرِى فى الْبَحْر بمَا يَنْفَعُ النَّاس وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماء فأحْيَا بِهِ الأرضَ بعْدَ موْتِهَا وبثَّ فِيهَا من كلِّ دَابَّةٍ وتَصريف الرِّياح وَالسَّحَاب الْمُسَخَّرِ بينَ السَّماء وَالأَرْض لآيات لِقَوْمٍ يعْقِلُون[1])

وقال تعالى (خُذ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بالْعُرْفِ وأعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلين)[1]

وقال تعالى (يأخُذُ كلَّ سَفِينَةَ[2] غَصْبًا)

أنا ابنُ جَلا[3] وطَلَّاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفونى

---

(١) فى هذه الآية الاطناب بتكثير الجمل . وهذا خلاف الأنواع السابقة . وذلك لأنه لما كان الخطاب مع العموم وفيهم الذكى والغبى صرح بخلق أمهات الممكنات الظاهرة ليكون دليلا على القدرة الباهرة ـ وذلك بدل أن يقال (ان فى وقوع كل ممكن تساوى طرفاه لآيات للعقلاء) (١) فيه ايجاز القصر لأنه قد جمع مكارم الأخلاق

(٢) أى سفينة سالمة (٣) أى أنا ابن رجل جلا المشكلات

(فاللهُ هوَ الوَلىُّ)(١) وَإنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ(٢)

فقلت يَمِينُ اللهِ أبرح (٣) قاعداً ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى

شيخ يرى الصلَّوات الخمس نافلة ويستحلُّ دم الحجّاج فى الحرم(٤)

وقال تعالى: (تَطْمَئِنُّ قلوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)(٥)

وقال تعالى: (وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ(٦) فَأُولئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً) — وقال الشاعر

لله لذَّة عيش بالحبيب مضت ولم تدم لى وغير الله لم يدم(٧)

وقال تعالى (وَأَدْخِلْ يَدَكَ فى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سوءٍ)(٨)

وقال تعالى (ويُؤْثِرُونَ على أنفُسِهِمْ ولَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ)

وقال تعالى (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ(٩))

حليمٌ إذا ما الحِلمُ زَيَّنَ لأهلهِ مَعَ الحلمِ فى عَينِ العدُوِّ مهيب(١٠)

أتى الزمانَ بنوه فى شبيبته فسرَّهمْ وأتيناهُ على هرم(١١)

وألفيته بحْراً كثيراً فُضُوله جَواد متى يذكر له الخير يَزْدَدِ(١٢)

---

(١) الشرط محذوف أى إن أرادوا وليا فالله هو الولى (٢) أى فاقتد واصبر

(٣) أى لا أبرح. (٤) فى الحرم — ايغال للزيادة فى المبالغة.

(٥) فيه التذييل (٦) احترس بقوله (وهو مؤمن) عن توهم الاطلاق.

(٧) فيه تذييل جار مجرى الأمثال (٨) فى قوله (من غير سوء) احتراس عن توهم بياض البرص ونحوه (٩) فيه الاعتراض بقوله (لو تعلمون).

(١٠) فى البيت احتراس (بلفظ مهيب)

(١١) فى البيت إيجاز — أى وأتيناه على هرم (فساءنا)

(١٢) فى البيت إطناب — فان قوله: متى يذكر الخير يزدد، تكميل.

فإن كنت لا تستطيع دفع منيّتى ... فذرنى أبادرها بما ملكت يدى

ما أحسنَ الأيامَ إلاَّ أنها ... يا صاحبىَّ إذا مضت لم ترجع

ولستَ بمُستبقٍ أخاً لا تَلمّه ... على شَعَث أىُّ الرجال المُهذَّب

تأمَّل من خِلاَلِ السَّجف وانظر ... بعينك ما شربتُ ومَنْ سَقانى

تجد شمس الضّحى تَدنو بشمسٍ ... إلىّ من الرَّحيق الخُسروَانى

خاتمة

علمتَ أنَّ البلاغة متوَقفة على مُطابقة الكلام لمقتضى الحال ورأيت فى ما تقدم من الأحكام، أن مقتضى الحال يجرى على مقتضى الظاهر وهذا بالطبع هو الأصل، ولكن قد يُعدل عمَّا يَقتضيه الظاهر إلى خلافه، مما تقتضيه الحال فى بعض مقامات الكلام، لاعتبارات يراها المتكلم

وقد تقدَّم كثير من ذلك العدول (المسمّى باخراج الكلام عل خلاف مقتضى الظّاهر) فى الأبواب السّابقة

وبقى من هذا القبيل أنواع أخرى كثيرة

الأول — الالتفات: وهو الانتقال من كل من التكلم — أو الخطاب أو الغيبة — إلى صاحبه، لِمقتضيات ومُنَاسبات تظهر بالتأمل فى مواقع الالتفات، تَفَنُّناً فى الحديث، وتلويناً للخطاب، حتّى لا يمل السّامع من التزام حالة واحدة، وتنشيطا وحملا له على زيادة الاصغاء: «فان لكل جديد لذّة» ولبعض مواقعه لطائف، ملاكُ إدراكها الذّوقُ السليم

واعلم أنَّ صور العدول إلى الالتفات ستة

(١) عدول من التكلم إلى الخطاب — كقوله تعالى (وَمَالِىَ لاَ أعبُدُ الَّذِى فَطَرَنِى وَإلَيْهِ تُرْجَعونَ) والقياس « واليه أرجع »

(٢) عدولٌ من التكلّم الى الغيبة — كقوله تعالى (يا عِبادِىَ الذين أسرفُوا عَلى أنْفسِهِم لا تقنَطوا مِنْ رَحمةِ اللهِ)

(٣) عدول من الخطاب إلى التّكلم — كقوله تعالى (وَاستَغفِروا ربكم ثمَّ توبوا إلَيْهِ إنَّ رَبِّى رَحِيم ودود)

(٤) عدول من الخطاب إلى الغيبة — كقوله تعالى (ربنا إنكَ جامع الناس لِيوم لاريب فِيه إنّ الله لايخلف الميعاد)

(٥) عدول من الغيبة إلى التّكلم — كقوله تعالى (وهُوَ الذِى أرْسَلَ الرِّياحَ بُشرَى بَيَن يدَى رَحْمتِهِ وأنْزَلنا مِنَ السَّماءِ ماءً طهُوراً) والقياس « وأنزل »

(٦) عدول من الغيبة الى الخطاب — كقوله تعالى (وإذْ أخذْنَا مِيثاق بَنى إسرَائِيلَ لاتعبُدُونَ إلاَّ اللهَ)

الثانى — تجاهُل العارف، وهو سوق المعلوم مساق المجهول، بأن يُجْعل العارف بالشىء نفسه جاهلاً به. وذلك لأغراض

(١) كالتعجب — نحوقوله تعالى (أفَسِحرْ هَذا أمْ أنْتُم لاتُبصِرونَ)

(٢) وَالمبالغة فى المدح — نحو. وَجْهكَ بدْر أم شمس

(٣) والمبالغة فى الذّم — كقول الشاعر

وما أدرى وسوف إخالُ أدرى أقومٌ آلُ حصن أم نساء

(٤) والتوبيخ وشِدَّة الجزَع — كقول الشاعر

أيا شَجَرَ الْخابور مالكَ مُورقاً ... كأنكَ لمْ تجْزَعْ على ابن طرِيف[1]

(٥) وشدَّة الولَهِ — كقول الشاعر

بالله يا ظبياتِ القاعِ قُلن لنَا ... ليلاىَ منكنَّ أم لَيلى منَ البشر

(٦) والفَخر — كقوله

أيُنّا تعرف المواقف منه ... وَثَباتٍ على العِدَا وثباتا

الثالث القَلب — [2] وهو جعل كلٍّ من الجزأين فى الكلام مكان صاحبه، لغرض المبالغة — نحو: قول رؤُبَة بن الْعَجاج

ومَهمهٍ مُغبَرَّةٍ أرجاؤُهُ ... كأنَّ لونَ أرضهِ سَماؤه[3]

أى: كأنَّ لون سمائه لغبرتها لون أرضه، مبالغة فى وصف لون السماء بالغُبْرة، حتى صار بحيث يشبَّه به لون الأرض.

ونحو: أدخلت الخاتم فى أصبعى: والقياس «أدخلت أصبعى فى الخاتم» وعرضت الناقة على الحوض

الرابع - التَّعبير عن المضارع بلفظ الماضى - وعكسه

---

(١) تجاهلت أخت طريف عن سبب انتفاء الجزع عن الشجر لشدة التحير والتضجر

(٢) ويستدل عليه بالتأمل فى المعنى، فنحو عرضت الناقة على الحوض. وأدخلت الخاتم فى أصبعى — أصله «عرضت الحوض على الناقة» لأن العرض يكون على ما له إدراك» وأصله أدخلت أصبعى فى الخاتم» لأن الظرف هو الخاتم» والنكتة أن الظاهر الاتيان بالمعروض الى المعروض عليه. وتحريك المظروف نحو الظرف

ولما كان ما هنا بالعكس، قلبوا الكلام رعاية لهذا الاعتبار — وإنما يقبل حيث يتضمن اعتباراً لطيفاً.

(٣) والمهمه المفازة البعيدة — وأرجاؤه نواحيه

فمن أغراض التعبير عن المضارع بلفظ الماضى

« ا » التنبيه على تحقّق وقوعه — نحو : (أُتى أمْرُ اللهِ) — أى : يأتى

« ب » أو قرب الوقوع — نحو : قد قامت الصلاة — أى : قَرب القيام لها

« ج » والتفاؤل ـ نحو : إنْ شفاك الله تذهب معى

« د » والتعريض ـ نحو : قوله تعالى : (لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَ عَمَلُكَ)
فيه تعريض للمشركين بأنهم قد حُبطت أعمالهم

ومن أغراض التعبير عن الماضى بلفظ المضارع

« ا » حكاية الحالة الماضية باستحضار الصورة الغريبة فى الخيال [٢]
كقوله تعالى (اللهُ الذى أرسَلَ الرِّياحَ فتثيرُ سحَابًا) بدل — فأثارت

« ب » وإفادة الاستمرار فيما مضى ـ كقوله تعالى : (لَوْ يُطِيعُكمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ) أى : لو استمرَّ على إطاعتكم لهلكتم

الخامس — التعبير عن المستقبل بلفظ اسم « الفاعل »
نحو : قوله تعالى (إنَّ الدِّينَ لَوَاقِع)

أو بلفظ اسم « المفعول » : نحو : قوله تعالى (ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْموعٌ لهُ النَّاس)
وذلك : لأنَّ الوصفين المذكورين حقيقة فى الحال ، مجاز فيما سواه

السادس — يوضع المضمر موضع المظهر ، خلافاً لمقتضى الظاهر ، ليتمكن ما بعده فى ذهن السامع ، نحو : هو الله عادل

ويوضع المظهر موضع المضمر لزيادة التمكين نحو : خير الناس من نفع الناس
أو لإلقاء المهَابة فى نفس السَّامع ، كقول الخليفة (أمير المؤمنين يَأمر

---

(١) يوضع المضارع موضع الماضى لايهام المشاهدة باحضار صورة الشىء فى ذهن السامع بصيغة الحاضر

بكذا) (أى : أنا آمر)

أو للاستعطاف — نحو : أيأذن لى مولاى أن أتكلم (أى : أتأذن)

السابع — التغليب : وهو ترجيح أحد الشيئين على الآخر فى اطلاق لفظه عليه [1] — وذلك

(١) كتغليب المذكر على المؤنث ، فى قوله تعالى (وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِين) وقياسه (القانتات)

ونحو : الأبوين — (للأب والأم) — والقمرين (للشمس والقمر)

(٢) وكتغليب الأخفّ على غيره — نحو : الحَسنين (فى الحَسن والحُسين)

(٣) وكتغليب الأكثر على الأقل — كقوله تعالى (لَنُخْرِجَنَّكَ يَاشُعَيْب والذين آمَنوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أوْ لَتَعودُنَّ فى مِلَّتِنَا)

أدخل (شُعيب) فى العود إلى ملَّتهم، مع أنه لم يكن فيها قطّ ، ثم خرج منها وعاد ، تغليباً للأكثر

(٤) وكتغليب العاقل على غيره ، كقوله تعالى (الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعالمين)

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

تم علم المعانى * ويليه علم البَيان * والله المستعان أولا وآخرا

---

(١) التغليب : هو إطلاق لفظ أحد الصاحبين على الآخر ترجيحا له عليه والتغليب كثير فى كلام العرب . والله سبحانه وتعالى أعلم

علم البيان

(١) البيان [١] لغة — الكشف، والإيضاح، والظهور [٢]

واصطلاحاً — أصولٌ وقواعدُ، يُعرف [٣] بها إيرادُ المعنى الواحد، بطرق

---

(١) هو اسم لكل شيء كشف لك بيان المعنى، وهتك لك الحجب، دون الضمير — حتى يفضى السامع الى حقيقته، ويهجم على محصوله، كائنا ما كان ذلك البيان. ومن أى جنس كان ذلك الدليل — لان مدار الأمر والغاية التى يجرى اليها القائل والسامع، انما هو الفهم والافهام. فبأى شيء بلغت الافهام، وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان فى ذلك الموضع. واعلم أن المعتبر فى علم البيان دقة المعانى المعتبرة فيها من الاستعارات والكنايات مع وضوح الالفاظ الدالة عليها. فالبيان هو المنطق الفصيح، المعرب عما فى الضمير

(٢) فاذا كان معنى البيان (الايضاح) كان متعديا. وان كان بمعنى (الظهور) كان لازماً يقال: بينت الشيء: أوضحته، وبان الشيء ظهر واتضح — وكذلك تقول أبنت الشيء وأبان الشيء — وكذلك بينت الشيء أظهرته، وبين الشيء ظهر — وكذلك تبينت الشيء، وتباين الشيء، واستبنت الشيء، واستبان الشيء، بمعنى واحد

والتبيان بالكسر البيان. والكشف. والايضاح

(٣) أى يعرف من حصل تلك الاصول كيف يعبر عن المعنى الواحد بعبارات بعضها أوضح من بعض. فعلم البيان: علم يستطاع بمعرفته إبراز المعنى الواحد بصور متفاوتة، وتراكيب مختلفة فى درجة الوضوح، مع مطابقة كل منهـا مقتضى الحال، فالمحيط بفن البيان. الضليع من كلام العرب منثوره ومنظومه. إذا أراد التعبير عن أى معنى يدور فى خلده ويجول بضميره. استطاع أن يختار من فنون القول، وطرق الكلام ما هو أقرب لمقصده. وأليق بغرضه، بطريقة تبين ما فى نفس المتكلم من المقاصد، وتوصل الأثر الذى يريده به الى نفس السامع فى المقام المناسب له، فينال الكاتب والشاعر. والخطيب. من نفس مخاطبيه إذا جود قوله، وسحرهم ببديع بيانه

ولابد فى علم البيان من اعتبار (المطابقة لمقتضى الحال) المعتبرة فى علم المعانى فمنزلة (المعانى) من (البيان) منزلة الفصاحة من البلاغة

يختلف بعضها عن بعض، فى وضوح الدّلالة العقلية على نفس ذلك المعنى

فالمعنى الواحد: يستطاع أداؤه بأساليب مختلفة، فى وضوح الدّلالة عليه

فانك: تقرأ فى بيان فضل (العلم) مثلا — قول الشاعر:

(١) العلم ينهض بالخسيس إلى العلى والجهل يقعد بالفتى المنسوب

ثم تقرأ فى المعنى نفسه، كلام الامام (على) كرّم الله وجهه

(٢) العلم نهرٌ. والحكمة بحر

(٣) والعلماء حول النّهر يطوفون

(٤) والحكماء وسط البحر يغوصون

(٥) والعارفون فى سفن النّجاة يسيرون

فتجد: أنّ بعض هذه التراكيب أوضحُ من بعض، كما تراه يضع أمام عينيك مشهداً حسياً، يقرّبُ إلى فهمك ما يُريد الكلام عنه من فضل (العلم)

فهو: يُشبّهه بنهر، ويشبّهُ الحكمة ببحر

ويصوّر لك أشخاصاً طائفين حول ذلك النهر — «هُم العلماء»

ويُصوّر لك أشخاصاً غائصين وسط ذلك البحر — «هم الحكماء»

ويصوّر لك أشخاصاً راكبين سُفناً ماخرة فى ذلك البحر للنّجاة من مخاطر هذا العالم — «هم أرباب المعرفة»

ولا شك: أن هذا المشهد البديع: يستوقف نظرك. ويستثير اعجابك من شدّة الرّوعة والجمال المُستمدّة من التّشبيه، بفضل (البيان) الذى هو سر البلاغة

«ب» وموضوع هذا العلم: الألفاظ العربية، من حيث. التشبيه. والمجاز والكناية

« ج » وواضعه (أبو عُبيدة الذى دَونَ مسائل هذا العلم فى كتابه المُسمَّى « مجاز القرآن » وما زال ينمو شيئاً فشيئاً، حتى وصل إلى الامام « عبد القاهر » فأحكم أساسه ، وشيَّدَ بناءه ، ورتَّب قواعده ، وتبعه (الجاحظ ، وابن المُعتز ، وقُدامة ، وأبو هلال العسكرى)

« د » وثمرته الوقوف على أسرار كلام العرب « منثورِه ومنظومِه » ومعرفة مافيه من تفَاوُتٍ فى فنون الفصاحة ، وتبايُن فى درجات البلاغة التى يصِل بها إلى مرتبة إعجاز (القرآن الكريم) الذى حار الجِنُّ والإِنسُ فى مُحاكاته — وعجزوا عن الإتيان بمثله

وفى هذا الفن أبواب — ومباحث

الباب الاول

فى التشبيه

تمهيد

للتّشبيه : رَوعة وجمال . وموقعٌ حسنٌ فى البلاغة : وذلك لإخراجه الخفىّ إلى الجلى ، وإدنائه البعيد من القريب ، يزيدُ المعانى رِفعة ووضوحاً ويكسبُها جمالا وفضلا ، ويكسوها شرفا ونُبلا ، فهو فن واسع النِّطاق . فسيح الخطو . ممتد الحواشى . مُتَشعّب الأطراف . مُتوعِّر المسلك . غامض المدرك . دقيق المجرَى . غزير الجَدوَى

ومن أساليب البيان : أنك إذا أردت إثبات صفةٍ لموصوف ، مع التوضيح . أووجهٍ من المبالغة ، عَمدتَ إلى شىء آخر ، تكون هذه الصفة واضحة فيه ، وعقدتَ بين الاثنين مماَثلة ، تجعلها وسيلة لتوضيح الصِّفة ، أو المبالغة فى اثباتها — لهذا كان التشبيه أوَّلَ طَريقة تدلّ عليه الطبيعة لبيان المعنى

تعريف التشبيه و بيان أركانه الأربعة

التشبيهُ : لُغة التَّمثيلُ — يقال : هذا شِبهُ هذا : وَمثيله

والتَّشبيه : إصطلاحاً — عقد مُماثلة بين أمرين ، أو : أكثر ، قُصِد اشتراكهما فى صفةٍ : أو : أكثر ، بأداة : لغرض يقصده المتكلّم

وأركان التشبيه أربعة

(١) المُشبه : هو الأمر الذى يُراد الحاقه بغيره } وهذان الركنان يسميان طرفى التشبيه
(٢) المُشبه به : هو الأمر الذى يلحق به المشبه

(٣) وجه الشَّبه : هو الوصف المشترك بين الطرفين ، ويكون فى المشبه به ، أقوى منه فى المشبه — وقد يُذكر وجه الشَّبه فى الكلام . وقد يُحذف كما سيأتى توضيحه

(٤) أداة التشبيه : هىَ اللفظ الذى يَدُلُّ على التشبيه ، ويربط المشبّه بالمشبّه به ، وقد تُذكر الأداة فى التشبيه ، وقد تحذف ، نحو : كان عمرُ فى رَعيَّته كالميزان فى العدل . وكان فيهم كالوالد فى الرحمة والعطف

تمــــرين

على التشبيه وبيان أركانه الأربعة

أنتِ كالوردة لمساً وشــذاً — جادها الغيثُ على غُصنٍ نَضَر
إنمــا النــاس كالسَّوائم فى الرِّز — ق ســـواء جهولهم والعليمُ
أنت مثل الغصن ليناً — وشــبيهُ البَدر حُســــنا
لك شـــعرٌ مثـــلُ حظّى — فى ســـوادٍ قد تَثَنَّى
أنت عندى كليلة القدر فى القــد — ر ولــكن لاتستجيب دعائى
العشق كالموت يأتى لامَردّ له — مافيـه للعاشق المسكين تدبير
وكن كالشمس تظهر كل يوم — ولاتكُ فى التَّغَيُّب كالهلال
بعضُ الرجال كقبر الميتِ تمنحه — أعزَّ شىء ولا يعطيك تعويضاً

وخَيل تحاكِي البرق لونًا وسرعة ... وكالصَّخر إذْ تهوى وكالماء فى الجرْى

أعوام إقباله كاليوم فى قِصرٍ ... ويومُ إعراضه فى الطول كالحِجج

أورد قلبي الرّدى ... غُصن عِـذارٍ بدا

أسود كالـكفرِ فى ... أبيض مثل الهُدى

لاجزى الله دمعَ عيني خيراً ... وجزى الله كل خير لسانى

نمَّ دمعى فليس يكتم شيئا ... ووجدتُ اللسان ذا كِتمانِ

كنت مثل الـكتاب أخفاه طَىٌّ ... فاستدلوا عليه بالعُنـوان

للورد عندى محلٌّ ... لأنه لا يُمَـلُّ

كل الرّياحين جند ... وهو الأمير الأجلُّ

إن غاب عزوا وباهوا ... حتى إذا عاد ذلّوا

المبحث الأول

فى تقسيم طرفى التَّشبيه إلى حِسّى . وَعقلى

طرفا التشبيه « المشبه . والمشبه به »

(١) إمَّا حِسيَّان [١] « أى : مدركان بإِحدى الحواسّ الخمس الظَّاهرة »

---

(١) اعلم أن من الحسى : ما لا تدركه الحواس الخمس التى هى (البصر والسمع والشم والذوق واللمس) ولـكن تدرك مادته فقط ويسمى هذا التشبيه (بالخيالى) الذى ركبته المتخيلة من أمور موجودة ، كل واحد منها يدرك بالحس — كقوله

كأن الحباب المستدير برأسها ... كواكب در فى سماء عقيق

فان كواكب در ، وسماء عقيق ، لايدركها الحس ، لأنها غير موجودة — ولـكن يدرك مادتها التى هى الدر والعقيق ، على انفراد — والمراد بالحباب ما يعلو الماء من الفقاقيع والضمير للخمر — ومنه أيضا قول الآخر

نحو — أنتَ كالشمس فى الضِّياء — وكما فى تشبيه «الخدِّ بالورد»

(٢) وإمَّا عقليان — أى مدركان بالعقل، نحو: العلم كالحياة

ونحو: «الضلال عن الحق كالعمى» ونحو: «الجهل كالموت»

(٣) وإمَّا المشبه حِسِّى، والمشبه به عقلى — نحو: طبيب السُّوء كالموت

(٤) وإمَّا المشبه عقلى، والمشبه به حِسِّى — نحو — العلم كالنور

واعلم أن العقلى هو ماعدَا الحسِّى، فيشمل المُحقَّق ذهناً: كالرأى والخلق. والحظ. والأمل. والعلم. والذكاء. والشجاعة

ويشمل أيضاً الوهمى، وهو مالاوجود له، ولا لأجزائه كلها، أو بعضها فى الخارج، ولو وجد لكان مدركا باحدى الحواس

=

وكأن محمر الشقيق إذا تصوب أو تصعد
أعلام ياقوت نشر ن على رماح من زبرجد

فان الأعلام والياقوت والزبرجد والرماح موجودة — لكن المشبه الذى مادته هذه، ليس موجوداً ولا محسوساً. والمراد بالعقلى مالا يدرك هو ولا مادته باحدى الحواس الظاهرة — بل إدراكه عقلا. فيدخل فيه الوهمى وهو مالايدرك هو ولا مادته باحدى الحواس، لكن لو وجد فى الخارج لكان مدركا بها — ويسمى هذا التشبيه (بالوهمى) الذى لاوجود له ولا لأجزائه كلها أو بعضها فى الخارج، ولو وجد لكان مدركا باحدى الحواس كقوله تعالى (طلعها كأنه رؤوس الشياطين) — وكقوله

أيقتلنى والمشرفى مضاجعى ومسنونة زرق كأنياب أغوال

فان أنياب الأغوال لم توجد هى ولامادتها. وانما اخترعها الوهم، لكن لو وجدت لأدركت بالحواس. والمشرفى السيف. والمسنونة السهام. والأغوال يزعمون أنها وحوش هائلة المنظر، ولا أصل لها، والوجدانيات كالجوع والعطش ونحوهما ملحقة بالعقلى ثم التضاد بين الطرفين قد ينزل منزلة التناسب، ويجعل وجه الشبه على وجه الظرافة أو الاستهزاء كما فى تشبيه شخص ألكن (بقس بن ساعدة) — أو رجل بخيل (بحاتم) — والفرق بين الظرافة والاستهزاء يعرف بالقرائن: فان كان الغرض مجرد الظرافة فظرافة — وإلا فاستهزاء

ويشمل الوجدانى: وهو ما يدرك بالقوى الباطنة، كالغم، والفرح، والشّبع والجوع، والعطش، والرِّى

المبحث الثانى

فى تقسيم طرفى التَّشبيه : باعتبار الإفراد . والتركيب

طرفا التَّشبيه « المشبه والمشبه به »

(١)
- إمَّا مفردان « مطلقان » نحو : ضوءه كالشمس . وخده كالورد
- أو «مقيدان[1]» نحو : الساعى بغير طائل كالرَّاقم على الماء
- أو « مختلفان» نحو : ثغره كاللُّؤلؤ المنظوم ـ ونحو : العين الزرقاء كالسَّنان — (والمشّبه هو المقيَّد)

وإما مركبان تركيباً لم يُمكنْ إفراد أجزائهما، بحيث يكون المركب هيئة حاصلة من شيئين، أو من أشياء، تلاصقت حتى اعتبرها المتكلم شيئاً واحداً ، وإذا انتُزع الوجهُ من بعضها دون بعض، اختل قصد المتكلم من التشبيه ـ كقوله[2]

---

(١) وتقييده بالاضافة، أو الوصف ، أو المفعول، أو الحال ، أو الظرف، أو بغير ذلك ويشترط فى القيد : أن يكون له تأثير فى وجه الشبه . ولهذا جعل قوله تعالى — (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) من باب تشبيه المفرد بالمفرد بلا قيد . ونحو التعلم فى الصغر كالنقش فى الحجر

(٢) ومنه قول الآخر

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا ... وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

فانه شبه هيئة الغبار ، وفيه السيوف مضطربة ، بهيئة الليل وفيه الكواكب تتساقط فى جهات مختلفة — وكقول الشاعر

كأن الدموع على خدها ... بقية طل على جلنار

فالمشبه مركب من الدموع والخد ، والمشبه به مركب من الطل والجلنار

كأنَّ سهيلاً وَالنجوم وَرَاءَه صُفُوفَ صلَاَةٍ قامَ فِيها إمامُهَا

(إذلو قيلَ كأن سهيلاً إمام ، وكأن النجوم صفوف صلاة . لذهبت فائدة التَّشبيه)

(٢) أو مركبان تركيباً : إذا أفردت أجـــزاؤه زال المقصود من هيئة (المشبه به) كما ترى فى قول الشاعر الآتى

حيث شبَّه النجوم الَّلامعة فى كبد السَّماء ، بدرٍّ منْتثر على بساط أزرق

وَكأنَّ أجْرَامَ النُّجوم لوامعاً دُرَرٌ نُثِرْنَ على بسَاطٍ أزْرَق

(إذلو قيل : كأَنَّ النُّجوم دُرَر - وكأن السماء بساط أزْرق ، كان التشبيه مقبولا - لكنه قد زال منه المقصود بهيئة المشبه به)

(٣) و إما مفرد بمركب - كقول الخنساء[(١)]

أغرُّ أبلجُ تأتمّ الُهداةُ بِهِ كأنه عَلَمٌ فى رأسِه نارُ

(٤) و إما مركب بمفرد - نحو : الماء المالح كالسّم[(٢)]

واعلم : أنه متى رُكبَ أحَد الطرفين لا يكاد يكون الآخر مفرداً مطلقا . بل يكون مركباً . أو مفردا مقيدا ، ومتى كان هناك تقييد أو تركيب كان الوجه مركباً . ضرورة انتزاعه من المركب ، أو من القيد . والمُقيَّد

---

(١) وكقوله وحدائق لبس الشقيق نباتها كالأرجوان منقطا بالعنبر

(٢) وكقوله لا تعجبوا من خاله فى خده كل الشقيق بنقطة سوداء

فالمشبه مركب من (الخال والخد) ، والمشبه به مفرد وهو (الشقيق)

المبحث الثالث

فى تقسيم طرفى التَّشبيه : باعتبار تعدّدهما [1]

ينقسم طرفا التشبيه « المشبه والمشبه به » باعتبار تعدّدهما ، أو تعدّد أحدهما . إلى أربعة أقسام

ملفوف ، ومفروق ، وتسوية ، وجمع

(١) فالتشبيه الملفوف ، هو جمع كل طرف منهما مع مثله ، كجمع المشبه مع المشبه . والمشبه به مع المشبه به — بحيث يُؤتى بالمشبهات معاً على طريق العطف ، أوغيره ، ثم يؤتى بالمشبهات بها كذلك

كقوله   ليل و بدر وغصن   شعر ووجه وقَدّ

خمر ودُرٌّ وورد   ريق وثغر وخدّ

وكقوله: تبسُّمٌ وقُطوب فى ندًى ووَغًى   كالغيث والبرق تحت العارض البرَدِ

وكقوله

وضوء الشهْب فوْق الليل بادٍ   كأطراف الأسِنَّة فى الدروع [2]

(٢) والتشبيه المفروق — هو جمع كل مشبه مع ماشُبّه به — كقوله [3]

---

(١) متى تعدد الطرفان معا نتج تشبيهان أو أكثر، لاتشبيه واحد

(٢) أى فقد جمع ضوء الشهب والليل المشبهين . مع أطراف الأسنة والدروع المشبه بهما

(٣) ومنه قوله

إنما النفس كالزجاجة والعلـ   ـم سراج وحكمة الله زيت

فاذا أشرقت فانك حى   وإذا أظلمت فانك ميت

أَلنَّشرُ مسكٌ وَالوجوهُ دَنا نيرٌ وأطرافُ الأكفِّ عنَم

(٣) « وتشبيه التّسوية » هو أن يتعدّد المشبه دُونَ المُشبَّه به

كقوله صُدغ الحبيب وَحالى كلاهما كالليالى
وثغره فى صفاء وأدمعى كاللآلى

سمى بذلك : للتّسوية فيه بين المشبهات

(٤) وتشبيه الجمع — هو أن يتعدَّد المشبه به. دون المشبه — كقوله:

كأنما يَبسمُ عن لؤلؤ مُنضّد أو بَرَد أو اقاح[1]

سُمى بتشبيه الجمع — للجمع فيه بين ثلاث مُشبّهات بها

وكقوله :

مرَّت بنا رأْدَ الضُّحى تحكِي الغزالة والغزالا

وكقوله :

ذات حُسنٍ لو استزادت من الحُسـ ـن إليه لَمَا أصابت مَزيدًا
فهى الشّمس بهجةً والقَضيب اللَّدْ نُ قدًّا والرِّيم طرفًا وجيدًا

تمرين

أذكر أحوال طرفى التشبيه فيما يأتى :[2]

(١) أى كأن المحبوب يبتسم عن أسنان كاللؤلؤ المنظوم ، أو كالبرد أو كالاقاح فشبه الشاعر : ثغر المحبوب بثلاثة أشياء اللؤلؤ (وهو الجوهر المعلوم) والبرد (وهو حب الغمام) والاقاح جمع أقحوان بضم الهمزة وفتحها ، وهو زهر نبت طيب الرائحة، حوله ورق أبيض ، ووسطه أصفر

ملخص القول فى تقسيم طرفى التشبيه

أولا — ينقسم التشبيه باعتبار طرفيه إلى حسيين وعقليين ومختلفين — فالحسيان يشتركان

علم لا ينفع، كدواء لا ينجع. الصديق المنافق، والابن الجاهل، كلاهما

= (١) فى صفة مبصرة كتشبيه المرآة بالنهار فى الاشراق، والشعر بالليل فى الظلمة والسواد، كما فى قول الشاعر:

فرعاء تسحب من قيام شعرها   وتغيب فيه وهو ليل أسحم

فكأنها فيه نهار مشرق   وكأنه ليل عليها مظلم [١]

(٢) أو فى صفة مسموعة — نحو: غرد تغريد الطيور ونحو: سجع سجع القمرى ونحو: أن أنين الثكلى ونحو: أسمع دوياً كدوى النحل، وكتشبيه انقاض الرحل بصوت الفراريج فى قول الشاعر

كأن أصوات من إيغالهن بنا   أواخر الميس إنقاض الفراريج [٢]

وكتشبيه الأصوات الحسنة فى قراءة القرآن الكريم بالمزمير

(٣) أو فى صفة مذوقة. كتشبيه الفواكه الحلوة بالعسل. وكتشبيه الريق بالخمر فى قول الشاعر:

كأن المدام وصوب الغمام   وريح الخزامى وذوب العسل

يعل به برد أنيابها   إذا النجم وسط السماء اعتدل [٣]

(٤) أو فى صفة ملموسة. كتشبيه الجسم بالحرير: فى قول ذى الرمة:

لها بشر مثل الحرير ومنطق   رخيم الحواشى لا هراء ولا نذر [٤]

وعينان قال الله كونا فكانتا   فعولان بالألباب ما تفعل الخمر

---

(١) امرأة فرعاء. كثيرة الشعر، وأسحم. أسود من سحم كتعب

(٢) ألميس. الرحل. والانقاض. قيل صوت الفراريج الضئيل، وقيل صوت الحيوان والنقض صوت الموتان كالرحل. والفراريج. جمع فروج وهو فرخ الدجاجة. وتقدير البيت. كأن أصوات أواخر الميس من إيغالهن بنا إنقاض الفراريج

(٣) المدام. الخمر. والصوب. من صاب المطر يصوب. إذا انصب بكثرة ونزل، والخزامى. نبت طيب الرائحة. والعلل الشرب الثانى، يقال: علل بعد نهل

(٤) رخيم الحواشى. مختصر الأطراف، والهراء (بضم الهاء) المنطق الكثير وقيل المنطق الفاسد الذى لا نظام له

كجمر الغضا ، الحق سيف على أهل الباطل ، الحِمْية من الأنَام ، كالحِمْيَة من الطعام .

= (٥) أو فى صفة مشمومة . كتشبيه الريحان بالمسك — والنكهة بالعنبر

والعقليان — هما اللذان لم يدركا « هما ولا مادتهما » باحدى الحواس — كتشبيه السفر بالعذاب ، والضلال عن الحق بالعمى ، والاهتداء الى الخير بالابصار

والمختلفان — إما أن يكون المشبه عقليا والمشبه به حسيا — كتشبيه الغضب بالنار من التلظى والاشتعال — وكتشبيه الرأى بالليل فى قول الشاعر

الرأى كالليل مسود جوانبه والليل لا ينجلى إلا باصباح

وإما أن يكون المشبه حسيا والمشبه به عقليا — كتشبيه الكلام بالخلق الحسن وكتشبيه العطر بخلق الكريم فى قول الصاحب بن عباد .

أهديت عطراً مثل طيب ثنائه فكأنما أهدى له أخلاقه [١]

ثانياً — ينقسم التشبيه باعتبار طرفيه إلى مفردين مطلقين . أو مقيدين . أو مختلفين — والى مركبين أو مختلفين

فالمفردان المطلقان . كتشبيه السماء بالدهان فى الحمرة . فى قوله تعالى : فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان [٢]

وكتشبيه الكشح بالجديل . والساق بالأنبوب . فى قول امرىء القيس

وكشح لطيف كالجديل مخصر وساق كانبوب السقى المذلل [٣] =

(١) الثناء يشبه بالعطر ، لكنه اعتبر المعقول كأنه محسوس وجعله كالأصل لذلك المحسوس مبالغة ، وتخيله شيئاً له رائحة — وشبه العطر به

(٢) الدهان الجلد الأحمر

(٣) الكشح . ما بين الخاصرة إلى الضلع (أقصر الأضلاع وآخرها) وهو من لدن السرة إلى المتن . الجديل الزمام المجدول من أدم . وقيل حبل من أدم أو شعر فى عنق البعير . ومخصر . دقيق . السقى . البردى واحده سقية . المذلل الذى ذلل بالماء حتى طاوع كل من مد إليه يده . قال الوزير أبو بكر عاصم بن أيوب فى شرحه لديوان امرىء القيس . شبه كشح المرأة بالزمام فى اللين والتثنى واللطافة . وشبه ساقها ببردى قد نبت تحت نخل . والنخل تظله من الشمس ، والوجه بالبياض

قال محمد بن لَنكك البصرى :

قضَى الأمراءُ وانقرضوا وبادُوا وخلّفنى الزّمان على عُلوجِ

وقالوا قد لزمتَ البيت جداً فقلت لفقد فائدة الخروج

فمَنْ ألْقَى إذا أبصرتُ فيهم ودار البين فى أعلى السروج

زَمانٌ عزَّ فيه الجود حتى كأنّ الجودَ فى أعلى البُروج

= والمقيدان . بوصف . أو اضافة . أو حال . أو ظرف — أو نحو ذلك . كقولهم فيمن لا يحصل من سعيه على فائدة : هو « كالراقم على الماء » فالمشبه هو الساعى على هذه الصفة . والمشبه به هو الراقم بهذا القيد . ووجه الشبه . التسوية بين الفعل والترك فى الفائدة — وكقوله

والشمس من بين الأرائك قد حكت سيفا صقيلا فى يد رعشاء [1]

والمختلفان . والمشبه به هو المقيد : كما فى قول ذى الرمة

قف العيس فى أطلال مية فاسأل رسوما كأخلاق الرداء المسلسل [2]

أو المشبه هو المقيد . كما فى قول الشاعر

كأن فجاج الأرض وهى عريضة على الخائف المطلوب كفة حابل [3]

والمركبان : كقول الشاعر

البدر منتقب بغيم أبيض هو فيه بين تفجر وتبلج

كتنفس الحسناء فى المرآة إذ كملت محاسنها ولم تتزوج =

---

(١) الأراك شجر من الحمض يستاك بقضبانه ، واحدته أراكة ، وجمعها أرائك

(٢) العيس . كرام الابل ، وقيل : الابل البيض ، يخالط بياضها شقرة ، أو ظلمة خفية . والاطلال جمع طلل وهو الشاخص من آثار الديار . والرسم ما كان لاصقاً بالأرض من آثار الديار . وأخلاق . جمع خلق (بفتح اللام) وهو الثوب البالى . والمسلسل . الرقيق — من تسلسل الثوب لبس حتى رق

(٣) الفجاج جمع فج الطريق الواسع الواضح بين جبلين . والكفة : مايصاد به (الشبكة) والحابل الصياد

يا شبيه البدر حُسنا وضياء ومنالا
وشبيه الغصن لِينا وقواماً واعتدالا
أنت مثل الورد لونا ونسيما وملالا
زارنا حتى إذا ما سرَّنا بالقرب زالا
يا صاحِبَيَّ تقصَّيَا نظريْكما تَرَيا وجوه الأرض كيف تُصوَّرُ
تَرَيا نهاراً مُشمساً قد شابَهُ زهرُ الرّبى فكأنما هو مُقمِرُ (١)

= والمختلفان — والمشبه مفرد . كقوله تعالى (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف) — وكقول الشاعر

أغر أبلج تأتم الهداة به كأنه علم فى رأسه نار

أو المشبه به مفرد . كقول أبى الطيب المتنى

تشرق أعراضهم وأوجههم كأنها فى نفوسهم شيم

شبه إشراق الأعراض والوجوه باشراق الشيم (الاخلاق الطيبة) فاشراق الوجوه ببياضها ، واشراق الاعراض بشرفها وطيبها

(١) يريد أن النبات لكثرته وتكاثفه مع شدة خضرته ، قارب لونه السواد . وانتقص من ضوء الشمس ، حتى كأنه ليل مقمر . فشبه النهار المشمس الذى قد خالطه زهر الربا ، بالليل المقمر — والاول مركب — والثانى مفرد مقيد .

ثالثا — التشبيه ينقسم باعتبار طرفيه الى (١) ملفوف . وهو ما أتى فيه بالمشبهات أولا على طريق العطف ، أوغيره ، ثم بالمشبهات بها كذلك — كقول الشاعر

ليل وبدر وغصن شعر ووجه وقد
خمر ودر وورد ريق وثغر وخد

شبه الليل بالشعر . والبدر بالوجه ، والغصن بالقد ، فى البيت الاول ، والخمر بالريق ، والدر بالثغر ، والورد بالخد ، فى البيت الثانى . وقد ذكر المشبهات أولا — والمشبهات بها ثانيا كما ترى فى نظم الشاعر

(٢) والى مفروق . وهوما أوتى فيه بمشبه ومشبه به ثم بآخر وآخر كقول أبى نواس

تبكى فتذرى الدر من نرجس وتمسح الورد بعناب =

فكم معنى بديع تحت لفظٍ هناك تزاوُجٌ كلّ ازدواج

كراح فى زُجاج أو كروح سَرَت فى جسم معتدل المزاج

ألخدُّ وردٌ والعذار رِياض والطَّرفُ ليلٌ والبياض نهارُ

العمرُ. والإنسان. والدنيا. همو كالظلّ فى الإقبال والإدبار

= شبه الدمع بالدر لصفائه . والعين بالنرجس ، لما فيه من اجتماع السواد بالبياض والوجه بالورد .

رابعا — ينقسم التشبيه أيضا باعتبار طرفيه إلى

(١) تشبيه التسوية . وهو ماتعدد فيه المشبه — كقول الشاعر

صدغ الحبيب وحالى كلاهما كالليالى

وثغره فى صفاء وأدمعى كاللآلى (١)

شبه فى الأول صدغ الحبيب وحاله هو . بالليالى فى السواد . وفى الثانى شبه ثغر الحبيب ودموعه باللآلى فى القدر والاشراق

(٢) تشبيه الجمع . وهو ماتعدد فيه المشبه به كقول البحترى :

بات نديماً لى حتى الصباح أغيد مجدول مكان الوشاح

كأنما يبسم عن لؤلؤ منضد أو برد أو أقاح (٢)

شبه ثغره بثلاثة أشياء باللؤلؤ ، والبرد ، والاقاح — وقد تقدم الكلام على هذه الأقسام

---

(١) الصدغ (بضم الصاد) مابين العين والأذن . والشعر المتدلى على هذا الموضع هو المراد هنا ، والثغر تطلق على الفم ، وعلى الأسنان فى منابتها — والمراد الثانى

(٢) الأغيد . الناعم البدن ، والمجدول . المطوى غير المسترخى — والمراد لازمه . وهو ضامر البطن والخصرتين ، والوشاح شبه قلادة ينسج من جلد عريض يرصع بالجواهر تشده المرأة فى وسطها أو على المنكب الأيسر معقوداً تحت الأبط الأيمن للزينة . والمنضد . المنظم . والبرد . حب الغمام . والاقاح بفتح الهمزة وضمها نبات له زهر أبيض ، فى وسطه كتلة صغيرة صفراء . وأوراق زهره مفلجة صغيرة ، واحدته قحوانة . (بضم القاف)

كأنَّ مُثارَ النقع فوقَ رُؤوسنا وأسيافَنا ليلٌ تَهاوَى كواكبُه[1]

خُودٌ كأنَّ بَنانَهـــا في خُضرة النَّقش المُزرَّدْ[2]

سمكٌ من البـلَّور في شَبَك تَكوَّن من زَبَرْجَدْ

كَأَنَّ قلوبَ الطير رَطباً ويابساً[3] لدى وكرِها العُنَّابُ والحَشَفُ البالِي

مَن يصنَـع الخيرَ مع من ليس يَعرفُه كواقد الشمَّع في بيتٍ لِعميان[4]

المبحث الرابع

في تقسيم التشبيه باعتبار وَجه الشَّبَه

وَجه الشَّبه : هو الوصف الخاص[5] الذي يُقصَد اشتراكُ الطرفين فيه

---

(١) شبهت هيئة السيوف الحاصلة من علوها ونزولها بسرعة في وسط الغبار بهيئة كواكب تتساقط في ليل مظلم

(٢) أي أن أصابعها المعبر عنها بالبنان، قد نقش عليها بالوشم ما هو كالشبك الزبرجدي : أي المحيط ببياض أصابعها التي هي كالبلور — فالمفردات كل واحد منها يدرك بالحس — والمركب غير موجود

(٣) يريد الشاعر وصف العقاب بكثرة اصطياده الطيور — فشبه الطرى من قلوب الطير بالعناب — واليابس منها بالحشف البالى والعناب شجر له حب كحب الزيتون، وأحسنه الأحمر الحلو

(٤) ففيه التشبيه الملفوف حيث جمع في الشطر الأول صنيع الخير، ومعرفته، وهما متلازمان — ثم أتى في الشطر الثاني بالمشبه بهما أعنى وقود الشمع والنظر إلى نوره

(٥) إما (حقيقة) : كالبأس في قولك (زيد كالأسد) وإما (تخيلا) كما في قوله

يا من له شعر كحظى أسود جسمى نحيل من فراقك أصفر

فان وجه الشبه فيه بين الشعر والحظ هو السواد . وهما يشتركان فيه — لكنه يوجد في المشبه تحقيقا . ولا يوجد في المشبه به الا على سبيل التخييل، لأنه ليس من ذوات الألوان: ثم اعلم أن وجه الشبه — إما داخل في حقيقة الطرفين — وذلك كما في =

كالكرم فى نحو: خليل كحاتم، ونحو: له سيرة كالمسك، وأخلاقه كالعنبر:

واشتراك الطرفين قد يكون ادّعائياً بتنزيل التضاد منزلة التناسب وإبرازَ الخسيس فى صورة الشريف تهكما أو تمليحاً . ويظهر ذلك من المقام

— تشبيه ثوب بآخر، فى جنسهما أو نوعهما أو فصلهما كقولك هذا القميص مثل ذلك فى كونهما كتانا أو قطناً — وإما خارج عن حقيقتهما وهو ما كان صفة لهما (حقيقة) وهى قد تكون حسية كالحمرة فى تشبيه الخد بالورد ، وقد تكون عقلية كالشجاعة فى تشبيه الرجل بالأسد — أو (إضافية) وهى ما ليست هيئة متقررة فى الذات ، بل هى معنى متعلقاً بها كالجلاء فى تشبيه البينة بالصبح . ثم ان وجه التشبيه قد يكون واحداً وقد يكون بمنزلة الواحد (لكونه مركبا من متعدد) وقد يكون متعدداً — وكل من ذلك قد يكون حسيا وقد يكون عقليا .

(أما الواحد) فالحسى منه كالحمرة فى تشبيه الخد بالورد، والعقلى كالنفع فى تشبيه العلم بالحياة

(وأما المركب) : فالحسى منه قد يكون مفرد الطرفين ، كما فى قوله

وقد لاح فى الصبح الثريا كما ترى　　كعنقود ملا حية حين نورا

فان وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من التئام الحبب البيض الصغيرة المستديرة المرصوص بعضها فوق بعض على الشكل المعلوم . وكلا الطرفين مفرد ، وهما الثريا والعنقود . وقد يكون مركب الطرفين كما فى قوله

والبدر فى كبد السماء كدرهم　　ملقى على ديباجة زرقاء

فان وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من طلوع صورة بيضاء مشرقة مستديرة فى رقعة زرقاء مبسوطة . وكلا الطرفين مركب أولهما من البدر والسماء — والثانى من الدرهم والديباجة . وقد يكون مختلف الطرفين كقوله

وحدائق لبس الشقيق نباتها　　كالأرجوان منقطا بالعنبر

فان وجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من انبساط رقعة حمراء قد نقطت بالسواد منثوراً عليها . والمشبه مفرد وهو الشقيق — والمشبه به مركب من الارجوان والعنبر . وكقوله

لا تعجبوا من خاله فى خده　　كل الشقيق بنقطة سوداء

وينقسم التشبيه باعتبار وجه الشبه إلى

(١) تشبيه تمثيل — وهو ما كان وجه الشبه فيه وصفاً منتزعاً من متعدد: — حسياً كان أو غير حسي، كقوله:

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يوافى تمام الشهر ثم يغيب

= فان وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من طلوع نقطة سوداء مستديرة فى وسط رقعة حمراء مبسوطة. والمشبه مركب من الخال والخد، والمشبه به مفرد وهو الشقيق والعقلى من المركب كما فى قوله.

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

فان وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من الالتجاء من الضار إلى ما هو أضر منه طمعا فى الانتفاع به — ووجه الشبه مركب من هذه المتعددات فى الجميع، والرمضاء الأرض التى اسخنتها حرارة الشمس الشديدة، والمراد (بعمرو) هنا هو جساس ابن مرة البكرى، يقال أنه لما رمى كليب بن ربيعة التغلبى وقف على رأسه فقال له: (ياعمرو) أغثنى بشربة ماء — فأتم قتله

وأما المتعدد — فالحسى منه كما فى قوله

مهفهف وجنتاه كالخمر لونا وطعما

والعقلى: كالنفع والضرر فى قوله

طلق شديد البأس راحته كالبحر فيه النفع والضرر

فان وجه الشبه فيهما متعدد وهو اللون والطعم فى الأول — والنفع والضرر فى الثانى — وقد يجىء المتعدد مختلفا كما فى قوله

هذا أبو الهيجاء فى الهيجاء كالسيف فى الرونق والمضاء

فان وجه الشبه فيه هو الرونق وهو حسى — والمضاء وهو عقلى. وأبو الهيجاء لقب عبد الله بن حمدان العدوى، والهيجاء من أسماء الحرب

واعلم أن الحسى لايكون طرفاه إلا حسيين — وأما العقلى: فلا يلزمه كونهما عقليين — لأن الحسى يدرك بالعقل، خلافا للعقلى فانه لا يدرك بالحس

فوجهُ الشَّبه سُرْعَة الفناء — انتزعهُ الشاعر من أحوال القمر المتعدّدة إذ يَبدُو هلالاً، فيصيرُ بدراً، ثم ينقصُ، حتى يُدركه المحَاق

ويسمّى تشبيه التَّمثيل

(٢) وَتشبيه غيرُ تمثيل — وهو مالم يكن وَجْهُ الشَّبه فيه صورةً مُنتزعة من مُتعدد، نحو: وَجهه كالبدر — وكقول الشاعر

لا تَطلُبَنَّ بآلة لكَ رُتبةً قَلمُ البليغ بغير حظٍّ مِغزَلُ

فوجه الشبه قلَّة الفائدة، وليس مُنتزعاً من متعدد

(٣) ومُفصَّل — وهو ماذكر فيه وجه الشبه، أو ملزومه، نحو: طبعُ فريد كالنسيم رِقَّة — ويده كالبحر جوداً — وكلامه كالدُّر حسناً — وألفاظهِ كالعسل حلاوة وكقول ابن الرّومى

شبيهُ البدر حُسْناً وضياءً وَمنالا وَشبيهُ الغُصْن ليناً وَقواماً وَاعتدالاً

(٤) ومُجمل — وَهو ما يذكر فيه وجه الشبه، وَلا مايستلزمه — نحو: (النحو فى الكلام كالملحِ فى الطعام) فوجه الشبه هو الاصلاح فى كل

وَكقوله إنَّما الدنيا كبيتٍ نسجهُ مِنْ عنكبوت

وَاعلم أنّ وجه الشبه المجمل: إمَّا أن يكون خفيًّا وَإمَّا أن يكون ظاهراً وَمنه ماوُصف فيه أحد الطرفين أو كلاهما بوصف يُشعر بوجه الشبه ومنه ماليس كذلك

(٥) وَقَريبٌ مُبتذلٌ — وهو ما كان ظاهرَ الوجه يَنتقلُ فيه الذِّهن من المُشَبَّه إلى المُشَبه به، من غير احتياج إلى شِدَّة نَظر وتأمُّل، لظهور وجهه بادىء الرَّأى

وذلك لكون وجهه لا تفصيل فيه: كتشبيه الخدّ بالورد فى الحُمرة ، أو لكون وجهه قليل التَّفصيل ، كتشبيه الوجه بالبدر ، فى الإشراق والاستدارة ، والعيون بالنّرْجس ،

وقد يُتصرّف فى القريب بما يُخرجه عن ابتذاله إلى الغَرابة ، كقول الشاعر

لم تَلْقَ هذا الوجه شمس نهارِنا الاّ بوجهٍ ليس فيه حَيــــاء

فانّ تشبيه الوجه الحسن ، بالشمس : مُبتذل ، ولكن حديث الحياء أخرجه إلى الغَرابة

وقد يخرج وجهُ الشبَّه من الابتذال إلى الغرابة : وذلك بالجمع بين عِدّة تشبيهات — كقول الشاعر

كأنّما يبسِمُ عن لؤلؤ مُنضّد . أو بَرَد . أوْ أَقاح

أو باستعمال شَرط — كقوله

عزماتُه مثلُ النّجوم ثواقِباً لولم يكن للثّاقِبات أُفولُ

(٦) وبعيدٌ غريبُ — وهو ما احتاج فى الانتقال من المشبه إلى المشبه به ، إلى فكر وتدقيق نظَر ، لخفاء وجهه بادىء الرّأى - كقوله

والشّمس كالمِرْآة فى كفّ الأشَل

(فانّ الوجه فيه) هو الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع الاشراق ، والحركة السّريعة المتَّصِلة مع تموُّج الإشراق ، حتى ترى الشّعاع كأنه يهمّ بأن ينْبسط حتى يفيض من جوانب الدائرة ، ثم يبدو له فيرجع الى الانقباض

وحكم وجه الشّبه — أن يكون فى المُشبّه به أقوى منه فى المشبه — وإلاّ فلا فائدة فى التشبيه

تمرين

بيِّنْ أركان التشبيه وأقسامَ كلٍّ منها فيما يلى

(١) ومكلّف الأيام ضدَّ طباعها مُتَطلبٌ فى الماء جَذْوةَ نار

(٢) والدهر يقرعنى طوراً وأقرعه كأنه جبلٌ يهْوى إلى جبل[1]

(٣) فان أغْش قوماً بعده أو أزورهم فكالوحش يُدنيها من الأنس المحْل[2]

(٤) الشّمس من مشرقها قد بدت مُشرقةً ليس لها حاجبُ[3]

كأنها بُوتقةٌ أُحْمِيَتْ يجول فيها ذهب ذائب

(٥) قالت أعرابية تصف بنيها (هم كالحلقةِ المُفرغة لا يُدْرَى أين طرفاها)

(٦) عزماتهم قُضُبٌ وفَيْضُ أكفِّهم سُحُبٌ وبيضُ وجوههم أقمارُ[4]

(٧) قال على: كرَّمَ الله وجهه (مَثلُ الذى يَعلمُ الخيرَ ولا يَعمل به مَثَلُ السّراج يُضِيء للناس ويحرق نفسه)

(٨) قال صاحب كليلة ودِمْنة. الدُّنيا كالماء الملح، كلّما ازددتَ منه شُرْباً ازددت عطشاً

(٩) فانهض بنارٍ إلى فحمٍ كأنهما فى العين ظُلمٌ وإنصافٌ قد اتّفقا

(١) يقرع: يضرب

(٢) الانس محركة: من تأنس به جمعه آناس، ولغة فى الانس بالكسر، والمحل الجدب

(٣) الحاجب المانع والبوتقة الوعاء الذى يذيب فيه الصائغ الذهب

(٤) قضب جمع قضيب وهو السيف القطاع

(١٠) فتراه في ظُلَم الوغَى فتخالُه قمرا يكُرّ على الرجال بكوكبِ[١]

(١١) كأنّ الثُّريّا في أواخر ليلها تفتُّح نَوْر أو لجامٌ مُفَضَّضُ

(١٢) كأنّ الدّموع على خدّها بقيَّة طَلٍّ على جُلّنارِ[٢]

(١٣) صَحْوٌ وغَيم وضياءٌ وظُلَمْ مثل سُرور شابَهُ عارضُ غَمْ

المبحث الخامس

في تشبيه التمثيل

تشبيهُ التّمثيل: أبلغُ من غيره، لما في وجهه من التفصيل الذي يحتاجُ إلى امعان فكر، وتدقيق نظر، وهو أعظم أثراً في المعاني: يرفع قدرها. ويُضاعف قواها في تحريك النفوس لها، فان كان مدحاً كان أوقع. أو ذمّاً كان أوجع. أو بُرهانا كان أسطع. ومن ثَمّ يحتاجُ إلى كدّ الذّهن في فهمه، لاستخراج الصُّورة المُنتَزَعة من أُمُورٍ متَعدِّدة، حسيَّةً كانت أو غير حِسيّة، لتكون (وَجهَ الشّبه) - كقول الشاعر:

ولاحت الشمس تحكي عند مطلعها مِرآةَ تِبرٍ بدت في كفِّ مُرتعش

فمثّل الشّمس: حين تطلع حمراء لامعة مضطربة، بمرآة من ذهب تضطرب في كفّ ترتعش.

وتشبيه التمثيل نوعان:

الأول: ما كان ظاهرَ الأداة، نحو: (مَثل الذينَ حُمِّلُوا التوْراةَ ثم لم

---

(١) الكوكب هنا السيف

(٢) الطل المطر الضعيف والجلنار زهر الرمان واحدته جلناره (فارسي معرب)

يَحمِلوها كَمثَلِ الحمارِ يَحمِلُ أسفاراً) فالمشبه : هم الذين حُمّلوا التّوراة ولم يعقلوا ما بها: والمشبه به (الحمار) الذى يحمل الكتب النافعة ، دون استفادته منها ، والأداة الكاف ، ووجه الشبه (الهيئة الحاصلة من التعب فى حمل النافع دون فائدة)

الثانى : ما كان خَفيَّ الأداة : كقولك للّذى يتردّد فى الشّىء بين أن يفعله ، وألاّ يفعله (أراكَ تُقَدِّم رجلا وتُؤخِّرُ أخرى) — إذ الأصل : أراكَ فى تردّدكَ مثل من يُقدم رجلا مرة ، ثم يؤخّرها مرة أخرى ،

فالأداة محذوفة. ووجه الشَّبه هيئة الإقدام والاحجام المصحوبين بالشّك.

مواقع تشبيه التمثيل

لتشبيه التّمثيل مَوقِعان :

(١) أن يكون فى مُفتَتح الكلام ، فيكون قياساً مُوضّحاً ، وبُرهاناً مُصاحباً . وهو كثيرٌ جدًّا فى القرآن ، نحو : (مَثَلُ الذين يُنفقونَ أموالَهُم فى سبيلِ اللهِ كمثَلِ حَبَّةٍ أنبتتْ سَبعَ سَنابلَ فى كلّ سُنبلةٍ مائة حَبَّةٍ)

(٢) ما يجىء بعد تمام المعانى ، لإيضاحها وتقريرها ، فيُشبه البُرهانَ الذى تَثبُت به الدَّعوَى ، نحو :

وما المالُ والأهلونَ إلا وَدَائع ولا بدّ يوما أن تُردّ الودَائعُ

ونحو : لا ينزلُ المجدُ إلا فى مَنازلنا كالنّوم ليس له مأوَى سوى المُقَلِ

تأثير تشبيه التمثيل فى النفس

إذا وقَع التَّمثيلُ فى صدْر القول : بعث المعنى إلى النفس بوضوح

وجَلاءٍ مؤيَّدٍ بالبُرهان، ليقنع السّامعُ — واذَا أتى بعد استِيفاء المعانى كان

(١) إمَّا دليلا على إمكانها . كقول المتنبي :

وما أنا منهمُ بالعيش فيهم ولكن معدن الذّهب الرَّغامُ[1]

(٢) وإمّا تأييداً للمعنى الثابت ، نحو :

ترجو النّجاة ولم تَسلك مسالكها إنّ السّفينة لا تَجرى على اليُبْسِ

وعِلّة هذا : أنّ النّفس تأنَسُ إذا أخرجتَها من خفِيّ إلى جَلِيّ ، وممَّا تَجهلُه إلى ما هى به أعلم :

ولذا تَجِدُ النفس من الأريحيّة ما لا تَقدُرُ قدرَهُ ، إذا سمعتْ قول أبى تمام :

وطُول مُقامِ المرءِ فى الحىّ مُخْلِقٌ لدِيباجتَيْهِ فاغتربْ تَتَجَدّدِ[2]

فانّى رأيتُ الشمس زِيدَتْ مَحبّة إلى الناس أنْ ليستْ عليهم بسَرمدِ

وبعدُ : فالتّمثيل يُكسب القول قوَّة ، فانْ كان فى المدح كان أهزَّ للعطف ، وأنبلَ فى النّفس ، وانْ كان فى الذّم كان وقعُه أشدّ ، وان كان وعظاً كان أشفَى للصدر . وأبلغ فى التّنبيه والزّجر ، وان كان افتخارا كان شأوهُ أبعَد، كقول مَن وصفَ كأساً علاها الحَباب

وكأنّها وكأنّ حاملَ كأسها إذْ قام يَجلوهَا على النُّدَماءِ

شمسُ الضّحى رقصتْ فَنَقَّطَ وجهَها بدرُ الدّجى بكواكبِ الجَوزاءِ

(١) لما ادعى أنه ليس منهم مع إقامته بينهم ، وكان ذلك يكاد يكون مستحيلا فى مجرى العادة ، ضرب لذلك المثل بالذهب ، فان مقامه فى التراب ، وهو أشرف منه

(٢) الديباجتان الخدان ، والسرمد الدائم

المبحث السادس

فى أدوات التشبيه[1]

أدوات التَّشبيه — هى ألفاظٌ تَدلّ على المُماَثلة ، كالكاف ، وكأنَّ ومِثل ، وشِبه ، وغيرها ، مما يُؤدِّى معنى التّشبيه : كيحكى ، ويُضاهِي ويُضارع ، ويُماثل ، ويُساوى ، ويُشابِه ، وكذا أسماء فاعلها

فأدوات التشبيه بعضها : اسم ، وبعضها فِعلٌ ، وبعضها حرف

وهى إمّاملفوظة ، وإمّاملحوظة ، نحوفاروق كالبدر ، وأخلاقه فى الرِّقة النّسيم ونحو : اندفع الجيش اندفاع السَّيل ، أى كاندفاعه ،

والأصل فى الكاف ، ومثل ، وشبه ، من الأسماء المضافة لما بعدها أن يليهاَ المشبه به لفظاً[2] أو تقديراً

والأصلُ فى كأنّ ، وشاَبَهَ ، وماَثَل ، وما يُرادفها ، أن يليها المُشبه ، كقوله :

---

(١) (التشبيه) يفيد التفاوت ، وأما (التشابه) فيفيد التساوى بلفظ تشابه . وتماثل وتشاكل ، وتساوى ، وتضارع ، وكذا بقولك : كلاهما سواء — لا بما كان له فاعل ومفعول به : مثل شابه ، وساوى ، فان فى هذا الحاق الناقص بالزائد

(٢) وقد يليها غير المشبه به إذا كان التشبيه مركبا — أى هيئة منتزعة من متعدد وذكر بعد الكاف بعض ما تنتزع منه تلك الهيئة كقوله تعالى (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح) فان المراد تشبيه حال الدنيا فى حسن نضارتها وبهجة روائها فى المبدأ وذهاب حسنها وتلاشى رونقها شيئاً فشيئاً فى الغاية ، بحال النبات الذى يحسن من الماء ، فتزهو خضرته . ثم ييبس شيئاً فشيئاً ، ثم يتحطم فتطيره الرياح . فيصير كأن لم يكن شيئاً مذكوراً ، بجامع الهيئة الحاصلة فى كل من حسن واعجاب ومنفعة ، يعقبها التلف والعدم

كأنَّ الثُّريا راحةٌ تُشبِرُ الدُّجى ‏ لِتنظرَ طالَ اللّيل أمْ قد تعرَّضا

وكأنَّ — تفيد التّشبيه : إذا كان خبرُها جامداً ، نحو : كأنّ البحر مرآة صافية

وقد تفيدُ الشّك : إذا كان خبرُها مُشتقاً ، نحو : كأنّك فاهم — وكقوله :

كأنَّكَ مِن كلّ النفوس مُركَّبٌ ‏ فأنتَ إلى كل النّفوس حَبيب

وقد يغنى عن أداة التشبيه « فعـــل » يدلُ على حال التشبيه ، ولا يعتبر أداة

فان كان (الفعلُ لليقين) — أفاد قُربَ المشابهة ، لِمَا فى فعل اليقين من الدّلالة على تيقّن الاتحاد وتحقّقه ، وهذا يُفيد التشبيه مبالغة — نحو : (فلما رَأَوْهُ عارضاً مُستقبِل أوْدِيَتِهِمْ قالوا هَذَا عارضٌ مُمْطِرُنَا)

ونحو : رأيت الدُّنيا سَرَاباً غرَّاراً

وإن كان (الفعل للشّك) أفاد بُعدَها : لما فى فعل الرّجحان من الإشعار بعدم التحقّق ، وهذا يفيد التّشبيه ضعفاً — نحو : (وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لؤْلُؤاً مَنْثُوراً) وكقوله :

قوْمٌ إذَا لبسوا الدُّرُوع حَسِبْتَهَا ‏ سُحباً مزَرَّدةً على أقمارِ

ونحو : قوله تعالى (حُورٌ عينٌ كأمثال اللُّؤلؤ المكنُون)

ونحو : قوله تعالى (وله الجوَار المُنشآت فى البحر كالأعلام) وكقول الشاعر :

والوجه مثلُ الصّبح مُبْيَضٌ ‏ والفرَع مثل اللّيل مُسوَدّ

ضِدَّان لمَا استجمعا حَسُنَا ‏ والضِّدّ يُظْهِرُ حُسنه الضِّدُّ

المبحث السابع
فى تقسيم التشبيه باعتبار أداته

ينقسم التشبيه باعتبار أداته الى :

(ا) التشبيه المُرسَل[١] — وهو ما ذكرت فيه الأداة ، كقول الشاعر :

إنما الدنيا كبيتٍ   نَسجهُ من عنكبوت

(ب) التّشبيه المؤكد — وهو ما حُذفت منه أداته ، نحو : يَسجع سجع القُمْرى — وكقول الشاعر

أنتَ نجمٌ فى رفعةٍ وضيَاءٍ   تجتليكَ العيون شرقاً وغرباً

ومنَ المؤكد : ما أضيف فيه المشبه به إلى المشبه ، كقول الشاعر :

وَالريح تعْبَثُ بالغصون وقدجرَى   ذَهبُ الأصيلِ على[٢] لُجينِ الماء

أى أصيلٌ كالذّهب على ماء كاللُّجين

والمؤكد أوجزُ ، وأبلغ ، وأشدّ وقعاً فى النفس

أمّا أنه أوجز فلحذف أداته ، وأمّا أنه أبلغ فلإيهامه أنّ المشبه عين المشبه به

التشبيه البليغ

(جـ) التّشبيه البليغ — ما بلغَ درجة القبول لحسنه . أو الطيّب الحسن فكلّما كان وجهُ الشبه قليل الظهور ، يحتاج فى إدراكه إلى أعمال الفكر كان ذلك أفعل فى النفس : وأدعى إلى تأثُّرها واهتزازها ، لِما هو مركوز فى الطبع ، من أنّ الشىء إذا نِيلَ بعد الطلب له . والاشتياق إليه . ومُعَاناة

(١) وسمى مرسلا : لارساله عن التأكيد

(٢) الأصيل الوقت بين العصر إلى المغرب — واللجين الفضة

الحنين نحوه، كان نَيلُه أحلى، وموقعه فى النفس أجلّ وألطف، وكانت به أضَنّ وأشغف، وما أشبه هذا الضرب من المعانى، بالجوهر فى الصدَّف، لا يبرز إلاَّ أن تَشُقَّهُ عينه، وبالحبيب المُتَحجِّب لا يُريك وجْهَه، حتى تَستأذنَ

وسبب هذه التّسمية: أنَّ ذكر (الطّرفين) فقط، يوهم اتحادهما، وعدم تفاضلهما، فيعلو المشبه إلى مستوى المشبه به، وهذه هى المبالغة فى قوَّة التشبيه

والتشبيه البليغُ — هو ما حُذفت فيه أداة التّشبيه، ووجه الشبه،[1] نحو

فاقضوا مآرِبَكم عِجالاً إنّما أعماركم سفرٌ منَ الأسفارِ

ونحو: عزَمَاتهم قضُبٌ وفيضُ أكُفهِم سُحُبٌ وبِيضُ وجوههم أقمار

المبحث الثامن

فى فوائد التشبيه

الغرض من التّشبيه والفائدة منه، هى الإيضاح والبيان (فى التشبيه غير المقلوب) ويَرجع ذلك الغرض إلى المـُشبّه — وهو — إمّا

(١) بيانُ حاله — وذلك حِينما يكون المـُشبه مبهماً غيرَ معروف الصّفة، التى يُرادُ إثباتها له قبل التشبيه، فيفيده التشبيه الوصف، ويُوضّحه المشبه به، نحو شجر النّارنج كشجر البرتقال — وكقول الشاعر:

إذا قامت لحاجتها تثَنَّتْ كأنّ عِظامَها من خَيزُرانِ

---

(١) ومن التشبيه البليغ أن يكون المشبه به مصدراً مبيناً للنوع نحو: أقدم الجندى إقدام الأسد، وراغ المدين روغان الثعلب، ومنه أيضاً إضافة المشبه به المشبه، نحو لبس فلان ثوب العافية، ومنه أيضا أن يكون المشبه به حالا نحو: حمل القائد على أعدائه أسداً

(شبه عظامها بالخيزران بياناً لما فيها من اللين)(١)

(٢) أو بيانُ إمكان حاله — وذلك حين يُسند إليه أمرٌ مُستغرب لا تزول غرابته إلا بذكر شبيه له، معروفٍ واضحٍ مُسَلّمٍ به، ليثبُتَ فى ذهن السامع ويتقرّر — كقوله:

وَيلاهُ إن نظرتْ وإن هى أعرضتْ وقعُ السِّهام ونزعُهنَّ أليمُ

(شبّهَ نظرَها: بوقعِ السّهام، وشبّه إعراضَها بنزعها: بياناً لإمكان إيلامها بهما جميعاً)

(٣) أو بيان مقدار حال المشبه فى القوّة والضّعف، وذلك إذا كان المُشبه معلوماً، معروفَ الصفّة التى يُراد اثباتها له معرفة اجمالية قبل التشبيه بحيث يراد من ذلك التشبيه بيان مقدار نصيب المشبه من هذه الصفة وذلك بأن يَعْمِدَ المتكلّم لِأن يُبيِّن للسامع ما يَعنيه من هذا المِقدار — كقوله:

كأنَّ مِشيتها من بَيتِ جَارتها مَرُّ السَّحاب لا رَيْثٌ ولا عَجَلُ

وكتشبيه: الماء بالثّلج، فى شِدّة البُرودة — وكقوله:

فيها اثنتان وأربعون حلُوبَةً سُوداً كخافيةِ الغُراب الأسحَم

(شبّه النياق السُّود، بخافية الغُراب، بياناً لمقدار سوادها، فالسواد صفة مُشتركة بين الطَّرفين

(٤) أو تقرير حال المشبه، وتمكينه فى ذهن السامع، بابرازها فيما هى

(١) والتشبيه لهذا الغرض يكثر فى العلوم والفنون لمجرد البيان والايضاح، فلا يكون فيه حينئذ أثر للبلاغة لخلوه من الخيال وعدم احتياجه إلى التفكير، ولكنه لا يخلو من ميزة الاختصار فى البيان، وتقريب الحقيقة إلى الأذهان، كقولهم: الأرض كالكرة

فيه أظهر[١]، كما إذا كان ما أُسند إلى المشبه يحتاج إلى التَّثبيت والإيضاح فتأتى بمشبه حسيٍّ قريبَ التّصوّر، يَزيد معنى المشبه ايضاحاً، لِمَا فى المشبه به من قُوَّة الظّهور والتمام، نحو: هل دَولة الحسن إلا كدولة الزَّهَر، وهل عُمر الصِّبا إلا أصِيلٌ أو سَحَر، وكقوله:

إنَّ القلوبَ إذَا تنافر وُدُّها ... مثل الزّجاجة كسرها لا يُجبرُ[٢]

(شبَّه تنافرَ القلوب، بكسر الزجاجة، تثبيتا لتعذّر عودة القلوب إلى ما كانت عليه من الأُنس والمودَّة)

(٥) أو بيان إمكان وجود المشبه، بحيث يَبدُو غريباً يُستبعَد حُدُوثه والمشبه به يزيل غرابته، ويُبيِّن أنه ممكنُ الحصول، كقوله:

فان تَفُقِ الأنامَ وأنتَ منهم ... فانَّ المسك بَعضُ دَمِ الغـزَالِ[٣]

(٦) أو مدحه وتحسين حاله، ترغيباً فيه. أو تعظيما له، بتصويره

(١) ويكثر فى تشبيه الأمور المعنوية بأخرى تدرك بالحس: نحو التعلم فى الصغر كالنقش فى الحجر

(٢) تنافر القلوب وتوادها من الأمور المعنوية، ولكن الشاعر نظر إلى ما فى المشبه به من قوة الظهور والتمام. فانتقل بالسامع من تنافر القلوب الذى لا ينتهى إذا وقع، إلى كسر الزجاجة الذى لا يجبر إذا حصل، فصور لك الأمر المعنوى بصورة حسية.

(٣) أى أنه لا استغراب فى فوقانك للانام مع أنك واحد منهم — لأن لك نظيراً وهو (المسك) فانه بعض دم الغزال وقد فاق على سائر الدماء — ففيه تشبيه حال الممدوح بحال المسك تشبيها ضمنيا — والتشبيه الضمنى هو تشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به فى صورة من صور التشبيه المعروفة، بل يلمحان فى التركيب لافادة أن الحكم الذى أسند إلى المشبه ممكن، نحو: المؤمن مرآة المؤمن

بصورة تُهيِّج فى النفس قوى الاستحسان، بأن يعمد المتكلم إلى ذكر مشبه به مُعجب، قد استقرَّ فى النفس حُسنه وحُبُّه، فيصوِّر المشبه بصُورته، كقوله

وزاد بك الحُسن البديع نضارة   كأنك فى وجه الملاحة خالُ

ونحو: كأنك شمس والملوك كواكبٌ   اذا طلعتْ لم يبدُ منهنَّ كوكبُ

وكقوله:

سبقت إليك من الحدائق وردة   وأتتك قبل أوانها تطفيلا

طمعت بلثمك إذ رأتك فجمَّعت   فمَهَا إليك كطالب تقبيلا

وكقوله: له خال على صفحات خد   كنقطة عنبر فى صحن مَرمَرْ

وألحاظ كأسياف تُنادِى   على عاصِى الهوى الله أكبر

(٧) أو تشويه المشبه وتقبيحه، تنفيراً منه أوتحقيراً له، بأن تُصوِّره بصورة تمجها النفس، ويشمئز منها الطبع. كقوله:

وإذا أشارَ مُحدِّثاً فكأنه   قِردٌ يُقهقهُ أو عجوزٌ تَلْطِمُ

وكقوله:

وترى أناملَها دَبَّت على مِزمارها   كخنافسٍ دَبَّت على أوتارَ

(٨) أو استطرافه «أى عدُّه طريفاً حديثاً» بحيث يجئُ المشبه به طريفاً، غيرَ مألوفٍ للذهن

إمَّا لإبرازه فى صورة الممتنع عادة، كما فى تشبيه: فَحم فيه جَمرٌ مُتقِّد ببحر من المسك مُوجه بالذهب — وكقوله:

وكأنَّ مُحمرَّ الشَّقيـــق إذا تصوَّب أو تصعَّدْ

أعـــلام ياقوت نُشِر   نَ على رماح من زَبرجدْ

وإمّا لنُدور حضُور المشبه به فى الذهن عند حضور المشبه ، كقوله:

أنظرُ اليه كزورَقٍ من فِضَّة قد أثقلته حُمولة من عَنبرِ [١]

تشبيه على غير طرقه الاصلية

التشبيه الضمنى

هو تَشبيهٌ لا يُوضع فيه المُشبه والمشبّه به فى صُورة من صُوَر التشبيه المعروفة، بل يلمحُ المشبه والمشبه به، ويُفهمانِ من المعنى ، ويكون المشبّه به دائما بُرهاناً على امكان ما أُسنِد إلى المشبّه ، كقول المتنبى

من يَهُنْ يَسهُل الهَوانُ عليه ما لجُرحٍ بميِّت إيلامُ

(أى إنّ الذى اعتاد الهَوان ، يَسهُل عليه تحمّله ، ولا يتألّم له ، وليس هذا الادعاء باطلا (لأنَّ الميت إذا جُرح لا يتألّم)

وفى ذلك تلميح بالتشبيه فى غير صراحة، وليس على صُورة من صُور التشبيه المعروفة ، بل انه (تشابُهٌ) يقتضى التَّساوى . وأما (التشبيه) فيقتضى التَّفاوت

التشبيه المقلوب

(٢) قد يُعكس التشبيه ، فيُجعل المشبه مُشبهاً به — وبالعكس [٢]

(١) الحمولة مايحمل فيه ويوضع والمقصد من التشبيه وجود شىء أسود داخل أبيض واعلم أن التشبيه يعود فيه الغرض إلى المشبه بكون وجه شبهه أتم وأعرف فى المشبه به ، منه فى المشبه ، كما فى السكاكى . وعليه جرى أبو العلاء المعرى فى قوله (ظلمناك فى تشبيه صدغيك بالمسك) وقاعدة التشبيه نقصان مايحكى — وشراح التلخيص اشترطوا الأعرفية ولم يشترطوا الأتمية . وفى المطول والأطول ما يلفت النظر — فارجع اليهما

(٢) التشبيه المقلوب : ويسمى المنعكس ، هو ما رجع فيه وجه الشبه إلى المشبه به ، وذلك حين يراد تشبيه الزائد بالناقص ويلحق الأصل بالفرع للمبالغة ، وهذا النوع جار على خلاف العادة فى التشبيه ، ووارد على سبيل الندور .

=

فتعود فائدته إلى المشبه به ، لادّعاء أن المشبه أتم وأظهر من المشبه به في وجه الشبه — ويسمى ذلك (بالتشبيه المقلوب)[1] أو المعكوس — نحو: كأن ضوء النَّهار جبينُه — ونحو: كأن نَشرَ الروضِ حُسنُ سِيرته — ونحو: كأنّ الماء في الصفاء طِباعُه — وكقول محمد بن وُهَيب الحِمَيرِى[2]

وبَدا الصَّباحُ كأن غُرَّته وَجهُ الخليفة حين يُمتَدحُ

(شبه غُرّة الصَّباح، بوجه الخليفة، إيهاماً أنه أتمّ منها في وجه الشبه

= وانما يحسن في عكس المعنى المتعارف كقول البحترى

في طلعة البدر شيء من محاسنها وللقضيب نصيب من تثنيها

والمتعارف تشبيه الوجوه الحسنة بالبدور. والقامات بالقضيب في الاستقامة، والتثنى لكنه عكس ذلك مبالغة — هذا إذا أريد الحاق كامل بناقص في وجه الشبه. فان تساويا حسن العدول عن (التشبيه) إلى الحكم (بالتشابه) تباعداً واحترازا من ترجيح أحد المتساويين على الآخر، كقول أبى اسحاق الصابى

تشابه دمعى اذ جرى ومدامتى فمن مثل مافى الكأس عينى تسكب

فو الله ما أدرى أبالخمر أسبلت جفونى أم من عبرتى كنت أشرب

وكقول الصاحب بن عباد

رق الزجاج وراقت الخمر فتشابها وتشاكل الامر

فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

(١) يقرب من هذا النوع ما ذكره الحلبى فى كتاب حسن التوسل وسماه «تشبيه التفضيل» وهو أن يشبه شيء بشيء لفظاً أو تقديراً. ثم يعدل عن التشبيه لادعاء أن المشبه أفضل من المشبه به — كقوله

حسبت جمالها بدراً منيراً وأين البدر من ذاك الجمال

(٢) فالحميرى أراد أن يوهم أن وجه الخليفة أتم من غرة الصباح اشراقا ونورا

وكقول البُحترى فى وصف بِرْكة المتَوَكل :

كأنها حِين لجَّت فى تَدفّقها   يَدُ الخليفة لمَّا سَالَ وادِيها [1]

وهذا التشبيه مَظهرٌ من مظاهر الافتنان والإبداع ، كقوله تعالى حكاية عن الكفار (إنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا) فى مقام أن الرِّبا مثلُ البيع عكسوا ذلك لإيهام أن الرِّبا عندهم أحلّ من البيع ، لأنّ الغرض الرِّبح وهو أثبتُ وجودا فى الرِّبا منه فى البيع ، فيكون أحقّ بالْحِلّ عندهم .

المبحث الثامن

فى تقسيم التشبيه باعتبار الغرض إلى مقبول وإلى مردود

ينقسم التشبيه باعتبار الغرَض : إلى حَسَنٍ مَقبول ، وإلى قَبيح مَردود

(١) فالحسَنُ المقبول – هو ما وفى بالأغراض السّابقة ، كأن يكون المشبه به أعرفَ من المشبه فى وجه الشبه ، إذا كان الغرضُ بيانَ حال المشبه ، أو بيانَ المِقدار . أو أن يكون أتمّ شىء فى وجه الشبه . إذا قصدَ الحاق النّاقص بالكامل ، أو أن يكون فى بيان الامكان مُسلّم الحكم ، ومعروفاً عند المخاطب ، إذا كان الغرض بيان امكان الوجود ، وهذا هو الأكثر فى التشبيهات ، إذ هى جَارية على الرَّشاقة . سَارية على الدِّقة والمبالغة ثُمَّ إذا تساوى الطرفان فى وجه التشبيه عند بيان المقدار كان التشبيه كاملا فى القبول ، وإلا فكلما كان المشبه به أقرب فى المقدار إلى المشبه كان الشبه أقرب إلى الكمال والقبول

---

(١) فالبحترى أراد أن يوهم أن يد الخليفة أقوى تدفقاً بالعطاء من البركة بالماء

(٢) والقبيح المردود — هو ما لم يَفِ بالغرض المطلوب منه ، لعدم وُجود وجهٍ بين المشبه والمشبه به : أو مع وجوده لكنه بعيد.

تنبيهات

(الأول) بعض أساليب التشبيه أقوى من بعض فى المبالغة ، ووضوح الدلالة ولها مراتب ثلاثة

« ا » (أعلاها) وأبلغها ما حذف فيها الوجه والأداة، نحو: على أسد — وذلك أنك ادعيت الاتحاد بينهما بحذف الأداة — وادعيت التشابه بينهما فى كل شىء بحذف الوجه ولذا سمى هذا تشبيها بليغا

« ب » (المتوسطة) ما تحذف فيها الأداة وحدها ، كما تقول (على أسد شجاعة) أو يحذف فيها وجه الشبه — فتقول على كالأسد . وبيان ذلك: أنك بذكرك الوجه حصرت التشابه ، فلم تدع للخيال مجالا فى الظن ، بأن التشابه فى كثير من الصفات — كما أنك بذكر الاداة نصصت على وجود التفاوت بين المشبه والمشبه به . ولم تترك بابا للمبالغة

« ج » (أقلها) ما ذكر فيها الوجه والأداة ، وحينئذ فقدت المزيتين السابقتين

(الثانى) قد يكون الغرض من التشبيه حسنا جميلا، وذلك هو النمط الذى تسمو اليه نفوس البلغاء، وقد أتوافيه بكل حسن بديع ، كقول ابن نباتة فى وصف فرس أغر محجل

وكأنما لطم الصباح جبينه فاقتص منه فخاض فى أحشائه

وقد لا يوفق المتكلم إلى وجه الشبه ، أو يصل اليه مع بعد — وما أخلق مثل هذا النوع بالاستكراه ، وأحقه بالذم ، لما فيه من القبح والشناعة — بحيث ينفر منه الطبع السليم

(الثالث) عُلم مما سبق أن أقسام التشبيه من حيث الوجه والأداة كالآتى

١ — التشبيه المرسل : هو ما ذكرت فيه الأداة

٢ — التشبيه المؤكد : هو ما حذفت منه الأداة

٣ — التشبيه المجمل : هو ما حذف منه وجه الشبه

٤ — التشبيه المفصل : هو ما ذكر فيه وجه الشبه

أسئلة تطلب أجوبتها

ما هو علم البيان لغة واصطلاحا ؟ ما هو التشبيه ؟ ما أركان التشبيه ؟ طرفا التشبيه حسيّان أم عقليان ؟ . ما المراد بالحسّى ؟ . ما هو التشبيه الخيالى ؟ . ما المراد بالعقلى ؟ — ما هو التشبيه الوهمى ؟ . — ما هو وجه الشبه ؟ . — ما هى أدوات التشبيه ؟ . — هل الاصل فى أدوات التشبيه أن يليها المشبه، أو المشبه به ؟ . — متى تفيد كأنَّ التشبيه ؟ . ماهو التشبيه البليغ ؟ .

= ٥ — التشبيه البليغ : هو ماحذفت منه الأداة ، ووجه الشبه[١] وهو أرقى أنواع التشبيه بلاغة : وقد تقدم الكلام عليه مستوفياً

٦ — التشبيه الضمنى — هو تشبيه لايوضع فيه المشبه ، والمشبه به ، فى صورة من صور التشبيه المعروفة ، بل يلمح المشبه ، والمشبه به ، ويفهمان من المعنى : نحو

علا فما يستقر المال فى يده   وكيف تمسك ماء قنة الجبل

فالمشبه الممدوح ، وهو ضمير (علا) والمشبه به (قنة الجبل) ووجه الشبه ، عدم الاستقرار ، والأداة محذوفة أيضا

وهذا النوع يؤتى به ليفيد أن الحكم الذى أسند الى المشبه ممكن[٢]

---

(١) المراد : بالبليغ هنا ، ما بلغ درجة القبول لحسنه ، أو المراد به : اللطيف الحسن

(٢) كقوله : لاتنكرى عطل الكريم من الغنى . فالسيل حرب للمكان العالى أى لاتنكرى خلو الرجل الكريم من الغنى . فان ذلك ليس عجباً لأن قمم الجبال وهى أعلى الاماكن، لا يستقر فيها ماء السيل « فها هنا يلمح الذكى تشبيها » ولكنه لم يضع ذلك صريحا ، بل أتى بجملة مستقلة ، وضمنها هذا المعنى فى صورة برهان ، فيكون هذا التشبيه على غير طرقه الأصلية ، بحيث يورد التشبيه ضمنا من غير أن يصرح به ، ويجعل فى صورة برهان على الحكم الذى أسند الى المشبه ، كما سبق شرحه

وقد يراد إيهام أن المشبه والمشبه به متساويان فى وجه الشبه ، فيترك التشبيه ادعاء بالتساوى دون الترجيح

ماهو التشبيه الضمّنى؟. ماهو التشبيه المرسل؟ كم قسما للتشبيه باعتبار طرفيه؟ كم قسما للتشبيه باعتبار تعدد طرفيه؟ ما هو التشبيه الملفوف؟ ماهو التشبيه المفروق؟ ما هو تشبيه التسوية؟. ماهو تشبيه الجمع؟. كم قسما للتشبيه باعتبار وجه الشبه؟ ما هو تشبيه التمثيل؟. ماهو تشبيه غير التمثيل؟ ماهو التشبيه المفصل؟. ماهو التشبيه المجمل؟ كم قسما للتشبيه باعتبار الغرض منه.

تطبيق عام على أنواع التشبيه

اشتريت ثوبا أحمر كالورد — فى هذه الجملة تشبيه مرسل مفصل — المشبه ثوبا. والمشبه به الورد. وهما حسيان مفردان. والأداة الكاف. ووجه الشبه: الحمرة فى كل — والغرض منه بيان حال المشبه

ما الدهر إلا الربيع المستنير إذا ... أتى الربيع أتاك النور والنور
فالأرض ياقوتة والجو لؤلؤة ... والنبت فيروزج والماء بلور

« الارض ياقوتة » تشبيه بليغ مجمل. المشبه الارض. والمشبه به ياقوتة — وهما حسيان مفردان. ووجه الشبه محذوف، وهو الخضرة فى كل. والاداة محذوفة والغرض منه تحسينه « والجو لؤلؤة، والنبت فيروزج « والماء بلور » كذلك وفى البيت كله تشبيه مفروق — لأنه أتى بمشبه ومشبه به، وآخر وآخر

العمر والانسان والدنيا هو ... كالظل فى الاقبال والادبار

فيه تشبيه تسوية مرسل مفصل. المشبه العمر والانسان والدنيا، والمشبه به الظل والمشبه بعضه حسى، وبعضه عقلى. والمشبه به حسى. والكاف الاداة. ووجه الشبه الاقبال والادبار. والغرض تقرير حاله فى نفس السامع

كم نعمة مرت بنا وكأنها ... فرس يهرول أو نسيم سارى

فى البيت: تشبيه جمع مرسل مجمل. المشبه نعمة. والمشبه به فرس يهرول. أو نسيم سارى، وهما حسيان. وكأن الاداة. ووجه الشبه السرعة فى كل. والغرض منه بيان مقدار حاله

ليل وبدر وغصن　　شعر ووجه وقد

فيه تشبيه بليغ مجمل ملفوف . المشبه شعر وهو حسى . والمشبه به ليل ، وهو عقلى ، والاداة محذوفة ، ووجه الشبه السواد فى كل — والغرض منه بيان مقدار حاله . وفى الثانى — المشبه وجه . والمشبه به بدر . وهما حسيان . ووجه الشبه الحسن فى كل ، والاداة محذوفة — والغرض تحسينه . وفى الثالث المشبه قد . والمشبه به غصن . وهما حسيان . ووجه الشبه الاعتدال فى كل ، والاداة محذوفة ، والغرض بيان مقداره — هذا

وان شئت فقل هذا (تشبيه مقلوب) بجعل المشبه به مشبها ، والمشبه مشبها به لغرض المبالغة ، بأن تجعل الليل مشبها ، والشعر مشبها به

وقد لاح فى الصبح الثريا كما ترى　　كعنقود ملاحية حين نورا

فيه تشبيه تمثيل مرسل مجمل ، المشبه هيئة الثريا الحاصلة من اجتماع أجرام مشرقة مستديرة منيرة — والمشبه به هيئة عنقود العنب المنور ، والجامع الهيئة الحاصلة من اجتماع أجرام منيرة مستديرة فى كل — والاداة الكاف ، والغرض منه بيان حاله

تمرين

بين أنواع التشبيه فيما يأتى :

(١) ألورد فى أعلاَ الغصون كأنه　　مَلِكٌ تَحُفُّ به سَرَاة جنوده

(٢) إذَا ارتجل الخطابَ بدَا خليج　　بفيه يمدّه بحرُ الكلام

كلام بل مدام بل نظام　　من الياقوت بل حبُّ الغمام

(٣) يا صاحبىَّ تيقّظاً من رقدة　　تُزرى على عقل اللبيب الاكيس

هذى المجرّة والنجوم كأنها　　نهر تدفّق فى حديقة نرجس

(٤) وكأنَّ الصبح لمّا　　لاح من تحت الثُّريّا

ملك أقبل فى التّا　　ج يفدّى ويحيّا

(٥) إنما النفس كالزُّجاجة والعلـ م سراج وحكمة الله زيت
فاذا أشرقت فانك حىٌّ وإذا أظلمت فانك ميت
(٦) وغير تقيٍّ يأمر النَّاس بالتُّقى طبيبٌ يداوى النَّاس وهو مريض

(٧) اذا امتحن الدنيا لبيب تكشَّفت له عن عَدُوٍّ فى ثياب صديق
(٨) جمرة الخد أحرقت عنبر الخا لِ فمن ذلك العذارُ دخانُ
(٩) كالبدر من حيث التفتّ رأيته يهدى الى عينيك نورا كافيا
(١٠) وأشرقَ عن بِشرٍ هو النورُ فى الضُّحا وصافى بأخلاقٍ هىَ الطَّلُّ فى الصّبح

تمرين آخر

لبيان أنواع التشبيه : البليغ . والضمنى . والتمثيل . والمقلوب . والمُؤكد والمُفصَّل . والمُجمل

(١) خَلط الشّجاعة بالحياء فأصبَحا كالحُسن شِيبَ لمُغرمٍ بدَلال
(٢) شقائقُ يحملنَ النَّدَى فكأنه دموعُ التَّصابى فى خُدُودِ الخرائدِ
(٣) عَذُبَ الفِراق لنا قُبيلَ وَداعِنا ثُمَّ اجترَعناهُ كسُمٍّ ناقِعِ
فكأنما أثرُ الدُّموعِ بخدِّها طَلٌّ تناثَرَ فوقَ وَرْدٍ يانع[1]
(٤) وترى الغصونَ تميل فى أوراقها مثلَ الوصائفِ فى صُنُوفِ حريرِ
(٥) وحديقةٍ يَنسابُ فيها جَدْوَلٌ طَرْفِى برَوْنَقِ حُسْنِهِ مَدهُوشُ
يَبْدُو خيالُ غصونِها فى مائه فكأنما هو مِعصَمٌ منقُوشُ
(٦) انظر إلى حُسْنِ تكوين السماء وقد لاحت كواكبُها والليلُ ديجُورُ

(١) الطل . الندى .

كأنها خيمةٌ ليست على عَمَدٍ زرقاءُ قد رُصِّعت فيها الدّنانيرُ

(٧) وقد سفَرَ الدُّجى عن ضوءِ فجرٍ منيرٍ مثلما سفَرَ النّقابُ

فخِلتُ الصبحَ في إثرِ الثريّا بشيراً جاء في يدِه كتابُ

(٨) ولقد ذكرتك والنّجوم كأنها دُرَرٌ على أرض من الفيْرُوزجِ

يلمعْنَ مِنْ خللِ السَّحابِ كأنها شرَرٌ تطايَرَ مِنْ دُخانِ العرْفجِ

(٩) ونارنجةٍ بين الرياض نظرتُها على غُصُنٍ رطبٍ كقامة أغيدِ

إذا ميّلتْها الريحُ مالتْ كأُكْرَةٍ بدَتْ ذهباً من صولجانِ زُمرُّدِ

(١٠) وحديقة غنّاء ينتظم النَّدَى بفروعها كالدُّرِّ في الأسلاكِ

والبدرُ يشرق من خِلالِ غصونها مثل المليح يُطِلُّ من شُبّاكِ

(١١) لو كنت تَشْهدُ يا هذا عشيتَنا والمُزْنُ يسْكُبُ أحيانا وينحدرُ

والأرضُ مُصْفَرّةٌ بالمُزن كاسية أبصرت تِبراً عليه الدّرّ ينتثرُ

(١٢) وللأقاحي قصورٌ كلها ذهبٌ من حولها شُرُفاتٌ كلها دُرَرُ

(١٣) كأنما النارُ في تلهّبها والفحمُ من فوقها يغطّيها

زنجيةٌ شبّكت أناملها من فوقِ نارنجةٍ لتُخْفيها

(١٤) والوَرْدُ في شطّ الخليج كأنه رَمَدٌ ألَمَّ بِمُقْلَةٍ زرقاءِ

(١٥) هذي المَجرّةُ والنجومُ كأنها نهْرٌ تدفّقَ في حديقةِ نرْجِسِ

(١٦) أنظُرْ إلى حُسْنِ هلالٍ بدا يهتِك من أنوارِه الحِندِسا[1]

كمِنجَلٍ قد صِيغَ من عسجدٍ يحصُدُ من زهرِ الدُّجى نرْجِسا

---

(١) الحندس: الظلام.

(١٧) والبدرُ يُستَرُ بالغيوم وينجلي كتنفُّسِ الحسناء في مرآتها

كأنَّما الأغصان لما انثنت أمامَ بدرِ التمِّ في غَيْهبه

(١٨) بنتُ مليكٍ خلفَ شُبَّاكها تفرَّجتْ مِنهُ على موْكِبه

(١٩) كأنَّ شعاعَ الشمس في كل غُدْوَة على وَرَقِ الأشجارِ أولَ طالع

دنانيرُ في كفِّ الأشَلِّ يضمُّها لِقَبض فتهْوي من فُروجِ الأصابع

(٢٠) لئن بَسَطَ الزمانُ يَدَيْ لئيم فصبراً للذى فعل الزمانُ

فقد تعلو على الرأسِ الذُّنابى كما يعلو على النار الدُّخانُ

(٢١) دهرٌ علا قدرُ الوضيعِ به وغدا الشريفُ يَحُطُّهُ شَرَفُه

كالبحر يرسُبُ فيه لؤلؤُهُ سُفلاً وتطفو فوقه جيفُه

(٢٢) لو أورقتْ من دم الأبطال سُمْرُ قناً لأورقتْ عندهُ سُمْرُ القنا الذُّبُلِ

إذا توَجَّهَ في أُولى كتائبه لم تفرِقِ العينُ بينَ السهْلِ والجبلِ

فالجيشُ ينفُضُ حولَيْهِ أسنَّتَهُ نفْضَ العُقابِ جناحيهِ من البلَلِ

(٢٣) لو كنتَ شاهدَنا عشيةَ أُنْسِها والمُزْنُ يبكينا بعيْنَيْ مُذْنِبِ

والشمس قدمدَّتْ أديمَ شعاعها في الأرض تجنحُ غيرَ أن لم تَذهَبِ

خلتَ الرَّذاذَ بُرادةً من فضة قد غُربِلتْ مِن فوق نطعٍ مُذهَبِ (١)

(٢٤) لله دولابٌ يفيضُ بسلسَلِ في روضةٍ قد أينعت أفنانا

قد طارحَتْهُ بها الحمائمُ شجْوَها فيجيبها ويرجّعُ الألحانا

فكأنه دَنِفٌ (٢) يدورُ بمعْهَدٍ (٣) يبكي ويسألُ فيه عمَّن بانا (٤)

(١) النطع : بساط من جلد (٢) الدنف : من برح به العشق

(٣) المعهد : المنزل الذى إذا نأى عنه القوم رجعوا إليه (٤) بان : فارق

ضاقت مَجَارِى طَرْفِهِ عن دمعه فتفتَّحت أضلاعُهُ أجفانا

(٢٥) أخرسُ يُنبيك بإطْراقه عن كلِّ ما شئت من الأمْرِ

يُذْرِى على قرطاسه دمعَهُ يُبدى لنا السِّر وما يَدْرِى

كعاشق أخفى هواه وقد نَمَّتْ عليه عَبْرَةٌ تَجْرِى

(٢٦) الشمسُ مِنْ مَشْرِقِها قد بَدَتْ مُشْرِقَةً ليس لها حاجبُ

كأنها بُودَقَةٌ أُحْمِيَتْ يجول فيها ذَهَبٌ ذائِبُ

(٢٧) قال الله تعالى: (واضرِبْ لهم مثَلَ الحياة الدنيا كماءٍ أنزلناهُ مِنَ السماء فاختَلطَ بهِ نباتُ الأرضِ فأصبحَ هشيما تذرُوه الرياحُ)

(٢٨) إذا ما تردَّى لأمّة الحرب أُرْعِدَت

حشا الأرْضِ واستدمى الرماح الشوارع

وأسفَرَ تحت النّقعِ حتى كأنَّه صباحٌ مشى فى ظلمة الليل ساطعُ

(٢٩) وكأنّ أجرام السماء لوامعاً دُرَرٌ نُثِرْنَ على بِساطٍ أزْرَقَ

(٣٠) قال الله تعالى (مَثلُ الذينَ كفرُوا بربِّهم أعمالُهُمْ كرَمادٍ اشتدَّتْ به الريحُ فى يومٍ عاصف)

(٣١) وقال تعالى (والذين كفروا أعمالُهُمْ كسرابٍ بقيعَةٍ يَحْسَبُه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجدْهُ شيئاً)

(٣٢) وقال تعالى (إنما مَثلُ الحياةِ الدنيا كماءٍ أنزلناه من السماءِ فاختَلَطَ به نباتُ الأرضِ مِمَّا يأكلُ الناسُ والأنعامُ حتى إذا أخذتِ الأرْضُ زُخْرُفَها وازيَّنتْ وظنَّ أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمْرُنا ليلا أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تَغْنَ بالأمس)

(٣٣) حمرُ السيوفِ كأنما ضَرَبت لهم　　أيدى القيونِ صفائحا من عسجدِ
فى فتيةٍ طلبوا غبارك إنه　　رَهجٌ ترفع عن طريق السُّؤددِ
كالرُّمح فيه بِضْعَ عشرةَ فقْرَةً　　مُنْقادَةً خلْفَ السِّنانِ الأصْيَدِ

(٣٤) خبِّرينى ماذا كَرِهْتِ من الشَّيْـــب فلا عِلمَ لى بذنْبِ المشيبِ
أضياءُ النهارِ أم وضحَ اللُّؤ　　لُؤ أم كونَهُ كثغرِ الحبيب
واذكرى لى فضل الشبابِ وما يَجْـــمَعُ من منْظَرٍ يروقُ وطيبِ
غَدْرُه بالخليل أم حُبُّه للغـــىِّ أمْ أنه كدهر الأديبِ

(٣٥) والبدْرُ أوّل ما بدَا مُتَلثِّماً　　يُبْدِى الضِّياءَ لنا بخدٍّ مُسْفِرِ
فكأنما هو خُوذَةٌ من فِضةٍ　　قد رُكِّبَتْ فى هامَةٍ من عَنْبَرِ

(٣٦) خِلتُها فى المُعصْفرَات القواني　　وردة فى شقائق النُّعْمان

(٣٧) شبهتُ بدْرَ سمائنا لمَّا دَنَتْ　　منه الثريَّا فى قميص سُنْدُس
مَلِكا مهيبا قاعداً فى رَوضة　　حيَّاه بعض الزائرين بنرجس

(٣٨) وإنّى على إشفاقِ عينى من البُكا　　لتجمح منِّى نظرةٌ ثم أُطْرِق
كما حلِّئَتْ عن ماءِ بئرٍ طريدةٌ　　تمدُّ إليها جيدَها وهى تَفْرَق

(٣٩) أنا كالورد فيه راحةُ قومٍ　　ثم فيه لآخرين زُكامُ

(٤٠) يا حبذا يومُنا ونحن على　　رءوسنا نعقد الأكاليلا
فى جنة ذُلِّلَتْ لقاطفها　　قطوفُها الدانيات تذليلا
كأنَّ أُترجَّها تميل بها　　أغصانها حاملا ومحمولا
سلاسلٌ من زبرجدٍ حَمَلتْ　　من ذهبٍ أصفرٍ قناديلا

(٤١) كم وَالِدٍ يَحْرِمُ أولادَهُ ... وَخيرُه يحظَى به الأبعَد
كالعين لا تَنظُرُ ما حولَها ... ولَحْظُها يُدرك ما يَبعُدُ

(٤٢) رِيمٌ يَتِيهُ بحُسن صورته ... عَبثَ الفتور بلحظ مُقلَتِه
فكأنّ عقربَ صُدغه وقفتْ ... لمّا دنتْ من نار وَجْنَتِهِ

(٤٣) وشادنٍ أهيفَ حَيَّا بنرجسةٍ ... كأنَّها إذْ بدتْ فى غاية العجب
كفٌّ من الفضة البيضاء ساعدُها ... زبرجدٌ حملتْ كأساً من الذهب

(٤٤) نثرَ الجوّ على الأرض بَرَدْ ... أىّ دُرّ لنحور لو جَمَدْ
لؤلؤ أصدافه السّحب التى ... أنجز البارق منها ما وعدْ

(٤٥) أبصرتُ طاقةَ نرجسٍ ... فى كفّ مَن أهواهُ غضّه
فكأنها برجُ الزّبَرْ ... جد أنبتَتْ ذهباً وفضّه

(٤٦) كأنّ الأفقَ محفوفٌ بنار ... وتحت النار آسادٌ تزيرُ

(٤٧) وما الناسُ إلا كالديار وأهلها ... بها يَوْمَ حلُّوها وغَدْواً بلاقع

بلاغة التشبيه [1]

و بعض ما أُثِرَ منه عن العرب والمُحْدَثين

تَنْشأ بلاغة التّشبيه : من أنه ينتقل بك من الشّىء نفسه ، إلى شىء طَريف يُشبهُهُ ، أو صُورة بارعة تُمثّله

---

(١) التشبيه مع ما فيه من ميزة الايجاز فى اللفظ يفيد المبالغة فى الوصف . ويخرج الخفى إلى الجلى والمعقول إلى المحسوس . ويجعل التافه نفيساً، والنفيس تافها ويدنى البعيد من القريب، ويزيد المعنى وضوحا ، ويكسبه تأكيداً ، فيكون أوقع فى النفس وأثبت ، وله روعة الجمال والجلال

وكلما كان هذا الانتقال بعيداً، قليل الخُطور بالبال، أو مُمتزجاً بقليل أو كثير من الخيال، كان التشبيه أروعَ للنفس، وأدعى إلى إعجابها واهتزازها

فإذا قلتَ: فلانٌ يشبه فلاناً فى الطّول، أو أنَّ الأرض تشبه الكُرة فى الشكل، لم يكن فى هذه التشبيهات أثر للبلاغة، لظهور المشابهة، وعدم احتياج العثور عليها إلى براعة، وجُهْد أدبىّ، ولخُلوّها من الخيال

وهذا الضرب من التشبيه: يُقْصَد به البيان والإيضاح، وتقريب الشىء إلى الأفهام، وأكثرُ ما يُستعمل فى العلوم والفنون

ولكنك تأخذك رَوْعة التشبيه، حينما تسمع قول المعرّى يَصفُ نجماً

يُسْرِعُ اللّمْحَ فى احْمِرَارٍ كما تُسْرِعُ فى اللّمحِ مُقْلَةَ الْغَضْبَانِ

فإنّ تشبيه لَمحاتِ النجم وتألّقِهِ مع احمرار ضوئه، بسرعة لمحة الغضبان من التشبيهات النادرة، التى لا تنقاد إلا لأديب، ومن ذلك قول الشاعر:

وكأنَّ النُّجُومَ بَيْنَ دُجاها سُنَنٌ لاحَ بَينهُنَّ ابْتِدَاعُ

فإنّ جمال هذا التشبيه: جاء من شعورك ببراعة الشاعر وحِذْقه، فى عقد المشابهة بين حالتين — ما كان يخطر بالبال تشابههما، وهما حالة النجوم فى رُقعَة الليل، بحال السّنن الدّينية الصحيحة، متفرقة بين البِدَع الباطلة

ولهذا التشبيه: رَوْعَة أخرى، جاءت من أنّ الشاعر: تخيّل أن السّنن مضيئة لمّاعة، وأنّ البِدع مُظلمة قاتمة

ومن أبدع التشبيهات قول المتنبى:

بُليتُ بِلَى الأطْلَالِ إنْ لَمْ أقِفْ بها وُقُوفَ شَحيحٍ ضَاعَ فى التُّرب خَاتَمُه

يدعو الشاعر: على نفسه بالبلى والفناء، إذا هو لم يقف بالأطلال، ليذكر عهد من كانوا بها، ثم أراد أن يصوّر لك هيئة وقوفه، فقال: كما

يقف شَحِيحٌ فَقَدَ خاتمَه فى التراب ، من كان يُوَفَّق إلى تصوير حال الذّاهل المُتحيِّر المحزون ، المُطرِق برأسه ، المنتقل من مكان إلى مكان فى اضطراب ودَهشة ، بحال شحيح فَقَدَ فى التراب خاتماً ثميناً

هذه بلاغة التشبيه من حيث مَبلغُ طَرافته . وبُعد مَرماه ، ومقدار ما فيه من خَيال

أما بلاغته من حيث الصوّرةُ الكلامية التى يوضع فيها ، فمتفاوتة أيضاً فأقلّ التّشبيهات مَرتبة فى البلاغة ما ذُكرتْ أركانه جميعُها ، لأنّ بلاغة التشبيه مَبنية على ادِّعاء أنّ المشبّه عينُ المشبه به ، ووجود الأداة ، ووجه الشبه معاً ، يَحُولانِ دُون هذا الادّعاء . فإذا حذِفت الأداة وحدَها ، أو وجهُ الشبه وحدَه ، ارتفعت درجة التشبيه فى البلاغة قليلاً ، لأن حذف أحد هذين يُقوِّى ادّعاء اتحاد المشبه والمشبه به بعض التقوية — أمّا أبلغ أنواع التشبيه « فالتشبيه البليغ » لأنه مبنيٌّ على ادِّعاء أنّ المشبه والمشبه به شىء واحد

هذا — وقد جرَى العرب والمُحدَثُون على تشبيه : الجَوادِ بالبحر . والمطر والشُّجاع بالأسد ، والوجهِ الحَسَن بالشمس والقمر ، والشَّهْمِ الماضى فى الأمور بالسيف ، والعالى المنزلة بالنّجم ، والحليم الرَّزين بالجبل ، والأمانِىِّ الكاذبة بالاحلام ، والوجهِ الصَّبيح بالدينار ، والشَّعرِ الفاحِم بالليل ، والماء الصافى باللُّجَيْنِ ، والليلِ بموج البحر ، والجيش بالبحر الزَّاخر ، والْخَيلِ بالرِّيح والبرْق ، والنُّجومِ بالدُّرر والأزهار ، والأسنانِ بالبَرَد واللُّؤلؤ والسُّفُن بالجبال ، والجداول بالحيَّات المُلتَوية ، والشَّيْبِ بالنَّهار ، ولَمعَ السيوف وغُرَّةِ الفَرس بالهلال ، ويشبِّهون الجبانَ بالنَّعامة والذُّبابة ، واللئيم بالثَّعلب ، والطائِشَ بالفَرَاش ، والذليل بالوَتِدِ ، والقاسىَ بالحديد والصخر ،

والبليدَ بالحمار، والبَخيلَ بالأرض المُجْدِبَة

وقد اشتهر رجال من العرب بِخلَال مَحْمُودة، فصاروا فيها أعلاماً — فجرى التَّشبيه بهم؛ فيشبه الوفىّ بالسموْءَل[١]؛ والكريمُ بحاتم، والعادلُ بعُمر[٢] والحليمُ بالأحنف[٣]؛ والفصيحُ بسَحْبَان؛ والخطيبُ بقُسّ[٤] والشجاع بعَمرو بن معْدِ يكرِبَ، والحكيم بلقْمَان[٥]؛ والذكى بإياس، واشتهر آخرون بصفات ذميمة، فجرى التشبيه بهم أيضاً؛ فيشبه العىّ بباقل[٦] والأحمق بهبنَقَةَ[٧] والنادم بالكُسَعِىّ[٨] والبخيل بمادر[٩]، والهجَّاء بالْحُطيْئَةِ[١٠] والقاسى بالحجّاج الثّقفى: أحد جبابرة العرب المتوفى سنة ٩٧ هـ

---

(١) هو السموءل بن حيان اليهودى، يضرب به المثل فى الوفاء، وهو من شعراء الجاهلية؛ توفى سنة ٦٢ ق هـ

(٢) هو أمير المؤمنين وخليفة المسلمين وأحد السابقين إلى الاسلام الأولين، اشتهر بعدله وتواضعه وزهده، وقد نصر الله به الاسلام وأعزه، وتوفى سنة ٢٣ هـ

(٣) هو الأحنف بن قيس من سادات التابعين، كان شهماً حليما، عزيزاً فى قومه إذا غضب غضب له مائة ألف سيف، لا يسألون لماذا غضب، توفى سنة ٦٧ هـ

(٤) هو قس بن ساعدة الأيادى، خطيب العرب قاطبة، ويضرب به المثل فى البلاغة والحكمة

(٥) حكيم مشهور آتاه الله الحكمة، أى الاصابة فى القول والعمل

(٦) رجل اشتهر بالعى، اشترى غزالا مرة بأحد عشر درهما، فسئل عن ثمنه فمد أصابع كفيه يريد عشرة، وأخرج لسانه ليكملها أحد عشر، ففر الغزال، فضرب به المثل فى العى

(٧) هو لقب أبى الودعات يزيد بن ثروان القيسى، يضرب به المثل فى الحمق

(٨) هو غامد بن الحرث، خرج مرة للصيد فأصاب خمسة حمر بخمسة أسهم، وكان يظن كل مرة أنه مخطىء، فغضب وكسر قوسه، ولما أصبح رأى الحمر مصروعة والأسهم مخضبة بالدم، فندم على كسر قوسه، وعض على إبهامه فقطعها

(٩) لقب رجل من بنى هلال، اسمه مخارق، وكان مشهوراً بالبخل واللؤم

(١٠) شاعر مخضرم، كان هجاء مراً، ولم يكد يسلم من لسانه أحد، هجا أمه وأباه، ونفسه، وله ديوان شعر، وتوفى سنة ٣٠ هـ

الباب الثاني

في المجاز [1]

ألمجاز: مُشتقٌ من جازَ الشّئ يَجوزُه . إذا تعدّاهُ – سَمّوا به اللّفظ الذى نُقِلَ من معناهُ الأصلِى ، واستُعمِلَ ليدُلّ على معنى غيره ، مناسب له

والمجاز : من أحسن الوسائل البيانيّة التى تهدِى اليها الطبيعة : لإِيضاح المعنى ، إذْ به يخرج المعنى متّصفاً بصفة حِسّية . تكاد تعرضه على عيان السّامع – لهذا – شغفت العرب باستعمال (المجاز) لميلها الى الاتساع فى الكلام ، والى الدلالة على كثرة معانى الألفاظ . ولمَا فيها من الدّقة فى التعبير ، فيحصل للنفس به سرور وأريَحية ، ولأمرٍ مّا كثُر فى كلامهم ، حتى أتوا فيه بكل معنًى رائق ، وزيّنوا به خُطبهم وأشعارهم

وفى هذا الباب مباحث

---

(١) أقول : إن المخلوقات كلها تفتقر الى أسماء ، يستدل بها عليها ، ليعرف كل منهـا باسمه ، من أجل التفاهم بين الناس . وهذا يقع ضرورة لا بد منها . فالاسم الموضوع بازاء المسمى هو حقيقة له – فاذا نقل الى غيره صار مجازا

واعلم أنه ليس لكل مجاز (حقيقة) يتفرع عنها ، فلفظ (الرحمن) استعمل مجازاً فى المنعم . ولم يستعمل فى معناه الوضعى ، وهو : الرقيق القلب ، ولكن الغالب أن يتفرع المجاز عن الحقيقة

المبحث الاول

فى تعريف المجـــــاز وأنواعه

ألمجاز: هو اللفظ المُستعمل فى غير ما وُضع له فى اصْطِلاح التَّخَاطُب

لعَلاقةٍ: مع قَرِينةٍ مانِعةٍ من إرادة المعنَى الوَضْعِى

والعلاقة: هى المناسَبَة(١) بين المعنى الحقيقى والمعنى المجازى، قد تكون

(المُشابهة) بين المعنيين، وقد تكون غيرَها

فاذا كانت العلاقة (المشابهة) فالمجاز (استعارة)، والافهو (مجازمُرسل)

والقرينة: هى المانعة من إرادة المعنى الحقيقى، قد تكون لفظية.

وقد تكون حالية — كما سيأتى

وينقسم المجاز: إلى أربعة أقسام — مجاز مفرد مُرسل، ومجاز مفرد

بالاستعارة «ويجريان فى الكلمة» ومجاز مركب مُرسل، ومجاز مركب

بالاستعارة «ويجريان فى الكلام»

ومتى أطلق المجاز. انصرف إلى (المجاز اللّغوى)

وأنواع المجاز كثيرة: أهمها (المجاز المرسل). وهو المقصود بالذات

وسيأتى مجاز، يُسمّى «المجاز العقلى» ويجْرى فى الإسناد

---

(١) العلاقة هى المناسبة بين المعنى المنقول عنه والمنقول اليه، وسميت بذلك:
لان بها يتعلق ويرتبط المعنى الثانى بالأول، فينتقل الذهن من الأول للثانى — وباشتراط
ملاحظة العلاقة، يخرج الغلط، كقولك: خذ هذا الكتاب، مشيراً إلى فرس مثلا، إذ
لا علاقة هنا ملحوظة

المبحث الثانى

فى المجاز اللّغوى المفرد المُرْسل . وعلاقاته

المجاز المُفرد المُرسل : هو الكلمة المستعملة قصداً فى غير معناها الأصلى ، لملاحظة علاقة[1] غير (المُشابهة) مع قرينة[2] دالّة على عدم إرادة المعنى الوضعى

وله علاقات كثيرة — أهمُّها

(١) السَّببيَّة — وهى : كون الشَّىء المنقول عنه سبباً ، ومُؤثراً فى غيره ، وذلك فيما إذا ذكر لفظ السبب ، وأريد منه المُسبَّب ، نحو : رَعَت الماشية الغيثَ — أى النبات ، لأن الغيث أى (المطر) سببٌ فيه[3]

وقرينته (لفظيَّة) وهى (رعَتْ) لأنَّ العلاقة تُعتبر من جهة المعنى المنقول عنه

---

(١) القرينة : هى الامر الذى يجعله المتكلم دليلا على أنه أراد باللفظ غير ماوضع له ، فهى تصرف الذهن عن المعنى الوضعى ، الى المعنى المجـــازى — وبتقييد القرينة بمانعة الخ خرجت (الكناية) فان قرينتها لا تمنع من ارادة المعنى الأصلى — والقرينه إما لفظية — أو حالية . فاللفظية : هى التى يلفظ بها فى التركيب — والحالية : هى التى تفهم من حال المتكلم ، أو من الواقع

وأما القرينة التى تعين المراد من المجاز ، فليست شرطا

واعلم أن كلا من المجاز والكناية فى حاجة الى قرينة ، ولكنها فى المجاز مانعة ، وفى الكناية غير مانعة

(٢) سمى (مرسلا) لاطلاقه عن التقييد بعلاقة واحدة مخصوصة ، بل له علاقات كثيرة ، واسم العلاقة يستفاد من وصف الكلمة التى تذكر فى الجملة — وليس المقصد من العلاقة إلا بيان الارتباط والمناسبة ، فالفطن يرى ما يناسب كل مقام .

وقيل سمى (مرسلا) لأنه أرسل عن دعوى الاتحاد المعتبرة فى الاستعارة

(٣) وكقول الشاعر : له أياد علي سابغة أعدُّ منها ولا أعددها =

ونحو : لفلانٍ عَلىَّ يدٌ : تريد باليد : النِّعمة ، لأنها سبب فيها

(٢) والمُسببية — هى أن يكون المنقولُ عنه مُسبَّباً، وأثراً لشىء آخر وذلك فيما إذا ذُكر لفظ المسبب، وأُريد منه السَّبب، نحو: (ويُنزِّل لَكُمْ مِنَ السمَّاءِ رِزْقاً) أى : مطراً يُسبِّبُ الرِّزق .

(٣) والكُلّية — هى كونُ الشّىءِ مُتضمناً للمقصود ولغيره، وذلك فيما إذا ذُكر لفظ الكل، وأُريد منه الجُزء ، نحو (يَجعلون أصابعَهم فى آذانهم) أى أناملَهم ، والقرينة (حالية) وهى استحالة ادخال الأصبع كلِّه فى الأذن ونحو : شربت ماء النيل — والمراد بعضُه ، بقرينة شربت

(٤) والجُزئية — هى كون المذكور ضمنَ شىء آخر ، وذلك فيما إذا ذُكر لفظ الجزء ، وأريدمنه الكل، كقوله تعالى (فتحريرُ رَقبة مُؤمنة) ونحو : نشر الحاكم عيونه فى المدينة ، أى الجواسيس ، فالعيون مجازٌ مرسل ، علاقته (الجزئية) لأن كل عين جزء من جاسوسها — والقرينة الاستحالة

(٥) واللّازميَّة — هى كون الشىء يجب وجوده ، عند وجود شىء آخر، نحو: طلع الضَّوء ، أى الشمس. فالضوء مجاز مرسل. علاقته (اللّازميّة)

= وكقوله : قامت تظللنى من الشمس نفس أحب إلى من نفسى
قامت تظللنى ومن عجب شمس تظللنى من الشمس

فائدة — القصد من العلاقة : انما هو تحقق الارتباط — والذكى يعرف مقال كل مقام ، ثم ان (العلاقة): قيل تعتبر من جهة المعنى المنقول عنه ، الذى هو الحقيقى — وقيل تعتبر من جهة المعنى المنقول اليه ، لأنه المدار — وقيل تعتبر من جهتهما ، رعاية لحقيهما

واعلم أن اللفظ الواحد : قد يكون صالحاً بالنسبة إلى معنى واحد ، لأن يكون مجازا مرسلا ، واستعارة باعتبارين

لأنه يوجد عند وجود الشمس، والمعتبر هنا اللُّزوم الخاص، وهو عدم الانفكاك

(٦) والملزومية — هى كون الشيء يجب عند وجوده وجود شيء آخر، نحو : ملأتِ الشّمسُ المكانَ. أى الضُّوء، فالشمس مجاز مرسل علاقته (الملزوميَّة) لأنها متى وُجدت وُجد الضَّوء، والقرينة «ملأت»

(٧) والآليّة — هى كون الشيء واسطةً لإيصال أثر شيء إلى آخر وذلك فيما إذا ذُكر اسم الآلة، وأريد الأثر الذى ينتج عنه، نحو (وَاجْعَلْ لِى لِسَانَ صِدْقٍ فِى الآخِرِينَ) أى ذِكراً حسناً — (فلسان) بمعنى ذكر حسن مجازٌ مرسل، علاقته (الآليّة) لأنّ اللّسان آلة فى الذكر الحسَن

(٨) والتّقييد: ثمَّ الاطلاق. هو كون الشيء مُقيداً بقيد أو أكثر نحو: مِشفر زيد مجروحٌ — فان المِشْفَر — لغة: شَفَةُ البعير، ثم أُريد هنا مطلق شفة، فكان فى هذا منقولا عن المقيد إلى المُطلق، وكان مجازا مرسلا، علاقته التقييد، ثم نُقِل من مطلق شفة، إلى شفة الانسان، فكان مجازاً مرسلا: بمرتبتين، وكانت علاقته (التّقييد والإطلاق)

(٩) والعموم — هو كون الشّيء شاملاً لكثير — نحو قوله تعالى (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ). أى «النبى» صلى الله عليه وسلم. فالناس مجاز مُرسل، علاقته العموم — ومثله قوله تعالى (الّذِينَ قالَ لَهُمُ النَّاس) فان المراد من الناس واحد. وهو «نعيم بن مسعود الأشجعى»

(١٠) والخصوص — هو كون اللّفظ خاصاً بشيء واحد، كاطلاق اسم الشّخص على القبيلة — نحو ربيعة — وقُريش

(١١) واعتبار ما كان — هو النّظر الى الماضى: أى تَسمية الشيء باسم

ما كان عليه، نحو: (وَآتُوا الْيَتَامى أَمْوَالَهُمْ) أى الذين كانوا يتامى ثم بلغوا. فاليتامى: مجاز مُرسل، علاقته (اعتبار ما كان)

وهذا إذا جرينا على أن دلالة الصّفة على الحاضر حقيقة، وعلى ما عداه مجاز

(١٢) واعتبار ما يَكون — هو النَّظر إلى المُستقبل، وذلك فيما إذا أُطلق اسم الشيء على ما يؤول إليه، كقوله تعالى (إنّى أَرَانى أَعْصِرُ خَمْراً) أى: عصيراً يَؤُول أمرُه إلى خمر، لأنّه حالَ عصره لا يكون خمراً

فالعلاقة هنا: اعتبار (ما يَؤُول إليه)

ونحو: (ولا يلدُوا إلاّ فاجراً كفَّاراً) والمولود حين يُولد، لا يكون فاجراً. ولا كافراً، ولكنه قد يكون كذلك بعد الطفولة، فأُطلق المولود الفاجر، وأُريد به الرجل الفاجر، والعلاقة، اعتبار (ما يكون)

(١٣) والحاليّة — هى كون الشيء حالاً فى غيره، وذلك فيما إذا ذكر لفظ الحال، واريد المحل لما بينهما من الملازمة، نحو: (فَفِى رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فيها خَالِدُون) فالمُراد من (الرَّحمة) الجنة التى تَحِلّ فيها الرّحمة، فهم فى جنّة تَحِلّ فيها رحمةُ الله. ففيه مجاز مرسل، علاقته (الحالية) وكقوله تعالى (خُذوا زينتكم عند كل مسجد) أى لباسكم، لحلول الزينة فيه، فالزينة حالّ واللباس محلّها، ونحو: أرى بياضاً يَظهرُ ويختَفِى، وأرى حركة تعلو وتسفلُ

(١٤) والمحلِّية — هى كون الشّيء يَحُلُّ فيه غيرُه، وذلك فيما إذا ذكر لفظ المحلّ، واريد به الحالّ فيه — كقوله تعالى (فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ) والمُرادُ مَن يَحِلّ فى النّادي

وكقوله تعالى (يَقُولُونَ بِأفْوَاهِهِمْ) أى ألسنتهم ، لأنَّ القول لايكون عادةً إلاَّ بها

(١٥) والبَدليّة — هى كون الشىء بدلاً عن شىء آخر — كقوله تعالى (فإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ) والمُراد: الأداء

(١٦) والمُبدليّة — هى كون الشىء مُبدلاً منه شىءٌ آخر ، نحو أكلت دَم زيد ، أى دِيَتَهُ . فالدَّم (مجاز مُرسل) علاقته (المُبدليَّة) لأن الدَّم: مُبدل عنه (الدِّيَةَ)

(١٧) والمُجاوَرة — هى كون الشّىء مُجاوراً لشىءٍ آخر، نحو كلَّمت الجدار والعامود ، أى الجالس بجوارهما ، فالجدار والعامود مجازان مرسلان علاقتهما (المجاورة)

(١٨) والتّعلق الاشتقاقى — هو إقامة صيغةٍ مقام أخرى — وذلك

(ا) كإطلاق المصدر على اسم المفعول ، فى قوله تعالى (صُنْعَ اللهِ الذِى أَتْقَنَ كلَّ شَىء) — أى مصنوعه

(ب) وكإطلاق اسم الفاعل على المصدر ، فى قوله تعالى (لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كاذِبَة) أى تكذيب

(جـ) وكإطلاق اسم الفاعل على اسم المفعول ، فى قوله (لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ) — أى لا معصوم

(د) وكإطلاق اسم المفعول على اسم الفاعل ، فى قوله تعالى (حِجَاباً مَسْتُورا) أى ساتراً

والقرينة على مجازية ما تقدّم ، هى ذكر ما يمنع ارادة المعني الأصلي

المبحث الثالث

فى تعريف المجاز العقلى وعلاقاته [1]

المجاز العقلى: هو إسنادُ الفعل، أو ما فى مَعناه (من اسم فاعل، أو اسمِ مفعول أو مصدر) إلى غير ما هو له فى الظّاهر، من حال المُتكلّم، لعلاقة مع قرينة تمنع من أن يكون الإسناد إلى ما هو له

أشهر علاقات المجاز العقلى

(١) الإسناد إلى الزمان، نحو: (من سَرّهُ زمنٌ ساءته أزمانٌ) أسندَ الاساءة والسرور إلى الزمن؛ وهو لم يفعلهما. بل كانا واقعين فيه على سبيل المجاز

(٢) الاسناد إلى المكان، نحو: (وجعلنا الأنهار تجرى من تحتهم) فقد أُسندَ الجرى إلى الانهار، وهي أمكنة للمياه، وليست جارية بل الجارى ماؤها

(٣) الاسناد إلى السّبب، نحو:

إنّى لمن معشرٍ أفنى أوائلهم ... قيلُ الكُماة ألاَ أينَ المُحامونا ؟؟

فقد نُسِبَ الإفناء إلى قول الشّجعان، هل من مُبارز ؟؟

وليس ذلك القول بفاعل له، ومؤثر فيه، وإنما هو سَبب فقط

(٤) الاسناد إلى المصدر — كقول أبى فِراس الحمدانى

سيذكرنى قومى إذا جَدّ جِدّهُمْ ... وفى اللّيلة الظّلماء يُفْتَقد البدرُ

فقد أسند الجد إلى الجدّ، أى الاجتهاد، وهو ليس بفاعل له، بل فاعله

(١) سمى عقليا، لأن التجوز فهم من (العقل) لا من (اللغة) كما فى المجاز اللغوى

الجاد — فأصله جدّ الجاد جدا. أى اجتهد اجتهادا، فحُذف الفاعلُ الأصلى وهو الجاد، وأُسندَ الفعل إلى الجدّ

(٥) إسناد ما بُنِيَ للفاعل إلى المفعول — نحو: سرنى حديث الوامق فقد استُعمل اسم الفاعل، وهو الوامق، أى (المُحبُّ) بدل الموموق أى: المحبوب، فان المراد: سُرِرْتُ بمحادثة المحبوب

(٦) إسناد ما بُنى للمفعول إلى الفاعل، نحو: (جعلت بينى و بينك حجاباً مستوراً) أى ساتراً، فقد جُعل الحجابُ مستورا، مع أنه هو السّاتر

تنبيهات

(ا) كما يكون هذا المجازُ فى الإسناد، يقع فى النّسبة الإضافية، نحو جرْى الأنهار، وغُراب البيْن، ومكرُ اللَّيل: فنسبة الجرى إلى الأنهار مجاز علاقته المكانية، ونسبة البين إلى الغُراب، مجاز علاقته السّببية، ونسبة المكر إلى اللَّيل مجاز، علاقته الزّمانية

(ب) الفعل المبنى للفاعل، واسم الفاعل، إذا أُسنــدا إلى المفعول فالعلاقة المفعولية، والفعل المبنى للمجهول، واسم المفعول، إذا أُسندَا إلى الفاعل فالعلاقة الفاعليّة، واسم المفعول المستعمل فى موضع اسم الفاعل مجاز، علاقته الفاعلية، واسم الفاعل المستعمل فى موضع اسم المفعول مجاز، علاقته المفعولية

(ج) هذا المجاز: مادةُ الشاعر المُفلق، والكاتب البليغ، وطريق من طُرُق البيان، التى لا يستغنى عنها واحد منهما

تطبيق على اشهر علاقات المجاز العام

اذكر علاقات المجاز المرسل : فيما يلي

(١) أبَا الْمِسْكِ أرْجو مِنْكَ نَصْراً عَلَى الْعِدَا
وَآمُلُ عِزًّا يَخْضِبُ الْبِيضَ بِالدَّمِ [١]

وَيَوْماً يَغِيظ الْحَاسِدِينَ وَحَالَةً
أُقِيمُ الشَّقَا فِيهَا مَقَامَ التَّنَعُّمِ [٢]

(٢) قال الله تعالى : لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أمْرِ اللهِ إلاَّ مَنْ رَحِمَ .

(٣) ذهبنا إلى حديقة غَنَّاء

(٤) بَنَى اسماعيلُ كثيرا من المدارس بمصر

(٥) تَكَادُ عَطَايَاهُ يُجَنُّ جُنُونُهَا
إذَا لَمْ يُعَوِّذْهَا بُرقية طَالِبِ [٣]

الاجابة

(١) عزاً يخضب البيض بالدم

إسناد خضب السيوف بالدم إلى ضمير العز غير حقيقى، لان العز لا يخضب السيوف ، ولكنه سبب القوة ، وجمع الأبطال الذين يخضبون السيوف بالدم ، فى العبارة مجاز عقلى، علاقته السببية

«ب» ويوماً يغيظ الحاسدين

---

(١) أبا المسك : كنية كافور الاخشيدى ، والبيض السيوف ، يقول : أرجو منك أن تنصرنى على أعدائى ، وأن توليني عزاً أتمكن به منهم ، وأخضب سيوفى بدمائهم

(٢) يقول : وأرجو أن أبلغ بك يوماً يغتاظ فيه حسادى ، لما يرون من إعظامك لقدرى ، وكذلك أرجو أن أبلغ بك حالة تساعدنى على الانتقام منهم ، فأتنعم بشقائى فى حربهم

(٣) يعوذها يحصنها ، ورقية ما يرقى بها الانسان من عين حاسد

إسناد غيظ الحاسدين إلى ضمير اليوم غير حقيقي ، غير أن اليوم هو الزمان الذى يحصل فيه الغيظ ، فى الكلام مجاز عقلى ، علاقته الزمانية

(ج) لا عاصم اليوم من أمر الله

المعنى لامعصوم[1] اليوم من أمر الله إلا من رحمة الله ، فاسم الفاعل أسند إلى المفعول ، وهذا مجاز عقلى ، علاقته المفعولية .

(د) ذهبنا إلى حديقة غناء

غناء مشتقة من الغن ، والحديقة لا تغن ، وإنما الذى يغن (عصافيرها) أو ذبابها — فى الكلام مجاز عقلى ، علاقته المكانية

(ه) بنى إسماعيل كثيراً من المدارس

إسماعيل : أمير مصر — لم يبن بنفسه — ولكنه أمر ، فى الاسناد مجاز عقلى ، علاقته السببية

(و) تكاد عطاياه يجن جنونها — إسناد الفعل إلى المصدر مجاز عقلى، علاقته المصدرية

نموذج آخر

بَيِّن المجاز العقلى واذكر عَلاقته فيما يَلِي :

(١) أهلكَنَا اللَّيلُ والنَّهار[2] (٢) منزل عامر بنعَمِ الله[3]

(٣) أنشأ وزير المعارف عدة مدارس[4] (٤) مَشْربٌ عَذبٌ[5]

---

(١) يجوز أن تكون « عاصم » مستعملة فى حقيقتها ، ويكون المعنى : لا شىء يعصم الناس من قضاء الله إلا من رحمه الله منهم . فانه تعالى هو الذى يعصمه

(٢) فى قوله أهلكنا الليل والنهار، مجاز عقلى ، علاقته السببية ، فقد نسب الاهلاك الى الليل والنهار ، مع أن فاعله هو الله تعالى ، وهذان سببان فيه

(٣) فى قوله منزل عامر بنعم الله ، مجاز عقلى ، علاقته المفعولية ، اذ قد أسند اسم الفاعل الى المفعول فى المعنى

(٤) فى قوله أنشأ وزير المعارف عدة مدارس ، مجاز عقلى : علاقته السببية ، اذ نسب الانشاء الى الوزير — وهو السبب فقط

(٥) فى قوله مشرب عذب ، نسب العذوبة الى المكان، لا الى الماء مجاز، لعلاقة المكانية

(٥) هذا يوم عصيب [١]　　　(٦) رَبحت تجارتهم [٢]

بلاغة المجاز المرسل [٣] والمجاز العقلى

إذا تأملتَ أنواع المجاز المرسَلِ والعقلىّ رأيتَ أنها فى الغالب تؤدى المعنى المقصودَ بإيجاز، فإذا قلتَ (هَزَم القائدُ الجيشَ) أو (قَرَّرَ المجلس كذا) كان ذلك أوجزَ من أن تقول (هزمَ جنود القائدِ الجيْش) أو (قرر أهل المجلس كذا) ولا شك أن الإيجاز ضَرْبٌ من ضروب البلاغة.

وهناك مظهرٌ آخرُ للبلاغة فى هذين المجازين، هو المهارة فى تَخَيّر العلاقة بين المعنى الأصلىِّ والمعنى المجازىِّ، بحيث يكون المجاز مُصَوِّراً للمعنى المقصود خيرَ تصوير — كما فى إطلاق العين على الجاسُوس. والأذن على سريع التأثر بالوشاية. والخُفّ والحافر على الجمال والخيل، فى المجاز المرسل وكما فى إسناد الشيء: إلى سببه. أو مكانه. أو زمانه. فى المجاز العقلى فإن البلاغة توجب أن يُختار السبب القوىّ، والمكان والزمان المختصَّان وإذا دَقّقت النظر رأيتَ أنَّ أغلب ضروب المجاز المرسل، والمجاز العقلى لا تخلو من مبالغة بديعة، ذات أثرٍ فى جعل المجاز رائعاً خلاّباً، فإن إطلاق

---

(١) العصيبة والشديدة، خطوب اليوم وحوادثه، لا هو، فوصفه بذلك وصف للزمان، فهو مجاز: علاقته الزمانية

(٢) أسند الربح الى التجارة، والرابح هو صاحبها، لا هى: فهو مجاز: علاقته المفعولية

(٣) المجاز المرسل: يوسع اللغة، ويعين على الافتنان فى التعبير، ويساعد الكاتب والخطيب على ايراد المعنى الواحد بصور مختلفة، وقد تدعو اليه: كما فى (الطراز) حلية لفظية، من تقفية. أو ضرورة شعرية. أو مشاكلة. أو اختصار. أو خفة فى لفظه. وكثيراً: ما يكون الداعي اليه راجعاً إلى المعنى

الـكل على الجزء مُبالغة ، ومثله إطلاق الجُزء وإرادةُ الـكلّ ، كما إذا قلت « فلان فَمٌ » تريد أنه شَرِهٌ ، يَلْتَقِمُ كل شىء

ونحو: « فلان أنْف » عند ما تريد أن تَصفه بعظَمِ الأنف ، فتبالغَ فتجعلَه كله أنفا ؟

ومما يُؤْثر عن بعض الأدباء : فى وصف رجل أُنافِى[1] قوله : « لَسْتُ أدْرى : أهُوَ فِى أنفهِ ، أمْ أنْفهُ فيهِ » ؟؟

المبحث الرابع

فى المجاز المفرد بالاستعارة

تمهيد

سبق : أنّ التّشبيه أوّلُ طريقةٍ دلّتْ عليها الطّبيعة ، لايضاح أمر يجهله المخاطب . بذكر شىء آخر ، معروف عنده ، ليقيسه عليه ، وقد نتج من هذه النظرية ، نظرية أخرى فى تراكيب الـكلام ، ترى فيها ذكر المشبه به فقط ، وتسمى هذه بالاستعارة ، وقد جاءت هذه التراكيب المشتملة على الاستعارة أبلغ من تراكيب التشبيه ، وأشد وقعاً فى نفس المخاطب ، لأنه كلما كانت داعية الى التَّحليق فى سماء الخيال ، كان وقعها فى النفس أشد ، ومنزلتها فى البلاغة أعلى

وما يَبتكِره أمراء الكلام من أنواع صور الاستعارة البديعة ، التى تأخذ بمجامع الأفئدة ، وتملك على القارىء والسامع لُبّهما وعواطفهما .

(هو سرّ بلاغة الاستعارة)

فمن الصور المُجملة التى عليها طابع الابتكار وروعة الجمال قول شاعر الحماسة

(١) الأنافى عظيم الانف ، — عن البلاغة الواضحة

قومٌ إذا الشر أبدى ناجذيْه لهم　　طاروا اليه زُرافاتٍ ووُحدانا

فانه قد صوّر لك الشر. بصورة حيوان مُفترس، مُكشر عن أنيابهِ. ممَّا يملأ فؤادك رُعباً، ثمَّ صوَّر القوم الذين يعنيهم، بصُور طيور جوارح تطير إلى مصادمة الأعداء، طيراناً مما يَستثير إعجابَك بنجدتهم. ويدعوك إلى إكبارِ حَمِيَّتهم وشجاعتهم

ومنهم: من يعمد إلى الصورة التي يرسمها، فيفصّل أجزاءها، ويبيِّن لكلّ جُزءٍ مزيَّته الخاصة، كقول امرىء القيس في وصف الليل بالطّول:

فقلتُ لهُ لمَّا تَمطَّى بصُلبه　　وأردف أعجازاً وناء بكلْكلِ [١]

فانه لم يكتفِ بتمثيل الليل. بصورة شخص طويل القامة. بل استوفى له جملة أركان الشخص، فاستعار له صُلباً يتمطى به، إذ كان كل ذي صُلبٍ يزيد في طوله تمطّيهِ، وبالغ في ذلك بأن جعل له أعجازاً يردف بعضها بعضاً، ثم أراد أن يصفه بالثقل على قلب ساهره. فاستعار له كَلْكلاً ينُوء بِهِ (أي يثقل به) ولا يخفى عليك ما يتركه هذا التفصيل البديع في قلب سامعه من الأثر العظيم، والارتياح الجميل

ومنهم: من لا يكتفي بالصورة يرسمها. بل ينظر إلى ما يترتَّب على الشيء، فيعقّب تلك الصورة بأخرَى أشدَّ وأوقع، كقول أبي الطيب المتنبي:

رمَاني الدَّهر بالأرزاء حتَّى　　فؤادي في غِشاء من نبَالِ [٢]

فصرت إذا أصابتني سِهامٌ　　تكسَّرت النِّصالُ على النّصالِ [٣]

---

(١) تمطى تمدد، والصلب عظم في الظهر من لدن الكاهل إلى العجب، والعجز مؤخر الجسم، والكلكل الصدر، أو ما بين الترقوتين (٢) الأرزاء المصائب، والغشاء الغلاف، والنبال السهام (٣) النصال حدائد السهام

فانه لم يكتف بتصويره المصائب سهاماً فى سرعة انصبابها، وشدة إيلامها، ولا بالمبالغة فى وصف كثرتها. بأن جعل منها غشاء محيطاً بفؤاده، حتى جعل ذلك الغشاء من المتانة والكثافة. بحيث إنّ تلك النصال مع استمرار انصبابها عليه، لا تجد منفذاً إلى فؤاده، لأنها تتكسّر على النّصال التى سبقتها. فانظر الى هذا التمثيل الرائع. وقل لى: هل رأيت تصويراً أشدّ منه لترا كم المصائب والآلام؟؟

تعريف الاستعارة وبيان انواعها

الاستعارة لغة: من قولهم، استعار المَال: إذا طَلبه عَارية

واصطلاحاً: هى استعمالُ اللفظ فى غير ما وُضِع له لعلاقة (المُشابهة) بين المعنى المنقول عنه والمعنى المُستعمل فيه، مع (قرينة) صارفة عن إرادة المعنى الأصلى

(والاستعارةُ) ليست إلا (تشبيهاً) مُختصراً؛ لكنَّها أبلغُ منه [1]

كقولك: رأيت أسداً فى المدرسة، فأصل هذه الاستعارة «رَأيت رجلا شُجاعاً كالأسدفى المدرَسة» فَحذفتَ المُشبه «لفظ رجل» وحذفت الأداة الكاف ـ وحذفت وجه التشبيه «الشجاعَة» وألحقته بقرينَة «المدرسَة» لتدلّ على أنك تريد بالأسد شُجاعاً

(١) فأصل الاستعارة: تشبيه حذف أحد طرفيه، ووجه شبهه، وأداته ـ ولكنها أبلغ منه. لأن التشبيه مهما تناهى فى المبالغة. فلا بد فيه من ذكر المشبه، والمشبه به وهذا اعتراف بتباينهما. وان العلاقة ليست الا التشابه والتدانى، فلا تصل الى حد الاتحاد. بخلاف الاستعارة ففيها دعوى الاتحاد والامتزاج. وان المشبه والمشبه به صارا معنى واحدا، يصدق عليهما لفظ واحد ـ فالاستعارة (مجاز لغوى) لا عقلى، علاقته المشابهة

واعلم أن حسن الاستعارة «غير التخييلية» لا يكون الا برعاية جهات التشبيه وذلك بأن يكون وافياً بافادة الغرض منه، لأنها مبنية عليه، فهى تابعة له حسنا وقبحا

وأركان الاستعارة ثلاثة	(١) مستعار منه — وهو المشبه به (٢) ومستعار له — وهو المشبه	ويقال لهما الطَّرفان
	(٣) ومستعار — وهو اللفظ المنقول	

فكلُّ مجاز يُبنى على التشبيه (يُسمّى استِعارَةً)

ولا بُد فيها من عدم ذكر وجه الشبه، ولا أداة التشبيه، بل ولا بُدّ أيضاً من (تَناسِي التّشبيه) الذى من أجله وقعت الاستعارة فقط، مع ادّعاء أنّ المُشبّه عينُ المُشبّه به، أو ادّعَاء أنّ المشبه فرد من أفراد المشبه به الكلّى «بأن يكونَ «اسمَ جنسٍ» «أو عَلَم جنس» ولا تتأتّى الاستعارة فى «العَلَم الشّخصِي[1]» لعدم إمكان دخول شىء فى الحقيقة الشّخصيّة — لأنَّ نفس تصوّر الجزئى يمنع من تَصوّر الشّركة فيه، إلا إذا أفادَ العلَم الشّخصى وصفاً، به يَصحّ اعتباره كُلّياً، فتجوز استعارته: كتَضمّن «حاتم» للجُود، و«قُس» للفصاحَة، فيقال. رأيت حاتماً. وقُسّاً: بدعوى كليّه (حاتم. وقُسّ) ودخول المشبه فى جنس الجواد — والفصيح

وللاستعارة أجملُ وقع فى الكتابة، لأنها تُجدِى الكلامَ قوّة، وتكسوه حُسناً ورونقاً، وفيها تُثارُ الأهواء والإحساسات

---

(١) يعنى أن الاستعارة تقتضى ادخال المشبه فى جنس المشبه به. ولذلك لاتكون علما، لان الجنس يقتضى العموم، والعلم ينافى ذلك بما فيه من التشخص، الا إذا كان العلم يتضمن وصفية قد اشتهر بها «كسحبان» المشهور بالفصاحة، فيجوز فيه ذلك، لأنه يستفيد الجنسية من الصفة، نحو: سمعت اليوم سحبان. أي خطيبا فصيحا — وهلم جرا

المبحث الخامس

في تقسيم الاستعارة باعتبار ما يُذكر من الطرفين

إذا ذُكر في الكلام لفظ المشبّه به فقط. فاستعارة تصريحيّة أو مُصرّحة[1] نحو.

فأمطرت لُؤْلؤاً من نَرْجِسٍ وسَقَت وَرداً وَعَضّتْ على العُنّاب بالبَرَد

فقد استعار: اللّؤلؤ، والنّرْجسَ، وَالوَرد، والعُنّاب، والبَرَد للدُّموع، والعُيون، والخُدود، والأنامل، والأسنان

وإذا ذُكر في الكلام لفظُ المشبّه فقط. وحُذف فيه المشبه به. وأُشير اليه بذكر لازمه: المُسمّى «تَخْييلاً» فاستعارة مَكْنيّة[2] أو بالكِناية، كقوله

وَإذَا المَنِيّة أَنْشَبَتْ أظفَارَهَا أَلفَيْتَ كلَّ تَميمَةٍ لا تَنْفَعُ

---

(١) (معنى تصريحية) أي مصرح فيها باللفظ الدال على المشبه به، المراد به المشبه وتسمى أيضاً تحقيقية، و(معنى مكنية) أي مخفى فيها لفظ المشبه به؛ استغناء بذكر شيء من لوازمه — فلم يذكر فيها من أركان التشبيه، سوى المشبه

(٢) أي وهذا مذهب السلف. وكذا (الزمخشري) صاحب الكشاف، وأما مذهب (السكاكي) فظاهر كلامه يشعر بأن الاستعارة بالكناية لفظ المشبه أي كلفظ المنية في نحو «أظفار المنية نشبت بفلان» المستعمل في المشبه به، بادعاء أنه عينه وبيان ذلك: أنه بعد تشبيه معنى المنية، وهو الموت، بمعنى السبع — تدعى أن المشبه عين المشبه به. وحينئذ يصير للمشبه به (فردان) — أحدهما حقيق، والآخر ادعائي فالمنية: مراد بها السبع، بادعاء السبعية لها، وانكار أن تكون شيئاً آخر غير السبع بقرينة اضافة الاظفار التي هي من خواص المشبه به وهو السبع — وأنكر (السكاكي) (التبعية) بمعنى أنها مرجوحة عنده — واختار ردها إلى قرينة المكنية — ورد قرينتها إلى نفس المكنية — ففي نطقت الحال مثلا. يقدر القوم: إن نطقت، استعارة تبعية =

فقد شبَّه المنيَّـة ، بالسّبع ، بجامع الاغتيال فى كلٍّ ، واستعار السَّبع للمنيّة وحذفه ، ورمزَ اليه بشىء من لوازمه ، وهو (الأظفار) على طريق الاستعارة

= والحال قرينة لها — وهو يقول : إن الحال استعارة بالكناية ، ونطقت قرينتها

وفى كلامه نظر من وجهين

(الأول) إن لفظ المشبه ، لم يستعمل إلا فى معناه الحقيقى ، فلا يكون استعارة

(الثانى) أنه صرح بأن نطقت مستعارة للامر الوهمى ، أى المتوهم اثباته للحال ، تشبيها بالنطق الحقيقى ، فيكون استعارة ، والاستعارة فى الفعل لا تكون إلا تبعية فيلزمه القول بالتبعية — وأجيب عنه بأجوبة تطلب من المطولات

وأما مذهب (الخطيب) فانه يقول: أن الاستعارة بالكناية ، هى التشبيه المضمر أركانه سوى المشبه المدلول عليه ، باثبات لازم المشبه به للمشبه . ويلزم على مذهبه أنه لاوجه لتسميتها استعارة ، لأن الاستعارة هى اللفظ المستعمل فى غير ماوضع له لعلاقة المشابهة — أو استعمال اللفظ المذكور — والتشبيه غير ذلك : بل هو فعل من أفعال النفس

(تنبيه) المشبه : فى مواد الاستعارة بالكناية ، لا يجب أن يكون مذكوراً بلفظ المشبه به — فيجوز ذكره بغير لفظه ، كأن يشبه شىء كالنحافة واصفرار اللون ، بأمرين كاللباس ، والطعم المر البشع . ويستعمل لفظ أحد الأمرين فيه ، ويثبت له شىء من لوازم الآخر ، كما فى قوله تعالى (فاذاقها الله لباس الجوع والخوف) فان شبه ماغشى الانسان عند الجوع والخوف من النحافة واصفرار اللون ، باللباس ، لاشتماله على اللابس واشتمال أثر الضرر على من به ذلك ، فاستعير له اسمه — وشبه ما غشى الانسان عند الجوع ، أى مايدرك من أثر الضرر والألم ، باعتبار أنه مدرك من حيث الكراهية ، بما يدرك من الطعم المر البشع ، حتى أوقع عليه الاذاقة — فتكون الآية مشتملة على الاستعارة المصرحة ، نظراً إلى الأول — والمكنية نظراً إلى الثانى ، وتكون الاذاقة تخييلا بالنسبة للمكنية ، وتكون تجريداً بالنسبة إلى المصرحة ، لأنها تلائم المشبه ، وهو النحافة والاصفرار ، لأنها مستعارة للاصابة — وكثرت فيها حتى جرت مجرى الحقيقة — ويقال شبه ماغشى الانسان عند الجوع والخوف من أثر الضرر ، باللباس . بجامع الاشتمال فى كلٍ ، واستعير اسم المشبه به للمشبه ، على سبيل الاستعارة التصريحية =

المكنية الأصلية ، وقرينتها لفظة « أظفار »

ثم أخذ الوهم : فى تصوير المنية بصورة السبع ، فاخترع لها مثل صورة الأظفار ، ثم أطلق على الصورة التى هى مثل صورة الأظفار لفظ (الأظفار)

فتكون لفظة (أظفار) استعارة (تخييلية) لأن المستعار له لفظ أظفار صورة وهمية . تشبه صورة الأظفار الحقيقية ، وقرينتها اضافتها إلى المنية

ونظراً الى أنّ (الاستعارة التخييلية) قرينة المكنية ، فهى لازمة لا تفارقها ، لأنه لا استعارة بدون قرينة

وإذاً : تكون أنواع الاستعارة ثلاثة : تَصريحيّة . ومَكنيّة . وتَخييليّة

المبحث السادس

فى الاستعارة باعتبار الطّرفين[1]

إن كان المُستعار له مُحققًا حِسًّا « بأن يكون اللفظ قد نُقل إلى أمر

= وطريق اجراء الاستعارة الثانية ، أن يقال : شبه ماغشى الانسان عند الجوع والخوف من أثر الضرر ، بالطعم المر البشع ، بجامع الكراهة فى كل ، واستعير لفظ المشبه به للمشبه، ثم حذف وأثبت له شىء من لوازمه وهو (الاذاقة) على سبيل الاستعارة المكنية ، واثبات الاذاقة تخييل — وطريق إجراء الاستعارة الثالثة : أن يقال شبهت الاذاقة المتخيلة ، بالاذاقة المتحققة ، واستعيرت المتحققة ، للمتخيلة ، على سبيل الاستعارة التخييلية ، على مذهب (السكاكى)

(١) اعلم أن المذاهب فى التخييلية أربعة

(الأول) مذهب السلف ، والخطيب : وهو أن جميع أفراد قرينة المكنية مستعملة فى حقيقتها ، والتجوز إنما هو فى (الاثبات لغير ما هو له) المسمى استعارة تخييلية ، فهما متلازمان ، وهى من المجاز العقلى =

معلوم، يُمكن أن يُشَار إليه إشارة حِسِّيّة » كقولك : رأيتُ بحرًا يُعطِي

أو كان المستعار له مُحققاً عقلاً « بأن يمكن أن يُنص عليه . ويُشار

إليه إشارة عقلية » كقوله تعالى (إهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيم) أى (الدِّينَ

الحقّ) (فالاستعارة تحقيقيّة)

= (الثانى) مذهب السكاكى: وهو أن قرينة المكنية، تارة تكون تخييلية، أى مستعارة لأمر وهمى: كأظفار المنية. وتارة تكون تحقيقية، أى مستعارة لأمر محقق «كابلعى ماءك» وتارة تكون حقيقة «كأنبت الربيع البقل» فلا تلازم بين التخييلية والمكنية، بل يوجد كل منهما بدون الآخر — وقد استدل السكاكى: على انفراد التخييلية عن المكنية بقوله

لاتسقنى ماء المـــلام فاننى   صب قد استعذبت ماء بكائى

فانه قد توهم : أن للملامة شيئاً شبيهاً بالماء، واستعار اسمه له استعارة تخييلية غير تابعة للمكنية . ورده العلامة (الخطيب) بأنه لا دليل له فيه، لجواز أن يكون فيه استعارة بالكناية، فيكون قد شبه الملام، بشىء مكروه، له ماء . وطوى لفظ المشبه به ورمز اليه بشىء من لوازمه، وهو الماء، على طريق التخييل .

وأن يكون من باب إضافة المشبه به إلى المشبه، والأصل لاتسقنى الملام الشبيه بالماء. وأيضاً : لايخفى ما فى مذهب السكاكى من التعسف، أى الخروج عن الطريق الجادة، لما فيه من كثرة الاعتبارات — وذلك : أن المستعير يحتاج إلى اعتبار أمر وهمى، واعتبار علاقة بينه وبين الأمر الحقيق . واعتبار قرينة دالة على أن المراد من اللفظ، الأمر الوهمى . فهذه اعتبارات ثلاثة، لايدل عليها دليل، ولا تمس إليها حاجة

(الثالث مذهب صاحب الكشاف) وهو أنها تكون تارة مصرحة تحقيقية، وتارة تكون تخييلية — أى مجازاً فى الاثبات

(الرابع — مذهب صاحب السمرقنديه) وهو مثل مذهب صاحب الكشاف غير أن الفرق بينهما : أن مدار الأقسام عند صاحب الكشاف على الشيوع، وعدمه وعند صاحب (السمرقندية) على الامكان وعدمه

(تنبيه) الفرق : بين ما يجعل قرينة للمكنية وبين مايجعل نفسه تخييلا : على مذهب السكاكى — أو استعارة تحقيقية : على مذهب صاحب الكشاف فى بعض المواد، وعلى =

وان لم يكن المستعار له مُحققاً، لا حِسًّا ولا عقلاً «فالاستعارة تخييليـّة» وذلك: كالأظفار، فى نحو: أنشبت المنيّة أظفارها بفلان

المبحث السابع

فى الاستعارة باعتبار اللّفظ المستعار

(١) إذا كان اللّفظ المستعار «اسماً جامداً لذاتٍ» كالبدر: إذا استُعير للجميل «أو اسماً جامداً لمعنًى» كالقتل: إذا استعير للضّرب الشّديد سُمّيّتْ الاستعارة «أصلية فى كلٍّ من التّصريحيةّ والمكنيةّ» كقوله تعالى (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ)[1] وكقوله تعالى (وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ)[2]

مختار (صاحب السمرقندية) كذلك — أو إثباته تخييلا على مذهب (السلف، وصاحب الكشاف) فى بعض المواد — وعلى مختار (صاحب السمرقندية) كذلك — وبين مايجعل زائداً عليها (قوة الاختصاص) أى الارتباط بالمشبه به — فأيهما أقوى ارتباطاً به فهو (القرينة) وما سواه (ترشيح) - (وذلك) كالنشب فى قولك (مخالب المنية نشبت بفلان) فان (المخالب) أقوى اختصاصاً وتعلقاً بالسبع، من (النشب) لأنها ملازمة له دائماً، بخلاف النشب

(١) يقال فى إجراء الاستعارة فى الآية الأولى — شبهت الضلالة بالظلمة، بجامع عدم الاهتداء فى كل، واستعير اللفظ الدال على المشبه به، وهو الظلمة، للمشبه وهو الضلالة، على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية

(٢) ويقال فى إجراء الاستعارة فى الآية الثانيـة — شبه الذل بطائر، واستعير لفظ المشبه به وهو الطائر، للمشبه وهو الذل — على طريق الاستعارة المكنية الأصلية ثم حذف الطائر، ورمز اليه بشىء من لوازمه، وهو الجناح

وسُميتْ أصليّة : لعدم بنائها على تشبيه تابع لتشبيه آخر مُعتبرٍ أوّلًا كقول البُحترى :

يُؤَدُّون التّحيّةَ من بعيدٍ إلى قمرٍ من الإيوان بادِ

(٢) وإذا كان اللفظ المُستعار « فعلاً »(١) أو اسمَ فعلٍ ، أو اسماً

(١) مثال الاستعارة التصريحية فى الفعل . نطقت الحال بكذا - وتقريرها أن يقال : شبهت الدلالة الواضحة ، بالنطق ، بجامع إيضاح المعنى فى كل ، واستعير النطق للدلالة الواضحة ، واشتق من النطق بمعنى الدلالة الواضحة نطقت بمعنى دلت ، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية — ونحو : يحي الأرض بعد موتها . يقدر تشبيه تزيينها بالنبات ذى الخضرة والنضرة — بالأحياء ، بجامع الحسن أو النفع فى كل — ويستعار الاحياء للتزيين ، ويشتق من الاحياء بمعنى التزيين يحي بمعنى يزين ، استعارة تبعية لجريانها فى الفعل تبعاً لجريانها فى المصدر — هذا إذا كانت الاستعارة فى الفعل باعتبار مدلول صيغته ، أى (مادته وهو الحدث) وأما إذا كانت باعتبار مدلول (هيئته وهو الزمن) كما فى قوله تعالى (أتى أمر الله) فتقريرها أن يقال: شبه الاتيان فى المستقبل ، بالاتيان فى الماضى ، بجامع تحقق الوقوع فى كل ، واستعير الاتيان فى الماضى للاتيان فى المستقبل واشتق منه أتى بمعنى يأتى ، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية - ونحو (ونادى أصحاب الجنة) أى ينادى - شبه النداء فى المستقبل . بالنداء فى الماضى ، بجامع تحقق الوقوع فى كل ، ثم استعير لفظ النداء فى الماضى للنداء فى المستقبل . ثم اشتق منه نادى بمعنى ينادى - ونحو قوله تعالى (من بعثنا من مرقدنا هذا) ان قدر المرقد للرقاد مستعاراً للموت . فالاستعارة أصلية ، وإن قدر لمكان الرقاد مستعاراً للقبر . فالاستعارة تبعية لأنها فى اسم المكان ، فلا يستعار المرقد للقبر إلا بعد استعارة الرقاد للموت — ومثال الاستعارة فى اسم الفاعل . لزيد قاتل عمراً ، إذا كان عمرو مضروباً ضرباً شديداً - ومثالها فى اسم المفعول - عمرو مقتول لزيد - إذا كان زيد ضارباً لعمرو ضرباً شديداً — وإجراء الاستعارة فيهما أن يقال: شبه الضرب الشديد بالقتل بجامع شدة الايذاء فى كل، واستعير اسم المشبه به للمشبه . واشتق من القتل بمعنى الضرب الشديد قاتل أو مقتول ، بمعنى ضارب أو مضروب ، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية — ومثالها فى الصفة =

مُشتقاً ، أو اسماً مبهماً أو حرفاً » فالاستعارة «تَصريحية تبعيّة» نحو : نامت همومى عنّى

═ المشبهة – هذا حسن الوجه، مشيراً إلى قبيحه – وإجراء الاستعارة فيه أن يقال – شبه القبح ، بالحسن . بجامع تأثر النفس فى كل . واستعير الحسن للقبح تقديراً ، واشتق من الحسن بمعنى القبح حسن بمعنى قبيح ، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية التهكمية ومثال الاستعارة فى أفعل التفضيل – هذا أقتل لعبيده من زيد – أى أشد ضرباً لهم منه – ومثال اسم الزمان والمكان – هذا مقتل زيد – مشيراً إلى مكان ضربه أو زمانه – ومثال اسم الآلة – هذا مفتاح الملك : مشيراً إلى وزيره . واجراؤها أن يقال – شبهت الوزارة، بالفتح للابواب المغلقة ، بجامع التوسل إلى المقصود فى كل، واستعير الفتح للوزارة ، واشتق منه مفتاح بمعنى وزير – ومثال اسم الفعل المشتق – نزال . بمعنى انزل. تريد به أبعد . فتقول شبه معنى البعد ، بمعنى النزول ، بجامع مطلق المفارقة فى كل واستعير لفظ النزول لمعنى البعد ، واشتق منه نزال بمعنى أبعد – ومثال اسم الفعل غير المشتق « صه » بمعنى اسكت عن الكلام . تريد به اترك فعل كذا – فتقول شبه ترك الفعل ، بمعنى السكوت ، واستعير لفظ السكوت لمعنى ترك الفعل ، واشتق منه اسكت بمعنى اترك الفعل – وعبر بدل اسكت بصه – ومثال المصغر « رجيل » لمتعاطى مالا يليق – ومثال المنسوب « قرشى » للمتخلق بأخلاق قريش وليس منهم

ومثال الاستعارة فى الحرف قوله تعالى (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً) واجراؤها أن يقال شبهت المحبة والتبنى، بالعداوة والحزن واللذين هما العلة الغائية للالتقاط بجامع مطلق الترتب ، واستعيرت اللام من المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية التبعية . واعلم أن اللام لم تستعمل فى معناها الأصلى وهو العلة . لأن علة التقاطهم له أن يكون لهم ابنا ، وانما استعملت مجازاً (لعاقبة الالتقاط) ، وهى كونه لهم عدواً ، فاستعيرت العلة للعاقبة، بجامع أن كلا منهما مترتب على الالتقاط ، ثم استعيرت اللام تبعا لاستعارتها ، فالمستعار منه العلة . والمستعار له العاقبة . والترتب على الالتقاط هو الجامع . والقرينة على المجاز استحالة التقاط الطفل ليكون عدواً – وكقوله تعالى (ولأصلبنكم فى جذوع النخل) واجراؤها أن يقال شبه مطلق استعلاء بمطلق ظرفية بجامع التمكن فى كل ، فسرى التشبيه من الكليين للجزئيات التى هى معانى الحروف ═

ونحو : صَهٍ : الموضوع للسّكوت عن الكلام ، والمُستعمل مجازاً في
في ترك الفعل ، ونحو : الجُندي قاتلُ اللِّص ، بمعنى ضاربه ضرباً شديداً ،
ونحو : هذا : الموضوعة للاشارة الحسّية ، والمُستعملة مجازاً في الاشارة العقلية
نحو : هذا رأى حسن ، ونحو : قوله تعالى (ولأُصَلِّبَنَّكم في جُذُوع النَّخل)
ونحو : قوله تعالى (فالتقطهُ آلُ فِرعون ليكون لهم عدُوّاً وحَزَنًا)

= فاستعير لفظ « فى » الموضوع لكل جزئى من جزئيات الظرفية ، لمعنى « على » على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية — ومثال المكنية التبعية فى الاسم المشتق يعجبنى اراقة الضارب دم الباغى ، واجراء الاستعارة أن يقال شبه الضرب الشديد بالقتل ، بجامع الايذاء فى كل ، واستعير القتل للضرب الشديد ، واشتق من القتل قاتل بمعنى ضارب ضربا شديدا ، ثم حذف وأثبت له شىء من لوازمه وهو الاراقة على سبيل الاستعارة المكنية التبعية — ومثالها فى الاسم المبهم قولك لجليسك المشغول عنك ، أنت مطلوب منك أن تسير إلينا الآن — شبه مطلق مخاطب بمطلق غائب فسرى التشبيه للجزئيات واستعير الثانى للاول ، ثم استعير بناء على ذلك ضمير الغائب للمخاطب ، وحذف وذكر المخاطب ، ورمز إلى المحذوف بذكر لازمه ، وهو طلب السير منه إليك ، واثباته له تخييل

واعلم أن استعارة الأسماء المبهمة أعنى الضمائر وأسماء الاشارة والموصولات تبعية ، لأنها ليست باسم جنس لاتحقيقاً ولا تأويلا — ولأنها لاتستقل بالمفهومية لأن معانيها لاتتم ولا تصلح لأن يحكم عليها بشىء مالم تصحب تلك الألفاظ فى الدلالة عليها ضميمة تتم بها — كالاشارة الحسية والصلة ، والمرجع — فلابد أن تعتبر التشبيه أولا فى كليات تلك المعانى الجزئية ، ثم سريانه فيها لتبنى عليه الاستعارة — مثلا فى استعارة لفظ «هذا» لأمر معقول . يشبه المعقول المطلق فى قبول التميز بالمحسوس المطلق فيسرى التشبيه إلى الجزئيات فيستعار لفظ هذا من المحسوس الجزئى للمعقول الجزئى الذى سرى إليه التشبيه ، فهى استعارة تبعية — والاستعارة فى الضمير والموصول المؤنث — أو بموصولها عنه لشبهه بها . أو عكسه . فتشبه المذكر المطلق ، بالمؤنث ، كالتعبير عن المذكر بضمير المطلق ، فيسرى التشبيه ، فتستعير الضمير ، أو الموصول ، للجزء الخاص

(٣) وإذا كان اللّفظُ المستعار اسماً مُشتقاً ، أو اسماً مُبهماً « دون باقى أنواع التَّبعية المتقدّمة » فالاستعارة « تبعيَّة مكنية »

وسُمّيت (تبعيةً) لأنّ جريانَها فى المشتقات ، والحروف ، تابعٌ لجريانها أوّلاً : فى الجوامد ، وفى كليات معانى الحروف

يعنى: أنّها سُمّيت تبعيّة لتبعيّتها لاستعارة أخرى، لأنّها فى المشتقّات تابعةٌ للمصادر

ولأنّها فى معانى الحروف تابعةٌ لِمُتعلّق معانيها ، إذْ معانى الحروف جزئية ، لا تُتَصوّر الاستعارة فيها إلا بواسطة كلىٍّ مستقلّ بالمفهوميّة . ليتأتّى كونها مُشبهاً ، ومشبّهاً بها ، أو محكوماً عليها ، أو بِها

نحو : ركبَ فلان كتفَىْ غريمه[1] أى : لازمه ملازمةً شديدةً

وكقوله تعالى (أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ) أى تمكنوا من الحصول على الهداية التامّة[2]، ونحو : (أَذَقْتهُ لِباسَ الْمَوْتِ)[3] أى ألبسته إيّاه

---

(١) يقال فى إجرائها شبه اللزوم الشديد ، بالركوب ، بجامع السلطة والقهر — واستعير لفظ المشبه به وهو الركوب للمشبه وهو اللزوم ، ثم اشتق من الركوب بمعنى اللزوم ركب بمعنى لزم ، على طريق الاستعارة التصريحية التبعية

(٢) يقال فى اجرائها شبه مطلق ارتباط بين مهدى وهدى — بمطلق ارتباط بين مستعلى ومستعلى عليه بجامع التمكن فى كل . فسرى التشبيه من الكليين للجزئيات ثم استعيرت « على » من جزئى من جزئيات المشبه به ، لجزئى من جزئيات المشبه على طريق الاستعارة التصريحية التبعية

(٣) يقال فى اجرائها شبهت الاذاقة بالالباس، واستعير الالباس للاذاقة، بجامع الاشتمال فى كل، واشتق منه ألبس بمعنى أذاق، على طريق الاستعارة التصريحية التبعية — ثم حذف لفظ المشبه به ، ورمز إليه بشىء من لوازمه ، وهو اللباس . على طريق الاستعارة المكنية

تنبيهات عشرة

التنبيه الأول — كل تبعية قرينتها مكنيّة

التنبيه الثـانى — إذا أُجريت الاستعارة فى واحدة من الاستعارة التّصريحيّة، أو من الاستعارة المَكنيّة، امتنع اجراؤها فى الأخرى

التنبيه الثالث — تقسيم الاستعارة إلى (أصلية وتبعية) عام فى كل من الاستعارة التصريحية والمكنية

التنبيه الرابع — تبيّن أنّ الاستعارة هى اللفظ المُستعمل فى غيرما وُضع له، لعَلاقة المُشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعى[1]

أو هى: (مجاز لُغوىّ) علاقته المُشابهة، كقول زُهَير:

لَدى أسدٍ شاَكِي السّلاحِ مُقَذف ... لَهُ لِبَدٌ أظفـــارُه لم تُقَلَّمِ

فقد استعار الأسدَ: للرّجل الشّجاع. لِتَشابهما فى الجرَاءة

والمُستعار له هنا: لفظ رجل (مُحقّق حِساً)

وكقوله تعالى (اهدنا الصّراط المستقيم)، فقد استعار الصراط المستقيم للدِّين الحقّ، لتشابههما فى أنّ كلاّ يُوصّل إلى المطلوب

والدِّين الحقّ (مُحقّق عقَلاً) لأنّه أمر معنوى، له ثبوتٌ فى ذَاته

وكقوله تعالى (كتابٌ أنزلناه إليك لِتخرجَ الناس من الظّلمات إلى النور) أى: من الضّلال إلى الهُدى، فقد استُعيرَ لفظ الظّلمات. للضّلال، لتشابههما فى عدم اهتداء صاحبيْهما، ثم استُعير لفظ الظّلمات. للضلال،

---

(١) قد يراد بالاستعارة المعنى المصدرى: أى استعمال اللفظ فى غير ماوضع له، فيكون اللفظ مستعارا، والمشبه به مستعارا منه، والمشبه مستعاراً له.

وكذلك استعير لفظ النور . للإيمان . لتشابههما فى الهداية ، والمستعار له وهو الضلال والإيمان ، كلٌّ منهما (مُحقّق عقلاً) وتُسمّى هذه الاستعارات (تَصرِيحيّة) وتُسمّى أيضاً (تحقيقية) — وأمّا قولُ أبى ذُؤَيب الهُذَلى

وإذا المنيَّة أنشبتْ أظفارها ألْفيْتَ كلَّ تَميمةٍ لا تَنفعُ

فشبَّهَ المنيّة . بالسّبع . فى اغتيال النفوس قهراً . من غير تفَرقة بين نفّاع وضرّار ، ولم يذكر لفظ المشبه به . بل ذكر بعض لوازمه وهو أظفارها التى لا يكمل الاغتيال فى السّبع إلا بها . تنبيهاً على المشبه به المحذوف فهو استعارة (مَكنية) — وكقوله :

ولئن نطقت بشكر برِّك مُفصحاً فلسان حالِى بالشّكاية أَنطقُ

فشبَّهَ الحال . بانسان ناطق فى الدّلالة على المقصود ، ولم يصرح بلفظ المشبه به ، بل ذكر لازمه . وهو (اللسان) الذى لا تقوم الدلالة الكلامية إلاّ به ، تنبيهاً به عليه — فهو أيضاً استعارة (مَكنيَّة)

وقد أثبت للمشبه لازم من لوازم المشبه به ، لا يكون إلا به كمالهُ أو قوامهُ فى وجه الشبه ، (كالأظفار) التى لا يكمل الافتراس إلا بها كما فى المثال الأول ، (واللسان) الذى لا تقوم الدلالة الكلامية فى الانسان إلا به ، كما فى المثال الثانى ، وليس (للمنية) شىء كالأظفار نُقل إليه هذا اللفظ ، ولا (للحال) شىء (كاللسان) نُقل إليه لفظ اللسان

وما كان هذا حاله يُعتبر طبعاً (تخييلا أو استعارة تخييلية)

التنبيه الخامس — تقدم أن الاستعارة التَّصريحية . أو المُصّرحة : هى ما صُرّح فيها بلفظ المشبه به

وأنّ المكنيّة ، هي ما حذف فيها لفظ المشبه به ، استغناءً ببعض لوازمه . التي بها كماله ، أو قوامه في وجه الشّبه(١) وأنّ إثبات ذلك اللّازم تخييل — أو استعارة تخييلية

غير أنهم اختلفوا في تعريف كلٍّ من المكنيّة والتّخييلية .

فمذهب السّلف : أنّ المكنيّة : اسمُ المشبه به ، المُستعار في النّفس للمشبه ، وأنّ إثبات لازم المشبه به للمشبه (استعارة تخييلية)(٢) فكلٌّ من (الأظفار) في قوله : « وإذا المنية أنشبت أظفارها » . (واللّسان) في قوله :

---

(١) إذا لم يكن اللازم كذلك ، اعتبر ترشيحاً — فالفرق بين الترشيح والتخييل :
(ا) أن الترشيح يكون في المصرحة والمكنية : والتخييل . إنما يكون في المكنية
(ب) أن التخييل به كمال المشبه به ، أو قوامه في وجه الشبه ، ولا يكون إلا كذلك .

(٢) وعلى مذهبهم لا تكون التخييلية (مجازاً لغوياً) لأنها فعل من أفعال النفس ، وهو الاثبات ، والمجاز اللغوى من عوارض الألفاظ . وعلى مذهبهم أيضاً تتلازم المكنية والتخييلية ، إلا أن أحدهم وهو (الزمخشرى) انفرد من بينهم بأن قال إن قرينة المكنية قد تكون تحقيقية إذا كان للمشبه لازم يشبه لازم المشبه به نحو « ينقضون عهد الله » فقد شبه العهد بالحبل بجامع أن كلا يصل بين شيئين ويربطهما : فالعهد يربط المتعاهدين كما يربط الشيئان بالحبل ، ثم حذف لفظ المشبه به ، وهو الحبل واستعير النقض وهو فك طاقات الحبل ، لأبطال العهد ، بجامع الافساد في كل (استعارة أصلية تحقيقية) ثم اشتق من النقض ينقضون بمعنى يبطلون ، على سبيل الاستعارة ، (التحقيقية التبعية) فالزمخشرى يجمع بين المكنية والتحقيقة أحياناً ، على أن التحقيقية ليست مقصودة لذاتها . وإنما جاءت تبعا للمكنية ، للدلالة عليها ، فلا تلازم عنده بين المكنية والتخييلية ، إلا أن يدعى أن القرينة (تصريحية) باعتبار المعنى المقصود في الحالة الراهنة (تخييلية) باعتبار الاشعار بالأصل . أما غيره من السلف فتقول : شبه العهد بالحبل ، وحذف لفظ الحبل ، ورمز إليه بلازمه ، وهو النقض ، وإثبات النقض للعهد تخييل

« فلسان حالى بالشكاية أنطقُ » حقيقةٌ ، لأنّه مُستعمل فيما وضع له .

ومذهب (الخطيب القزوِينى) أنّ المكنية هى التّشْبيه المُضْمر فى النفس ، المرموز إليه باثبات لازم المشبه به للمشبه ، وهذا الاثبات هو الاستعارة (التخييلية)[1]

ومذهب (السكاكى) أنّ المكنية لفظ المشبه، مُرادا به المشبه به[2] فالمراد (بالمنية) فى قوله : « وإذا المنيـةُ أنشبت أظفارها » هو السبع بادعاء السَّبعيةِّ لهـا . وإنكار أن تكون شيئاً غير السبع ، بقرينة إضافة الأظفار التى هى من خواص السَّبع إليها . و (التَّخييلية) عنده ما لا تحقُّق لمعناه (لا حسّا ولا عقلا) بل هو صورة وهميَّة مَحْضَه : كالأظفار فى ذلك المثال

---

(١) من هذا التعريف نفهم أولا : أن (القزوينى) يخالف السلف فى تعريف المكنية ويتفق معهم فى قرينتها . ونفهم ثانيا أن المكنية والتخييلية عند القزوينى فعلان من أفعال النفس هما التشبيه والاثبات ، فليسا من المجاز اللغوى ، لأنه من عوارض الألفاظ وتكون التخييلية عند (القزوينى) والقوم (مجازاً عقلياً) ، لما فيهامن اثبات الشىء لغير ماهو له ، وإنما سموها (استعارة) لـما فيها من نقل اللازم من ملائمه الأصلى، وهو المشبه به إلى المشبه ، وسموها تخييلية لأن اللازم لـما نقل من المشبه به إلى المشبه صار السامع يخيل إليه أن المشبه من جنس المشبه به . ونفهم ثالثاً أن لفظ اللازم فى المكنية حقيقية عند (القزوينى) .

(٢) تقرير الاستعارة على مذهب (السكاكى) أن يقال : شبهنا المنية التى هى الموت المجرد عن ادعاء السبعية ، بالسبع الحقيقى ، وادعينا أنهافرد من أفراده ، وأن للسبع فردين فردا متعارفا وهو الحيوان المفترس ، وفردا غير متعارف وهو الموت الذى ادعيت له السبعية ، واستعير اسم المشبه وهو المنيـة بمعنى ذلك الفرد غير المتعارف ، أعنى الموت الذى ادعيت له السبعية ، فصح بهذا أنه قد أطلق اسم المشبه ، وهو المنية ، وأريد به المشبه به ، وهو السبع .

فانه لمَّا شبَّه المنية ، بالسبع فى الاغتيال ، أخذ الوهم يُصَوِّرها بصورته . ويخترع لها لوازمه ، فاخترع لها صورة كصورة الأظفار . ثم أطلق عليها لفظ الأظفار فيكون لفظ الأظفار استعارة (تصريحية تخييلية)

أمَّا أنها تصريحية : فلأنه صُرِّح فيها بلفظ المشبه به . وهو اللازم الذى أطلق على صورة وهمية شبيهة بصورة الأظفار المحققة

وأما أنها (تخييلية) فلأنَّ المستعار له غير محقق (لا حسًّا ولا عقلا). والقرينة على نقل الأظفار من معناها الحقيقى إلى المعنى المُتَخَيَّل ، إضافتها إلى المنية[1]

هذا – ومذهب السكاكى فى المكنية مردود عليه

بأنّ لفظ المشبه فيها مُسْتعمل فيما وُضع له تحقيقاً ، للقطع بأنّ المراد بالمنية (الموت) لا غير : فليس مُسْتعاراً

التنبيه السادس — الاستعارة صفة للَّفظ على المشهور ، والحق أن المعنى يُعارُ أوَّلا . ثمَّ يكون اللفظ دليلا على الاستعارة : وذلك

(١) لأنه إذا لم يكن نقلُ الاسم تابعاً لنقل المعنى تقديراً لم يكن ذلك استعارة ، مثل (الأعلام المنقولة) فأنتَ إذا سَمَّيتَ إنساناً بأسد . أو عمر . أو كلب . لا يقال إن هذه الأسماء مُسْتعارة ، لأن نقلها لم يتبع نقل معانيها تقديراً

(٢) ولأن البُلغاء : جَزمُوا بأن (الاستعارة ، أبلغ من الحقيقة) فان لم

---

(١) يرى (السكاكى) أن التخييلية قد توجد من غير المكنية كقولهم : أظفار المنية التى كالسبع نشبت بفلان ، ففى أظفار (استعارة تخييلية) وجدت مع تشبيه صريح ، ولكن هذا بعيد إذ لم يوجد له نظير فى الكلام العربى ، فالفرق بين السكاكى وغيره أن السكاكى يرى أن كل مكنية معها تخييلية ولا عكس ، وغيره (إلا الزمخشرى) يقول إنهما متلازمتان .

يكن نَقلُ الاسم تابعاً لنقل المعنى، لم يكن فيه مُبالغة ، إذ لا مُبالغة فى إطلاق الاسم المُجَرد عن مَعناه .

التنبيه السابع — ظهر أنّ الاستعارة باعتبار اللّفظ نوعانِ (أصلية وتبعيّة) فالأصلية: ما كان فيها المستعار اسم جنس غير مشتَق"، سواء أكان اسمَ ذاتٍ ، كأسد للرجل الشجاع، أم اسمَ معنًى، كقتل للإذلال، وسَواء أكان اسمَ جنسٍ (حقيقةً) كأسد وقتل ، أم (تأويلا) كما فى الأعلام المشهورة بنوع من الوصف ، كحاتم فى قولك : رأيت اليوم حاتماً ، تُريد رجلا كامل الجُود، فاعتُبِر لفظ (حاتم) فى قُوّة الموضوع لمفهوم كلى ، حتى كاد يغلب استعماله فى كلّ من له وصف حاتم ، فكما أن أسداً يتناول الحيوان المفترس والرجلَ الشّجاع ادّعاء . كذلك حاتم يتناول الطّائى وغيره ادّعاء ، ويكون استعماله فى (الطائى) حقيقة ، وفى غيره مجازاً ، لأن الاستعارة مَبنيّة على ادّعاء أنّ المشبه فرد من أفراد المشبه به ، فلا بدّ أن يكون المشبه به كليًا ذا أفرادٍ . والمراد (باسم الجنس) غير المشتق (ما صلح لأن يَصدق على كثيرين ، من غير اعتبار وصف من الأوصاف فى الدلالة)

وليس العلم الشخصى واسم الاشارة والضمير والموصول . من الكليات ، فلا يصح أن تجرى فيها الاستعارة الأصلية . أمّا المشتق فالصفة جُزءٌ من مدلوله وضعاً، لأنه موضوع لذات متصفة بصفة؛ (فكريم) موضوع لذات متصفة بالكرم، (وقتيل) موضوع لذات متصفة بوقوع القتل عليها .

وقد اعتُبرتْ (الأعلام) التي تَضمَّن معنى الوصف اسَم جنسٍ تأويلا ولم تُعتبر من قبيل المشتق ، لأن الوصف ليس جُزءاً من معناها وضعاً ، بل هو لازم له ، غير داخل فى مفهومه ، فحاتم : لم يوضع للدِّلالة على الجود

ولا على ذات مُتَّصفة به ، ولـكن الجود عرض له . ولزمه فيما بعد .

التنبيه الثامن — التّبعيّة (١) ما كان فيها المُستعار مُشْتقاً ، ويدخل فى هذا : الفعل ، والاسمُ المشتقّ ، والحرف .

فاستعارةُ الفعل (٢) نحو : قوله تعالى «إنّا لما طَغَى الماء حَملْنَاكم فى الجَارِيَة»

---

(١) كذلك يدخل فيه الاسم المبهم ، فقد جعل بعضهم استعارة الاشارة والضمير والموصول من التبعية ، لأن كلا من هذه المبهمات ليس من اسم الجنس لا تحقيقا ولا تأويلا ، إذ أن معانيها جزئية — والأصلية : مختصة باسم الجنس ، فاذا قلت : هذا رأى حسن ، فقد استعرت اسم الاشارة من المحسوس للمعقول ، ويقال : شبه المعقول مطلقا بالمحسوس مطلقا فى قبول التميز والتعبير ، فسرى التشبيه من الكليات إلى الجزئيات فاستعير لفظ (هذا) من جزئى المشبه به لجزئى المشبه استعارة تبعية ، لقصد المبالغة فى بيان تعيين المعقول . وإذا قلت لنسوة : إنى منتظركم ، فقد شبهت مطلق مخاطبة فيها عظمة ، بمطلق مخاطب فيه عظمة . بجامع العظمة فى كل . فسرى التشبيه من الكليين إلى الجزئيات . فاستعير ضمير جماعة الذكور من جزئى المشبه به لجزئى المشبه ، استعارة تبعية . وكذا إذا استعملت فى المؤنث ماوضع من أسماء الموصول فى المذكر .

وإذا عاد الضمير أو اسم الاشارة على مجاز ، نحو : زارنى هذا الأسد فأكرمته فليس فيهما تجوز . بنا على أن وضعهما أن يعودا على مايراد بهما من حقيقة أو مجاز . وقيل فيهما تجوز تبعاً لما يرجعان إليه ويكونان مستعارين بناء على التشبيه والاستعارة فى مرجعهما . فيدخلان فى التبعية .

(٢) لو دخلت أن المصدرية على فعل مستعار نحو : يسؤنى أن يطغى الماء على قريتى . فالحق أنها تبعية وأن المستعار هو الفعل وحده وهو الذى حل محل يكثر أو يعلو . والعبرة باللفظ . والمصدر غير ملفوظ به ، — و «أن» إنما هى آلة فى السبك أتى بها لغرض هو تأويل مدخولها بمصدر . فاذا أدى بها هذا الغـرض طرحت كما تطرح الآلة إثر إتمام العمل الذى يؤدى بها . وقال بعضهم إنها أصلية نظـــراً للمصدر المؤول .

ونحو : قوله تعالى (وقطّعناهم فى الأرض أمماً)

ونحو : قوله تعالى « فبشّرْهم بعذَاب أليم »

(١) يقال: شبّه زيادة الماء زيادة مُفسدة ، بالطّغيان – بجُامع مجاوزة الحدّ فى كلّ ، وادّعى أن المَشبه فرد من أفراد المشبه به . ثم استعير لفظ المشبه به ، للمشبه : على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية . ثم اشتقّ من الطّغيان بمعنى الزيادة ، طغَى بمعنى زاد ، وعلا ، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية

هذا : وقد يُسْتعمل لفظ الماضى موضع المضارع ، بناء على تشبيه المستقبل المحقّق ، بالماضى الواقع ، بجامع تحقّق الوقوع فى كل

ونحو : قوله تعالى (وقالوا لجلودهم لِمَ شَهِدتُمْ علينْاَ)

وقد يُعبّر بالمضارع عن الماضى ، بناء على تشبيه غير الحاضر بالحاضر ، فى استحضار صوُرته الماضية ، لنوع غرَابة فيها

نحو : قوله تعالى « إنّى أرى فى المنام أنى أذبحُك »

التنبيه التاسع – استعارة المشتْق : إمّا صِفَةٌ [١] ، وإمّا اسم زمان ، أو مكان أو آلة

---

(١) يراد بالصفة : اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة واسم التفضيل ويلحق بها المصغر والمنسوب كرجيل إذا أريد به رجل كبير يتعاطى مالا يليق به وكقرشى لمصرى يتخلق بأخلاق القرشيين فان استعارتهما تابعة لاستعارة مصدرين لمشتقين ، يؤدى هذان اللفظان معناهما وهما صغير ومنتسب إلى قريش . شبه فعل مالا يليق ، بالصغر ، بجامع أن كلا يسقط الهيبة ، واستعير لفظ الصغر لفعل مالا يليق ثم اشتق منه صغير بمعنى فاعل مالا يليق ، ثم عبر عن فاعل مالا يليق بلفظ رجيل . أو شبه رجيل . أو شبه مطلق فعل مالا يليق ، بمطلق الصغر ، فسرى التشبيه إلى فردى المشبه والمشبه به وهما فاعل مالا يليق ورجيل ، ثم استعير بناء على التشبيه الحاصل بالسريان رجيـــل للكبير الذى يفعل فعل الصغير . وشبه التخلق بأخلاق قريش

فالصفة ، نحو : حكمَ على قاتلك بالسِّجْن ، من القتل بمعنى الضّرب الشديد، مجازاً. ونحو : إنما أُصادق الأصمّ عن الخنَى، وأُجاور الأعمى عن العورات . ونحو : فلسان حالى بالشكاية أنطقُ : أى أدلّ

ونحو: قوله تعالى (مَنْ بعثنا من مَرْقدنا) ونحو: جئتَ بمِقْتَالك[1]: أى بالآلة التى أضربك بها ضرباً شديداً .

التنبيه العاشر — مدار قرينة التّبعية فى الفعل والمُشْتق على ما يأتى :

(١) على الفاعل — نحو: إنّا لما طغَى الماء ، ونطقت الحال بكذا[2] .

(٢) أو على نائبه — نحو: ضُربتْ عليهم الذّلةُ والمسكنَةُ[3]

(٣) أوعلى المفعول به — نحو :

جُمِعَ الحقّ لنا فى إمامٍ قتَلَ البُخلَ وأحيا السّماحَا[4]

= بالانتساب إليهم، واستعير الانتساب للتخلق واشتق منه المنتسب بمعنى المتخلق بأخلاقهم ثم عبر عن هذا بلفظ يؤديه وهو « قرشى » على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .

(١) شبه الضرب بالقتل بجامع شدة الايذاء فى كل . ثم استعير للضرب الشديد على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية ، ثم اشتق منه « مقتال » بمعنى آلة الضرب على سبيل الاستعارة التبعيه . وشبه الاعراض عن سوء القول وعدم سمعه بالصمم بجامع عدم تأثر النفس بالقول فى كل . وكذا شبه الاغضاء عن العورات بالعمى، بجامع عدم تأثر النفس بالمرئى فى كل .

(٢) لأن كلا من الطغيان والنطق من شأن الانسان .

(٣) لأن الضرب من شأن الخيام ، لامن شأن الذلة التى هى أمر معنوى .

(٤) لأن القتل والاحياء لايقعان إلا على ذى روح ، والبخل والسماح معنويان لاروح فيهما ، فدل هذا : على أن المراد بالقتل الازالة ، وبالاحياء الاكثار . شبه الازالة بالقتل بجامع مايترتب على كل من العدم . والاكثار بالاحياء بجامع إظهار المتعلق فى كل .

(٤) أو على المفعول به الثانى ، نحو :

صبحنا الخزرجية مُرْهفات أباد ذَوِى أرومتها ذَوُوها [١]

(٥) أو على الفاعل والمفعولين ، كقول الشاعر :

تقرِى الرِّياحُ رياضَ الحَزْنِ مُزهرةً إذا سرى النومُ فى الأجفان إيقاظَا [٢]

(٦) أو على المفعولين ، كقوله تعالى (وقطّعناهم فى الأرض أمماً)

(٧) أو على المجرور ، نحو : « فبشّرْهم بعذاب أليم [٣] » ونحو : « فاصْدَعْ بما تُؤْمَرُ » ونحو : « بل نَقْذِفُ بالحقِّ » هذا — وقد تكون قرينة التبعية غير

---

(١) القرينة تعلق الفعل «صبح» بمرهفات وهى مفعولى به ثان يقال . صبحه كقطع سقاه الصبوح ، وهو شراب الغداة . ومرهفات أى سيوفا مرهفات ، يقال ارهف السيف إذا حدده ورققه . وأباده أهلكه . والأرومة الأصل . والضمير فى أرومتها للخزرجية . وفى « ذووها » للمرهفات — يقول : أيدنا أصول هذه القبيلة بسيوفنا المرهفات . ونزل التضاد منزلة التناسب ، فشبه الاساءة إلى الخزرجية صباحاً بالاحسان إليهم ، وتقديم الصبوح لهم ، بجامع إدخال السرور على النفس فى كل ، وإن كان ادعائيا فى المشبه ، ثم استعار لفظ المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية العنادية التهكمية ، ثم اشتق من الصبوح بمعنى الضرب بالمرهفات «صبح» بمعنى ضرب بها على سبيل الاستعارة التبعية .

(٢) الجفن غطاء العين وغلاف السيف استعير لأكمام الزهر بجامع التغطية فى كل ، وكنى بسريان النوم فيها عن ذبولها ، وإيقاظ مصدر أيقظ ، مستعار لتفتيح الزهر وإيجاد النضرة والبهجة فيه . وقد حسن التعبير بالايقاظ مجيئه بعد النوم والأجفان . والمعنى : تهب الرياح على بساتين الحزن فتكسوها تفتيحا وحسنا ونضارة .

(٣) قوله بعذاب : قرينة على أن « بشر » مستعار ، لأن التبشير إخبار بما يسر فلا يناسب تعلقه بالعذاب ، وقوله : « بما تؤمر » كذلك لأنه معنوى والصدع للمحسوس ، ثم أن الحق معنوى أيضاً ، فكل منها كان صارفا عن المعنى الأصلى للفعل إلى المعنى المجازى .

ذلك، نحو: «قالوا يا ويلنا مَنْ بعثنا منْ مَرْقدنا[١]» إذ القرينة فى هذه الآية، كونه من كلام الموتى، مع قوله: «هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون»

التنبيه العاشر — استعارة الحَرف[٢] نحو: (فالتقطه آلُ فرعونَ ليكون لهم عدوًّا وحَزَنًا) فقد شبّه مُطلق ترتُّب علّة واقعية على فعل، [٣] بمُطلق ترتُّب علّة غائية على فعل[٥]، بجامع مطلق التّرتّب فى كلّ[٤]، فسرى التشبيه من الكليين إلى الجزئيات، ثم استُعمِلَ فى جُزئى المشبه[٦] (اللامُ) الموضوعة لجزئى المشبه به[٧] على سبيل الاستعارة التّبعية، ونحو:

---

(١) هذا على أن مرقد اسم مكان، وإلا فالاستعارة أصلية كما تقدم.

(٢) إيضاح: مثل الابتداء والظرفية والاستعارة معان كلية، يصح أن تكون مستقلة بالفهم، يحكم بها وعليها، وتكون مقصودة لذاتها، ولكن الابتداء المفهوم من لفظ «من» ابتداء مخصوص لم يقصد لذاته، بل الغرض منه الربط بين معنيين مستقلين بالفهم: هما السير والبصرة فى قولك: سرت من البصرة ولذا كان جزئيا بالنسبة للابتداء الأول، وما قيل فى الابتداء يقال نظيره فى الظرفية والعلة الغائية والاستعلاء، وغيرها من المعانى التى تستفاد من الحروف نحو: فى، واللام، وعلى

فأى معنى يستفاد من الحرف فى جملة ما، يعتبر جزئيا من كليه، غير مقصود لذاته، بل للربط بين معنيين مستقلين، وتعتبر الحروف حينئذ روابط بين المعانى المقصودة.

(٣) العداوة والحزن علة واقعية للالتقاط.

(٤) العلة الغائية لفعل هى التى تحمل على تحصيله لتحصل بعد حصوله كتبنى فرعون لموسى، ومحبة موسى إياه، لأن فرعون وآله إنما كفلوه بعد التقاطه لذلك.

(٥) إلا أن الترتب فى الغائية (رجائى أو تقديرى) وفى العداوة والحزن (واقعى)

(٦) جزئى المشبه هنا هو ترتب العداوة والحزن الخاصين المتعلقين (بموسى)

(٧) جزئى المشبه به هنا هو ترتب علة الالتقاط الخاصة: وهى تبنى موسى والمحبة، لأنهما متقدمان على كفالته بعد الالتقاط، ومرتبان عليه فى الخارج.

قوله تعالى (وَلَأُصَلِّبَنَّكم فى جذوع النَّخْل[١]) ، ونحو : قوله تعالى (أولئك على هدى من ربهم[٢]) . ونحو : (زيد فى نعمة[٣]) .

ومن هذه الأمثلة السابقة : تتبيّن أنه لا يُشترط أن يكون للمشبه حرف موضوع له يدل عليه

واختار (السّكاكىّ) تقليلا لأقسام الاستعارة : أن يُستغنى عن التبعَية فى الفعل ، والمشتق ، والحرف ؛ بأن يجعل قرينة التَّبعية ، استعارة مكنية ، وأن يجعل التبعية ، قرينة للمكنية ؛ فى قوله تعالى : (إنّا لمّا طغى الماءُ حملنا كم فى الجارية) يجعل القوم الطُّغيان مُسْتعاراً للكثرة المفسدة

ويقول (السكاكى) فى لفظ (الماء) استعارة مكنية ، ونسبة الطغيان إليه قرينة

المبحث الثامن

فى تقسيم الاستعارة المصرّحة باعتبار الطرفين إلى عنادية ووفاقيّة

---

(١) شبه مطلق ارتباط بين مستعل ومستعلى عليه ، بمطلق ارتباط بين ظرف ومظروف ، بجامع التمكن ، أو مطلق الارتباط فى كل ، فسرى التشبيه من الكليين إلى الجزئيات . فاستعير لفظ « فى » من جزئيات المشبه به ، لجزئى من جزئيات المشبه استعارة تبعية .

(٢) شبه مطلق ارتباط بين مهدى وهدى ، بمطلق ارتباط بين مستعل ومستعلى عليه ، بجامع مطلق الارتباط فى كل ، فسرى التشبيه من الكليين إلى الجزئيات ، فاستعير لفظ « على » من جزئيات المشبه به ، لجزئى المشبه ، استعارة تبعية .

(٣) شبه مطلق ملابسة الانسان للنعمة ، بمطلق ملابسة بين ظرف ومظروف بجامع مطلق الملابسة فى كل ، فسرى التشبيه من الكليين إلى الجزئيات ، فاستعير لفظ « فى » من جزئيات المشبه به ، لجزئى من جزئيات المشبه ، استعارة تبعية .

فالعِنادية — هى التى لا يمكن اجتماع طرفيها فى شىء واحد، لتنافيهما كاجتماع النُّور والظَّلام

والوِفاقيّة — هى التى يُمكن اجتماع طَرفيها فى شىء واحد، لعدم التّنافِي — كاجتماع النُّور والهُدى

ومثالهما قوله تعالى (أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتاً فأَحْيَيْنَاهُ) أى ضالاً فهديناه ففى هذه الآية استعارتان

الأولى — فى قوله «مَيْتاً» شبّه الضّلال، بالموت، بجامع ترتُّب نَفى الانتفاع فى كلّ، واستُعير الموت للضّلال، واشتُقّ من الموت بمعنى الضلال، مَيْتاً بمعنى ضالاً، وهى عنادية، لأنه لا يُمكن اجتماع الموت والضلاَل فى شىء واحد

والثانية — استعارة الإحياء، للهداية، وهى (وفاقيّة) لامكان اجتماع الإحياء والهداية فى الله تعالى، فهو مُحيٍ وهادٍ

ثم العِناديّة — قد تكون تمليحية. أى المقصود منها التّمْليح والظّرافة وقد تكون تَهكُّمية — أى المقصود منها التَّهكُّم والاستهزاء، بأن يُستعمل اللّفظ الموضوع لمعنى شريف، على ضدّه أو نقيضه، نحو رأيت أسداً تُريد جباناً، قاصداً التّمليح والظّرافة، أو التهكُم والسّخرية: وهما اللّتان نُزّل فيهما التّضاد، منزلة التّناسُب، نحو: (فَبَشِّرْهم بعذاب أليم) أى (أنذِرهم) فاستُعيرت البشارة التى هى الخبر السّار، للإنذار الذى هو ضدُّه بادخال الإنذار فى جنس البشارة، على سبيل التّهكم والاستهزاء

وكقوله تعالى (فاهدوهم إلى صراط الجحيم)

المبحث التاسع

فى تقسيم الاستعارة باعتبار الجامع

الإستعارةُ المُصرَّحة باعتبار (الجامع) نوعان(١)

(١) الجامع فى الاستعارة: بمثابة (وجه الشبه) فى التشبيه، وهو ما قصد اشتراك الطرفين فيه، وسمى جامعاً لأنه جمع المشبه فى أفراد المشبه به تحت مفهومه وأدخله فى جنسه ادعاء. ولابد أن يكون فى المستعار منه أقوى، لأن الاستعارة مبنية على المبالغة فى التشبيه، والمبالغة فيه توجب ابلاغ المشبه لما هو أكمل

وينقسم الجامع » إلى داخل وخارج — فالأول — ما كان داخلا فى مفهوم الطرفين، نحو قوله تعالى « وقطعناهم فى الأرض أمماً » فاستعير التقطيع الموضوع لازالة الاتصال بين الأجسام الملتصق بعضها ببعض. لتفريق الجماعة، وإبعاد بعضها عن بعض. والجامع إزالة الاجتماع. وهى داخلة فى مفهومها. وهى فى القطع أشد والثانى. وهو ما كان خارجا عن مفهوم الطرفين، نحو: رأيت أسداً

أى رجلا شجاعا، فالجامع وهي الشجاعة أمر عارض للاسد، لاداخل فى مفهومه.

وينقسم الجامع أيضا باعتباره، وباعتبار الطرفين، إلى ستة أقسام — لأن الطرفين إما حسيان وإما عقليان (أو المستعار منه حسى والمستعار له عقلى أو بالعكس) والجامع فى الأول من الصور الأربع تارة يكون حسيا وتارة يكون عقليا وأخرى مختلفا، وفى الثلاث الأخيرة لايكون إلا عقليا

مثال ما إذا كان الطرفان حسيين والجامع كذلك قوله تعالى (فأخرج لهم عجلا جسداً له خوار) فان المستعار منه ولد البقرة، والمستعار له الحيوان المصوغ من (حلى القبط) بعد سبكها بنار السامرى، وإلقاء التراب المأخوذ من أثر فرس جبريل عليه السلام، والجامع لهما الشكل والخوار، فانه كان على شكل ولد البقر، مما يدرك بحاسة البصر « وبحث بعضهم بأن ابدال جسداً من عجلا يمنع الاستعارة »

ومثال ما إذا كان الطرفان حسيين، والجامع عقلى — قوله تعالى (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون) أى نكشف ونزيل الضوء من مكان الليل، وموضع=

(١) عاميّة — وهى القَريبَة المُبتذلة التى لا كَثْها الألسُن. فلاتحتاج إلى بَحث: ويكون الجامعُ فيها ظاهراً، نحو: رأيت أسداً يَرمى

= ظلمته، فان المستعار منه أعنى السلخ وهو كشط الجلد وإزالته عن الشاة ونحوها والمستعار له: إزالة الضوء عن مكان الليل وموضع ظلمته: وهما حسيان

والجامع لهما ما يعقل من ترتب أمر على آخر بحصوله عقبه، كترتب ظهور اللحم على السلخ والكشط، وترتب حصول الظلمة على ازالة ضوء النهار عن مكان ظلمة الليل. والترتب عقلى — واجراء الاستعارة — شبه كشف الضوء عن الليل، بكشط الجلد عن نحو الشاة. بجامع ترتب ظهور شىء على شىء فى كل، واستعير لفظ المشبه به وهو «السلخ» للمشبه، وهو كشف الضوء، واشتق منه «نسلخ» بمعنى نكشف، على طريق الاستعارة التصريحية التبعية. ومثال ما إذا كان الطرفان حسيين، والجامع بعضه حسى، وبعضه عقلى. قولك رأيت بدراً يضحك — تريد شخصاً مثل «البدر» فى حسن الطلعة وعلو القدر. فحسن الطلعة حسى. وعلو القدر عقلى — ومثال ما إذا كان الطرفان عقليين ولا يكون الجامع فيهما إلا عقلياً، كباقى الاقسام. قوله تعالى (من بعثنا من مرقدنا) فان المستعار منه « الرقاد أى النوم. والمستعار له الموت والجامع بينهما عدم ظهور الأفعال الاختيارية، (والجميع عقلى) — واجراء الاستعارة: شبه الموت بالنوم، بجامع عدم ظهور الفعل فى كل، واستعير لفظ المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية — وقال بعضهم عدم ظهور الفعل فى الموت أقوى. وشرط الجامع أن يكون فى المستعار منه أقوى، فليجعل الجامع هو «البعث» الذى هو فى النوم أظهر، وقرينة الاستعارة أن هذا الكلام كلام الموتى، مع قوله «هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون» وعلى هذا يقال: شبه الموت بالرقاد، بجامع عدم ظهور الفعل فى كل. واستعير الرقاد للموت واشتق منه «مرقد» اسم مكان الرقاد بمعنى قبر اسم مكان الموت، على طريق الاستعارة التصريحية التبعية — ومثال ما إذا كان المستعار منه حسيا. والمستعار له عقليا. قوله تعالى (فاصدع بما تؤمر) فان المستعار منه كسر الزجاجة، وهو أمر حسى، باعتبار متعلقه، والمستعار له التبليغ جهراً والجامع التأثير الذى لا يمكن معه رد كل منهما الى ما كان عليه، أى أظهر الأمر إظهاراً لا ينمحى — كما أن صدع الزجاجة لا يلتئم =

وكقوله: وأدهمَ يَستَمِدّ الليـل منـه   وتطلع بين عينيه الثُّريّا

فقد استعار الثريا، لغُرّة المُهر، والجامع بين الطرفين ظاهر، وهو البياض

وقد يُتصرَّف فى العامية بما يُخرجها إلى الغرابة

= واجراء الاستعارة: شبه التبليغ جهراً بكسر الزجاجة، بجامع التأثير الشديد فى كل واستعير المشبه به وهو «الصدع» للمشبه وهو التبليغ جهراً — واشتق منه إصدع بمعنى بلغ جهراً. على طريق الاستعارة التصريحية التبعية — ومثال ما إذا كان المستعار منه عقليا. والمستعار له حسيا. قوله تعالى (إنا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية) فان المستعار له كثرة الماء كثرة مفسدة وهى حسية، والمستعار منه التكبر، والجامع الاستعلاء المفرط، وهما عقليان. واجراء الاستعارة، شبهت كثرة الماء المفرطة، بمعنى الطغيان. وهو مجاوزة الحد، بجامع الاستعلاء المفرط فى كل. واستعير لفظ المشبه به، وهو الطغيان للمشبه وهو الكثرة المفرطة. واشتق منه طغى بمعنى كثر كثرة مفرطة. على طريق الاستعارة التصريحية التبعية.

«تنبيه» الاستعارة المكنية تنقسم أيضا الى أصلية، والى تبعية. والى مرشحة والى مجردة. والى مطلقة. كما انقسمت التصريحية الى مثل ذلك.

فالمكنية الاصلية — هى ما كان المستعار فيها اسما غير مشتق، كالسبع المتقدم

والتبعية — هى ما كان المستعار فيها اسما مشتقا، فلا تكون فى الفعل ولا فى الحرف ومثالها فى الاسم المشتق — يعجبنى إراقة الضارب دم الظالم. فقد شبه الضرب الشديد بالقتل، بجامع الايذاء فى كل، واستعير القتل للضرب الشديد، ثم حذف ورمز اليه بشىء من لوازمه، وهو الاراقة، على طريق الاستعارة المكنية التبعية — فالاستعارة التخييلية عند الجمهور: هى نفس اثبات اللازم المستعمل فى حقيقته — وهى من المجاز العقلى، وإنما سميت استعارة: لانه استعير ذلك الاثبات من المشبه به، للمشبه. وسميت تخييلية لان اثباته للمشبه خيل اتحاده مع المشبه به، فقولنا أظفار المنية نشبت بفلان فلفظ «أظفار» فى هذا التركيب مستعمل فى حقيقته «وانما التجوز فى اثباته للمنية» أى أن ذلك الأثبات إثبات الشىء الى غير ما هو له — فعند الجمهور: التخييلية لا تفارق المكنية. لأنها قرينتها.

=

(٢) وخاصية — وهى الغريبة التى يكون الجامع فيها غامضاً، لا يُدركه إلا أصحاب المَدارك (من الخواص) — كقول كثير يمدح عبد العزيز بن مروان

غَمْرُ الرِّداء إذا تبسَّم ضاحكاً غَلِقتْ لِضحكته رقابُ المال

غَمرُ الرِّداء «كثير العطايا والمعروف» استعار الرِّداء للمعروف: لأنه يصون ويستر عرض صاحبه، كستر الرِّداء ما يُلقَى عليه. وأضاف إليه الغَمر، وهو القرينة على عدم إرادة معنى الثّوب: لأنّ الغَمر من صفات المال، لا من صفات الثّوب

= والاستعارة المكنية المرشحة — هى ماقرنت بما يلائم المشبه فقط، نحو — نطق لسان الحال بكذا — شبهت «الحال» بمعنى الانسان واستعير لفظ المشبه به، للمشبه وحذف ورمز اليه بشىء من لوازمه وهو «لسان» واثبات اللسان للحال تخييل، وهو القرينة، والنطق ترشيح. لأنه يلائم المشبه به فقط.

وترشيح المكنية فيه خلاف مبسوط فى المطولات.

والمكنية المجردة — هى ما قرنت بما يلائم المشبه فقط، — نحو: نطقت الحال الواضحة بكذا — فالوضوح تجريد، لأنه يلائم المشبه الذى هو انسان فقط.

والمكنية المطلقة — هى التى لم تقترن بشىء يلائم المشبه ولا المشبه به — أو قرنت بما يلائمهما معاً — نحو نطقت الحال بكذا — ونطق لسان الحال الواضحة بكذا ففى الأول — شبهت الحال بانسان واستعير لها اسمه، وحذف ورمز إليه بشىء من لوازمه وهو النطق، واثبات النطق للحال تخييل. وهى مجردة لأنها لم تقترن بشىء يلائمها وفى الثانى — شبهت الحال بانسان واستعير له اسمه، وحذف ورمز اليه بشىء من لوازمه وهو «لسان» واثباته للحال تخييل، وهو القرينة، والنطق ترشيح، لأنه يلائم المشبه به، والوضوح تجريد، لأنه يلائم المشبه — ولما تعارضا سقطا

وتنقسم المكنية أيضا إلى عنادية — نحو — أنشبت المنية أظفارها بفلان — لأنه لا يمكن اجتماع طرفيها فى شىء واحد (يكون منية وسبعا)

ووفاقية — نحو نطقت الحال بكذا — لأنه يمكن اجتماع طرفيها فى شىء واحد، كالحال مع الانسان

وهذه الاستعارة : لا يَظفرُ باقتطاف ثمارها إلاّ ذَوُوا الفِطَرِ السَّلِيمة والخبرة التَّامة

المبحث العاشر

في تقسيم الاستعارة باعتبار مايتَّصل بها من المُلاءمات ، وَعدم اتّصالها

تَنقسم الاستعارة : باعتْبار ذكر « مُلائم المُسْتعار منه » أو باعتبار ذكر ملائم المستعار له » أو باعتبار عدم اقترانها بما يلائم أَحدهما إلى ثلاثة أقسام: مُطْلَقة ، ومُرَشّحَة ، ومُجرّدة

(ا) فالمُطلقة : هي التي لم تَقترن بما يلائم المشبه والمشبه به ، نحو (ينْقضُونَ عَهْدَ الله) أو ذُكر فيها ملاءَمها معاً — كقول زُهير

لدى أسدٍ شاكي السّلاَح مُقذّف ‏ ‏ ‏ له لِبَـــدٌ أظفارُه لم تُقَلَّم

استعار الأسد : للرجل الشجاع ،وقد ذكر مايناسب المستعار له ، في قوله « شاكي السّلاح مُقذّف » وهو التّجْريد ، ثم ذكر مايناسب المستعار منه ، في قوله « له لِبَدٌ أظفاره لم تُقلّم » وهو التّرْشيح ، واجتماع التّجريد والتّرْشيح يُؤدّي إلى تَعارُضِهما وسقوطِهما . فكأنّ الاستعارة لم تقترن بشيء — وتكون في رُتبة (المُطلقة)

« ب » والمُرَشَّحَة — هي التي قرنَت بملائم المُسْتعار منه « أي المشبه به » نحو :(أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ) استُعيرَ الشراء للاستبدال والاختيار . ثم فرّعَ عليها ما يلائم المستعار منه (من الرّبح والتّجارة) ، ونحو : مَن باع دينه بدُنياه لم تَربح تِجارته

« وَسُمّيَتْ مُرشحة : لتَرْشيحها وتقويتها بذكر المُلائم »

وترشيح الاستعارة التّصريحية متّفق عليه

« ج » والمُجَرّدة — هى التى قُرِنت بملائم المستعار له « أى المشبه »
نحو : اشترِ بالمعروف عِرَضك من الأذى

«وسُمِّيتْ بذلك: لتجريدها عن بعض المبالغة، لبُعد المشبه حينئذ عن المشبه به بعضَ بُعدٍ» وذلك يُبعدُ دعوَى الاتحاد الذى هو مَبنَى الاستعارة»

ثم اعتبار التّرشيح والتّجريد : إنما يكون بعد تمام الاستعارة بقرينتها سواء أكانت القرينةُ مقاليّةً أم حاليّةً — فلا تُعدّ قرينةُ المُصرحة تجريداً ولا قرينةُ المكنيّة ترشيحاً — بل الزائد على ما ذُكر

واعلم : أنّ التّرشيح أبلغ من غيره ، لاشتماله على تحقيق المُبالغة بتَناسى التّشبيه ، وادّعاءِ أن المُستعار له هو نفس المستعار منه « لا شىء شبيهٌ به » وكأنّ الاستعارةَ غير موجودة أصلا ، والإطلاق أبلغ من التّجريد فالتّجريد أضعف الجميع ، لأنَّ به تَضعُف دَعوى الاتحاد

وإذا اجتمع ترشيحٌ وتجريدٌ : فتكون الاستعارة فى رُتبة المُطلقَة . إذْ بتعارُضها يتساقطان ، كما سبق تفصيله

وكما يجرى هذا التّقسيم فى (التّصريحيّة) يجرى أيضاً فى (المكنيّة)

المبحث الحادى عشر

فى المجاز المُرْسل المُركب

المجاز المُرْسل المُركب : هو الكلام المُستعمل فى غير المعنى الذى وُضع له ، لعلاقة غير المُشَابهة : مع قَرِينة مانعة من إرادة معناه الوَضعِى

ويقع أولاً: في المُركبات الخبرية المُستعملة في الإنشاء وعكسه، لأغراض

(١) منها — التحسُّر وإظهار التأسف — كما في قول الشاعر

ذَهَبَ الصِّبَا وتولّت الأيامُ فعلى الصِّبا وعلى الزمان سَلامُ

فإنه وإن كان خبراً في أصل وضعه، إلا أنه في هذا المقام مُستعملٌ في إنشاء التحسر والتحزُّن على ما فات من الشباب

وكما في قول جعفر ابن عُلبة الحارثي

هوايَ مع الركب اليمانين مُصْعِدٌ جنيبٌ وجُثماني بمكّة مُوثقُ

فهو يُشير إلى الأسف والحُزن الذي ألمَّ به من فراق الأحبة، ويتحسرُ على ما آل إليه أمرُه، والقرينة على ذلك حال المتكلّم، كما يُفهم من الشطر الثاني في قوله (هوايَ — الخ)

(٢) ومنها — إظهار الضعف — كما في قوله

ربِّ: إنّي لا أستطيعُ اصطِباراً فاعفُ عنّي يا مَنْ يقبلُ العثارا

(٣) ومنها — إظهارُ السُّرور، نحو: كُتِبَ اسمي بين النَّاجحين.

(٤) ومنها — الدُّعاء — نحو: نَجَّحَ الله مقاصدنا — أيُّها الوطن لك البقاء

وثانياً: في المُركبات الانشائية: كالأمر. والنهي. والاستفهام. التي خرجت عن معانيها الأصلية، واستعملت في معان أُخر: كما في قول المصطفى عليه الصلاة والسلام

« مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النار »

إذ المرادُ « يتبوَّأُ مقعدهُ » والعلاقة في هذا (السَّببيَّة والمُسَبَّبيَّة) لأن إنشاء المتكلم للعبارة سبب لاخباره بما تَتَضَمَّنُهُ، فظاهره أمرٌ، ومعناه خبر

المبحث الثانى عشر

فى المجاز المركب[1] بالاستعارة التَّمثيلية

المجاز المُركب بالاستعارة التَّمثيلية: هو تركيب استُعْمِلَ فى غير ما وُضع له، لعلَاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة معناه الوضعى، بحيث يكون كل من المشبه والمشبه به هيأة مُنتزعة من متعدِّد — وذلك بأن تُشَبَّه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين. أو أمور (بأخرى). ثم تُدْخل المشبه فى الصُورة المشبه بها. مبالغة فى التشبيه — ويُسَمَّى بالاستعارة التَّمثيلية[2] وهى كثيرة الورود فى الأمثال السائرة، نحو: الصيفَ ضَيَّعَتِ اللّبنَ — يُضرب لمن فرَّط فى تحصيل أمرٍ فى زمن يمكنه الحصول عليه فيه، ثم طلبه فى زمن لا يُمكنه الحصول عليه[3] فيه، ونحو: (إنى أراك تُقَدِّم رِجْلاً وتُؤخِّر

(١) المجاز المركب: هو تركيب استعمل فى مايشبه بمعناه الأصلى (تشبيه التمثيل)

(٢) سميت تمثيلية مع أن التمثيل عام فى كل استعارة، للاشارة إلى عظم شأنها كأن غيرها ليس فيه تمثيل أصلا — إذ الاستعارة التمثيلية مبينة على تشبيه التمثيل. ووجه الشبه فيه هيئة منتزعة من متعدد — لهذا كان أدق أنواع التشبيه. وكانت الاستعارة المبنية عليه أبلغ أنواع الاستعارات — ولذلك كان كل من تشبيه التمثيل، والاستعارة التمثيلية غرض البلغاء

(٣) أصل المثل: أن امرأة كانت متزوجة بشيخ غنى، فطلبت طلاقها منه فى زمن الصيف لضعفه — فطلقها وتزوجت بشاب فقير. ثم طلبت من مطلقها لبناوقت الشتاء فقال لها ذلك المثل — واجراء الاستعارة فى المثل الأول، أن يقال: شبهت هيئة من فرط فى أمر زمن امكان تحصيله، بهيئة المرأة التى طلقت من الشيخ اللابن، ثم رجعت إليه، تطلب منه اللبن شتاء، بجامع التفريط فى كل. واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه، على طريق الاستعارة التمثيلية

=

اخرى) يُضرب لمن يتردّد فى أمر ، فتارة يَقدِم ، وتارة يَحجم ، ونحو: (أحَشفاً وسُوء كِيلَةٍ) يُضرب لمن يَظلم من وجهين - وأصله أنّ رجلا اشترى تَمراً من آخر) فاذا هو رَدىءٌ ، وناقص الكيل . فقال المشترى ذلك — ومِثل ماتقدَّم جميعُ الأمثال السائرة (نثراً و نَظماً)

فمن النثر قولهم : لِمَنْ يحتالُ على حصول أمر خفى ، وهو مُتستِّر تحت أمر ظاهر « لِأمرٍ ما جدَعَ قَصِيرٌ أَنفَه » وقولهم : « تجوع الحُرَّة ولا تأ كل بثَدْيَيها » ، وقولهم : لمن يُريد أن يعملَ عملا وحده وهو عاجز عنه « اليَدُ لا تصفقِّ وحدَها » وقولهم : لمُجاهد عاد إلى وطنه بعد سفر « عاد السيَّف إلى قِرابه ، وحلّ الليّث مَنِيعَ غابهِ » وقولهم لمن يأتى

= وإجراء الاستعارة فى المثل الثانى ، أن يقال : شبهت هيئة من يتردد فى أمر بين أن يفعله وألا يفعله ، بهيئة من يتردد فى الدخول ، فتارة يقدم رجله ، وتارة يؤخرها بجامع الحيرة فى كل . واستعير الكلام الموضوع المشبه به للمشبه ، على طريق الاستعارة التمثيلية

واجراء الاستعارة فى المثل الثالث ، شبهت هيئة من يظلم من وجهين ، بهيئة رجل باع آخر تمراً رديئاً وناقص الكيل ، بجامع الظلم من وجهين فى كل . واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه ، على طريق الاستعارة التمثيلية

واجراء الاستعارة فى المثل الرابع ، شبهت هيئة الرجل المتستر تحت أمر ليحصل على أمر خفى يريده — بهيئة الرجل المسمى (قصيراً) حين جدع أنفه ليأخذ بثأر (جذيمة) من (الزباء) بجامع الاحتيال فى كل . واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه ، على طريق الاستعارة التمثيلية .

واجراء الاستعارة فى المثل الخامس ، أن يقال شبهت هيئة رجل كريم الأصل عزيز النفس ، الذى لايفضل الدنايا على الرزايا عند ماتزل به القدم . بهيئة المرأة التى تفضل جوعها على إجارتها للارضاع عند فقرها بجامع ترجيح الضرر على النفع فى كل ، واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه ، على طريق الاستعارة التمثيلية . =

بالقول الفصل (قَطَعَتْ جهيزَةُ قَوْلَ كلِّ خَطِيبٍ)(١)

ومن الشِّعر قول الشاعر :

إذَا جاء موسى وألقَى العصا　　فقد بطل السّحر والسّاحرُ

إذا قالت حَذامِ فصَدِّقوها　　فانّ القولَ ما قالت حَذامِ

متَى يَبلُغ البُنيانُ يوماً تمَامَهُ　　إذا كنتَ تَبنيهِ وغيرُكَ يَهدِمُ (٢)

= واجراء الاستعارة فى المثل السادس ، شبهت هيئة من يريد أن يعمل عملا وحده وهو عاجز عنه ، بهيئة من يريد أن يصفق بيد واحدة . بجامع العجز فى كل . واستعير الكلام الموضوع للمشبه به ، للمشبه ، على سبيل الاستعارة التمثيلية .

واجراء الاستعارة فى المثل السابع ، شبهت هيئة الرجل الذى يحصل بوجوده فصل المشكلات . بهيئة نبى الله موسى عليه السلام ، مع سحرة فرعون ، بجامع حسم النزاع فى كل . واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية

واجراء الاستعارة فى المثل الثامن ، شبهت هيئة الرجل الذى لايقول إلا الحق ولا يخبر إلا بالصدق ، بهيئة المرأة المسماة « حذام » بجامع الصدق فى كل . واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه ، على طريق الاستعارة التمثيلية

(١) أصل هذا المثل : أن قوماً اجتمعوا للتشاور فى الصلح بين حيين من العرب قتل رجل من أحدهما رجلا من الآخر ، وبينما خطباؤهم يتكلمون ، إذا بجارية تدعى (جهيزة) أقبلت فأخبرتهم أن أولياء المقتول ظفروا بالقاتل ، فقتلوه ، فقال أحدهم (قطعت جهيزة قول كل خطيب) فذهب قوله مثلا .

(٢) واجراء الاستعارة فى المثل التاسع : شبهت حال المصلح يبدأ الاصلاح ثم يأتى غيره فيبطل عمله ، بحال البنيان ينهض به حتى إذا أوشك أن يتم جاء من يهدمه ، والجامع هو الحالة الحاصلة من عدم الوصول الى الغاية ، لوجود ما يفسد على المصلح اصلاحه ، ثم حذف المشبه ، واستعير التركيب الدال على المشبه به للمشبه

وإذا فَشتْ وشاعَتْ الاستعارة التّمثيلية[١] وكثُر استعمالها تكون

(١) الأمثال[١] : هى عبارات موجزة مأثورة ، يشبه الناس بها جديد أحوالهم بقديمها — وهى نوعان : حقيقية . وفرضية

فالحقيقية — هى ما حدث موردها فى الوجود

والفرضية ، مالم يحدث موردها فى الوجود وانما اخترعت على لسان حيوان أو غيره .

ولكل مثل (مورد) وهو الحالة القديمة التى قيل فيها لأول مرة

ولكل مثل (مضرب) وهو الحالة الجديدة التى استعير لها

وكما تكون الأمثال نثراً تكون شعراً — وتضرب كما وردت دون تغيير فى لفظها .

(١) للامثال الحقيقية أسباب ونتائج ، تفيد المجتمع الانسانى

منها — كونها مرآة صقيلة للمواعظ والعبر

ومنها — كونها مقياساً لرقى الأمة ولسان أخلاقها

ومنها — ربط الماضى بالحاضر

ومنها — كونها مجموعة نفيسة من السلف الى الخلف

أما الأمثال الفرضية فهى عظة للعاقل ومسلاة للجاهل

وأشهر الكتب الجامعة للأمثال

كتاب مجمع الأمثال — للميدانى

« جمهرة الأمثال — لأبى هلال العسكرى

« العقد الفريد — لابن عبد ربه

كتاب كليلة ودمنه — لابن المقفع — وغيرهم

ولا يسمى القول مثلا الا إذا سار وذاع بين الناس جميعاً

ومما تقدم شرحه فى تشبيه التمثيل ، والاستعارة التمثيلية ، يعلم الفرق بين كل منهما فى الجدول الآتى للموازنة بينهما

=

مَثَلاً(١) لا يُغيَّر مُطلقاً، بحيثُ يُخاطَب به المفرد، والمُذكر، وفروعهما، بلفظ واحد من غير تَغيير ولا تَبديلٍ عن مَورده الأول، وإن لم يُطابق المضروب له =

تشبيه التمثيل	الاستعارة التمثيلية
١ — تشبيه التمثيل يذكر فيه المشبه، والأداة	١ — الاستعارة التمثيلية لا تكون الا فى التراكيب
٢ — تشبيه التمثيل يجوز أن يكون بين مفردين. مثل: المنافق كالحرباء	٢ — الاستعارة التمثيلية نوع من المجاز فهى لذلك أبلغ منه
٣ — تشبيه التمثيل لا يصلح استعارة دون حذف	٣ — الاستعارة التمثيلية تحتاج الى قرينة تمنع من ارادة المعنى الأصلى
٤ — تشبيه التمثيل لا يحتاج الى قرينة معه تدل على حقيقته	٤ — الاستعارة التمثيلية يحذف منها المشبه والأداة. ولا يبقى فيها من أركان التشبيه الا ما كان مشبها به فقط
٥ — تشبيه التمثيل نوع من الحقيقة	٥ — الاستعارة التمثيلية تصلح مشبها به دون حذف. والتشبيه معها أكثر ما يكون غير تمثيل

(١) وتنقسم التمثيلية إلى قسمين تحقيقية وتخييلية — فالتحقيقية هي المنتزعة من عدة أمور متحققة موجودة خارجا — كما فى الأمثلة السابقة — والتخييلية هى المنتزعة من عدة أمور متخيلة مفروضة لا تحقق لها فى الخارج ولا فى الذهن. وتسمى الأولى «تمثيلية تحقيقية» والثانية «تمثيلية تخييلية» كقوله تعالى (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها) الآية على احتمال فيها فانه لم يحصل عرض وإباء واشفاق منها حقيقة، بل هذا تصوير وتمثيل. بأن يفرض تشبيه حال التكاليف فى ثقل حملها وصعوبة الوفاء بها، بحال أنها عرضت على هذه الأشياء، مع كبر أجرامها، وقوة متانتها، فامتنعن وخفن من حملها، بجامع عدم تحقق =

ولذا: كانت هذه الاستعارة محطَّ أنظار البُلغاء. لا يَعدِلُون بها الى غيرها إلا عند عدم إمكانها، فهى أبلغ أنواع المجاز مُفرداً أو مُركباً، إذ مَبناها تشبيه التّمثيل: الذى قد عَرفتَ أنّ وجهَ الشّبه فيه هيئةٌ مُنتزعة من أشياء مُتعدّدة

ومِن ثَمّ كانت هى والتّشبيه المبنيّة عليه غرض البُلغاء الذين يَتسامون اليه، ويتَفاوتون فى إصابته، حتى كثُرا فى القرآن الكريم كثرةً كانت إحْدَى الحُجَجِ على إعجازه

والاستعارة مَيْدَان فَسيح من مَيادين البلاغة، وهى أبلغ من التشبيه لأنها تَضعُ أمامَ المخاطب بدلا من المشبه صُورة جديدة تَملِك عليه مَشَاعره وتُذهِلُه عمّا يَنطوِى تحتها من التّشبيه، وعلى مقدار ما فى تلك الصورة من الرَّوعة، وسموّ الخيال، تكون البلاغة فى الاستعارة

وأبلغُ أنواع الاستعارة «المُرشّحة» لذكر ما يُناسب المستعار منه فيها، بناءً على الدّعْوى بأنّ المستعار له هو عين المُستعار منه

ثم تليها «المُطلقة» لترك ما يُناسب الطّرفين فيها، بناءً على دَعوَى التّساوِى بينهما

= الحمل فى كل، ثم استعير التركيب الدال على المشبه به، للمشبه استعارة تمثيلية، ونحو قوله تعالى (فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) فان معنى أمر السماء والارض بالاتيان وامتثالها أنه أراد تكوينهما فكانتا كما أراد. فالغرض تصوير تأثير قدرته فيهما وتأثرهما عنها - وتمثيل ذلك بحالة الآمر المطاع لهما واجابتهما له بالطاعة فرضاً وتخييلا من غير أن يتحقق شىء من الخطاب والجواب، هذا أحد وجهين فى الآيتين كما فى (الكشاف). فارجع اليه

ثم تليها « المُجرَّدة » لذكر ما يناسب المُستعار له فيها، بناء على تَشبيهه بالمستعار منه .

ولا بدّ فى الاستعارة، وفى التّمثيل على سبيل الاستعارة، من مُراعاة جهات حُسن التّشبيه ، كشُمول وجه الشَّبه للطرفين ، ومن كون التشبيه وافياً بإفادة الغرض، ومن عدم شَمّ رائحة التّشبيه لفظاً، ويجب أن يكون وجه الشبه بين الطرفين جَلِيًّا ، لئلا تصيرَ الاستعارة والتمثيلُ تعميةِ

أسئلة على الاستعارة يطلب أجوبتها

ماهى الاستعارة؟. ما أركانها ؟. كم قسما الاستعارة باعتبار ذكر الطرفين المشبه به والمشبه ؟ـ ما أصل الاستعارة ؟ . ـ ما هى الاستعارة التصريحية كم قسما الاستعارة التصريحية ؟ . ـ كم قسما الاستعارة باعتبار ذكر ملائم المستعار له . والمسْتعار منه ؟ ـ ماهى الاستعارة المرشحة ؟ـ ماهِى الاستعارة المجردة ؟ . ماهِى الاستعارة المطلقة ؟ . ـ كم قسما للاستعارة باعتبار إمكان اجتماع طرفيها فى شىء ؟ . — ما هى الاستعارة الوفاقية ؟ . ماهى الاستعارة العنادية ؟ . — كم قسما الاستعارة باعتبار الجامع ؟ . — ماهى العامية ؟ . ماهى الخاصية؟ . — ما هى التمليحية ؟ . — ما هى التهكمية ؟ . ما مثال الحسيين والجامع حسى ؟ . ما مثال الطرفين الحسيين والجامع عقلى ؟ . — ما مثال الطرفين العقليين والجامع عقلى ؟ . ما مثال المستعار منه الحسى والمستعار له العقلى ما مثال المستعار منه العقلى والمستعار له الحسى ؟. —ماهى الاستعارة بالكناية عند الجمهور ؟. — ماهى الاستعارة بالكناية عندالسكاكى ؟.—

ماهى الاستعارة بالكناية عند الخطيب ؟. — كم قسما للاستعارة بالكناية ؟. — ما هى المكنية الأصلية ؟. — ما هى المكنية التبعية ؟. — ماهى الاستعارة التخييلية عند الجمهور ؟ . — لم سميت استعارة ؟ لم سميت تخييلية ؟ . — ما هى الاستعارة المكنية المرشحة ؟. —ماهى الاستعارة المكنية المجردة ؟. — ما هى الاستعارة المكنية المطلقة ؟ . — كم قسما للمكنية باعتبار امكان اجتماع طرفيها فى شىء ؟ . — ما هى العنادية ؟ . — ما هى الوفاقية ؟ . — ما هو المجاز المركب ؟ . — ما هى الاستعارة التمثيلية ؟ . — ما هو المجاز المركب بالاستعارة ؟ . — ما هى محسنات الاستعارة

تمرين آخر على كيفية إجراء الاستعارات

(١) فسمونا والفجر يضحك فى الشّـ ـرق الينا مُبشراً بالصّباح[1]

(٢) عضّنـــا الدّهر بنَـــابه ليـــتَ ماحلَّ بنَـابه[2]

(٣) لسنا وانْ أحسابُنا كرُمتْ يوماً على الأحساب نتّكلُ[3]

---

(١) شبه الفجر بانسان يتبسم ، فتظهر أسنانه مضيئة لامعة — والقدر المشترك بينهما (البريق واللمعان) واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، ثم حذف المشبه وأشار اليه بشىء من لوازمه وهو الضحك — على طريق الاستعارة بالكناية ، واثبات الضحك استعارة تخييلية

(٢) شبه حوادث الدهر بالعض ، بجامع التأثير والايلام من كل — واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، واشتق من العض وهو المصدر ، عض بمعنى آلم على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ، وذكر الناب ترشيح

(٣) فى كلمة « على » استعارة تصريحية تبعية ، فقد شبه مطلق ارتباط بين حسيب وحسيب بمطلق ارتباط بين مستعل ومستعلى عليه ، بجامع التمكن والاستقرار فى كل ثم استعيرت « على » من جزئى من جزئيات الأول — لجزئى من جزئيات الثانى ، على سبيل الاستعارة التبعية التصريحية .

(٤) دَقّاتُ قلبِ المرءِ قائلةٌ له إنَّ الحيـاةَ دقائقٌ وثوانِ [١]

(٥) بكتْ لُـؤلؤاً رطباً ففاضت مدامِعي عَقيقاً فصار الكلُّ في نَحرها عِقداً [٢]

(٦) إنّ التّباعد لا يضرّ إذا تقاربت القلوب [٣]

(٧) ذم أعرابي رجلا فقال (يَقطع نهارَه بالمُنى ويتوسّدُ ذرَاعَ الهمّ إذا أمسَى) [٤]

(٨) قَوْمٌ إذا الشَّر أبدَى ناجذيْه لهم طاروا اليهِ زُرَافاتٍ ووحدَانا [٥]

---

(١) شبه الدلالة بالقول، بجامع ايضاح المراد في كل — واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، واشتق من القول بمعنى الدلالة (قائل) بمعنى دال، على طريق الاستعارة التصريحية التبعية — والقرينة نسبة القول إلى الدقات

(٢) شبه المتساقط من فيها (باللؤلؤ) بجامع البياض والتنسيق في كل — واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه — ثم شبه الدمع النازل من عينيه (بالعقيق) بجامع الحمرة، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه — والقرينة كلمتا بكت، وفاضت وذكر العقد ترشيح .

(٣) شبه التواد (بالتقارب) بجامع الألفة في كل منهما — ثم استعير التقارب للتواد، واشتق منه تقارب بمعنى تواد — والقرينة كلمة القلوب وهي استعارة مطلقة.

(٤) شبه المنى (بسكين قاطع) بجامع الاجهاز وانهاء المقطوع في كل، واستعار اللفظ الدال على المشبه، به للمشبه وحذفه ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو يقطع، على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية المطلقة، ويقطع استعارة تخييلية . وكذا شبه الهم (بانسان) واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، وحذفه ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو الذراع، على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية المرشحة والقرينة كلمة الذراع . ويتوسد ترشيح .

(٥) شبه الشر (بأسد متحفز للوثوب) فيكشر عن أنيابه، بجامع الاستعداد للهجوم في كل — واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، وحذفه ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو الناجذان على طريق الاستعارة المكنية المرشحة — والقرينة كلمة ناجذيه وكلمة أبدى ترشيح. ثم شبه مشيهم (بالطيران) بجامع السرعة في كل منهما — واستعار =

(٩) جاء الشتاء واجثألَّ القُبَّرُ وطلعت شمسٌ عليها مِغفرُ[١]

(١٠) سأبكيكَ للدُّنيا وللدِّين إن أبت يدُ المعرُوف بعدكَ شُلَّت[٢]

(١١) وَإنَّكَ لعَلَى خلقٍ عَظيمٍ[٣]

(١٢) سَقَاهُ الرَّدَى سَيْفٌ إذا سلَّ أو مَضتْ

إلَيْه ثَنَايَا الْموْتِ مِنْ كلِّ مَرْقَد[٤]

= اللفظ الدال على المشبه به للمشبه . واشتق من الطيران طار بمعنى أسرع ، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية المطلقة — والقرينة اسناد الطيران اليهم .

(١) شبه السحاب الذى يستر الشمس ، بالمغفر الذى يستر الرأس — بجامع الستر فى كل ، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، على سبيل الاستعارة التصريحية الاصلية المطلقة — والقرينة كلمة شمس

(٢) شبه المعروف . بانسان له يد تعطى — والجامع الاعطاء فى كل منهما وحذفه ورمز اليه بشىء من لوازمه وهو اليد على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية المرشحة ، والقرينة كلمة يد — وهى الاستعارة التخييلية ، وشلت ترشيح

(٣) شبه تمكنه عليه الصلاة والسلام من الهدى والأخلاق الشريفة والثبوت عليها (بتمكن من علا دابة يصرفها كيف شاء) . بجامع التمكن والاستقرار فى كل فسرى التشبيه من الكليين للجزئيات التى هى معانى الحروف ، فاستعير لفظ « على » الموضوع للاستعلاء الحسى للارتباط والاستعلاء المعنوى على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية

(٤) شبه لحاق الموت به (بالسقى) بجامع الوصول فى كل — واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، ثم اشتق من السقى سقى على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية والقرينة على ذلك نسبة السقى إلى الردى — وأيضاً قد شبه الموت بانسان له ثنايا يضحك منها فتلمع وتضىء — والجامع البريق واللمعان ، واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ثم حذفه ورمز اليه بشىء من لوازمه وهو الثنايا ، على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية المرشحة — والثنايا استعارة تخييلية — وأومض ترشيح

(١٣) سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ[١]

(١٤) إِنَّا لَنَرَاكَ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ[٢]

(١٥) فتًى كُلَّمَا فَاضَتْ عُيُونُ قَبِيلَةٍ
دمًا ضَحِكَتْ عَنْهُ الأَحادِيثُ والذِّكْرُ[٣]

بلاغة الاستعارة بجميع أنواعها

سبق لك أن بلاغة التشبيه آتية من ناحيتين ، الأولى: طريقة تأليف ألفاظه والثانية : ابتكار مشبه به بعيدٍ عن الأذهان . لا يجول إلَّا فى نفس أديب ، وهب الله له استعداداً سليما فى تَعرّف وجوهِ الشَّبَهِ الدقيقة بين الأشياء

---

(١) شبه القصد إلى الشيء والتوجه له ، بالفراغ والخلوص من الشواغل — بجامع الاهتمام فى كل . واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، ثم اشتق من الفراغ بمعنى الخلو : نفرغ — على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ، والقرينة حالية

(٢) فى كلمة «فى» استعارة تصريحية تبعية ، فقد شبهت «فى» التى تدل على الارتباط «بنى» التى تدل على الظرفية بجامع التمكن فى كل فسرى التشبيه من الكليين إلى الجزئيات فاستعيرت فى من الثانى للاول على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية — والقرينة على ذلك كلمة الضلال

(٣) شبه العيون بالنهر بجامع الصب الكثير فى كل منهما — واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ثم حذفه ورمز اليه بشيء من لوازمه وهو فاض، على سبيل الاستعارة الأصلية المكنية وفاض قرينتها وهى الاستعارة التخييلية ، وكذا شبه السرور والاريحية بالضحك بجامع ماتجده النفس عند كل من المسرة — واستعار اللفظ الدال على المشبه به للمشبه ، ثم اشتق من الضحك بمعنى السرور ضحك بمعنى سر — على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية .

وأودَعه قُدْرَةَ على ربط المعانى، وتوليد بعضها من بعض إلى مَدًى بعيدٍ لا يكاد ينتهى

(وسرُّ بلاغة الاستعارة) لا يتعدّى هاتين الناحيتين، فبلاغتها من ناحية اللفظ أنَّ تركيبها يدل على تناسى التشبيه، ويَحْمِلكَ عَمْداً على تَخَيُّلِ صورة جديدة تنسِيك رَوْعَتُهَا ما تضمنه الكلام من تشبيهٍ خفيٍّ مستور.

أنظر إلى قول البُحتُرى فى الفَتْحِ بن خاقان:

يَسْمُو بكَفّ عَلَى العَافِينَ حانية تَهمى وَطَرفٍ إلى العَلياءِ طمَّاح

ألست ترى كفّه: وقد تمثّلت فى صورة سحابة هتّانة، تَصبُّ وَبْلَها على العافين والسائلين، وأنَّ هذه الصورة قد تملَّكت عليك مشاعرك فأذهَلَتك عمّا اختبأ فى الكلام من تشبيه؟

وإذا سمعتَ قوله فى رثاء المتوكل وقد قُتِلَ غيلة:

صَرِيعٌ تَقَاضاهُ اللّيَالِى حشَاشَةً يَجُودُ بِهَا والْمَوْتُ حُمْرٌ أظَافِرُهْ[1]

فهل تستطيع أن تُبْعِد عن خيالك هذه الصُّورة المخيفة للموت، وهى صورة حيوان مفترس، ضُرِّجَتْ أظفارهُ بدماء قتلاه

لهذا كانت الاستعارة أبلغَ من (التشبيه البليغ) لأنه وان بُنى على ادعاء أن المشبهَ والمشبهَ به سواء، لا يزال فيه التشبيه مَنْوِيًّا ملحوظاً بخلاف (الاستعارة) فالتشبيه فيها منسى مجحود، ومن ذلك يظهر

---

(١) الصريع المطروح على الأرض، وتقاضاه أصله تتقاضاه بحذف إحدى التاءين وهو من قولهم: تقاضى الدائن دينه إذا قبضه، والحشاشة بقية الروح فى المريض والجريح — يصفه بأنه ملقى على الأرض يلفظ النفس الأخير من حياته

لك أن الاستعارة المرشحة أبلغ من الاستعارة المطلقة ، وأن الاستعارة المطلقة أبلغ من الاستعارة المجردة

أما بلاغة الاستعارة من حيث الابتكار ، وروعة الخيال ، وما تحدثه من أثر فى نفوس سامعيها ، فمجال فسيح للابداع ، وميدان لتسابق المجيدين من فرسان الكلام

أنظر إلى قوله عز شأنه فى وصف النار

تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ

ترتسم أمامك النار فى صورة مخلوق ضخم ، بطّاش مكفهر الوجه ، عابس يغلى صدره حقداً وغيظاً — عن البلاغة الواضحة بتصرف

الباب الثالث

فى الكناية وتعريفها وأنواعها

الكِنايَةُ [1] لُغَةً : ما يَتكلّم به الإنسان ، ويُريد به غيره

وهى : مصدر كنَيْتُ ، أو كنَوْتُ بكذا ، عن كذا ، إذا تركت التَّصريح به

(١) توضيح المقام : أنه إذا أطلق اللفظ ، وكان المراد منه غير معناه — فلا يخلو إما : أن يكون معناه الأصلى مقصودا أيضا ، ليكون وسيلة إلى المراد

وإما : ألا يكون مقصوداً — فالأول — الكناية — والثانى — المجاز

فالكناية : هى أن يريد المتكلم اثبات معنى من المعانى ، فلا يذكره باللفظ الموضوع له . ولكن يجىء إلى معنى هو مرادفه ، فيومئ به إلى المعنى الأول ، ويجعله دليلا عليه

أو الكناية : هى اللفظ الدال على ماله صلة بمعناه الوضعى ، لقرينة لا تمنع من ارادة الحقيقة ، كفلان نقى الثوب ، أى مبرأ من العيب ، كلفظ « طويل النجاد » المراد به طول القامة ، فانه يجوز أن يراد منه طول النجاد أى علاقة السيف أيضا ، فهى تخالف المجاز من جهة إمكان إيراد المعنى الحقيقى مع إرادة لازمه ، بخلاف المجاز فانه لايجوز فيه ارادة المعنى الحقيقى لوجود القرينة المانعة من ارادته

ومثل ذلك قولهم « كثير الرماد » يعنون به أنه كثير القرى والكرم ، وقول الحضرمى

قد كان تعجب بعضهن براعتى حتى رأين تنحنحى وسعالى

كنى عن كبر السن بتوابعه ، وهى التنحنح والسعال

وقولهم : المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه — وقوله

ان السماحة والمروءة والندى فى قبة ضربت على ابن الحشرج

وقوله ومابك فى من عيب فانى جبان الكلب مهزول الفصيل

فان « جبان الكلب » كناية — وكذا « مهزول الفصيل » والمراد منهما ثبوت الكرم ، وكل واحدة على حدتها تؤدى هذا المعنى . وقد جاء عن العرب كنايات كثيرة

كقوله : بيض المطابخ لاتشكو إماؤهمو طبخ القدور ولا غسل المناديل

ويروى أن خلافا وقع بين بعض الخلفاء ونديم له فى مسألة ، فاتفقا على تحكيم =

واصطلاحاً : لَفظٌ أُرِيدَ به غيرُ معناهُ الّذى وُضِعَ له ، مَعَ جوَاز إرادَة المعنَى الأصليِّ ، لعدم وُجود قرينة مانعة من إرادته ، نحوَ «زيد طويل النِّجَاد» تُريد بهذا التركيب أنه شجاع عظيم ، فعدلتَ عن التّصريح بهذه

= بعض أهل العلم . فاحضر ، فوجد الخليفة مخطئاً . فقال : القائلون بقول أمير المؤمنين أكثر (يريد الجهال) وإذا كان الرجل أحمق قيل — نعته لا ينصرف ، ونظر البديع الهمذانى إلى رجل طويل بارد — فقال : قد أقبل ليل الشتاء . ودخل رجل على مريض يعوده وقد اقشعر من البرد — فقال ماتجد (فديتك) قال أجدك (يعنى البرد) وإذا كان الرجل ملولا قيل : هو من بقية قوم موسى ، وإذا كان ملحداً ، قيل قد عبر (يريدون جسر الايمان) وإن كان يسىء الأدب فى المؤاكلة قيل : تسافر يده على الخوان ويرعى أرض الجيران . ويقال عمن يكثر الاسفار : (فلان) لا يضع العصا عن عاتقه — وجاء فى القرآن الكريم (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً) فانه كنى عن الغيبة بأكل الانسان لحم الانسان . وهذا شديد المناسبة لأن الغيبة إنما هى ذكر مثالب الناس وتمزيق أعراضهم وتمزيق العرض مماثل لأكل الانسان لحم من يغتابه

ومن أمثال العرب : قولهم : لبست لفلان جلد النمر ، وجلد الأرقم — كناية عن العداوة ، وكذلك قولهم (قلبت له ظهر المجن) كناية عن تغيير المودة ، ويقول القوم : فلان برىء الساحة ، إذا برؤوه من تهمة — ورحب الذراع ، إذا كان كثير المعروف — وطويل الباع فى الأمر ، إذا كان مقتدراً فيه — وقوى الظهر ، إذا كثر ناصروه . ومن ذلك أن (المنصور) كان فى بستان له ، أيام محاربته (ابراهيم بن عبد الله بن الحسن) فنظر إلى شجرة خلاف فقال للربيع ، ماهذه الشجرة . فقال طاعة يا أمير المؤمنين . فتفاءل المنصور به ، وعجب من ذكائه . ومثل ذلك : أن رجلا مر فى صحن دار (الرشيد) ، ومعه حزمة خيزران . فقال الرشيد للفضل بن الربيع ، ماذاك فقال (عروق الرماح) يا أمير المؤمنين ، وكره أن يقول « الخيزران » لموافقته أسم (والدة الرشيد) ومن كلامهم «فلان طويل الذيل» يريدون أنه غنى حسن الحال . وعليه قول الحريرى

ان الغريب الطويل الذيل ممتهن ... فكيف حال غريب ماله قوت

وكذلك قولهم : فلان طاهر الثوب - أى منزه عن السيئات . وفلان دنس الثوب أي متلوث بها — قال امرؤ القيس .

=

الصّفة، إلى الاشارة إليها بشىء تترتّب عليه وتلزمه، لأنه يلزم من طول حِمَالة السيف طولَ صاحبه، ويلزم من طول الجسم الشّجاعة عادة، فإذاً: المرادُ طولُ قامتـه، وان لم يكن له نِجاد، ومع ذلك يَصحّ أن يُراد المعنى الحقيقى — ومن هنا يُعلَم أنّ الفرق بين الـكناية والمجاز صِحّةَ إرادة المعنى الأصلى فى الـكناية، دون المجاز: فإنه ينافى ذلك

نعم: قد تمتنِعُ إرادة المعنى الأصلى فى الـكناية، لخصوص الموضوع كقوله تعالى (والسَّمٰواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ) وكقوله تعالى (الرَّحْمٰنُ على الْعَرْشِ اسْتَوٰى) كناية عن تمام القُدرة، وقوّة التّمكن والاستيلاء

وتنقسم الـكناية بحسب المعنى الذى تشير إليـه إلى ثلاثة أقسام:

= ثياب بنى عوف طهارة نقيـــة وأوجههم عند المشـــاهد غرات

ويقولون: فلان غمر الرداء — إذا كان كثير المعروف عظيم العطايا. قال كثير

غمر الرداء إذا تبسم ضــاحكا غلقت لضحكته رقاب المـــال

ومن الـكنايات اللطيفة: ما ذكرها الأدباء فى الشيب والـكبر، فيقولون: عرضت لفلان فترة، وعرض له ما يمحو ذنوبه. وأقمر ليله، ونور غصن شبابه. وفضض الزمان أبنوسه — وجاءه النذير. وقرع ناجذ الحلم. وارتاض بلجام الدهر. وأدرك زمان الحنكة. ورفض غرة الصبا. ولبى دواعى الحجى. ومن كناياتهم عن الموت: استأثر الله به. وأسعده بجواره. ونقله إلى دار رضوانه ومحل غفرانه، واختار له النقلة من دار البوار إلى دار الأبرار. ومن الـكنايات أيضاً أن يقام وصف الشىء مقام اسمه كما ورد فى القرآن الـكريم (وحملناه على ذات ألواح ودسر) يعنى السفينة، فوضع صفتها موضع تسميتهـا، كما ورد (إذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد) يعنى الخيل. وقال بعض المتقدمين.

سألت قتيبة عن أبيهـــا صحبة فى الروح هل ركب الاغر الاشقرا

يعني هل قتل، لأن الاغر الاشقر، وصف الدم، فأقامه مقام اسمه

١ — كناية عن صِفَةٍ — كما تقول (هو رَبيبُ أبي الهول) تكنى عن شدّة كتمانه لسرّه.

وتُعرف كناية الصفة بذكر الموصوف : ملفوظاً أو ملحوظاً من سياق الكلام

٢ — كناية عن موصوف — كما تقول (أبناء النّيل) تكنى عن المصريين، و (مدينة النُّور) تكنى عن باريس. وتعرف بذكر الصفة مباشرة، أو ملازمة

ومنها : قولهم (تستغنى مصر عن مَصَبِّ النّيل ولا تَستَغنِي عن مَنبعِهِ) كنَوْا بمنبع النيل عن أرض السودان

ومنها : قولهم (هو حارس على ماله) كنَوْا به عن البخيل الذى يجمع ماله، ولا ينتفع به.

ومنها : قولهم (هو فتًى رياضى) يكنون عن القُوّة — وهلم جرًّا

٣ — كناية عن نِسْبَةٍ، وسيأتى الكلام عليها فيما بعد

فالقسم الأول — وهو الكِناية التى يُطلب بها (صفة) هى ما كان المكنى عنه فيها صفة ملازمة لموصوف مذكور فى الكلام — وهى نوعان

(١) كناية قريبة — وهى ما يكون الانتقال فيها إلى المطلوب بغير واسطة بين المعنى المُنتقل عنه، والمعنى المُنتقل اليه — نحو قول الخنساء فى رثاء أخيها صخر

رفيعُ العِماد طويل النِّجا دِ سادَ عشيرتَه أمردَا[1]

(١) قصدت الخنساء وصف صخر بطول القامة والشجاعة، فعدلت عن التصريح بما أرادت إلى الاشارة اليه بطول النجاد لأنه يلزم من طول حمالة السيف طول قامة صاحبه. أو طول القامة يلزمه الشجاعة غالبا — كما أرادت وصفه بالعزة والسيادة فلم تصرح بقصدها. =

(ب) وكناية بعيدة — وهى ما يكون الانتقال فيها إلى المطلوب بواسطة، أو بوسائط، نحو « فلان كثير الرَّماد » كناية عن المِضياف، والوسائط: هى الانتقال من كثرة الرّماد إلى كثرة الإحراق، ومنها إلى كثرة الطّبخ والخُبز. ومنها إلى كثرة الضّيوف. ومنها إلى المطلوب، وهو المِضياف الكريم

القسم الثانى — الكناية التى يكون المكنىُّ عنه موصوفاً[1] بحيث يكون إمّا معنى واحداً « كموطن الأسرار » كناية عن القلب، وكما فى قول الشاعر:

فلمَّا شربناها ودبّ دَبيبُها   إلى مَوطن الأسرار قلتُ لها قِفى

وإمَّا مجموع معَان: كقولك « جاءنى حَىٌّ مُستوى القامة، عَريض الأظفار » (كِناية عن الانسان) لاختصاص مجموع هذه الأوصاف الثَّلاثة به، ونحو:

الضَّاربينَ بكلّ أبيضَ مِخْذَم   والطّاعنينَ مجامعَ الأضغانِ[1]

ويشترط فى هذه الكناية: أن تكون الصّفة أو الصّفات مُخْتصَّةً بالموصوف، ولا تتعدّاه ليحصُل الانتقال منها اليه

القسم الثالث — الكناية التى يُراد بها نِسبةُ أمر لآخر، إثباتاً أو نفياً فيكون المكنىُّ عنه نسبةً، أُسندت إلى ماله اتّصال به — نحو قول الشاعر

= وصرحت بما يستدعى ما أرادت فقالت: (رفيع العماد) فرفعة العماد تستلزم أنه عظيم المكانة فى قومه على الشأن بين عشيرته، لجريان العادة بذلك. وعمدت إلى وصفه بالجود والكرم، فقالت (كثير الرماد) تشير إلى كثرة الايقاد للاطعام. وهذا يلزمه الكرم.

(١) أى يكون المكنى عنه فيها ذاتا ملازمة للمعنى المفهوم من الكلام.

إنّ السَّماحَةَ والْمُرُوءة والنَّدى   فى قُبَّة ضُربت على ابن الْحَشْرَجِ

فانَّ جعلَ هذه الأشياء الثلاثة فى مكانه الُمختّص به يستلزم اثباتها له والـكِناية المطلوبُ بها نِسبةٌ

(ا) إمّا أن يكونَ ذُو النِّسبة مَذكوراً فيها — كقول الشاعر

أليُمن   يَتبعُ   ظِلّه   والمجدُ يمشِي فى رِكابه

(ب) وإمّا أن يكون ذو النسبة غير مذكور فيها : كقولك « خير الناس من ينفع الناس » كناية عن نفى الخيرية عمّن لا ينفعهُم

وتنقسم الكناية أيضاً باعتبار الوسائط (اللّوازم) والسِّياق : إلى أربعة أقسام : تعريض ، وتلويح ، ورمز ، وإيماء

(١) فالتَّعريض : لغة — خلاف التّصريح

واصطلاحا: هو أن يُطلق الكلام، ويُشار به إلى معنى آخر، يُفهم من السِّياق

نحو قولك للمؤذى (المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ) تعريضاً بنفى صفة الإسلام عن المؤذِى ، وكقول الشاعر :

إذا الجُودُلم يُرزَق خلاصاًمن الأذَى   فلا الحمدُ مكسوباً ولا المالُ باقيا

(٢) والتَّلويح : لُغةً — أن تُشيرَ إلى غيركَ من بُعدٍ

واصطلاحاً — هو الذى كثُرتْ وسائطه بلا تعريض ، نحو

وما يَكُ فىَّ من عيبٍ فإنِّى   جَبانُ الـكلب مهزولُ الْفصيلِ

---

(١) الضاربين منصوب بأمدح المحذوف ، والأبيض السيف ، والمخذم بكسر الميم وسكون الخاء وفتح الذال المعجمتين ، القاطع ، والاضغان جمع ضغن وهو ماانطوى عليه الصدر من الحقد — كنى الشاعر بمجامع الاضغان عن القلوب ، وهى لا كناية صفة . ولا كناية نسبة ، بل هي كناية موصوف .

كنى عن كرم الممدوح بكونه جبان الكلب ، مهزول الفصيل ، فانّ الفكر ينتقل إلى جُملة وسائط

(٣) والرَّمز : لُغةً — أن تُشير إلى قريب منك خِفْيةً ، بنحو : شَفَة ، أو حاجِب

واصطلاحاً — هو الذى قلّت وسائطه ، مع خَفاءٍ فى اللُّزوم بلا تعريض نحو : فلان عريضُ القَفا ، أو عريض الوِسَادة — كناية عن بلادته و بلاهته ونحو : (هو مُكتَنِزُ اللَّحم) كناية عن شجاعته ، (ومُتناسب الأعضاء) كناية عن ذكائه ، ونحو : (غليظُ الكبد) كناية عن القسوة — وهلم جرّا

والإِيماء أو الإشارة : هو الذى قلَّت وسائطه ، مع وضُوح اللّزوم ، بلا تعريض ، كقول الشاعر

أوَ مَا رأيتَ المجدَ ألقى رحلَه ... فى آلِ طلحَةَ ثُمَّ لم يَتحوَّلِ

كناية عن كونهم : أمجاداً أجواداً ، بغاية الوُضوح

ومن لطيف ذلك قول بعضهم

سَألْتُ النَّدَى والجُودَ مالِى أرا كما ... تَبَدَّلْتُما ذُلاً بعزٍّ مُؤبّدِ

ومابالُ رُكن المجْد أمْسَى مُهدَّماً ... فقالا : أُصِبنَا بابن يحيَى محمدِ

فقلتُ : فهلاَّ مُتُّمَا عند موْتِهِ ... فَقَدْ كنتُما عَبْدَيْهِ فى كل مَشْهَدِ

فقالا : أقمنَا كى نُعزَّى بفقده ... مَسافةَ يومٍ ثم نَتلوهُ فى غَدِ

والكِناية من ألطف أساليب البلاغة وأدقّها ، وهى أبلغ من الحقيقة والتصريح ، لأنّ الانتقال فيها يكون من الملزوم إلى اللّازم . فهو كالدَّعوى ببيِّنة ، فكأنك تقول فى « زيد كثير الرماد » زيد كريم ، لأنه كثير الرماد

وكثرته تستلزم كذا الخ — كيف لا — وأنَّها تُمكِّن الإنسان من التَّعبير عن أمور كثيرة، يَتحاشَى الأفصاح بذكرها، إمّا احتراماً للمخاطب، أو للابهام على السّامعين، أو للنَّيل من خَصمه. دون أن يدعَ له سبيلا عليه، أو لتنزيه الأذن عمَّا تنبو عن سماعه، ونحو ذلك من الأغراض واللّطائف البلاغية

تمرين

بيّن أنواع الكنايات الآتية. وعيّن لازم معنى كل منها

(١) قال البحتري يصف قَتْلَهُ ذِئباً

فأَتْبَعْتُهَا أُخْرَى فأضلَلْتُ نَصْلَهَا بحَيْثُ يَكُونُ اللبُّ والرُّعْبُ والحِقْدُ (١)

(٢) وقال آخر في رثاء من مات بعلّةٍ في صدره.

وَدَبَّتْ لَهُ فِي مَوْطِنِ الحِلْمِ عِلَّةٌ لهَا كالصِّلاَلِ الرُّقْشِ شَرُّ دَبِيبِ (٢)

(٣) ووصف أعرابي امرأة، فقال: تُرْخِي ذَيلها على عرْقُوبَي نعَامة.

ضَرَبَتْ سُرادِقهَا المهابَةُ فوقَهُ فاذا بدا بادتْ به الأعداء

---

(١) ضمير أتبعتها يعود على الطعنة، وأضللت أخفيت، والنصل حديدة السيف واللب العقل، والرعب الفزع والخوف - واعلم أن الكناية

إما حسنة — وهي ماجمعت بين الفائدة ولطف الاشارة كما في الأمثلة السابقة

وإما قبيحة — وهي ماخلت عن الفائدة المرادة، وهي معيبة لدى أرباب البيان كقول المتنبي

إني على شغفي بما في خمرها لأعف عما في سراويلاتها

كناية عن النزاهة والعفة. الا أنها قبيحة لسوء تأليفها وقبح تركيبها

(٢) الصلال جمع صل بالكسر ضرب من الحيات صغير أسود لانجاة من لدغته والرقش جمع رقشاء، وهي التي فيها نقط سوداء في بياض، والحية الرقشاء من أشد الحيات إيذاء

إنّ الذى ملأ اللغات محاسنا   جعل الجمال وسِرّه فى الضّاد

بَنَى المجدُ بيتاً فاستقرّ عِمادُه   علينا فأعيا الناس أن يتحوّلا

إنَّ فى ثوبك الذي المجدُ فيه   لَضياءً يُزْرِى بكلّ ضِياءِ

تمرين آخر

بين أنواع الكنايات الآتية، و بيِّن منها ما يصح فيه إرادة المعنى المفهوم من صريح اللفظ ،وما لا يصح :

(١) وصف أعرابى رجلاً بسوء العِشرة فقال : كان إذا رآنى قرَّبَ من حاجبٍ حاجباً

(٢) وقال أبو نواس فى المديح :

فَمَا جَازَهُ جُودٌ وَلا حَلّ دُونَهُ   وَلٰكِنْ يَسِيرُ الْجُودُ حَيْثُ يَسِيرُ

(٣) وَتَكْنِى العربُ عمّن يجاهر غيرَه بالعداوة بقولهم :

لبِس له جِلْدَ النَّمِرِ ، وجِلْدَ الأرْقَم [١] ، وقَلَبَ له ظهْرَ المِجَنّ [٢]

(٤) فلان عريض الوساد [٣] أغمُّ القفَا [٤]

(٥) تَجُولُ خَلَاخِيلُ النّسَاءِ وَلا أَرَى   لِرَمْلَةَ خَلْخَالاً يَجُولُ وَلا قُلْبَا [١]

(٦) وتقول العرب فى المديح : الكرم فى أثناء حُلّته ، ويقولون : فلان

---

(١) الأرقم الحية فيها سواد وبياض (٢) المجن الترس ، وقلب له ظهر المجن مثل يضرب لمن كان لصاحبه على مودة ورعاية ، ثم حال عن العهد وتغيرت أحواله

(٣) عريض الوساد أى طويل العنق إلى درجة الافراط ، وهذا مما يستدل به على البلاهة وقلة العقل (٤) الغمم غزارة الشعر، حتى تضيق منه الجبهة ، أو القفا — وكان يزعم العرب: أن ذلك دليل على الغباوة

نفخ شِدْقَيه — أى تَكبّر ، ووَرِم أنفُه — إذا غضب

(٧) قالت أعرابية لبعض الولاة : أشكو إليكَ قِلّةَ الجِرْذَانِ[٢]

(٨) بِيضُ الْمَطَابِخِ لا تَشْكُو إمَاؤهُمُ   طَبْخَ الْقُدُورِ وَلَا غَسْلَ الْمَنَادِيلِ

(٩) مَطْبَخُ دَاوُدَ فِى نَظَافَتِهِ   أشْبَهُ شَىْءٍ بِعَرْشِ بِلْقِيسِ[٣]

ثِيابُ طَبَّاخِهِ إذا اتَّسَخَتْ   أنْقَى بَيَاضاً مِنَ الْقَرَاطِيسِ

(١٠) فَتَى مُخْتَصَرُ الْمَأْكُو   لِ وَالْمَشْرُوبِ وَالْعِطْرِ

نَقِىُّ الْكَأْسِ وَالْقَصْعَـــــةِ وَالْمِنْــــدِيلِ وَالْقِدْرِ

(١١) وقال آخر : اليُمن يتبع ظِلّهُ   والمجدُ يمشى فى رِكابِه

(١٢) أصبح فى قيدك السماحة والمجدُ   وفضلُ الصّلاح والحسب

فَلَسْنَا عَلَى الأعْقَابِ تَدْمَى كُلُومُنَا   وَلَكِنْ عَلَى أقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدِّمَا[٤]

المجدُ بينَ ثوبيك . والكرم مِلءُ بُرْدَيك

---

(١) رملة اسم امرأة ، والقلب بالضم السوار

(٢) الجرذان جمع جرذ وهو ضرب من الفأر

(٣) بلقيس : بكسر الباء ملكة سبأ ، وسبأ عاصمة قديمة لبلاد اليمن

(٤) الأعقاب جمع عقب وهو مؤخر القدم ، والكلوم الجراح ، يقول : نحن لا نولى فنجرح فى ظهورنا فتقطر دماء كلومنا على أعقابنا ، ولكننا نستقبل السيوف بوجوهنا ، فان جرحنا قطرت الدماء على أقدامنا

بلاغة الكناية

الكِناية مَظْهرٌ من مظاهر البلاغة ، وغاية لا يَصِل إليها إلا من لَطُف طبعهُ ، وَصفَتْ قريحتُه ، (والسِّرُّ فى بلاغتها) أنها فى صُور كثيرة تُعْطيك الحقيقة ، مصحوبةً بدليلها ، والقضية وفى طيّها بُرْهَانها ، كقول البُحتُرى فى المديح .

يَغضُّون فَضلَ اللَّحْظِ مِنْ حَيْثُ مَابَدَا

لَهُمْ عَنْ مَهِيب فِى الصُّدُورِ مُحَبَّب

فإنه كَنَى عن إكبار الناس للممدوح ، وهَيْبَتِهم إيَّاه ، بِغَضِّ الأبصار الذى هو فى الحقيقة برهان على الهيبة والإجلال ، وتظهر هذه الخاصة جَلِيَّة فى الكنايات عن الصّفة والنّسبة

ومن أسباب بلاغة الكنايات أنَّها تضع لك المعانى فى صورة المحسوسَات ولاشك أنَّ هذه خاصة الفنون ، فإنَّ المصوِّر إذا رَسَم لك صورة للأَمَل أو لليأس ، بَهرَكَ وَجعَلك ترى ما كنت تَعْجز عن التَّعبير عنه واضحاً ملموساً

فمثل « كثير الرّماد » فى الكناية عن الكرم « ورَسُول الشرِّ » فى الكناية عن المِزَاح — وقول البحترى

أَوَ مَا رَأَيْتَ الْمجْدَ أَلْقَى رَحْلَهُ فِى آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلِ

وذلك فى الكناية عن نسبة الشَّرف إلى آل طلحة .

كلّ أولئك يُبرِز لك المعانى فى صورة تُشاهدها ، وتَرتاح نفسُك إليها .

ومن خواص الكناية : أنها تُمكِّنك من أن تَشْفِيَ غُلَّتك من خَصمك

من غير أن تجعل له اليك سبيلاً ، ودون أن تخدِش وجه الأدب ، وهذا النوع يسمَّى بالتَّعريض

ومثاله قول المتنبي فى قصيدة، يمدح بها كافورا و يعرِّض بسيف الدولة.

رَحَلْتُ فَكَمْ باكٍ بأجْفانِ شادِنٍ ... علىَّ وَكَمْ باكٍ بأجفانِ ضَيْغَمِ (١)

ومَا رَبَّةُ الْقُرطِ المَلِيحِ مَكانُهُ ... بِأَجْزَعَ مِنْ رَبِّ الحُسامِ المُصَمِّمِ (٢)

فَلَوْ كانَ مابى مِنْ حَبيبٍ مُقَنَّعٍ ... عذرْتُ ولكنْ من حبيبٍ مُعَمَّمِ

رَمى واتَّقى رَمْيِي ومِنْ دُونِ مااتَّقى ... هَوًى كاسرٌ كَفِّى وقوْسى وأسْهُمى

إذا ساءَ فِعْلُ المرءِ ساءتْ ظُنُونُهُ ... وصَدَّقَ ما يَعْتادُهُ مِنْ تَوَهُّمِ

فإنه كَنى عن سيف الدولة ، أولاً : بالحبيب المعَمَّم ، ثم وصفه بالغدر الذى يَدَّعى أنه من شيمَةِ النساء ، ثم لامَهُ على مُبادهته بالعُدوان ، ثم رماه بالجُبن ، لأنه يَرْمى ويتقى الرَّمْىَ بالاستتار خلف غيره ، على أنّ المتنبى لايجازيه على الشرّ بمثله ، لأنه لايزال يحمل له بين جوانحه هوى قديماً ، يكسِر كفَّه وقَوسه ، وأسْهُمَه، اذا حاول النِّضال ، ثم وصفه بأنه سيء الظن بأصدقائه لأنه سيء الفعل ، كثير الأوهام والظنون ، حتى ليظنَ أنّ الناس جميعاً مثله فى سوء الفعل ، وضعفِ الوفاء . فانظر كيف نال المتنبي من سيف الدولة هذا النَّيْل كله ، من غير أن يذكر من اسمه حرفاً .

---

(١) الشادن ولد الغزال . والضيغم الاسد ، أراد بالباكى بأجفان الشادن المرأة الحسناء ، وبالباكى بأجفان الضيغم الرجل الشجاع . يقول كم من نساء ورجال بكوا على فراقى ، وجزعوا لارتحالى (٢) القرط مايعلق فى شحمة الأذن ، والحسام السيف القاطع ، والمصمم الذى يصيب المفاصل ويقطعها ، يقول لم تكن المرأة الحسناء بأجذع على فراقى من الرجل الشجاع

هذا — ومن أوضح مُمَيزات الكناية التعبيرُ عن القبيح بما تسيغ الآذان سماعَه ، وأمثلة ذلك كثيرة جدًّا فى القرآن الكريم ، وكلام العرب فقد كانوا لا يُعبِّرون عمَّا لا يحسن ذكره الا بالكناية ، وكانوا لشدَّة نَخْوتهم يَكنون عن المرأة (بالبَيْضة — والشَّاة)

ومن بدائع الكنايات قول بعض العرب :

ألاَ يا نَخْلةَ مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ ... عَلَيْكِ وَرَحْمةُ اللهِ السَّلاَمُ [1]

فانه كنى بالنخلة ، عن المرأة التى يحبّها — عن البلاغة الواضحة بتصرُّف

أثر علم البيان فى تادية المعانى

ظهر لك من دراسة علم البيان : أن مَعْنًى واحداً يُستطاع أداؤه بأساليب عِدَّةٍ ، وطرائقَ مُختلفة ، وأنه قد يُوضع فى صُورة رائعة من صُور التشبيه أو الاستعارة ، أو المجاز المرسل ، أو المجاز العقلى ، أو الكناية

فقد يصف الشاعر انساناً بالكرم ، فيقول :

يُريد المُلُوكُ مَدَى جَعْفَرٍ ... ولاَ يَصْنَعُونَ كما يَصْنَعُ

وليْسَ بِأَوْسَعِهِمْ فِى الْغنى ... وَلَكنَّ مَعْرُوفَهُ أَوْسَعُ

وهذا كلام بليغ جداً ، مع أنه لم يُقْصَد فيه إلى تشبيه أو مجاز ، وقد وصف الشاعر فيه ممدوحه بالكرم ، وأن الملوك يريدون أن يبلغوا منزلته ، ولكنهم لا يشترون الحمد بالمال كما يفعل ، مع أنه ليس بأغنى منهم ، ولا بأكثر مالا

(١) ذات عرق موضع بالبادية وهو مكان احرام أهل العراق

وقد يعمد الشاعر : عند الوصف بالكريم إلى أسلوب آخر ، فيقول :

كالْبَحْرِ يَقْذِفُ لِلْقَرِيبِ جَوَاهِراً جُوداً وَيَبْعثُ لِلْبَعِيدِ سَحَائِبا

فيشبِّه الممدوحَ : بالبحر ، ويَدفعُ بخيالك إلى أن يضاهى بين الممدوح والبحر الذى يقذف الدُّرر للقريب ، ويرسل السحائب للبعيد — أو يقول

هُوَ الْبحْرُ مِنْ أىِّ النوَاحى أَتيْتَهُ فَلُجَّتُهُ المعرُوفُ وَالجُودُ ساحِلُهْ

فيدّعى . أنه البحر نفسه ، وينكر التشبيه نكرانا يدل على المبالغة . وادعاء المُماثلة الكاملة — أو يقول .

عَلاَ فَمَا يَسْتقرُّ المَالُ فى يَدِهِ وَكيفَ تُمْسِكُ مَاءَ قُنَّةُ الْجَبَلِ ؟

فيرسل إليك التشبيه : من طريق خفيّ ، ليرتفع الكلام إلى مرتبة أعلى فى البلاغة ، وليجعل لك من (التشبيه الضمنى) دليلاً على دعواه ، فانه ادَّعى : أنه لعلُوِّ منزلته ينحدر المال من يديه ، وأقام على ذلك برهاناً فقال « وكيف تُمسك ماءَ قُنَّة الجبل » — أو يقول :

جَرَى النَّهْرُ حتَّى خِلتُهُ مِنْكَ أنعُماً تُسَاق بِلاَ ضَنٍّ وتُعْطَى بِلاَ مَنٍّ[1]

فيُقلب التشبيه زيادة فى المُبالغة . وافتناناً فى أساليب الإجادة . ويُشبه ماء النهر بنِعَم الممدوح — بعد أن كان المألوف : أن تُشبه النِّعم، بالنَّهر الفيَّاض أو يقول :

كأنه حِينَ يُعْطِى الْمَالَ مُبْتَسِما صَوْبُ الغمامَةِ تَهمِى وهْى تأْتَلِقُ[2]

فيعمِد إلى التشبيه المركب ، ويُعطيك صُورة رائعة ، تمثّل لك حالة الممدوح وهو يجود — وابتسامة السرور تعلو شفتيه — أو يقول :

(١) الضن البخل ، والمن الامتنان بتعداد الصنائع

(٢) تهمى تسيل ، وتاتلق تلمع

جادَتْ يدُ الفتح ِ والأنْواء بَاخلة ٌ وذَاب نائِلُهُ وَالْغيْثُ قَدْ جَمَدَا

فيُضاهى بين جود الممدوح والمطر ، ويدَّعى أنَّ كرم ممدوحه لا ينقطع ، إذا انقطعت الأنواء ، أو جمد القطر – أو يقول :

قَدْ قلتُ لِلغيْمِ الرُّكَامِ وَلَجَّ فى إبراقِهِ وألَحَّ فِى إرعادِهِ (١)

لاتعرِضَنَّ لجعفرٍ مُتشبِّهًا بنَدَى يَدَيْه فَلستَ من أندادِهِ

فيصرح لك فى جلاء ، وفى غير خشية ، بتفضيل جود صاحبه على جود الغيم ، ولا يكتفي بهذا ، بل تراه ينهى السَّحاب فى صورة تهديد أن يُحاول التشبه بممدوحه ، لأنه ليس من أمثاله و نظرائه – أو يقول :

وأقبلَ يمشِى فِى البِساط فَمَا دَرَى إلى الْبَحْرِ يَسْعَى أم إلى الْبَدْرِ يرْتقى

يصف حال رسول الروم داخلا على سيف الدولة ، فينزِع فى وصف الممدوح بالكرم ، إلى الاستعارة التصريحية ، والاستعارة كما علمت مبنية على تناسى التشبيه ، والمبالغة فيها أعظم ، وأثرها فى النفوس أبلغ – أو يقول:

دَعوتُ نَدَاهُ دَعوةً فأجَابنِى وعَلَّمنِي إحسانُهُ كَيْفَ آمُلُهْ

فيُشبِّه ندى ممدوحه وإحسانه (بانسان) . ثم يحذف المشبه به ، ويرمز اليه بشىء من لوازمه — وهذا ضربٌ آخر من ضروب المبالغة التى تساق الاستعارة لأجلها :

أو يقول : ومَنْ قَصدَ الْبحْرَ استَقلَّ السَّواقيَا

فيرسل العبارة كأنَّها مَثلٌ ، ويصوِّر لك أنَّ من قصد ممدوحه استغنى عمَّن هو دونه ، كما أنَّ قاصد البحر لا يأبُه للجداول ، فيعطيك استعارة تمثيلية ، لها روعة ، وفيها جمال ، وهى فوق ذلك تحمل برهانًا على

(١) الغيم الركام المتراكم . ولج وألح كلاهما بمعنى استمر

صدق دعواه . وتؤيّد الحال الذى يدَّعيها ـ أو يقول :

مَا زلْتَ تتبعُ مَا تُولِى يداً بيدٍ حَتَّى ظَنَنْتُ حياتِى مِنْ أيادِيكا

فيعدل عن التشبيه والاستعارة ، إلى (المجاز المرسل) ويطلق كلمة « يد » ويريد بها النعمة ، لأن اليد آلة النعم وسببها ـ أو يقول

أعَادَ يَومُك أيامِى لِنَضْرَتِهَا واقْتصَّ جودُكَ مِنْ فقرِى وإعسَارِى

فيسند الفعل : إلى اليوم ، و إلى الجود ، على طريقة المجاز العقلى — أو يقول

فمَا جَازَهُ جُودٌ ولا حَلَّ دُونَه ولَكِنْ يَسير الجود حيث يسير

فيأتى بكناية عن نسبة الكرم اليه ، بادّعاء أنَّ الجود يسير معه دائماً لأنه بدَل أن يحكم بأنه كريم ، ادّعى أن الكرم يسير معه أينما سار ولهذه الكناية من البلاغة ، والتأثير فى النفس ، وحسن تصوير المعنى ، فوق ما يجده السَّامع فى غيرها من بعض ضروب الكلام

فأنت ترى أنه من المستطاع ، التّعبير عن وصف انسان بالكرم بأربعة عشر أسلوباً — كلٌّ : له جماله ، وحُسنه ، وبَراعتُه ، ولو نشاء ، لأتينا بأساليب كثيرة أُخرى فى هذا المعنى ، فانّ للشعراء ورجال الأدب افتناناً وتوليداً للأساليب والمعانى ، لا يكاد ينتهى إلى حدّ ، ولو أردنا : لأوردنا لك ما يقال من الأساليب المختلفة المَناحي فى صفات أخرى ، كالشجاعة ، والإباء ، والحزم وغيرها ، ولكنَّا لم نقصِد إلى الإطالة ، و نعتقد أنك عند قراءتك الشعرَ العربىَّ ، والآثار الأدبية ، ستجد بنفسك هذا ظاهراً ، وستَدْهَش للمَدَى البعيدِ الذى وصل اليه العقل الانسانى فى التصوير البلاغىّ ، والابداع فى صوغ الأساليب — عن البلاغة الواضحة بتصرف



علم البديع

البديع : لغة — المُخترع المُوجَدُ على غير مِثال سابق

وهو مأخوذ ومُشتقٌّ من قولهم — بَدعَ الشيء ، وأبدَعه ، اخترعَه لا عَلَى مِثَال [1]

واصطلاحاً — هو علم يُعْرف به الوجوه [2] ، والمزايا التى تزيد الكلام

---

(١) البديع فعيل بمعنى مفعل ، أو بمعنى مفعول — ويأتى البديع بمعنى اسم الفاعل فى قوله تعالى «بديع السموات والأرض» أى مبدعها

(٢) وجوه التحسين أساليب وطرق معلومة وضعت لتزيين الكلام وتنميقه وتحسين الكلام بعلمى المعانى والبيان «ذاتى» وتحسين الكلام بعلم البديع «عرضى»

ووجوه التحسين : إما معنوية — وإما لفظية ، وأدخل المتأخرون فيهما أنواعا كثيرة

فالبديع المعنوى هو الذى وجبت فيه رعاية المعنى دون اللفظ ، فيبقى مع تغيير الالفاظ. كقوله : أتطلب صاحباً لاعيب فيه   وأنت لكل من تهوى ركوب

ففى هذا القول ضربان من البديع (هما الاستفهام والمقابلة) لايتغيران بتبدل الألفاظ. ، كما لو قلت مثلا : كيف تطالب صديقاً منزها عن كل نقص ، مع أنك أنت نفسك ساع وراء شهواتك !

والبديع اللفظى — هو مارجعت وجوه تحسينه إلى اللفظ دون المعنى ، فلا يبقى الشكل إذا تغير اللفظ — كقوله

إذا ملك لم يكن ذاهبه   فدعه فدولته ذاهبه

فانك إذا أبدلت لفظة (ذاهبة) بغيرها ولو بمعناها يسقط الشكل البديعى بسقوطها

وملخص القول أن المحسنات المعنوية هى ما كان التحسين بها راجعاً إلى المعنى =

حُسناً وطلاوة ، وتكسوه بهاءً ورونقاً ، بَعدَ مُطابقته لمُقتضى الحال مع وُضوح دلالته على المُراد لفظا ومعنى

وواضعه : (عبدالله بن المُعتز العبَّاسى) المتُوفىَّ سنة ٢٧٤ هجرية — ثم اقتفى أثره فى عصره (قُدَامة بن جعفر الـكاتب) فزاد عليها ، ثم ألّف فيه كثيرون (كأَبى هلال العَسكرى) وابن رشيق القيروانى، وصفىّ الدين الحِلّى ، وابن حِجَّة الْحَموى) وغيرهم ممّن زادُوا فى أنواعه ، ونظموا فيها قصائد تُعرف (بالبديعيّات)

وفى هذا العلم — بابان : وخاتمة

= أولا وبالذات ، وان حسنت اللفظ تبعاً — والمحسنات اللفظية هى ما كان التحسين بها راجعا إلى اللفظ بالاصالة ، وان حسنت المعنى تبعاً

وقد أجمع العلماء : على أن هذه المحسنات خصوصا اللفظية منها ، لاتقع موقعها من الحسن ، إلاإذا طلبها المعنى ، فجاءت عفواً بدون تكلف ، والافهى مبتذلة .

الباب الاول

فى المحسنات المعنوية

(١) التورية [1]

التَّورية : لغة ـ مصدر ورّيت الخبر تورية : إذا سترتَه ، وأظهرتَ غيره

واصطلاحاً ـ هى أن يَذكُرَ المُتكلّم لفظاً مفرداً له معنيان ، أحدهما قريب غير

(١) التورية أن يطلق لفظ له معنيان . أحدهما قريب غير مراد ، والآخر بعيد هو المراد ، ويدل عليه بقرينة يغلب أن تكون خفية لايدركها الا الفطن

وتنقسم التورية إلى أربعة أقسام ـ مجردة . ومرشحة . ومبينة ، ومهيأة

٢ ـ فالمجردة ـ هى التى لم تقترن بما يلائم المعنيين : كقول الخليل لما سأله الجبار عن زوجته : فقال « هذه أختى » ـ أراد أخوة الدين . وكقوله (وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار) .

٢ ـ المرشحة ـ هى التى اقترنت بما يلائم المعنى القريب ، وسميت بذلك لتقويتها به ، لأن القريب غير مراد ، فكأنه ضعيف ، فاذا ذكر لازمه تقوى به ، نحو (والسماء بنيناها بأيد) فانه يحتمل (الجارحة) وهو القريب ، وقد ذكر من لوازمه البنيان على وجه الترشيح .

ويحتمل (القدرة) وهو البعيد المقصود ، وهى قسمان باعتبار ذكر اللازم قبلها أو بعدها .

٣ ـ والمبينة هى ما ذكر فيها لازم المعنى البعيد ـ سميت بذلك لتبيين المورى عنه ، بذكر لازمه ، إذكان قبل ذلك خفياً ، فلما ذكر لازمه تبين : نحو

يا من رآنى بالهموم مطوقا   وظللت من فقدى غصونا فى شجون

أتلومني فى عظم نوحي والبكا   شأن المطوق أن ينوح على غصون

مقصود ودَلالةُ اللّفظ عليه ظاهرة، والآخر بعيد مقصود، ودَلالةُ اللّفظ عليه خَفِيّة، فيتوهّم السّامع: أنّه يُريد المعنى القريب، وهو إنّما يُريد المعنى البعيد بقرينة تشيرُ اليه ولا تُظهره. وتَستره عن غير المتيقظ الفطن، كقوله تعالى (وَهُوَ الذِى يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيلِ وَيَعلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَار) أراد بقوله جرحتم معناه البعيد، وهو ارتكاب الذنوب، ولأجل هذا سُمِّيت التَّوْرية «إيهاماً وتَخييلاً» وكقول سِراج الدِّين الورَّاق

أصونُ أدِيمَ وجهِى عن أُناسٍ لقاءُ الموتِ عندهُم الأديبُ

= وهى أيضاً قسمان باعتبار ذكر اللازم قبل أو بعد

٤ — والمهيأة — هى التى لا تقع التورية فيها إلا بلفظ قبلها أو بعدها، فهى قسمان أيضاً

فالأول — وهو ما تهيأ بلفظ قبل، نحو قوله

وأظهرت فينا من سماتك سنة فأظهرت ذاك الفرض من ذلك الندب

فالفرض والندب معناهما القريب الحكمان الشرعيان

والبعيد. الفرض، معناه العطاء. والندب، معناه الرجل السريع فى قضاء الحوائج، ولولا ذكر السنة لما تهيأت التورية ولا فهم الحكمان.

والثانى — وهو ما تهيأ بلفظ بعد: كقول الامام على رضى الله تعالى عنه فى الاشعث بن قيس، أنه كان يحرك الشمال باليمين، فالشمال معناها القريب ضد اليمين، والبعيد جمع شملة، ولولا ذكر اليمين بعده لما فهم منه السامع معنى اليد الذى به التورية: ومن المجردة قوله

حملناهمو طراً على الدهم بعدما خلعنا عليهم بالطعان ملابسا

فان الدهم له معنيان — قريب: وهو الخيل الدهم، وليس مراداً. وبعيد، وهو القيود الحديد السود. وهو المراد. ومن المرشحة قوله تعالى (ولا يدينون دين الحق حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) فان المراد من اليد الذلة، وقد اقترنت بالاعطاء الذى يناسب المعنى القريب، وهو العضو

وربُّ الشِّعر عندهُمُ بغيضٌ ولو وافى به لهُمُ « حبيبُ »

وكقوله - أبياتُ شعركَ كالقصـور ولا قصور بهـا يعوق

ومن العجائب لفظُها حُرٌّ ومعنـاها « رقيقْ »

برَغم شَبيبٍ فارقَ السّيفُ كفَّه وكانا على العِلّات يَصطحبان

كأنَّ رِقابَ الناس قالت لسيفه رفيقك قَيْسِيٌّ وأنتَ يَمَانى[1]

(٢) الاستخدام

الاستِخدَام : هو ذكرُ لفظ مُشترَك بين معنيين ، يُراد به أحدهما ثم يُعاد عليه ضمير ، أو إشارة ، بمعناه الآخر ، أو يُعاد عليه ضميران يُراد بثانيهما غيرُ ما يُراد بأوّلهما

فالأول - كقوله تعالى (فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ) أُريدَ أوّلا بالشّهر (الهلال) ثم أُعيدَ عليه الضّميرُ أخيراً بمعنى أيام رمضان

وكقول مُعاوية بن مالك

إذا نزلَ السّماء بأرض قوم رَعيناهُ وان كانوا غِضَابا

أراد بالسماء (المطر) وبضميره فى « رعيناه » (النّبات)[2] وكلاهما معنى مجازى للسماء

---

(١) يريد أن كف (شبيب وسيفه متنافران . لا يجتمعان ، لأن شبيباً كان قيسياً ، والسيف يقال له (يمانى) فورى به عن الرجل المنسوب الى اليمن ، ومعلوم ما بين قيس واليمن من التنافر ، فظاهر قوله (يمانى) أنه رجل منسوب الى اليمن ، ومراده البعيد الدلالة على السيف ، لأن كلمة يمانى من أسمائه .

(٢) ملخص الاستخدام : هو أن يؤتى بلفظ له معنيان ، فيراد به أحدهما ، ثم يراد بضميره المعنى الآخر - كقول الشاعر .

والثانى — كقول البُحتُرى

فسقى الغَضَا والسَّاكنِيه وانْ هُمو شبُّوهُ بين جَوانِحى وضلُوعِى

الغَضَا : شجر بالبادِية ، وضمير سـاكِنيه أوَّلاً راجع إلى الغضا ، باعتبار (المكان) وضمير شبّوه عائد ثانيا الى الغضا (بمعنى النَّار الحاصلة من شجر الغضا) — وكلاهما مجاز للغضا

(٣) الاستطراد

الإستطراد : هو أن يَخرُجَ المتكلّم من الغرض الذى هو فيه إلى غرضٍ آخر لمُناسبة بينهما ، ثم يرجع فينتقل إلى إتمام الكلام الأول — كقول السموءل

وإنّا لَقومٌ لا نرى القتل سُبَّةً إذا ما رأته عامرٌ وسلولُ

يُقرِّب حُبّ الموت آجالَنا لنا وتكرههُ آجالُهُم فتطولُ

فسياق القصيدة ، للفخر بقومه ، وانتقل منه إلى هجو قَبيلتَى «عامر وسلول» ثم عاد إلى مقامه الأول ، وهو الفخر بقومه — وكقوله :

= وللغزالة شىء من تلفته ونورها من ضيا خديه مكتسب

أراد الشاعر : بالغزالة الحيوان المعروف . وبضمير (نورها) الغزالة بمعنى الشمس

وكقوله رأى العقيق فأجرى ذاك ناظره متيم لج فى الاشواق خاطره

وكقوله إذا لم أبرقع بالحيا وجه عفتى فلا أشبهته راحتى بالتكرم

ولا كنت ممن يكسر الجفن بالوغى إذا أنا لم أغضضه عن رأى محرم

وقال الآخر فى الدعاء ، أقر الله عين الأمير وكفاه شرها . وأجرى له عذبها . وأكثر لديه تبرها — وكقول الشاعر :

رحلتم بالغداة فبت شوقاً أسائل عنكم فى كل ناد

أراعي النجم فى سيرى إليكم ويرعاه من البيدا جوادي

لنا نفوس لنيـل المجـد عاشقة فان تسلّت أسلناها على الأسَل

لا ينزلُ المجد إلاَّ فى منازلنا كالنّوم ليس له مأوًى سوى المُقَل

(٤) الافتنان

الافْتِنَان : هو الجمع بين فنَّين مُختلفين ، كالغزل ، والحماسة ، والمدْح والهِجَاء ، والتّعزية . والتّهنئة — كقول عبد الله بن همّام السّلولى ، « جامعاً بين التّعزية والتّهنئة » حين دخل على يزيد ، وقد مات أبوه معاوية ، وخلفه هو فى الملك

« آجرك الله على الرَّزيَّة ، وبارك لك فى العطيَّة ، وأعانك على الرعيَّة فقد رُزئتَ عظيماً ، وأعطيتَ جسيما ، فاشكرْ الله على ما أُعطيتَ ؛ واصبر على ما رُزيت ، فقد فقدت الخليفة . وأُعطيتَ الخلافة ، ففارقتَ خليلا ووُهبتَ جليلاً »

اصبر يزيدُ فقد فارقتَ ذا ثِقةٍ واشكرْ حباء الذى بالمُلك أصفاكَ

لا رُزء أصبح فى الأقوام نعلمه كما رُزئت ولا عُقبَى كعُقْبَاك

وكقول عنترة يخاطب عبْلَةَ :

ولقد ذكرتك والرّماح نَواهلٌ منّى وبيضُ الهند تقطُر من دمى

فوددتُ تقبيلَ السيُّوف لأنّها لَمعتْ كبارقِ ثغركِ المتبسِّم

(٥) الطباق[١]

الطباق : هو الجمع بين لَفظين مُتقابلين فى المعنى . وهما قد يكونان

(١) ويسمى بالمطابقة ، وبالتضاد . وبالتطبيق . وبالتكافؤ . وبالتطابق — وهو

اسمين — نحو : قوله تعالى (هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ والظَّاهر والباطن)
وكقوله تعالى « وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقود »
أو فعلين — نحو : قوله تعالى (وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا) — وكقوله تعالى « ثُم لا يموتُ فيها ولا يحيا »
أو حرفين — نحو : قوله تعالى (وَلَهُنَّ مِثْلُ الذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ)
أو مختلفين — نحو : قوله تعالى (وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)[1]

= أن يجمع المتكلم فى كلامه بين لفظين ، يتنافى وجود معناهما معاً فى شىء واحد ، فى وقت واحد ، بحيث ، يجمع المتكلم فى الكلام بين معنيين متقابلين ، سواء أكان ذلك التقابل : تقابل الضدين ، أو النقيضين ، أو الايجاب والسلب . أو التضايف

(١) والطباق ضربان : أحدهما طباق الايجاب : وهو ما لم يختلف فيه الضدان ايجابا وسلبا نحو (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء

وكقوله حلو الشمائل وهو مر باسل يحمى الذمار صبيحة الارهاق

وثانيهما طباق السلب : وهو ما اختلف فيه الضدان ايجابا وسلبا ، بحيث يجمع بين فعلين من مصدر واحد — أحدهما مثبت مرة ، والآخر منفى تارة أخرى فى كلام واحد — نحو (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله) ونحو (لا يعلمون يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا) وقل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون .

أو أحدهما أمر ، والآخر نهى نحو (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء) ونحو : فلا تخشوا الناس واخشون

وملخص الطباق الذى هو الجمع بين معنيين متقابلين فى كلام واحد ، وهو نوعان

(١) طباق سلب — وهو أن يجمع بين فعلين ، من مصدر واحد ، أحدهما مثبت ، والآخر منفى ، وأحدهما أمر . والآخر نهى

(٢) طباق الايجاب — وهو ما كان تقابل المعنيين فيه بالتضاد

ويلحق بالطباق ، ما بني على المضادة ، تأويلا فى المعنى ، نحو (يغفر لمن يشاء ويعذب

ونحو : قوله تعالى « أوَ من كان ميتاً فأحييناه »

فيكون تقابُل المعنيين وتخالفهما ممّا يَزيد الكلامَ حُسناً وطَرافة

(٦) المقابلة

المُقابلة : هى أن يُؤْتى بمعنيين متُوافقين أو معَانٍ متُوافِقَةٍ، ثم يُؤْتى بما يُقابل ذلك على التّرتيب ، كقوله تعالى (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بالحسْنى فَسَنُيَسِّرُهُ لليُسْرى ، وأمَّا مَنْ بَخِلَ واسْتَغْنى وكَذَّبَ بالحسْنى فَسنُيسّره لِلعُسْرى) وكقوله تعالى (يُحِلُّ لَهُمُ الطّيّبَاتِ ويُحَرّمُ عليهِم الخَبَائِثَ) وقال صلى الله عليه وسلم للأنصار (إنكم لتكثرون عند الفزَع وتقِلُّون عند الطّمع) وقال خالد بن صفوان يَصِف رجلا : ليس له صديق فى السرّ ولا عدوٌّ فى العلانية — وكقوله :

فتًى كان فيه ما يسرّ صديقه ولكنّ فيه ما يسوء الأعاديا

وكقوله : وباسطُ خيرٍ فيكمُ بيمينه وقابضُ شرٍّ عنكُم بشماله

وكقوله :

ما أحسنَ الدّينَ والدّنيا إذا اجتمعَا وأقبحَ الكُفرَ والأفلاسَ بالرجل

وكقوله : يا أُمّةً كان قُبحُ الجُورِ يسخطها دهراً فأصبح حُسنُ العدلِ يرضيها

= من يشاء) فان التعذيب لا يقابل المغفرة صريحاً لكن على تأويل كونه صادراً عن المؤاخذة التى هى ضد المغفرة . أو تخييلا فى اللفظ باعتبار أصل معناه — نحو (من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير) أى يقوده فلا يقابل الضلالة بهذا الاعتبار ولكن لفظه يقابلها فى أصل معناه . وهذا يقال له « ايهام » التضاد

(٧) مراعاة النظير [1]

مُرَاعَاة النَّظير : هى الجمع بين أمرين ، أو أمور مُتناسبة ، لا على جهة التَّضاد ، وذلك إمّا بين اثنين — نحو قوله تعالى (وَهُوَ السَّميعُ البصيرُ)
وإمّا بين أكثر — نحو قوله تعالى (اولَئِكَ الّذِينَ اشتَرَوْا الضَّلَالَةَ بالْهُدَى فمَا رَبِحَتْ تجارَتهُمْ)

ويلحقُ بمُراعاة النظير، ما بُنِى على المناسبة فى «المعنى» بين طرفى الكلام يعنى : أن يُختَم الكلامُ بما يناسب أوّله فى المعنى ، نحو قوله تعالى (لا تدْرِكه الأَبْصَار وَهوَ يُدْرِكُ الأبْصَار وَهُوَ اللَّطيفُ الخَبيرُ)

فان « اللطيف » يُناسب عدم إدراك الأبصار له ، و « الخبير » يناسب ادراكه سبحانه وتعالى للأبصار

و ما بُنِى على المناسبة فى «اللّفظ» باعتبار معنى له غير المعنى المقصود فى العبارة، نحو قوله تعالى(الشَّمْسُ وَالْقمَرُ بِحُسْبَانٍ وَالنَّجْمُ وَالشَّجرُ يَسْجُدَان)
فإنّ المراد « بالنّجم » هنا النّبات ، فلا يناسب « الشمس » و « القمر » ولكن لفظه يناسبهما ، باعتبار دلالته على الكواكب .

وهذا يقال له « إيهام التّناسب » كقوله

كأنَّ الثُّريا عُلقت فى جبينها … وفى نحرها الشِّعرى وفى خدِّها القمرُ
والطّلُّ فى سلك الغصون كلؤلؤٍ … رَطبٍ يُصافحه النّسيمُ فيسقط
والطير يقرأ والغدير صحيفة … والريح تكتب والغمام ينقّط

---

(١) وتسمى : بالتناسب . والتوافق . والائتلاف .

(٨) الارصاد

ألإرصادُ: هو أن يذكر قبل الفاصلة «من الفقرة، أو القافية، من البيت» ما يدلُّ عليها إذا عُرف الرَّوىّ، نحو: قوله تعالى (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوب)

ونحو: قوله تعالى (وما كان الله لِيظلمَهم ولـكن كانوا أنفسهم يظلمون[1]) وكقول الشاعر.

أحلّت دَمى من غير جُرم وَحَرَّمتْ ... بلا سبب عند اللقاء كلامى

فليس الذى حلّلْتِه بمُحَلَّلٍ ... وليس الذى حَرَّمتِه بمُحَرَم

ونحو: إذا لم تَستطع شيئاً فدَعْهُ ... وجاوِزه الى ما تَستطيع

وقد يُستغنى عن معرفة الروىّ، نحو: قوله تعالى (وَلِكلِّ أُمَّة أجَلٌ إذَا جاءَ أجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأخِرونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمونَ)

(٩) الادماج

ألإدْمَاج: هو أنْ يُضمَّن كلامٌ قد سيق لمعنى، معنى آخر، لم يُصرحْ به كقول المتنبى

أقلِّبُ فيه أجفانى كأنّى ... أعدُّ بها على الدهر الذّنوبا

ساق الشاعر: هذا الـكلامَ (أصالة) لبيان طول الليل، (وأدمج) الشكوى من الدهر، فى وصف الليل بالطول

(١) فالسامع: إذا وقف على قوله تعالى «قبل طلوع الشمس» بعد الاحاطة بما تقدم، علم أنه «وقبل الغروب». وكذلك البصير بمعانى الشعر وتأليفه، إذا سمع المصراع الأول (أحلت دمى — الخ) علم أن العجز (وحرمت — الخ) ليس إلا ما قاله الشاعر

(١٠) المذهب الكلامى

ألْمذهبُ الـكلامِى : هو أن يُورِدَ المتكلم على صِحَّة دعواه حُجَّة قاطعة مُسلّمة عند المخاطب ، بأن تكون المقدِّمات بعد تسليمها مستلزمةً للمطلوب

كقوله تعالى (لَوْ كانَ فيهما آلهةٌ إلاّ الله لَفَسَدَتَا) واللاّزم وهو الفساد باطل ، فكذا الملزوم وهو تعدُّد الآلهة باطل، وليس أدلّ على ذلك من الحقيقة والواقع

وكقوله تعالى : (يا أيها الناس إن كُنْتُم فى رَيْبٍ من البعث فانا خلقناكم من تراب)

ونحو قوله تعالى (وَهُوَ الذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أهْوَنُ عَلَيْهِ) أى وكل ماهو أهون عليه فهو أدخل تحت الامكان ، فالاعادة ممكنة

وسُمِّى هذا النوع (بالمذهب الكلامى) لأنه جاء على طريقة (علم الكلام والتوحيد) وهو عبارة عن اثبات (أصول الدين) بالبراهين العقلية القاطعة

(١١) حسن التعليل

حُسْنُ التَّعليل[١] هو أن يُنْكِرَ الأديبُ صراحةً ، أو ضِمناً ، عِلّة الشّىء المعروفَة ، ويأتى بعلة أُخرى أدبيّة طريفة ، لها اعتبارٌ لطيف ، ومشتملة على دِقّة النّظر ، بحيث تناسبُ الغرض الذى يرمى اليه

(١) من الأشياء ما له صفة ثابتة ، ذات علة معروفة ، أو غير معروفة : كزلزلة الأرض ، وسقوط المطر من السحب ، ومقاتلة الأعداء ، وبزوغ القمر وأفوله ، ونحو ذلك ، فيلتمس الأدباء لها عللا أخرى ، فيها طرافة وحسن ، يزداد بها المعنى الذى يريدون تقريره جمالا وشرفاً ، فحسن التعليل : هو استنباط علة مناسبة للشىء غير حقيقية ، بحيث تكون على وجه لطيف بليغ ، يحصل بها زيادة فى المقصود

يعنى أن الأديب: يدّعى لوصفٍ علّةً مناسبةً غير حقيقية، ولكن فيها حُسنٌ وطَرَافةٌ، فيزداد بها المعنى المُراد الذى يَرمى اليه جمالا وشرفاً كقول المعرّى فى الرّثاء:

وما كُلْفَةُ البدرِ المنيرِ قديمةٌ ولكنّها فى وَجْهِهِ أثَرُ اللّطمِ

يقصد: أن الحزن على (المرثى) شمل كثيراً من مظاهر الكون، فهو لذلك: يدّعى أن كُلفة البدر (وهى ما يظهر على وجهه من كدرة) ليست ناشئة عن سبب طبيعى، وإنما هى حادثة من (أثر اللّطم على فراق المرثى) ومثله قول الشاعر الآخر:

أما ذُكاء فلم تصفرَّ إذ جنحت إلا لفرقة ذاك المنظرِ الحسنِ

يقصد: أنّ الشمس لم تصفر عند الجنوح إلى المغيب للسبب المعروف ولكنها (اصفرّت مخافة أن تفارق وجه الممدوح) — ومثله قول الشاعر الآخر

ما قصَّر الغيثُ عن مصرٍ وتُربتِها طبعاً ولكن تعدَّاكم من الخجلِ

ولا جَرى النِّيل إلّا وهو مُعترفٌ بسبقكم فلذا يجرى على مَهَلِ

ينكر هذا الشاعر: الأسبابَ الطبيعيّةَ لقلة المطر بمصر، ويلتمس لذلك سبباً آخر: وهو (أن المطر يخجل أن ينزل بأرض يعمّها فضل الممدوح جوده) لأنه لا يستطيع مباراته فى الجود والعطاء، ولا بد فى العلة أن تكون ادّعائية

ثم الوصف أعمّ من أن يكون ثابتا فيُقصد بيانُ علّته، أو غير ثابت فيراد اثباته

(ا) فالأول — وصفٌ ثابتٌ غير ظاهر العلّة — كقوله:

بين السيوف وعينيها مشاركة من أجلها قيل للأجفان أجفان

وقوله ـ لم يَحْكِ نائلَكَ السحاب وانما   حُمَّتْ به فصَبِيبها الرُّحَضاءُ(١)

وقوله ـ زعم البنفسج أنه كعذاره   حُسْناً ، فسلُّوا من قفاه لسانَهُ

فخروج ورقة البنفسج إلى الخلف لا علة له ، لكنه ادّعى أن علته الافتراء على المحبوب

(ب) أو وصف ثابت ظاهر العلة ، غير التى تذكر ، كقول المتنبى

ما به قَتْلُ أعاديه ولكن   يَتّقِي إخْلاَف ماترجو الذِّئابُ

فان قتل الأعادى عادة الملوك ، لأجل أن يسلموا من أذاهم وضرّهم ولكنَّ (المتنبى) اخترع لذلك سبباً غريباً ، فتخيّل أن الباعث له على قتل أعاديه لم يكن إلا ما اشتهر وعرف به ، حتى لدى الحيوان الأعجم من (الكرم الغريزى ، ومحبته إجابة طالب الاحسان) ومن ثَمَّ فتك بهم ، لانه

---

(١) أى أن السحائب لا تقصد محاكاة جودك بمطرها لأن عطاءك المتتابع أكثر من مائها وأغزر . ولكنها حمت حسداً لك . فالماء الذى ينصب منها هو عرق تلك الحمى ـــ فالرحضاء عرق الحمى

وكقوله : لم يطلع البدر إلا من تشوقه   إليك حتى يوافى وجهك النضرا
ولا تغيب إلا عند خجلته   لما رآك فولى عنك واستترا

وكقوله : سألت الأرض لم كانت مصلى   ولم جعلت لنا طهراً وطيبا
فقالت غير ناطقة لأنى   حويت لكل انسان حبيبا

وكقوله : عيون تبر كأنها سرقت   سواد أحداقها من الغسق
فان دجا ليلها بظلمته   تضمها خيفة من السرق

وكقوله : مازلزلت مصر من كيد يراد بها   وانما رقصت من عدله طربا

وكقوله : لا تنكروا خفقان قلبى والحبيب لدىّ حاضر
ما القلب إلا داره دقت له فيها البشائر

علم ، أنه إذا غدا للحرب ، رجَت الذئاب أن يتَّسع عليها رزقها . وتنال من لحوم أعدائه القتلى ، وما أراد أن يُخيِّب لها مطلباً

والثاني — وصف غير ثابت ، وهو

(١) إمّا مُمكن — كقول مسلم بن الوليد

يا واشياً حَسُنَتْ فينا إساءتُه ... نَجَّى حِذارُكَ إنْسَانى من الغَرَق

فاستحسان إساءة الواشى ممكن ، ولـكنه لما خالف الناس فيه ، عقّبه بذكر سببه ، وهو أن حذاره من الواشى منعه من البكاء ، فسلم انسان عينه مِنَ الغرق فى الدموع

(٢) وإمّا غير ممكن — كقول الخطيب القزوينى

لو لم تكن نِيّةُ الجوزاء خِدمتَه ... لما رأيتَ عليها عِقد مُنتَطِق

فقد ادّعى الشاعر : أنّ الجوزاء تريد خدمة الممدوح ، وهذه صفة غير ممكنة ، ولـكنه علّلها بعلة طريفة ، إدّعاها أيضاً إدّعاءً أدبياً مقبولا إذ تصوّر أنّ (النجوم التى تُحيط بالجَوزاء ، إنما هى نِطاقٌ شدّته حولها على نحو ما يفعل الخدم ، ليقوموا بخدمة الممدوح[١])

= وكقوله : أرى بدر السماء يلوح حينا ... ويبدو ثم يلتحف السحابا
وذاك لأنه لما تبدى ... وأبصر وجهك استحيا وغابا
وكقوله : لم تؤذن الدنيا به فى صروفها ... يكون بكاء الطفل ساعة يولد
وكقوله : ولو لم تكن ساخطا لم أكن ... أذم الزمان وأشكو الخطوبا
وكقوله : قد طيب الأفواه طيب ثنائه ... من أجل ذا تجد الثغور عذابا

(١) ومثله قول ابن المعتز

قالوا اشتكت عينه فقلت لهم ... من كثرة القتل نالها الوصب
حمرتها من دماء من قتلت ... والدم فى السيف شاهد عجب

(١٢) التجريد

التَّجريدُ : لغة — ازالة الشىء عن غيره

واصطلاحاً — أن ينتزع المتكلِّم من أمرذى صفة أمراً آخر مثله فى تلك الصفة ، مبالغة فى كمالها فى المنتزع منه ، حتى أنه قد صار منها ، بحيث يمكن أن ينتزعَ منه موصوف آخر بها ، وأقسام التجريد كثيرة .

« ا » منها — ما يكون بواسطة (مِنْ التجريديّة) كقولك : لى من فلان صديق حميم (أى بلغ فلان من الصداقة حداً صحّ معه أن يستخلص منه آخر مثله فيها)

ونحو: ترى منهمو الأسد الغضاب اذا سطوا وتنظر منهم فى اللِّقاء بدوراً

« ب » ومنها — ما يكون بواسطة (الباء التجريدية) الداخلة على المنتزع منه نحو قولهم : لئن سألت فلاناً لتسألنّ به البحر ، بالغ فى اتّصافه بالسماحة ، حتى انتزع منه بحراً فيها

« ج » ومنها — ما لا يكون بواسطة ، نحو : (وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر)

« د » ومنها — ما يكون بطريق الكناية ، كقول الأعشى

يا خير من ركب المطىّ ولا يشرب كأساً بكفّ من بخلا[1]

= وكقوله : فلئن بقيت لأرحلن بغزوة تحوى الغنائم أو يموت كريم

وكقوله : عداتى لهم فضل على ومنة فلا أذهب الرحمن عنى الأعاديا

همو بحثوا عن زلتى فاجتنبتها وهم نافسونى فاكتسبت المعاليا

وكقوله : لولم يكن أقحوانا ثغر مبسمها ما كان يزداد طيبا ساعة السحر

(١) أى يشرب الكأس بكف الجواد — انتزع منه جواداً يشرب هو بكفه على طريق الكناية . لأن الشرب بكف غير البخيل يستلزم الشرب بكف الكريم

(١٣) المشاكلة

المُشَاكَلَةُ : هى أن يُذكر الشّىء بلفظ غيره ، لوقوعه فى صُحبته

كقوله تعالى (تَعْلَمُ مَا فِي نَفسِى وَلاَ أعْلَمُ مَافِي نَفْسِكَ) المراد : ولا أعلم ماعندك

وعبّر بالنفس (للمُشاكلة) ونحو : قوله تعالى (نَسُوا اللّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ)

أى أهملهم . ذكر الاهمال هنا بلفظ النسيان لوقوعه فى صحبته

ومن ذلك ما حكى عن أبى الرقمع : أن أصحاباً له ، أرسلوا يدعونه إلى

الصبوح فى يوم بارد ، ويقولون له ، ماذا تريد أن نصنع لك طعاماً ؟؟ وكان

فقيراً ، ليس له كسوة تقيه البرد ، فكتب اليهم يقول :

أصحابنا قصدوا الصَّبوح بسحرة ... وأتى رسولهُمُ إلىَّ خصيصاً

قالوا اقتَرِحْ شيئاً نَجِدْ لك طبخَه ... قلتُ أطبُخوا لى جبُّةً وقميصا[1]

وكقوله : مَن مُبلغ أفناء يَعرُبَ كلّها ... أنّى بنيت الجار قبل المنزل

وكقوله : ألاَ لا يجهلَنْ أحد علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلينا

(١٤) المزاوجة

المُزاوجَةُ : هى أن يُزاوِجَ المتكلّم بين معنيين فى الشّرط والجزاء ، بأن

= وهو لا يشرب إلا بكف نفسه . فاذاً هو ذلك الكريم

ومن التجريد خطاب المرء نفسه ، كقول المتنبى

لا خيل عندك تهديها ولا مال ... فليسعد النطق ان لم تسعد الحال

أى الغنى — فقد انتزع من نفسه شخصاً آخر وخاطبه ، وهذا كثير فى كلام الشعراء ، وانما سمى هذا النوع تجريداً لأن العرب تعتقد أن فى الانسان معنى كامناً فيه كأنه حقيقته ، فتخرج ذلك المعنى الى ألفاظها مجرداً عن الانسان ، كأنه غيره

وفائدة هذا النوع (مع التوسع) أن يثبت الانسان لنفسه مالا يليق التصريح بثبوته له

(١) أى خيطوا لى جبة وقميصا ، فذكر الخياطة بلفظ الطبخ لوقوعه فى صحبة طبخ الطعام

يُرَتِّب على كلّ منهما معنى ، رُتب على الآخر ، كقوله :

إذا ما نهى النّاهى فلجَّ بِىَ الهوى أصاخت إلى الواشى فلجّ بها الهجر

زاوج بين النهى والإصاخة فى الشّرط والجزاء بترتيب اللّجاج عليهما

وكقوله :

إذا احتربتْ يوماً ففاضت دماؤها تذكَّرتْ القربى ففاضت دموعها

زاوج (١) بين الاحتراب « أى التّحارب » و بين تذكر القُربى ، فى الشرط والجزاء ، بترتيب الفيض عليهما

(١٥) الطى والنشر

الطَّىّ والنّشر — أن يُذكر مُتعدِّد ، ثم يُذكر ما لـكلّ من أفراده شائعاً من غير تعيين ، اعتماداً على تصرُّف السامع فى تمييز ما لـكلّ واحد منها ، وردّه إلى ما هو له — وهو نوعان :

« ا » إمَّا أن يكون النّشر فيه على ترتيب الطّى ، نحو قوله تعالى (وَمِن رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَـكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ) فقد جمع بين الليل والنّهار ، ثم ذكر السكون للّيل ، وابتغاء الرزق للنهار ، على التّرتيب

وكقوله: عيونٌ وأصداغ وفرعٌ وقامة وخالٌ وَوَجنات وفرق وَمرشفُ
سيوف وريحان وليـل وبانَة ومِسْكٌ وياقوتٌ وَصُبْحٌ وَقَرْقفُ

وكقوله : فعلُ المدام ولونها ومذاقها فى مُقلتيه ووجنتيه وريقه

« ب » وإمَّا أن يكون النشر على خلاف ترتيب الطّىّ — نحو (فَمَحَوْنا آيَةَ اللَيْلِ وَجَعَلْنا آيَةَ النَّهار مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّـكُمْ وَلِتَعلَمُوا عَدَدَ السِّنِين وَالحِسَاب)

(١) المزاوجة: المشابهة: يقال زاوج أى خالط وأشبه بعضه بعضافى السجع أو الوزن

ذكر ابتغاء الفضل للثانى ، وعلم الحساب للأول، على خلاف الترتيب

وكقوله — ولحظُهُ ومُحَيّاهُ وقامته   بدر الدُّجا وقَضيبُ البان والرّاح

فبدر الدُّجا : راجع إلى «المُحيّا» الذى هو الوجه ، و «قضيب البان» راجع إلى «القامة» ، والراح راجع إلى اللّحظ» ويُسمّى (اللّف والنّشر) أيضاً

(١٦) الجمع

الجَمْعُ : هو أن يجمع المتكلّم بين متعدِّد، تحت حكم واحد — وذلك

«ا» إمّا — فى اثنين، نحو قوله تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا)

ونحو : قوله تعالى (وَاعْلَمُوا أنّمَا أمْوَالـكُمْ وَأوْلادُكُمْ فِتنَة)

«ب» وإمّا — فى أكثر ، نحو قوله تعالى (إنّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأنْصَابُ والأزْلام رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَان فاجتنبوه) — وكقوله

إنَّ الشباب والفراغَ والجِدَه   مَفسدة للمرء أىَّ مفْسَدَه

وكقوله : آراؤه وَعطاياهُ ونعمتهُ   وعفوهُ رحمـة للنّاس كُلّهم

وكقوله آراؤكم وَوجوهكم وسيُوفكم   فى الحادثات إذا دَجَوْن نجومُ

(١٧) التفريق

التّفريق : أن يُفرِّق بين أمرين من نوع واحد فى اختلاف حكمهما نحو قوله تعالى (وَمَا يَسْتَوِى الْبَحْرَانِ هذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ ، وهذَا مِلْحٌ أجَاجٌ) — وكقول الشاعر :

ما نوالُ الغمام وقت ربيـع   كنوال الأمير يوم سخاء

فنــوالُ الأمير بَدرَة عين   ونوال الغمام قَطرة ماء

وكقوله - من قاس جَدواك يوماً بالسُّحب أخطأ مدحكْ
السُّحب تعطِى وتبكى وأنت تعطى وتضحكْ

وكقوله - من قاس جدواك بالغمام فما أنصف فى الحكم بين شكلين
أنت إذا جُدت ضاحكٌ أبدا وهو إذا جاد دامع العين

وكقوله - ورْد الخدود أرقّ من وَرد الرِّياض وأنعمُ
هذاك تنشقُهُ الأنوفُ وذا يُقبِّله الفمُ

(١٨) التقسيم

التّقْسيم : هو أن يُذكر مُتعدِّد ، ثمَّ يُضاف إلى كلٍّ من أفراده ، ماله على جهة التّعيين ، نحو : (كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ، فَأَمّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بالطّاغِيَةِ وَأمّا عادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عاتِيَةٍ)

وقد يطلق التقسيم على أمرين آخرين

أوَّلهُما — أن تُستوفى أقسام الشىء ، نحو قوله تعالى (لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثّرَى)

وثانيهما — أن تُذكر أحوال الشىء ، مضافاً إلى كل منها ما يليق به كقوله تعالى : (فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ) — وكقوله :

سأطلبُ حقّى بالقَنَا ومشايخ كأنهمو من طول ما الْتثموا مُردُ
ثقالٌ إذا لاقوْا خِفافٌ إذا دُعوا كثير إذا شدُّوا قليلٌ إذا عُدُّوا

وكقوله : ولا يقيم على ضَيم يُراد به إلاّ الأذلاّنِ عَيرُ الحيّ والوتدُ
هذا على الخسف مربوط برُمّته وذا يُشجّ فلا يرثى له أحدُ

(١٩) الجمع مع التفريق

ألجمعُ مع التّفريق : أن يجمع المتكلّم بين شيئين فى حكم واحد ، ثم يفرّق بين جهتَيْ إدخالهما — كقوله تعالى (خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ . وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ) وكقوله : فوجهك كالنّار فى ضوئها وقلبي كالنّار فى حرّها

(٢٠) الجمع مع التقسيم

ألجمعُ مع التقسيم : أن يجمع المتكلّم بين شيئين أو أكثر تحت حُكم واحد

ثم يُقسِّم ما جمع — أو : يقسِّم أوّلا : ثم يجمع

فالأول — نحو (اللهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) وكقول المتنبي

حتى أقام على أرباض خَرشنةٍ[1] تشقى به الرّوم والصلبان والبِيَعُ
للرّقِ ما نسلوا والقتل ما ولدوا والنّهب ما جمعوا والنّار ما زرعوا
سأطلب حقّي بالقنا ومشايخ[2] كأنهم من طول ما التثموا مُرْدُ
ثِقالٌ إذا لاقَوا ، خفاف إذا دعوا كثير إذا شدّوا قليل إذا عُدّوا

والثانى — كقول سيدنا حسان

قومٌ إذا حاربوا ضرّوا عدوّهمُ أو حاولوا النّفع فى أشياعهم نفعُوا

---

(١) الأرباض : جمع ربض وهو ماحول المدينة ، وخرشنة : بلد بالروم

(٢) القنا : الرماح ، والمشايخ أصحابه ، أى يطلب حقه بنفسه ومستعينا بأصحابه المجربين المحنكين ، ولذلك جعلهم مشايخ .

سجيّة تلك فيهم غيـــير مُحْدَثة ... إنّ الخلائق فاعلم شرّها البِدعَ

(٢١) المبالغة

المُبَالَغَة : هِيَ أن يدَّعِي المتكلّم لوصف ، بلوغه في الشدّة أو الضَّعْف حدًّا مُسْتَبْعَدا ، أو مستحيلا ، وتنحصر في ثلاثة أنواع

(١) تبليغ — إن كان ذلك الادّعاء للوصف من الشِدَّة أو الضّعف مُمكناً عقلا وعادة ، نحو قوله تعالى « ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرجَ يده لم يكد يراها » وكقوله في وصْف فرس

إذا ما سابقتها الرِّيح فرَّت ... وألقتْ في يد الرّيح التّرابا

(٢) وإغْراق — إن كان الادّعاء للوصف من الشّدَّة أو الضعف ممْكناً عقلا ، لا عادة — كقوله

ونُكرم جارنا مادام فينا ... ونُتبعهُ الكرامة حيث مالا

(٣) وغلوّ[1] — إن كان الادعاء للوصف من الشّدَّة أو الضَّعْف مستحيلا عقلا وعادة — كقوله

تكادُ قَسِيُّه من غير رَامٍ ... تُمكِّنُ في قلوبهم النِّبالاَ

(٢٢) المغايرة

المُغَايَرة : هى مدح الشىء بعد ذمه ، أو عكسه — كقول الحريرى في مدح الدِّينار

(١) أما الغلو : فمنه مقبول ، ومنه مردود : فالمقبول ثلاثه أنواع : أحدها ما اقترن به ما يقربه للصحة ، (كفعل مقاربة) نحو : قوله تعالى (يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار) .

« أَكرِمْ به أصفرَ راقت صفرته »

بعد ذمه فى قوله — « تبًّا له من خادع مُمارِق »

(٢٣) تأكيد المدح بما يشبه الذم

تأكيدُ المدح بما يُشْبِهُ الذَّم : نوعان

الأوَّل — أن يُستثنى من صِفة ذَمٍّ مَنفية عن الشيء ، صِفةُ مدح بتقدير دخولها فيها — كقوله

ولا عَيبَ فيهم غيرَ أن سُيوفهم بهنَّ فلول من قِراع الكتائبِ [١]

الثّانى — أن يثبتَ لشيءٍ صفة مدح ، ثم يُؤْتى بعدها بأداة استثناء [٢]

---

(١) أو أداة فرض ، نحو قوله تعالى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله)

ومنه — ماتضمن حسن تخييل ، كقول المتنبى

عقدت سنابكها عليها عثيراً لو تبتغى عنقاً عليه لأمكنا (١)

وقول المعرى :

يذيب الرعب منه كل عضب فلولا الغمد يمسكه لسالا

ومنه — ما أخرج مخرج الهزل والخلاعة — كقول النظام

توهمه طرفى فآلم طرفه فصار مكان الوهم فى خده أثر

ومر بفكرى خاطراً فجرحته ولم أر خلقاقط يجرحه الفكر

وقول الآخر — لك أنف ياابن حرب أنفت منه الأنوف

أنت فى القدس تصلى وهو فى البيت يطوف

(١) أى ان كان تكسر حد سيوفهم من مقارعة الجيوش عيبا فلا عيب فيهم =

---

(١) السنابك جمع سنبك وهوطرف مقدم الحافر . والعثير الغبار . والعنق ضرب من السير ، سريع فسيح الخطو — يقول إن حوافر هذه الخيل عقدت فوقها غبارا كثيفا ، حتى لو ارادت السير عليه لكان يحملها ، كالأرض لشدة كثافته

تليها صفة مدح أخرى (والنوع الأول أبلغ) — كقوله

ولا عيبَ فيـه غير أنى قصدته فأنستنىَ الأيام أهلاً وموَطنا

وكقوله-فتى كملت أوصافه غيرَ أنه جوادٌ فما يُبقى من المال باقيا

وقد تقوم (لـكنْ) مقام أداة الاستثناء فى هذا النوع

(٢٤) تأكيد الذم بما يشبه المدح[1]

تأكيد الذّم بما يُشبه المدح: ضربان أيضاً

الأوّل — أن يُستثنى من صفة مدح مَنفيةٍ عن الشىء، صفةُ ذمٍ بتقدير دخولها فيها — كقوله:

خـلا من الفضل غيرَ أنّى أراه فى الحُمقْ لا يجَارى

ونحو — لا فضلَ للقوم الا انّهم لا يعرفونَ للجار حقّه

ونحو: الجاهلُ عَدوّ نفسه الا أنه صديق السّفهاء

ونحو: فلان ليس أهلاللمعروف، إلا أنه يُسيء الى مَن يُحسِن اليه

غيره، ومن المعلوم أنه ليس بعيب — وكـقول الآخر

ولاعيب فيهم سوى أن النزيل بهم يسلو عن الاهل والاوطان والحشم

وقوله. ولاعيب فيه غير أن خدوده بهن احمرار من عيون المتيم

وقوله. ليس به عيب سوى أنه لا تقع العـين على شبهه

وقوله. ولا عيب فى معروفهم غيرأنه يبين عجز الشاكرين عن الشكر

وقوله. ولاعيب فيكم غيرأن ضيوفكم تعاب بنسيان الأحبة والوطن

(١) وهناك نوع آخر، يسمى «الهجاء فى معرض المدح»، وهو أن يؤتى بكلام ظاهره مدح، وباطنه ذم — كـقوله

أبو جعفر رجل عالم بما يصلح المعدة الفاسده

تخوف تخمة أضيافه فعودهم أكلة واحدة

الثّانى — أن يُثْبت لشىء صِفة ذَمّ ، ثم يُؤتى بعدها بأداة استثناء[1] تليها صفة ذمّ أخرى ، نحو : فلان حسودٌ إلاّ أنه نمّام ، — وكقوله

هو الـكلبُ إلاّ أنّ فيه ملالةً   وسُوءِ مراعَاة وما ذاك فى الـكلاب

وكقوله : لئيم الطباع سِوَى أنه   جَبَانٌ يهون عليـه الهَوَان

(٢٥) التوجيه

التّوجيه : هو أن يُؤتى بكلام يحتمل مَعنَيين مُتَضادَّين على السواء كهجاء ، ومديح ، ودعاء للمخاطب ، أم دعاء عليه ، ليبلغَ القائل غرضه بمالا يُمسَك عليه ، كقول بَشَّار فى خياط أعور (اسمه عمرو)

خَاطَ لى عمرٌو قبَاءً   ليتَ عينَيْه سَوَاءً

فإنّ دعاءه لا يُعلم ، هل له أم عليه

وقوله : كلَّما لاَحَ وَجهه بمكان   كثرت زَحْمة العيُون الى رُؤيَتِه

ويحكى أن محمداً بن حزم هنأ (الحسن بن سَهل) باتصال بنته (بورَان) التى تُنسب اليها الأطبخة البُورَانية (بالخليفة المأمون العباسى) مع من هنأه ، فأثابهم ، وحرَمه : فكتب اليه إنْ أنت تماديتَ على حرمانى ، قُلتُ فيك « بيتاً لا يُعرَف » أهو مدح أم ذم ، فاستحضره وسأله ؟ فأقرَّ ، فقال الحسَن : لا أعطيك أو تفعل ، فقال :

---

(١) ومثل أداة الاستثناء فى ذلك ، اداة الاستدراك فى قول الشاعر

وجوه كأظهار الرياض نضارة   ولـكنها يوم الهيـاج صخور

وكقوله : هو البدر إلا أنه البحر زاخراً   سوى أنه الضرغام لـكنه الوبل

أدرك أهل البيان (التدبيج) فى الطباق . وأفرده أهل البديع ، وهو الأولى ، لجواز أن لا يقع (التقابل) بين الألوان ، فيفوت (الطباق)

بارك الله للحسنْ ولبُوران فى الختَنْ

يا إمامَ الهدى ظفر تَ ولكن ببنتَ مَنْ ؟؟

فلم يدر : ببنت مَنْ ؟ ؟ — أفى العظمة وعلوّ الشأن ورفعة المنزلة أم فى الدناءة والخِسَّة ؟ ؟ — فاستحسنَ الحسَن منه ذلك

والخُلاصة أنَّ التَّوجيه نوعان :

الأول : أن يكون الكلام بحيث يَصلح لأن يُراد به مَعنيَانِ متضَادَّان على السّواء

والثانى : أن يكون الكلام بحيث يشتمل على مجموعة ، أو مجموعات من مصطلحات العلوم . أو الفنون . أو الأسماء المتلائمة

الفرق بين التورية والتوجيه

(ا) التَّورية : تكون فى لفظ واحد .

وأمَّا التَّوجيه : فيكون فى تركيب ، أو جملة أسماء متلائمة

(ب) التَّورية : يقصد المتكلم بها معنى واحداً : هو البعيد

والنوع الأول من التوجيه : لايترجح فيه أحد المعنيين على الآخر

(ج) لفظ التورية : له معنيان بأصل الوضع

وألفاظ النوع الثانى من التوجيه : ليس لها الا معنى واحد بأصل الوضع ، ويكون هو المقصود من الكلام

(٢٦) نفى الشىء بايجابه

نَفْىُ الشَّيْء بإيجَابه : هو أن ينفى متعلّق أمر عَنْ أمر ، فيوهم اثباته له ، والمراد نفيه عنه أيضاً ، نحو قوله تعالى (لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ)[1]

---

(١) مقتطع من الآية : التى مرت فى مبحث ترك المسند ، حيث يقول (يسبح له

فانّ نفى إلهاء التجارة عنهم، يُوهم إثباتها لهم — والمراد نفيها أيضاً.

(٢٧) القول بالموجب

القَوْل بالموجَب : نوعان

الأول — أن يقع في كلام الغير إثبات صفةٍ لشيء وترتيب حكم عليها، فينقل السّامع تلك الصفّة إلى غير ذلك الشيء من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم له أو انتفائه عنه، كقوله تعالى (يَقُولونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلى الْمدِينَةِ لَيُخْرِجنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأذَلَّ وَلِلهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) [١] فالمنافقون أرادوا بالأعزّ أنفسهم، وبالأذل المؤمنين، ورتبوا على ذلك الاخراجَ من المدينة فنُقلت صفة العِزّة للمُؤْمنين، وَأُبقيَتْ صفة الأذلّية للمنافقين، من غير تَعرُّض لثبوت حكم الاخراج للمتَّصِفين بصفة العزَّة، وَلا لنفيه عنهم

وَالثاني : حَمْل لفظ وَقع في كلام الغير على خلاف مراده بذكر متعلَّق له

كقوله : وقالوا قد صفتْ مِنّا قلوبٌ   لقد صدقوا ولكن عن ودادي

أراد بصفو قلوبهم (الخلوص)، فحَمَلهُ على الخلوّ بذكر متعلقه، وهو قوله «عن ودَادِي»

فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) فان قوله لا تلهيهم تجارة) يوهم أن لهم تجارة، غير أنهم لا يلتهون بها. ولكن المراد أنهم ليس لهم تجارة حتى يلتهوا بها، لأن رجال الجنة لا يتعاطون التجارة

(٢) تلخيص العبارة : أن الكافرين حكموا لأنفسهم بالعزة . وللمؤمنين بالذلة وقالوا ان رجعنا الى المدينة نخرجهم منها . فحكم بالعزة لله . ولرسوله . وللمؤمنين — ولم يقل أنهم يخرجون أولئك منها، ولا أنهم لا يخرجونهم

(٢٨) ائتلاف اللفظ مع المعنى

إئتلاف اللفظ مع المعنى : هو أن تكون الألفاظ موافقة للمعانى ، فتختار الألفاظ الجزلة ، والعبارات الشديدة للفخر والحماسة ، وتختار الكلمات الرقيقة ، والعبارات اللينة ، للغزل والمدح — كقوله

إذا ما غضبنا غضبة مضرية هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما
إذا ما أعرنا سيداً من قبيلة ذرا منبر صلى علينا وسلما

وكقوله — ولست بنظار إلى جانب الغنى إذا كانت العلياء فى جانب الفقر

وكقوله — لم يطل ليلى ولكن لم أنم ونفى عنى الكرى طيف ألم

(٢٩) التفريع

التفريع : هو أن يثبت حكم لمتعلق أمر ، بعد إثباته لمتعلق له آخر كقول الشاعر

فاضت يداه بالنضار كما فاضت ظباه فى الوغى بدمى

وكقوله أحلامكم لسقام الجهل شافية كما دماؤكم تشفى من الكلب

(٣٠) الاستتباع

الاستتباع : هو الوصف بشيء على وجه يستتبع الوصف بشيء آخر ، مدحاً أو ذماً

يعنى أن الاستتباع هو المدح على وجه يستتبع المدح بأمر آخر ، كقوله

ألا أيها المال الذى قد أباده تسل فهذا فعله بالكتائب

وكقوله : سمح البديهة ليس يمسك لفظه فكأن ألفاظه من ماله

وكقوله: الحربُ نُزهتهُ والبأسُ هِمَّته والسَّيفُ عَزمتهُ واللهُ ناصرهُ

وقيل: إنه يكون أيضاً في الذَّم، كقول بعضهم في (قاض) لم يقبل شهادته برؤية هلال الفطر

أتَرَى القاضيَ أعمَى أم تَرَاه يَتعامَى
سَرق العِيدَ كأنَّ الـ عيدَ أموالُ اليتامَى

(٣١) السلب والايجاب[1]

السّلب والإيجاب: هو أن يقصدَ المتكلّم تخصيص شيء بصفة فينفيها عن جميع الناس، ثم يُثبتها له مدحاً أو ذماً، فالمدح — كقول الخنساء

وما بلَغتْ كفُّ امرىءٍ مُتناولاً من المجد إلا والذى نلتَ أطولُ
ولا بلغَ المهْدُونَ للناس مِدحةً وإن أطنبُوا إلاَّ الذى فيك أفضلُ

والذَّم — كقول بعضهم

خُلقوا وما خُلِقوا لمـكرُمة فـكأنّهم خُلِقوا وما خُلِقوا
رُزقوا وما رُزِقوا سماحَ يَدِ فـكأنّهم رزقوا وما رزقوا

(٣٢) الابداع

الإبدّاع: هو أن يكون الكلام مشتملا على عِدَّة أنواع من البديع كقول الشاعر

---

(١) ويسمى الرجوع: وهو العود على الكلام السابق بالنقض لنكتة، كقول زهير

قف بالديار التى لم يعفها القدم بلى وغيرها الأرواح والديم

وكقوله — وماضاع شعرى عندكم حين قلته بلى وأبيكم ضاع فهو يضوع

فضحتَ الحيا والبحرَ جُوداً فقد بكى الـ　　حيا من حياءٍ منك والتطمَ البحرُ (١)

---

(١) فان فيه حسن التعليل فى قوله (بكى الحيا من حياء منك) . وفيه التقسيم: فى قوله (فضحت الحيا والبحر) — حيث ارجع ما لكل إليه على التعيين بقوله بكى الحيا ، والتطم البحر . وفيه المبالغة فى جعله بكاء الحيا والتطام البحر حياء من الممدوح . وفيه الجمع فى قوله : فضحت الحيا والبحر . وفيه رد العجز على الصدر : فى ذكر البحر والبحر وفيه الجناس التام : بين الحيا والحياء — وللقرآن الكريم اليد البيضاء فى هذا النوع فقد وجد اثنان وعشرون نوعا فى قوله تعالى (وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بعداً للقوم الظالمين) مع كون الآية سبع عشرة لفظة — ولا بد لى من ذكرها ، تبركا بها ، وإلجاما لبعض المعاصرين الذين يتفوهون بما لا يليق ذكره ، بالنسبة لكلام رب العالمين (١) ففيها (المناسبة التامة) بين ابلعى وأقلعى (٢) الاستعارة فيهما (٣) الطباق بين الأرض والسماء (٤) المجاز فى قوله (يا سماء) فان الحقيقة يا مطر (٥) الاشارة : فى «وغيض الماء» فانه عبر به عن معان كثيرة ، فان الماء لا يغيض حتى يقلع مطر السماء ، وتبلع الأرض ما يخرج منها من عيون الماء (٦) الارداف : فى قوله « واستوت على الجودى » فانه عبر عن استقرارها فى المكان بلفظ قريب من لفظ المعنى (٧) التمثيل فى قوله « وقضى الأمر » فانه عبر عن هلاك الهالكين ونجاة الناجين بلفظ بعيد عن الموضوع (٨) التعليل — فان غيض الماء علة الاستواء (٩) التقسيم : فانه استوفى أقسام الماء حال نقصه (١٠) الاحتراس : فى قوله « وقيل بعداً للقوم الظالمين » إذ الدعاء يشعر بأنهم مستحقوا الهلاك ، احتراساً من ضعيف يتوهم أن الغرق لعمومه ربما يشمل غير المستحق (١١) الانسجام ، فان الآية منسجمة كالماء الجارى فى سلاسته (١٢) حسن التنسيق ، فانه تعالى قص القصة وعطف بعضها على بعض بحسن الترتيب (١٣) ائتلاف اللفظ مع المعنى ، لأن كل لفظة لا يصلح لمعناها غيرها (١٤) الايجاز فانه سبحانه وتعالى — أمر فيها ونهى . وأخبر ونادى . ونعت وسمى . وأهلك وأبقى وأسعد وأشقى — وقص من الأنباء ما لو شرح لجفت الأقلام (١٥) التسهيم : إذ أول الآية يدل على آخرها (١٦) التهذيب : لأن مفرداتها موصوفة بصفات الحسن ، لأن =

(٣٣) الأسلوب الحكيم

أُسلُوب الحكيم : هو تَلَقِّى المخاطَب بغير ما يترقَّبُه

(١) إمَّا بترك سُؤاله : والإجابة عن سؤال لم يسأله

(٢) وإمَّا بحمل كلام المتكلم على غير ما كان يَقصِدُ ويُريدُ، تنبيهاً على أنه كان ينبغى له أن يسأل هذا السؤال، أو يقصد هذا المعنى

فمثال الأول: ما فعله القَبَعثَرِى بالحجَّاج (١)، إذ قال له الحجّاج متوعِّداً (لأحملنّكَ على الأدهَمِ)

يُريدالحجّاج: القيد الحديد الأسود: فقال القَبعثَرِى «مِثْلُ الأمير يَحمل

= كل لفظة سهلة مخارج الحروف . عليها رونق الفصاحة ، سليمة من التنافر ، بعيدة عن عقادة التراكيب (١٧) حسن البيان : لأن السامع لايشكل عليه فى فهم معانيها شىء (١٨) الاعتراض : وهو قوله (وغيض الماء واستوت على الجودى) (١٩) الكناية فانه لم يصرح بمن أغاض الماء . ولا بمن قضى الأمر — وسوى السفينة — ولا بمن قال وقيل بعداً . كما لم يصرح بقائل (يا أرض ابلعى ماءك وياسماء أقلعى) فى صدر الآية سلوكا فى كل واحد من ذلك سبيل الكناية (٢٠) التعريض : فانه تعالى عرض بسالكى مسالكهم فى تكذيب الرسل ظلما — وان الطوفان وتلك الصورة الهائلة ما كانت إلا بظلمهم (٢١) التمكين لأن الفاصلة قارة متمكنة فى موضعها (٢٢) الابداع الذى نحن بصدد الاستشهاد له ، وفيها غير ذلك — وقد أفردت هذه الآية الشريفة بتآليف عديدة لما اشتملت عليه من البلاغة ، حتى عد بعضهم فيها مائة وخمسين نوعا ، وقد أجمع المعاندون على أن طوق البشر عاجز عن الاتيان بمثلها

(١) هو الحجاج بن يوسف الثقفى ، كان عاملا على العراق وخراسان : لعبدالملك ابن مروان ، ثم للوليد من بعده ، وكان شديد البطش قاسيا ، حتى ضرب المثل بجوره وظلمه توفى سنة ٩٥ هـ

على الأدهم والأشهب » يعنى الفرس الأسود ، والفرس الأبيض ، فقال له الحجَّاج : أردت (الحديد) ، فقال القَبَعْثَرى : لأَنْ يكون حديداً خيرٌ من أن يكون بليداً ، ومُرادُه تَخطِئة الحجَّاج بأنَّ الأليق به الوعد (لا الوعيد[1])

ومثال الثانى : قوله تعالى (وَيَسْأَلونَكَ مَاذَا يُنفِقونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ والأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى والْمَسَاكِينِ وابْنِ السَّبِيلِ)

سألوا النبىّ عليه الصلاة والسلام عن حقيقة ما يُنفقون مَالَهُم ، فأجيبوا ببيان طُرُق إنفاق المال : تنبيهاً على أن هذا هو الأولى والأجدر بالسؤال عنه

وقال تعالى (يَسْأَلونَكَ عَنْ الأهِلَّة قُلْ هِيَ مَوَاقيت للنَّاس وَالحَجِّ[2])

---

(١) سبب ذلك : أن الحجاج بلغه أن القبعثرى لما ذكر الحجاج بينه وبين أصحابه فى بستان ، قال : اللهم سود وجهه ، واقطع عنقه ، واسقنى من دمه ، فوشى به إلى الحجاج فلما مثل بين يديه ، وسأله عن ذلك ، قال : انما أردت (العنب) ، فقال له الحجاج ماذكر ومثل ذلك قول الشاعر

ولقد أتيت لصاحبى وسألته فى قرض دينار لأمر كانا
فأجابنى والله دارى ماحوت عيناً فقلت له ولا انسانا

وسئل تاجر ؟ ؟ كم رأس مالك . فقال : إنى أمين ، وثقة الناس بى عظيمة
وقال الشاعر :

طلبت منه درهماً يوماً فأظهر العجب
وقال ذا من فضة يصنع لامن الذهب

وسئل أحد العمال ؟ ؟ ماذا ادخرت من المال . فقال : لاشىء يعادل الصحة

(٢) بيان ذلك : أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوه عن الأهلة ؟ ؟ لم تبدو صغيرة ، ثم تزداد حتى يتكامل نورها . ثم تتضاءل حتى لاترى (وهذه مسألة دقيقة من علم الفلك) تحتاج إلى فلسفة عالية وثقافة عامة — فصرفهم عنها ببيان أن الأهلة وسائل للتوقيت فى المعاملات ، والعبادات ، إشارة إلى أن الأولى بهم أن يسألوا عن هذا

وقال ابن حجّاج البغدادى

قُلْتُ: ثقَّلتُ، إذْ أتيتُ مِراراً ــــ قال: ثقَّلتَ كاهلِى بالْايادِى

قُلْتُ: طوَّلتُ، قال: أوليتَ طوْلاً ــــ قُلْتُ: أبرمتُ، قال: حبلِ ودادِى (١)

فصاحب ابن حجّاج: يقول له، قد ثقّلت عليك بكثرة زياراتى، فيصرفه عن رأيه فى أدب وظَرْفٍ، وينقل كلامه من معنى إلى معنى آخر – وكقول الشاعر

ولمّا نعى النّاعى سألناه خَشْيةً ــــ وللعين خوفُ البَيْنِ تَسْكابُ أمطارِ

أجابَ قضَى: قُلنا قضى حاجة العلا ــــ فقال مضَى: قلنا بكلِّ فخارِ

ويحكى: أنه لما توجَّه (خالد بن الوليد) لفتح الحَيرة، أتى اليه منْ قبل أهلها رجلٌ ذُو تجربة: فقال له (خالد) فيم أنتَ؟ قال فى ثيابى. فقال علامَ أنت؟ فأجاب على الأرض – فقال كم سنّك؟ قال اثنتان وثلاثون – فقال: أسألك عَنْ شىء، وتجيبُنى بغيره: فقال: إنّما أجبتك عمّا سألت

(٣٤) تشابه الأطراف

تَشابُه الأطراف: قسمان — معنوى ولفظى

فالمعنوى: هو أن يَخْتِم المتكلّم كلامه بما يناسب ابتداءه فى المعنى. كقوله

ألَذّ من السِّحر الحلال حديثُهُ ــــ وأعذَب من ماء الغمَامَة ريقُهُ

فالريق: يناسب اللَّذَّة فى أول البيت

---

(١) فقد وقع لفظ «ثقلت» فى كلام المتكلم بمعنى «حملتك المؤونة» فحمله المخاطب على الاكثار من المنن والأيادى «وأبرمت» وقع فى كلامه بمعنى «أمللت» فحمله المخاطب على ابرام حبل الوداد وإحكامه، وليس فى طولت الأولى التى هى من طول الإقامة، وتطولت من التطول وهو التفضل: شاهد

واللفظى نوعان —

الأوّل — أن ينظر الناظم أو الناثر إلى لفظة وقعت فى آخر المِصراع الأول أو الجملة ، فيبدأ بها المِصراع الثانى ، أو الجملة التّالية ، كقوله تعالى : « مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاة فيها مِصْبَاحٌ المِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ » وكقول أبى تمام :

هوىً كان خِلْساً إنَّ من أبرد الهوى هوَى جُلْتُ فى أفيائه وهو خاملُ

الثّانى — أن يعيد الناظم : لفظة القافية من كل بيت فى أول البيت الذى يليه ، كقوله :

رمَتْنِى وسِترُ الله بينى وبينها عَشِيَّةَ آرام الكِناس رَميمُ
رميمُ التى قالتْ لجيران بيتها ضَمِنتُ لكم ألاَّ يزال يهيمُ

وكقوله :

اذا نزل الحجاج أرضاً مريضة تتبَّع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الدَّاء العُضال الذى بها غلامٌ اذا هزَّ القَنَاة سَقاها
سَقاها فروَّاها بشرب سجالها دماء رجالٍ حيث مال حشاها

(٣٥) العكس

العَكسُ : هو أن تُقدِّم فى الكلام جزءاً ثم تعكِسُ : بأن تُقدِّمَ ما أخرْتَ ، وتُؤخِّر ما قدّمتَ ، ويأتى على أنواع

١ — أن يقع العكس بين أحد طرفى جملة ، وما أضيف اليه ذلك الطرف ، نحو : كلام الملوك ملوك الكلام — وكقول المتنبى

إذا أمطرت منهم ومنك سحابة فوابلُهم طلٌ وطَلُّكَ وابلُ

ب — أن يَقعَ العكس بين مُتعلّقى فعلين فى جملتين . كقوله تعالى : «يُخرج الحىّ من الميت ويُخرج الميت من الحى»

ج — أن يَقعَ العكس بين لفظين فى طرفى الجملتين . كقوله تعالى : (لاَ هُنَّ حِلٌّ لهمْ، وَلاَ همْ يَحِلُّونَ لهنّ)

د — أن يقع العكس بين طرفى الجملتين . كقول الشاعر

طوَيتُ بإِحراز الفنون ونَيْلها ... رداء شباب والجنون فُنونُ

فحين تعَاطيت الفنون وحظّها ... تبيَّنَ لى أنّ الفنون جنونُ

ه — أن يكون العكس بترديد مِصراع البيت معكوساً . كقول الشاعر:

إنَّ للوَجد فى فؤادى تراكمُ ... ليتَ عينى قبل الممات تَرا كمُ

فى هوا كمْ يا سادتى مِتّ وَجْداً ... مِت وَجداً ياسادتى فى هوا كمُ

(٣٦) تجاهل العارف

تجاهُل العارف : هو سُؤال المتكلم عمَّا يعلمه حقيقة ، تجاهُلاً منه لنُـكتة ، كالتَّوبيخ ، فى قوله

أيا شجر الخابور مالك مورقاً ... كأنك لم تجزع على ابن طَريف

أو المُبالغة فى المدح ، كقول البُحتُرى

ألمعُ برقٍ سرَى أم ضَوءُ مصباح؟؟ ... أم ابتِسامتُها بالْمَنْظَرِ الضَّاحِى

أو المبالغة فى الذّم ، كقول زُهير

وما أدرِى وسوف إخالُ أدرِى ... أقومٌ آلُ حِصنٍ أم نِسَاء؟؟

أو التعجّب، نحو : (أفسِحرٌ هذَا أم أنتم لا تُبصرون)

الى غير ذلك من الأغراض البديعيّة التى لا تحصَى

تمرين

بيِّن الأنواع البديعيّة فيما يلى

(١) قال بعضهم فى وصف إبل

صلبُ الْعَصا بالضّرْب قد أدماها تودُّ أنَّ الله قدْ أفناها

(٢) وقيل فى وصف إبلٍ هزيلة

كالقِسِىّ المُعطفاتِ بلِ الأسـ ـهُم مبرِيّةً بَل الأوْتار

(٣) وللغزالةِ شىء من تَلَفّتِهِ ونورُهامنْ ضِياخَدَّيْهِ مُكْتَسَب

(٤) أفنى جيُوش العِداغزْواً فلستَ ترَى سِوى قتيلٍ ومأسُورٍ ومُنهَزم

(٥) ولا عيبَ فيهم غير أنّ ذوى النّدى خِساسٌ إذا قِيسوا بهم ولِئَامُ

(٦) على رأْس عَبدٍ تاجُ عِزٍّ يَزِينُهُ وفى رِجْل حرٍّ قيدُ ذُلٍّ يَشِينُه

(٧) إذالم تفِض عينىَّ العقيقَ فَلارأتْ منازله بالقُرْب تبهَى وتبهُرُ

---

(١) الضرب: لفظ مشترك بين الضرب بالعصا وهو المعنى القريب الذى لم يقصد — والسير فى الأرض، وهو المعنى البعيد المقصود والمراد بالتورية

(٢) فيه مراعاة النظير إذ وصف البحترى الابل بالنحول، فشبهها بأشياء متناسبة وهى: القسى. والأسهم الميرية. والاوتار

(٣) فيه استخدام: إذ أراد بالغزالة الحيوان المعروف — وبضمير (نورها) الغزالة بمعنى الشمس.

(٤) فيه تقسيم: إذهو قد استوفى جميع أقسام جيش العدو، بحصرها فى الأقسام الثلاثة

(٥) فيه تأكيد المدح بما يشبه الذم، فانه استثنى من صفة ذم منفية. صفة مدح

(٦) فيه مقابلة بين ستة وستة: فقد قابل بين على وفى. رأس ورجل. حر وعبد ناج وقيد. عز وذل. يزين ويشين

(٧) فيه استخدام: اذ العقيق هنا الدم الشبيه بالعقيق فى الحمرة — والضمير فى (منازله) يعود اليه باعتباره الوادى المعروف بظاهر المدينة ببلاد الحجاز

تمرين آخر

(١) فلا الجودُ يفنى المَالَ والجَدُّ مُقبلٌ ولا البُخل يُبقى المالَ والجدُّ مُدبر

(٢) رَحِمَ اللهُ مَن تَصدَّقَ مِنْ فضلٍ ، أو آسى من كَفاف ، أو آثر من قُوتٍ

(٣) رأى العقيقَ فأجرَى ذاكَ ناظرُهُ مُتيمٌ لَجَّ فى الأشواق خاطرُه

(٤) آراؤكم ووُجوهُكم وسيُوفكم فى الحادِثاتِ اذَا دَجَوْنَ نُجُومُ

(٥) ما زُلزِلَتْ مصرمِنْ كيدٍألمّ بها لكنّها رَقصتْ مِنْ عدلكم طرَبا

(٦) أُراعِى النَّجمَ فى سَيرِى اليكم وَيرْعَاه مِنَ البيدَا جوَادِى

جاءنِى ابنىَ يوماً وكنتُ أراه لىَ رَيْحَانَةً وَمصْدَرَ أُنسِ

قال ما الرُّوح ؟ قلت إنّك رُوحى قال ما النَّفسُ ؟ قلتُ إنك نَفْسى

تطبيق عام على البديع المعنوى

ياسيدا حاز لطفا له البرايا عبيدُ
أنت الحسين ولكن جفاك فينا يزيدُ

فى هذا الكلام تورية ، مهيَّأة بلفظ قبلها . فان ذكر «الحسين» لازم

---

(١) فيه مقابلة : بين الجود والبخل . يفنى ويبقى . مقبل ومدبر

(٢) فيه تقسيم : باستيفاء أقسام الشىء ، لأن طبقات الناس هذه الثلاثة ليس غير

(٣) فيه استخدام ، فالعقيق أولا معناه المكان المعلوم فى بلاد الحجاز — والضمير يعود اليه بمعنى الحجر المعروف ، وقد شبه دموعه به

(٤) فيه الجمع : فقد جمع بين ثلاثة أشياء فى حكم واحد

(٥) فيه حسن التعليل : فقد جعل علة زلزال مصر طربا من عدل الممدوح لا لمكروه نزل بها — وهى لاشك غير العلة التى يتعارفها الناس فيما بينهم

(٦) فيه استخدام : اذ النجم الأول الكوكب . وأعاد عليه الضمير بمعنى النبات الذي لا ساق له

لكون « يزيد » اسما بعد احتمال الفعل المضارع المورى عنه

حُماة فى بهجتها جَنَّة وهى من الغمّ لنا جُنّة

لا تيأسوا من رحمة الله فقد رأيتم العاصِىَ فى الجنة

فى هذا الكلام تورية مرشحة . فان ذكر الرحمة ترشيح للفظ العاصى المورى به الذى هو من العصيان . والمورى عنه النهر المعروف الذى عبر حماه .

فان ضيعتُ فيه جميع مالى فكم من لحية حلقت بموسى

فيه التورية المرشحة ، بذكر اللحية والحلق ، وهما يناسبان المورى به وهو « موسى الحديد » والمورى عنه الاسم المذكور

يا عذولى فى مغنّ مطرب حرك الأوتار لما سفرا

لم تهز العطف منه طربا عند ما تسمع منه وترا

فيه تورية فى لفظ «وترا» فانّ معناه البعيد المراد هو الرؤية. والقريب أحد الأوتار — ولفظ « تسمع » هيّأ قوله « وتراً » للتّورية بالرّؤية

سألته عن قومه فانثنى يعجب من افراط دمعى السَّخى

وأبصر المسك وبدر الدُّجى فقال ذا خالى وهذا أخى

فيه تورية فى لفظ « خالى » فمعناه البعيد المراد ، النقطة السوداء فى الخد . والقريب أخ الأم . ولفظة «أخى» هى التى هيّأت خالى للتورية — وهى بعيدة

وساقية تدور على الندامى وتنهرهم لسرعة شرب خمر

سنشكر يوم لهو قد تقضّى بساقية تقابلنا بنهر

« الساقية » امرأة تسقى الراح ، وهذا هو المعنى القريب — أو ساقية الماء وهو المعنى البعيد . وكل منهما مذكور للتورية فى صاحبه، ومُهيّئ لها فيه .

الباب الثانى

فى المحسنات اللفظية

(١) الجناس[1]

الجِناسُ : هو تَشابُهُ لفظين فى النُّطق ، واختلافُهما فى المعنى

وهو ينقسم إلى نوعين : لفظيٍّ — ومعنويٍّ

أنواع الجناس اللفظى

(١) منها — الجناس التّام : وهو ما اتّفق فيه اللّفظان المُتجانِسان فى أربعة أشياء ، نوع الحروف ، وعددها ، وهيئآتها الحاصلة من الحركات والسكنات ، وترتيبها مع اختلاف المعنى

فان كان اللّفظان المتجانسان من نوع واحد : كاسمين ، أو فعلين ، أو حرفين

---

(١) ويقال له التجنيس ، والتجانس ، والمجانسة . ولا يستحسن إلا إذا ساعد اللفظ المعنى ، ووازى مصنوعه مطبوعه ، مع مراعاة النظير ، وتمكن القرائن ، فينبغى أن ترسل المعانى على سجيتها لتكتسى من الألفاظ ما يزينها ، حتى لا يكون التكلف فى الجناس مع مراعاة الالتئام . موقعا صاحبه فى قول من قال

طبع المجنس فيه نوع قيادة   أوما ترى تأليفه للأحرف

وبملاحظة ما قدمنا يكون فيه استدعاء لميل السامع والاصغاء اليه ، لأن النفس تستحسن المكرر مع اختلاف معناه ، ويأخذها نوع من الاستغراب

وتلخيص القول فى الجناس : أنه نوعان . تام . وغير تام — فالتام هو ما اتفق فيه اللفظان المتجانسان فى أمور أربعة ، نوع الحروف . وشكلها من الهيئة الحاصلة من الحركات والسكنات . وعددها . وترتيبها

=

سُمِّيَ: الجناس (مُمَاثلاً[1] ومُستوفياً) — نحو: (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ) فالمراد بالساعة الأولى يوم القيامة، وبالساعة الثانية المُدّة من الزّمان، ونحو: رَحَبَة رَحْبَة

فَرحبة الأولى: فِناء الدّار، ورَحْبَة الثانية: بمعنى واسعة

وإن كانا من نوعين: كفعل واسم، سُمِّيَ: الجناس مستوفياً

نحو إرْعَ الجارَ ولو جارَ — وكقول الشاعر

ما مات من كرم الزّمان فإنّه ... يحيا لَدَى يحيَى بنِ عبدِ اللهِ

فيحيا الأول فعل مضارع، ويحي الثاني اسم الممدوح. ونحو:

= وغير التام. وهو ما اختلف فيه اللفظان فى واحد من الأمور الأربعة المتقدمة كقول الله تعالى (والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق) وكقول الشاعر

وسميته يحي ليحيا فلم يكن ... إلى رد أمر الله فيه سبيل

وكقوله: أشكو وأشكر فعله ... فاعجب لشاك منه شاكر

طرفى وطرف النجم فيه ... كلاهما ساه وساهر

وكقول ابن الفارض:

هلا نهاك نهاك عن لوم امرىء ... لم يلف غير منعم بشقاء

وكقوله: لو زار نا طيف ذات الخيال أحيانا ... ونحن فى حفر الأجداث أحيانا

وقول الخنساء: —

ان البكاء هو الشفا ... ء من الجوى بين الجوانح

وقول المعرى: —

لم نلق غيرك انسانا يلاذ به ... فلا برحت لعين الدهر إنسانا

وقول الحريرى: —

لا أعطى زمانى من يخفر ذمامى ... ولا أغرس الأيادى فى أرض الأعادى

(١) اعلم أن العبرة فى المماثلة تكون بالنطق لا بالكتابة

إذا رماك الدَّهر فى مَعشر قد أجمعَ الناسُ على بُغْضهم
فدارهم ما دُمتَ فى دارهم وأرضهم ما دُمتَ فى أرضهم

والجناس التام : مِمَّا لا يَتَّفِق للبليغ إلا على نُدُور وقِلَّة ، فهو لا يقع مَوقعه من الحُسن حتى يكونُ المعنى هو الذى استَدْعاهُ وساقَهُ ، وحتى تكون كلمتُه ممّا لا يَبْتَغى الـكاتبُ منها بَدَلاً ، ولا يجدُ عنها حوَلاً .

ومنها الجناس غير التَّام : وهو ما اختَلَف فيـــه اللفَّظان فى واحد أو أكثر من الأربعة السابقة (ويجب ألا يكون بأكثر من حرف)

واختلافهما : يكون إمّا بزيادة حرف

(فى الأوّل) نحو : دوام الحال من المحال .

أو (فى الوسط) نحو : جَدّى جَهْدِى

أو (فى الآخر) نحو : الهوَى مطيـة الهوان

والأول يُسَمَّى « مَرْدُوفاً »

والثانى يُسمّى « مُـكتَنِفاً »

والثالث « مُطَرّفاً » كقوله تعالى (ذلـكُمْ بما كنتُمْ تفرَحُون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحُون) — وكقول الشاعر

فإن حلّوا فليسَ لهمْ مَقرٌّ وإن رَحلُوا فلَيس لهم مَفَرٌّ

وكقوله عليه السلام (الخيلُ معقودٌ فى نواصِيها الخير إلى يوم القيامة)

ومن اختلاف أعدادها ، قولك : هذا بناءٍ ناءٍ

ومن اختلاف ترتيب الحروف ، قوله (فى حُسَامِه فَتْح لأوليَائه ، وحَتْفٌ لأعدَائه) — ومن هذا : قول الأحنف

حُسَامُكَ فيه للأحباب فتحٌ ورُمحُكَ فيـه للأعداء حتفُ

ومن اختلاف الهيئة، قول الشاعر

الجَدّ فى الجِدّ والحِرْمان فى الكسل ... فانصَبْ تُصِبْ عن قريب غاية الأمل

(٢) ومنها الجناس المطلق — وهو توافق رُكنيه فى الحروف وترتيبها بدون أن يَجمعَهُمَا اشتقاقٌ ، كقوله صلى الله عليه وسلم — (أسْلم) سَالمها الله (وغفارٌ) غفر الله لها ، (وَعُصيّةٍ) عَصَتِ الله ورسُولَه

فان جمعهما اشتِقاق — نحو (لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلاَ أَنْتُم عَابِدُون مَا أَعْبُد) فقيل : يُسَمَّى جناس الاشتقاق[1]

---

(١) كقوله — فيا دمع انجدنى ... على ساكنى نجد

وكقوله — وإذا ما رياح جودك هبت ... صار قول العذول فيه هباء

وقول النابغة : فيالك من حزم وعزم طواهما ... جديد الردى بين الصفا والصفائح

وقول البحترى: نسيم الروض فى ريح شمال ... وصوب المزن فى راح شمول

وكقوله : أراك فيمتلى قلبي سروراً ... وأخشى أن تشط بك الديار

فجر. واهجر. وصل ولا تصلنى ... رضيت بأن تجور وأنت جار

وكقوله : من بحر جودك أغترف ... وبفضل علمك أعترف

وكقولهم (خلف الوعد خلق الوغد)

وكقول الحريرى: لهم فى السير جرى السيل ... وإلى الخير جرى الخيل

وكقول البستى : بسيف الدولة اتسقت أمور ... رأيناها مبددة النظام

وكقول السبكى :

كن كيف شئت عن الهوى لا أنتهى ... حتى تعود لى الحياة وأنت هى

وكقوله : خليلى إن قالت بثينة ماله ... أتانا بلا وعد فقولا لها ، لها

أتى وهو مشغول لعظم الذى به ... ومن بات طول الليل يرعى السهاء ، سها

بثينة تزرى بالغزالة فى الضحى ... إذا برزت لم تبق يوما بها ، بها

وكقوله سما وحمى بنى سام وحام ... فليس كمثله سام وحام

وقول أبى نواس: عباس عباس إذا احتدم الوغى ... والفضل فضل والربيع ربيع

(٣) ومنها — « الجناس المُذيَّل » — « والجناس المُطَرَّف »

فالأول : يكون الاختلاف بأكثر من حرفين فى آخره

والثانى : يكون الاختلاف بزيادة حرفين فى أوله .

فالجناس المُذَيَّل — كقول أبى تمَّام

يَمُدُّونَ من أيدٍ عَوَاصٍ عَوَاصِمٍ   تَصُولُ بأسياف قَوَاضٍ قَوَاضِبِ

والجناس المُطَرَّف — كقول الشيخ عبد القاهر

وكم سَبَقَتْ منه إلىَّ عوارفٌ   ثَنَائِى على تلك العَوَارِفِ وَارِفُ

وكم غُرَرٍ من بِرِّهِ ولَطَائفٍ   لشُكرِى على تلك اللَّطَائف طَائفُ

ومنها — « الجناس المضارِع » ـ « والجناس اللَّاحق »

فالجناس المضارع : يكون باختلاف رُكنيه فى حرفين ، لم يَتَباعَدا مَخرجاً

إمَّا : فى الأول ـ نحو : ليلٌ دامِسٌ ، وطريق طَامِسٌ

وإمَّا : فى الوسط — نحو : (وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ، وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ)

وإمَّا : فى الآخر — نحو قوله صلى الله عليه وسلم (الخيلُ مَعقودٌ فى نَواصيها الخير إلى يوم القيامة)

والجناس اللَّاحق : يكون فى مُتباعدين

إمَّا فى الأول — نحو : (هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ)

وإمَّا فى الوَسَطِ — نحو : (إنهُ عَلَى ذَلكَ لَشَهِيدٌ ، وإنهُ لِحُبِّ الخير لَشَدِيدٌ)

وإمَّا فى الآخر — نحو قوله تعالى : (وَإذا جاءهُمْ أمْرٌ مِنَ الأمْنِ أو الْخَوْفِ أذَاعُوا به)

(٥) ومنها — « الجناس اللَّفظى » — وهو ما تَماثل رُكناه لفظاً ، واختلَفَ

أحد (رُكنيه) عن الآخر خطّاً — إمّا الاختلاف فى الكتابة (بالنّون والتّنوين)
وإمّا الاختلاف فى الكتابة (بالضّاد والظّاء — أو الهاء والتّاء)
فالأول — (وهو ما تماثل رُكناه لفظاً، واختلف أحدُ رُكنيه عن
الآخر خطّاً فى الكتابة بالنون والتنوين) قوله

أعذبُ خَلق الله نُطقاً (وفماً) ان لم يكن أحقّ بالحُسن (فمَنْ)
مثل الغزال نظرةً ولفتةً من ذا رآه مُقبلا ولا افتتَنْ

والثانى — (وهو اختلاف أحد (رُكنيه) فى الضّاد والظّاء، نحو قوله
تعالى (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ (نَاضِرَةٌ) إلى رَبّهَا (نَاظِرَةٌ) — وكقول أبى فراس

ما كنتَ تصبرُ فى القديـ ـم فلمْ صَبرتَ الآن عنّا
ولقد ظَنَنْتُ بك الظّنو نَ لأنه مَن (ضَنَّ ظَنّاً)

والثالث (وهو اختلاف أحد رُكنيه فى الهاء — والتاء) — كقوله

إذا جلستَ إلى قوم لِتُؤنِسَهم بمـا تحدّث من ماض ومن آتِ
فلا تُعيدَنْ حديثاً إنَّ طبعهمُو موكَّلٌ (بمُعَادَاة المُعادَاتِ)

(٦) ومنها — الجناس المُحرَّف — و « الجناس المُصحَّف »

فالأول — ما اختلف رُكناه فى هيآت الحرُوف الحاصِلة من
حركاتِها وسكناتِها، نحو : جُبَّة البُردِ جُنَّة البَرد

والثانى — ما تماثل رُكناه وضعًا، واختلفا نقطاً، بحيث لو زال إعجام
أحدهما لم يتَمَيَّز عن الآخر — كقول بعضهم : غرّكَ عزُّك، فصار قُصارَى
ذلك ذُلّك. فاخْشَ فاحِشَ فِعلك، فَعلَّكَ بهذا تَهْتَدِى

ونحو : إذا زلَّ العالِم، زَلَّ بزَلّته العَالَم — وكقول أبى فِراس

مِن بَحر شِعرِكَ أغترفْ وبفضل عِلمك أعترف

(٧) ومنها — الجناس المركّب — « والجناس المُلفَّق »

فالأول — ما اختلف (رُكناه) إفراداً وتركيباً

فان كان من كلمة وبعض أخرى ، سُمِّى (مَرفُوًّا) — كقول الحريرى

ولا تَلْهُ عن تذكار ذَنبك وابكِه بدمع يُضاهِى المزْن حال «مُصابه»

ومثّل لعينيْك الحِمامَ ووَقعه ورَوْعةَ مُلقاهُ ومطعمَ «صابه»

وان كان من كلمتين — فان اتّفق الرّكنان خطاً سُمِّى (مقرونا) — كقوله

إذا مَلِكٌ لم يكن «ذاهِبَهْ» فدعهُ فدولتُه «ذاهِبَهْ»

وإلاّ سُمِّى (مفروقا) — كقوله

لا تَعرضَنَّ على الرُّواة قَصيدةً ما لم تكن بالغتَ فى «تَهذيبها»

فاذا عَرضتَ الشِّعر غيرَ مُهذَّب عدّوه منك وساوساً «تَهذِى بها»

والثانى — وهو الجناس المُلَفّق : يكون بتركيب الركنين جميعاً — كقوله

ولَيتَ الحُكم خمساً وهى خَمْس لعمرى والصِّبَا فى العُنفوَانِ

فلم تضع الأعادِى قدرَ «شَانِى» ولا قالوا فلان قد «رَشَانِى»

(٨) ومنها — (جناس القلب) وهو ما اختلف فيه اللّفظان فى ترتيب الحروف ، نحو : حُسَامه فتحٌ لأوليائه ، وحَتْفٌ لأعدائه

« ويُسمَّى قلبَ كلٍّ » لانعكاس الترتيب .

ونحو : اللّهمّ استُر عوراتِنا ، وآمِنْ رَوْعَاتِنا ، ويسمى (قلب بعض)

ونحو : رحم الله امرأ ، أمسك ما بين فكّيه ، وأطلق ما بين كفّيه

وإذا وقع أحد المتجانسين فى أول البيت ، والآخر فى آخره ، سُمِّى (مَقلوباً مُجنَّحاً) كأنه ذو جنَاحين — كقوله

«لاح» أنوارُ الهُـــــدى من كفّه فى كل «حال»

وإذا وَلِىَ أحد المتجانسين الآخر قيل له «المزدوج»

وإن كانَ التركيب بحيث لو عكس حصل بعينه (فالمستَوى) وهو أخصّ من (المقلوب المُجنَّح) ويسمى أيضاً «ما لا يستحيل بالانعكاس» نحو (كلٌّ فى فلَكٍ) ونحو (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ)

وبعدُ: فلا يخفى على الأديب، ما فى الجناس من الاستدعاء لميل السَّامع، لأن النَّفس ترى حُسن الإفادة، والصّورةَ صُورة تكرار وإعادة ومن ثَم تأخذها الدَّهشة والاستغراب، ولأمرٍ مَا، عُدَّ الجناس من حُلى الشعر

أنواع الجناس المعنوى

الجِناس المعنَوِىُّ نوعان: جِناس إضمار ـ وجناس إشارة

(١) «فجناس الاضمار» أن يأتِىَ بلفظ يُحْضِرُ فى ذهنك لفظاً آخَر وذلك اللَّفظ المحضَر يُراد به غيرُ معناه، بدلَالَة السِّياق ـ كقوله

«منُعّم» الجسم تحْـكى الماءَ رِقَّته وقلبه «قَسوة» يَحكى أبا أوْس

(وأوس) شاعر مشهور من شعراء العرب. واسم أبيه حجر. فلفظ أبى «أوس» يُحضِر فى الذّهن اسمه، وهو (حجر)؛ وهو غير مراد؛ وإنما المراد: الحجر المعلوم — وكان هذا النوع فى مَبدئه مُسْتنكراً. ولـكنَّ المتأخرين ولِعُوا به، وقالوا منه كثيراً. فمن ذلك قول البهاء زُهير

وجاهل طال به عَنائى لازَمَنِى وذاك من شقائى

أبغضُ للعين من الأقذَاء أثقل من شماتة الأعداء

فهو إذا رأته عين الرائى أبو معاذ أو أخو الخنَساء

(ب) « وجناس الإشارة » هو ما ذُكر فيه أحد الرّكنين، واشير للآخر بما يَدُلّ عليه — وذلك إذا لم يساعد الشعرُ عَلَى التَّصريح به - نحو

يا «حَمزةُ» اسمح بوصلٍ وامْنُنْ علينا بقُرْبِ
فى ثغرِك اسمك أضْحَى مُصَحَّفاً وبقلبِى

فقد ذكر الشاعر أحد المُتجانسين: وهو (حمزة). وأشار إلى الجناس فيه، بأنّ مصحَّفَه، فى ثغره، أى (خمرة) وفى قلبه، أى (جمرة)

وبَعدُ: فاعلم أنه لا يُسْتحسن الجناس، ولا يُعَدّ من أسباب الحُسْن، إلاّ إذا جاء عفواً، وسمح به الطّبعُ من غير تكلُّف، حتى لا يكون من أسباب ضعف القول وانحطاطه، وتعرّض قائله للسّخرية وَالاستهزاء

(٢) التصحيف

التَّصْحِيفُ: هو التّشابُه فى الخطّ بين كلمتين فأكثر: بحيث لو أُزيل أو غُيِّرت نُقَط كلمة، كانت عين الثانية، نحو التَّخَلّى، ثم التَّحلّى، ثم التَّجَلّى

(٣) الازدواج

الإزْدِوَاج: هو تجانُس اللفظين المُجاورين، نحو: مَنْ جَدَّ وَجَدَ، ومن لَجَّ وَلَجَ

(٤) السجع

السَّجْعُ: هو تَوافُق الفاصلتينِ(١) فى الحرف الأخير من (النّثْر) وأفضلُهُ: ما تَساوَتْ فقَرُهُ — وهو ثلاثة أقسام

(١) (الفاصلة) فى النثر (كالقافية) فى الشعر — والسجع خاص بالنثر

أولها — (السجع المُطَرَّف) وهو ما اختلفتْ فاصلتاه فى الوزن، واتَّفقتا فى التَّقْفية، نحو قوله تعالى (ما لَكم لا تَرْجُونَ لله وَقاراً وَقَدْ خَلَقَكم أطْواراً)

ونحو قوله تعالى «أَلَمْ نَجْعَلْ الأرْضَ مِهاداً وَالْجِبَالَ أَوْتاداً»

ثانيها — (السجع المُرَصَّع): وهو ما اتَّفقت فيه ألفاظ إحدى الفقرتين أو أكثرها فى الوزن والتقفية، كقول الحريرى، هو يَطبع الأسجاعَ بجواهر لَفظِه، ويَقرَعُ الأسماعَ بزَواجر وعْظِه[1] وكقول الهمذانى: إنّ بعد الكَدَر صفواً، وبعدَ المَطر صحواً

ثالثها — (السجع المُتوازِى): وهو ما اتَّفقت فيه الفقرَتان فى الوزن والتّقفيَة نحو قوله تعالى (فِيهَا سُرُرٌ مَرفوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَوضُوعَةٌ) لاختلاف سُرُر، وأكواب، وزناً وتقفِيةً، ونحو قوله تعالى (والمُرْسَلاتِ عُرْفاً فالعَاصِفَاتِ عَصْفاً) لاختلاف المرسلات، والعاصفات وزناً فقط ونحو: حسَدَ النّاطِقُ والصَّامت، وهلَكَ الحاسدُ والشَّامت — لاختلاف ما عدَا الصَّامت، والشَّامت: تَقفية فقط.

والأسجاع مَبنية على سُكون أواخرها، وأحسنُ السَّجع ما تساوت فِقرُهُ، نحو قوله تعالى (فى سِدْرٍ مَخْضودٍ، وَطَلْحٍ مَنضُودٍ، وَظِلٍّ مَمْدُودٍ) ثم ماطالت فقرتُه الثانية، نحو قوله تعالى (وَالنَّجْمِ إذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى) ثم ماطالت ثالثتُه، نحو قوله تعالى (النَّارِ ذَاتِ الوَقُودِ

---

(١) ولو أبدلت الاسماع بالآذان كان مثالا للاكثر: وسمى السجع سجعا تشبيها له بسجع الحمام، وفواصل الأسجاع موضوعة على أن تكون ساكنة الاعجاز، موقوفا عليها، لأن الغرض أن يزاوج بينها، ولا يتم ذلك إلا بالوقف

إذْ هُمْ عَلَيهَا قُعُودٌ وهُمْ عَلَى مَا يَفعَلُونَ بالمؤمِنِينَ شهودٌ) ولا يحسُن عكسه ، لأن السَّامع يَنتظر إلى مِقـدار الأول ، فاذا انقطع دونه ، أشْبَهَ العِثَار(١) ، ولا يحسُن السّجع إلا إذا كانت المُفردات رشيقةً ، والألفاظ خدم المعانى ، ودلّت كل من القرينتين على معنى غير ما دلّت عليه الأخرى ، وحينئذ يكون حِليةً ظاهرة فى الـكلام

والسجع : موطنه النثر

وقد يجىء فى الشعر نادراً : كقوله

فنحنُ فى جَذَلٍ والرومُ فى وَجَلٍ والبَرّ فى شُغُلٍ والبحر فى خَجَلِ

ولا يستحسن السجع أيضاً إلا إذا جاء عفواً ، خالياً من التكلّف والتّصنُّع ، ومن ثَمّ لا تجدُ لبليغ كلاماً يخلو منه ، كما لا تخلو منه سورة و إن قصُرت .

(٥) الموازنة

المُوَازَنَةُ : هى تَسَاوِى الفاصلتَين فى الوزن دُون التقفية ، نحو قوله تعالى : (وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ) فان مصفوفة ومبثوثة مُتَّفقتان فى الوزن ، دُون التَّقفية ، ونحو قول الشاعر :

أَفادَ فَسَادَ وقادَ فَزادَ وسَادَ فجادَ وعادَ فأَفْضَلَ

(٦) الترصيع

التَّرصِيعُ : هو تَوازُن الألفاظ ، مع تَوافُق الأعجاز ، أو تقارُبها — مثال التّوافق : نحو قوله تعالى : « إنّ الأبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ، وَإِنّ الفُجّارَ لَفِي جَحِيمٍ »

(١) يعنى أنه لا يحسن أن يؤتى فى السجع بفقرة أقصر مما قبلها كثيراً ، لأن السجع إذا استوفى أمده من الأولى لطولها ، ثم جاءت الثانية أقصر منها ، يكون كالشىء المبتور

ومثال التقاربُ : نحو قوله تعالى : « وَآتيناهُمَا الكتابَ المُستَبِينَ وهَديناهُمَا الصِّراطَ المُسْتَقِيمَ » .

(٧) التشريع

التَّشريعُ : هو بِناء البيت على قافِيَين ، يصحّ المعنى عند الوقوف على كلّ منهما — كقول الشاعر :

يا خاطبَ الدُّنيا الدَّنيَّة إنَّها   شَركُ الرَّدى وقَرارةُ الأقذارِ
دارٌ متى ما أضحكت في يومها   أبكتْ غداً تبًّا لها من دارِ
وإذا أظلَّ سحَابها لم ينتفع   منه صدًى لجهامه الغرَّارِ
غاراتُها لا تَنقضي وأسيرُها   لا يُفتدَى بجلائل الأخطارِ

فتكون هذه الأبيات من (بحر الكامل) ويصح أيضاً الوقوف على الرَّدَى وغدَا ، وصدَى ، ويفتدَى ، وتكون إذاً من (مَجزُوء الكامل) وتُقرأ هكذا

يا خاطبَ الدُّنيا الدَّنـ   ـيَّة إنها شَركُ الرَّدَى
دارٌ متى ما أضحكت   في يومها أبكتْ غدَا
وإذا أظلَّ سحابُها   لم ينتفِع منه صدَى
غاراتهـا لا تَنقضِي   وأسيرُها لا يُفتدَى

وكقوله : يأيُّها الملِكُ الذي عمَّ الورى   ما في الكِرام له نَظيرٌ يُنظرُ
لو كان مثلَك آخرٌ في عصرنا   ما كان في الدنيا فقيرٌ مُعسرُ

إذ يمكن أن يُقال أيضاً في هذين البيتين

يأيهـا الملكُ الذي   ما في الكرام له نظيرُ
لو كان مثلَك آخرٌ   ما كان في الدنيا فقيرُ

(٨) لزوم ما لا يلزم

لزومُ ما لاَ يَلْزَمُ : هو أن يَجيء قبل حرف الرَّوِيِّ ، أو ما فى معناه من الفاصِلة ، بما ليس بلازم فى التّقفية ، ويُلتزم فى بيتين أو أكثر من (النظم) أو فى فاصلتين أو أكثر من (النثر) نحو قوله تعالى (فأمّا اليتيم فلا تقْهر وأمّا السائل فلا تنهَرْ) — وكقول الطُّغْرَائى فى أول لاميَّته المشهورة

أَصالةُ الرّأىِ صَانتْنِي عن الخَطَلِ ⁂ وحِليةُ الفضلِ زانتنى لدى العَطَلِ

وكقوله : يامُحرقاً بالنّار وَجهَ مُحِبِّه ⁂ مَهلاً فانَّ مَدامعِى تُطفيـــهِ

احرق بها جَسَدى وكلَّ جوارِحِى ⁂ واحرِصْ على قلبى فانّك فيـه

وقد يُلتزمُ أكثرُ من حرف : كقوله

كُل واشرب الناس على خِبْرة ⁂ فهم يمُرُّونَ ولا يُعذَّبون

ولا تُصدِّقهم إذا حدّثُوا ⁂ فإنّهم من عهدهم يكذبون

(٩) رد العجز على الصدر

(ا) رَدُّ الْعَجُزِ على الصَّدرِ : (فى النّثر) هو أن يُجعلَ أحدُ اللّفظين المُـكرّرين ، أو المتُجانسين ، أو المُلحقين بهمـا « بأنْ جمعهما اشتقاق أو شِبهُهُ » فى أوَّل الفقرة ، ثم تُعادُ فى آخرها ، كقوله تعالى (وَتخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أن تَخْشَاهُ) — وقولك : «سائلُ» اللّئيم يَرجعُ ؟ ودَمعه «سائل» فَسَائل الأول : من السُّؤال ، وسائل الثانى : من السَّيلان

ونحو قوله تعالى (اسْتغْفِرُوا رَبكُمْ إنهُ كانَ غفَّاراً)

واللّذانِ يَجمعهما شِبه اشتِقاق — نحوقوله تعالى (قالَ إنِّى لِعمَلِكم مِنَ الْقالين)

(ب) رَدّ العُجز على الصدّر : (فى النظم) هو أن يكون أحدهما فى آخر البيت ، والآخر يكون

إمّا — فى صدر المِصراع الأوّل ، أو فى حشوه ، أو فى آخره[1]

وإمّا — فى صدر المصراع الثانى — نحو قوله

سريعٌ إلى ابن العمّ يلطمُ وجهه ⁂ وليس إلى داعِى النَّدَى بسريعِ

وقوله — تمتع من شَميم عرار نجدٍ ⁂ فما بعدَ العَشِيَّة من عرار

وقوله — ذَوائبُ سُودٍ كالعناقد أُرسلَتْ ⁂ فمنْ أجلها مِنَّا النفوسُ ذَوائبُ

(١٠) ما لا يستحيل بالانعكاس

ما لاَ يستَحِيل بالانْعكاس : هو كون اللّفظ يُقرَأُ طَرْداً — وعَكساً نحو : كُن كما أمكنَكَ — (ورَبَّكَ فَكبِّر)

وكقوله — مَوَدَّته تدوم لكلِّ هَوْلٍ ⁂ وهل كلٌّ مَوَدَّتُه تَدُوم

(١١) المواربة

المُوَارَبَة : هى أن يَجعل المُتكلّم كلامَه بحيث يمكنُه أن يُغيِّر معناه بتحْريف ، أو تصحيف . أوغيرهما ، لِيَسْلَمَ من المُؤاخذة — كقول أبى نواس

لقد ضَاعَ شعْرِى عَلَى بابِكم ⁂ كما ضَاعَ عِقْدٌ على خالصه

فلمّا أنكر عليه (الرشيد) ذلك ، قال (أبو نُوَاس) : لم أقل إلاّ

لقد ضَاء شِعرى على بابكم ⁂ كما ضاء عقدٌ على خالصه

---

(١) كقوله — ومن كان بالبيض الكواعب مغرما ⁂ فما زلت بالبيض القواضب مغرما

(٢١) ائتلاف اللفظ مع اللفظ

إئتلاف اللّفظ مع اللّفظ : هو كونُ ألفاظ العبارة من وادٍ واحد في الغَرابة والتأمّل — كقوله تعالى (تَاللهِ تفتأ تذكرُ يوسفَ) لمّا أتى (بالتاء) التي هى أغربُ حروف القسم، أتى « بتفتأ » التي هى أغربُ أفعال الاستمرار

(١٣) التسميط

التّسْميط : هو أن يَجْعَلَ الشّاعر بيته على أربعة أقسام ثلاثة منها على سَجع واحد، بخلاف قافية البيت — كقول جنوب الهُذلية

وحَربٍ وَرَدْتَ وثغرٍ سَدَدْتَ وعِلْجٍ شَدَدتَ عليه الحبالا

وقوله: في ثَغره لَعَسٌ في خَدّه قَبَسٌ في قَدّه مَيَسٌ في جسمه تَرَفُ

(١٤) الانسجام أو السهولة

الانْسِجَام أو : السُّهولة : هو سلامة الألفاظِ ، وسُهولة المعانى مع جزَالتهما وتناسُبهما — كقول الشاعر

ما وهب الله لامرىءٍ هبةً أفضلَ مِن عقله ومن أدبهْ

هما كمالُ الفتى فان فُقِدا ففقدُه للحياة أليقُ بهْ

(١٥) الاكتفاء

الاكْتِفاء : هو أن يَحْذفَ الشّاعر من البيت شيئاً، يُستغنَى عن ذكره، بدلالة العقل عليه — كقول الشاعر

فإنّ المنيَّة مَن يَخْشَهَا فسوفَ تُصادُمه أينَما

أى أينَمَا توجَّه (١)

(١٦) التطريز

التَّطْرِيز: هو أن يكون صدر النثر أو الشعر مُشتملا على ثلاثة أسماء مختلفة المعانى، ويكون العجزُ صفةً متكرّرة بلفظ واحد — كقول القائل

وتَسقِينى وتَشربُ من رحيقٍ خَليقٍ أن يُلَقَّبَ بالخلُوقِ

كأنّ الكأس فى يَدِها وفِيهَا عقيقٌ فى عقيقٍ فى عقيقِ

نموذج

بين ما فى الأبيات الآتية من المُحسِّنات اللّفظية

(١) عضّنا الدّهر بنابه ليت ما حلّ بنابه (٢)

---

(١) وكقوله : ما للنوى ذنب ومن أهوى معى إن غاب عن إنسان عينى فهو فى

وكقوله: يا لائمى فى هواها أفرطت فى اللوم جهلا

ما يعلم الشوق إلا ولا الصبابة إلا

وكقوله : ضلوا عن الماء لما أن سروا سحرا قومى فظلوا حيارى يلهثون ظما

والله أكرمنى بالماء بعدهمو فقلت ياليت قومى يعلمون بما

وكقوله : الدمع قاض بافتضاحى فى هوى ظبى يغار الغصن منه إذا مشى

وغدا بوجدى شاهد وأوشى بما أخفى فيالله من قاض وشا

وكقوله : لا أنتهى لا أنثنى لا أرعوى ما دمت فى قيد الحياة ولا إذا

(١) فيه جناس تام : بين (بنابه) الأولى ، أحد أنياب الأسنان (وبنابه) الثانية المركبة من (بنا) و (به)

(٢) إلى حَتفى سعى قدمى أرَى قدمى أراق دمى[١]

(٣) لئن أخطأتُ فى مديحـــك ما أخطأتَ فى منعِى[٢]

لقـد أنزلتُ حاجاتى بواد غـير ذى زرع

(٤) وفى الحديث (اللّهم أعط مُنفقاً خَلفاً ، وأَعط مُمسكا تَلفاً[٣])

(٥) قد بُلينا فى عصرنا بأناس يظلمون الأنام ظلماً عمّاً[٤]

يأ كلون التُّراث أكلاً لمّا ويحبّون المال حُباً جمّا

(٦) وإن أقرّ على رَقٍّ أنامله أقر بالرق كُتّاب الأنام له[٥]

---

(٢) فيه جناس تام : بين أرى قدمى، أى أنظر قدمى، و أراق دمى ، أى صب وأهدر دمى ، أى قتلنى بلا دية

(٣) فى الشطر الأخير من البيت الثانى ، اقتباس من الآية الـكريمة (ربنـا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم)

(٤) فيه سجع مرصع لأن احدى الفقرتين كالثانية فى الوزن والتقفية

(٥) فى البيت الثانى اقتباس من القرآن الـكريم من سورة الفجر (وتأكلون التراث أكلا لما وتحبون المال حبا جما)

(٦) فيه جناس تام بين أنامله والانام له



في السرقات الشعرية وما يتبعها

السَّرِقَةُ — هى أن يَأخذَ الشَّخْصُ كلامَ الغير، ويَنسبه لنفسه

وهى ثلاثة أنواع: نَسْخٌ، ومَسخٌ، وسَلخٌ

(ا) النَّسْخ: ويُسَمَّى انتِحالاً أيضاً — هو أن يأخذ السّارق اللفظ والمعنى معاً، بلا تغيير ولا تبديل، أو بتبديل الألفاظ كلّها، أو بعضها بمُرادفها، وهذا مذموم، وسرقة مَحضة — كما فعل عبد الله بن الزَّبير بقول مَعْن بن أوس[1]

إذا أنتَ لم تُنصف أخاك وَجَدْتَه ... على طَرَف الهِجْران إن كان يعقل

ويركبُ حدّ السّيف من أن تُضيمَه ... إذا لم يكن عن شَفرة السّيف مَزحل

وأمّا تبديل الألفاظ بمُرادفها — كما فُعِل بقول الحُطَيْئَة

دَع المكارم لا تَرْحل لبُغيتها ... واقعد فانك أنت الطّاعم الكاسى

فقال الآخر

ذَرِ المآثر لا تذهب لمطلبها ... واجلس فانك أنتَ الآكل اللابس

وقريب منه: تبدّل الألفاظ بضدّها، مع رعاية النّظم والتّرتيب

كما فُعِل بقول حسّان رضى الله عنه

بِيض الوجوه كريمةٌ أحسابُهم ... شُمُّ الأنوف من الطِّراز الأولِ

(١) الزبير بفتح فكسر فى هذا — ويوجد اسم اخر بضم ففتح — ومعن بضم وفتح — ومعن بن زائدة بفتح فسكون

فقال غيره :

سُود الوجوه لئيمةٌ أحسابُهم فُطس الأنوف من الطّراز الآخر

(ب) والمسخ — أو الإغارة : هو أن يأخذ بعض اللّفظ ، أو يُغَيّرُ بعض النّظم ، فان امتاز الثانى بحسن السبك فممدوح ، نحو قول الآخر

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتك اللّهج

مع قول غيره :

من راقب الناس مات همًّا وفاز باللّذات الجسور

فان الثانى أعذب وأخصر ، وان امتاز الأول فقط فالثانى مذموم وان تساويا فالثانى لا يذمّ ولا يمدح ، والفضل للسابق

(ج) والسّلخُ — ويُسمّى إلماماً ، وهو أن يأخذ السّارق المعنى وحده فان امتاز الثانى فهو أبلغ — نحو قول الشاعر

هو الصّنع أن يعمل فخير وان يرث فللرّيثُ فى بعض المواضع أنفع

مع قول غيره

ومن الخير بُطء سَيبك عنّى أسرع السّحب فى المسير الجهام

وان امتاز الأول : فالثانى مذموم ، وان تماثلا فهو أبعد عن الذم - كقوله

ولم يك أكثر الفتيان مالا ولكن كان أرحبهم ذراعا

مع قول الآخر :

وليس بأوسعهم فى الغنى ولكن معروفه أوسع

ويتّصل بالسرقات الشعرية : ثمانية أمور ، الاقتباس ، والتضمين ، والعَقد ، والحَلّ ، والتّلميح ، والابتداء ، والتّخلّص ، والانتهاء

(١) الاقتباس-هو أن يُضمّن المتكلم منثوره، أو منظومه، شيئاً من القرآن، أو الحديث، على وجه لا يشعر بأنه منهما، فمثاله من (النثر) فلم يكن إلا كلمح البصر، أو هو أقرب. حتى أنشد فأغرب، ونحو قول الحريرى، أنا أُنبئكم بتأويله، وأميز صحيح القول من عليله-وكقول عبد المؤمن الأصفهانى-لا تغرَّنَّكَ من الظَّلمةِ كثرة الجيوش والأنصار «إنَّمَا نُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فيه الأَبْصَارُ»-ومثاله من (الشعر) قوله[1]

وثغـر تنضّد من لُؤلؤ ... بألباب أهل الهوى يلعبُ
إذا ما ادلهمّتْ خطوب الهوى ... يكاد سَنَا بَرقِهِ يَذهبُ

وكقول الشاعر الآخر

ان كنت أزمعتِ على هجرنا ... من غير ما جُرمٍ فصبرٌ جميل
وان تبدّلتِ بنا غيرنا ... فحسبنا اللهُ ونعم الوكيـــل

وكقول القائل الآخر

لا تكن ظالماً ولا ترضَ بالظلـــم ... وأنكِرْ بكل ما يُستطاع
يوم يأتى الحساب ما لِظَلوم ... من حميم ولا شفيع يُطاع

وكقول بعضهم

ان كانت العشاق من أشواقهم ... جعلوا النّسيم الى الحبيب رسولا
فأنا الذى أتلو لهم يا ليتنى ... كنت اتَّخذت مع الرسول سبيلا

---

(١) ولا بأس بتغيير يسير فى اللفظ المقتبس للوزن أو غيره، نحو

قد كان ماخفت أن يكونا ... إنا إلى الله راجعونا

وفى القرآن (إنا لله وإنا اليه راجعون) ويكون الاقتباس مذموماً فى الهزل، كقوله

أوحى إلى عشاقه طرفه ... هيهات هيهات لما توعدون
وردف ينطق من خلفه ... لمثل هذا فليعمل العاملون

وكقول الشاعر :

أرحلوا فلستُ مُسائلا عن دارهم « أنا باخِعٌ نَفسى على آثارهم »

وكقول الآخر :

ولاح بحكمتى نور الهدى فى ليالٍ للضلالة مُدْلهمّة
يريد الجاهلون ليطفئوه وَيَأبى اللّه إلاّ أنْ يتِمّهْ

ومثاله من الحديث فى (النثر) قول الحريرى : شاهت الوجوه، وقبح اللكع ومن يرجوه – وكقول الحريرى أيضاً

وكتمان الفقر زهاده، و « انتظار الفرج بالصبر » عباده

ومثاله من الحديث فى (الشعر)، قول الشّاعر

قال لى إنّ رقيبى سيىء الخُلْق فداره
قلت دعنى . وجهك « الجنة حُفّت بالمكارهِ »

وكقول الشاعر الآخر :

فلو كانت الأخلاق تُحوَى وراثة ولو كانت الأراء لا تتشعّبُ
لأصبح كل الناس قد ضمّهم هوى كما أن كل الناس قد ضمّهم أبُ
ولكنها الأقدار « كلٌّ مُيسّرٌ لِمَا هو مخلوق له » ومُقرّبُ

وكقول القائل :

لا تُعادِ النَّاس فى أوطانهم قلّما يرعى غريبُ الوطنِ
وإذا ما شِئتَ عيشاً بينهم خالِق الناس بخُلقٍ حَسنٍ[1]

(١) وينقسم الاقتباس : إلى ضربين
الأول — ضرب منه لا ينقل فيه اللفظ المقتبس عن معناه الأصلى إلى معنى آخر — كما تقدم

=

(٢) والتَّضمين ـ هو أن يضمن الشاعر كلامه (شيئاً من مشهور شعر الغير) مع التَّنبيه عليه[١] إن لم يكن مشهوراً لدى نقَّاد الشِّعر، وذوى اللُّسن، وبذلك يزدادُ شعرُه حُسناً ـ كقوله الصاحب بن عبَّاد :

= الثانى — ما ينقل إلى معنى آخر، كقول ابن الرومى

لئن أخطأت فى مديحـــك ما أخطأت فى منعى
لقـد أنزلت حاجاتى بواد غير ذى زرع

فقد كنى بلفظ (واد)، عن رجل لا يرجى نفعه، ولا خير فيه، وهو فى الآية الـكريمة : بمعنى (واد) لا ماء فيه ولا نبات

وقد أجازوا تغيير اللفظ المقتبس بزيادة فيه أو نقص أو تقديم أو تأخير — كما سبق

واعلم أن الاقتباس ثلاثة أقسام

١ — مقبول — وهو ما كان فى الخطب والمواعظ

٢ — ومباح — وهو ما يكون فى الغزل والرسائل والقصص

٣ — ومردود — وهو ما كان فى الهزل — كما تقدم ذكره

(١) أما تضمينه بلا : تنبيه عليه لشهرته : فكقوله

أولى البرية طرا أن تواســـيه عند السرور الذى واسك فى الحزن
(إن الـكرام إذا ما أيسروا ذكروا من كان يألفهم فى المنزل الخشن)

وكقوله: قد قلت لمـا اطلعت وجناته حول الشقيق الغض روضة آس
أعذاره الســارى العجول ترفقا ما فى وقوفك ساعة من باس

فالمصراع الأخير، مطلع قصيدة مشهورة لأبى تمام

ما فى وقوفك سـاعة من باس تقضى حقوق الأربع الأدراس

وأحسن التضمين : أن يزيد المضمن فى كلامه نكتة لا توجد فى الأصل كالتورية والتشبيه، كما فى قول ابن أبى الاصبع : مضمنا

إذا الوهم أبدى لى لمـاها وثغرها «تذكرت ما بين العذيب وبارق»
ويذكرنى من قدها ومدامعى «مجرى عوالينا ومجرى السوابق»

فالمصرعان الأخيران مطلع قصيدة لأبى الطيب المتنبى =

أشكو إليك زماناً ظَلَّ يَعرُكنى ... عَرْكَ الأديم، ومَن يَعْدُو على الزمنِ

وصاحباً كنتُ مغبوطاً بصُحبته ... دَهراً فغادَرَنى فرداً بلا سَكنِ

وباعَ صفوَ ودادٍ كنت أقصُره ... عليه مُجتهداً فى السرِّ والعلَنِ

كأنَّه كان مَطوِيًّا على إحَنٍ ... ولم يكن فى قديم الدهر أنشَدنى

(إن الكِرامَ إذا ما أيسَروا ذكروا ... مَن كان يألفُهم فى المنزل الخَشِنِ)

وكقوله :

إذا ضاق صَدرى وخِفتُ العِدَا ... تمثّلتُ بيتاً بحالى يليقُ

فبـــالله أبلغ ما أرتجى ... وبالله ادفع مالا أُطيق

وكقول الحريرى : يحكى ماقاله الغلام الذى عرضه (أبو زيد) للبيع

على أنى سأُنشِدُ عند بيعى ... أضاعونى وأىَّ فتى أضاعوا[1]

= تذكرت ما بين العذيب وبارق ... مجرى عوالينا ومجرى السوابق

يريد المتنبي : أنهم كانوا نزولا بين هذين الموضعين ، يجرون الرماح عند مطاردة الفرسان ، ويسابقون على الخيل ، أما الشاعر الآخر : فأراد بالعذيب تصغير العذب وعنى به شفة الحبيبة ، وأراد ببارق ثغرها الشبيه بالبرق ، وبما بينهما ريقها ، وهذه تورية بديعة نادرة فى بابها ، وشبه تبختر قدها بتمايل الرماح ، وتتابع دموعه بجريان الخيل السوابق

(١) ولا بأس من التغيير اليسير : كقوله

أقول لمعشر غلطوا وغضوا ... من الشيخ الرشيد وأنكروه

هو ابن جلا وطلاع الثنايا ... متى يضع العمامة تعرفوه

وكقوله

طول حياة مالها طائل ... تغص عندى كل ما يشتهى

أصبحت مثل الطفل فى ضعفه ... تشابه المبدأ والمنتهى

فلم تلم سمعى إذا خاننى ... إن الثمانين وبلغتها

فالمصراع الأخير (للعرْجى) وهو محبوس ـ وأصله

أضاعونى وأىّ فتًى أضاعوا ليوم كَرِيهَةٍ وسَدَاد ثغرِ
وصبر عند مُعترك المنايا وقد شُرِعتْ أسِنتها بنَحرى

(٣) والعقد ـ هو (نظم النثر) مطلقاً لا على وجه الاقتباس ، ومن شروطه أن يُؤْخذ (المنثور) بجملة لفظه ، أو بمعظمه ، فيزيد الناظم فيه وينقص . ليدخل فى وزن الشعر — فعقد القرآن الكريم ، كقوله

أنلنى بالذى استقرضتَ خطا وأشهِدْ معشراً قد شاهدوه
فان الله خــــلاّق البرايا عنت لجلال هيبته الوجوه
يقول « إذا تداينتم بدين إلى أجل مُسمى فاكتبوه »

وعقد الحديث الشريف ، كقوله

إن القلوبَ لأجنادٌ مُجنّدَة بالأُذن من ربّها تهوَى وَتأْتلِفُ
فما تعارف منها فهو مُؤْتلفٌ وما تناكر منها فهو مختلف

وكقوله

واستعمل الحلم واحفظ قول بارئنا سبحانه خلق الانسان من عَجَل

(٤) والحل — هو (نثر النظم) وإنما يقبل إذا كان جيّد السبْك ، حسن الموقع ـ كقوله

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدّق مَن يعتاده مِن توهُّم[1]

(٥) والتلميح — هو الاشارة إلى قصة معلومة ، أو شعر مشهور أو مَثَل سائر ، من غير ذكره ، فالأول : وهو الاشارة الى قصة معلومة ـ نحو

---

(١) تقول فى نثر هذا البيت — لما قبحت فعلاته . وحنظلت نخلاته . لم يزل سوء يقتاده ، ويصدق توهمه الذى يعتاده

يا بدر أهلكَ جاروا وعلّموك التجرّى وقبحوا لك وصلى
وحسّنوا لك هجرى فليفعلوا ما أرادوا فإنّهم أهل بدر

وكقوله تعالى (هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل) أشار (يعقوب) فى كلام هنا لأولاده، بالنسبة إلى خيانتهم السابقة فى أمر أخيهم (يوسف) — ونحو قول الشاعر

فوالله ما أدرى أأحلام نائم ألمّتْ بنا أم كان فى الركب (يوشع[1])

والثانى — وهو الاشارة الى شعر مشهور — نحو قول الشاعر

لعمرو مع الرَّمضاء والنار تَلْتظِى أرقُّ وأحفى منك فى ساعة الكرب

إشارة إلى قول الآخر

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

والثالث — وهو الاشارة الى مثل سائر من غير ذكره — نحو قول الشاعر

من غاب عنكم نسيتموه وقلبه عندكم رهينه
أظنّكم فى الوفاء ممّن صُحبته صُحبة السّفينه

(٦) وحسن الابتداء، أو براعة المطلع: هو أن يُجعل أول الكلام رقيقاً سهلا، واضح المعانى، مُستقلا عمّا بعده، مُناسباً للمقام، بحيث يجذب السامع إلى الاصغاء بكلّيته؛ لأنه أول ما يقرع السمع، وبه يُعرف ممّا عنده

قال ابن رشيق: إن حسن الافتتاح داعية الانشراح، ومطيّة النجاح — وذلك كقول الشاعر

(١) اشارة إلى استيقاف (يوشع) للشمس. يروى أنه عليه السلام: قاتل الجبارين يوم الجمعة، فلما أدبرت الشمس خاف أن تغرب قبل أن يفرغ من قتالهم، ويدخل يوم السبت، فلا يحل له قتالهم فيه، فدعا الله، فأبقى له الشمس، حتى فرغ من قتالهم

المجد عوفِيَ إذ عُوفيتَ والكرم وزال عنك إلى أعدائك السَّقَم

وتزداد براعة المطلع حسناً ، إذا دلَّت على المقصود باشارة لطيفة وتسمى براعة استهلال[1] وهى أن يأتى النّاظم ، أو الناثر : فى ابتداء كلامه بما يدلّ على مقصوده منه ، بالاشارة — لا بالتصريح

كقول (أبى محمد الخازن) مُهنِّئاً (الصاحب ابن عباد) بمولود

بُشرى فقد أنجز الاقبال ما وعدا وكوكب المجد فى أفق العلا صعدا

وكقول غيره : فى التهنئة ببناء قصر

قصر عليه تحيّة وسلام خَلَعَت عليه جمالَها الأيام

وكقول المرحوم (أحمد شوقى بك) فى الرثاء

أجَلٌ وان طال الزمان موافى أخلى يديك من الخليل الوافى

وكقول آخر فى الاعتذار

لنار الهمِّ فى قلبي لهيبُ فعفواً أيها الملك المَهيبُ

وقد جاء فى الأخبار أنّ الشّعر قُفل ، وأوّله مفتاحه

(٧) والتّخلص — هو الخروج والانتقال مما ابتدئ به الكلام إلى الغرض المقصود ، برابطة تجعل المعانى آخذاً بعضها برقاب بعض ، بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من نسيب ، إلى مدح ، أو غيره ، لشدّة الالتئام والانسجام — كقوله

وإذا جلست إلى المدَام وشُربها فاجعَلْ حَدِيثك كله فى الكاسِ

---

(١) وبراعة الطلب ، هى أن يشير الطالب إلى مافى نفسه ، دون أن يصرح بالطلب ، نحو (ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من أهلى) اشارة إلى طلب النجاة لابنه ، وكقوله

وفى النفس حاجات وفيك فطانة سكوتى بيان عندها وخطاب

وإذا نزعتَ عن الغواية فليكن (لله) ذاك النَّزع لا للنـــــاسِ
وإذا أردتَ مديحَ قومٍ لم تُلَمْ في مدحهم فامدح (بني العباسِ)

وقوله: دعت النّوى بفراقهم فتشتّتوا وقضى الزّمان بينَهم فتبدَّدوا

وقد يُنتقَل مما افتُتِحَ به الكلام إلى الغرض المقصود مباشرة، بدون رابطة بينهما، ويسمّى ذلك (اقتضابا) — كقول أبي تمَّام

لو رأى الله أنّ في الشيب خيراً جاورته الأبرار في الخُلد شِيبا
كل يوم تُبدى صروف اللّيالى خُلقا من أبي سعيد غريبا

(٨) و «حسن الانتهاء» ويقال له «حسن الختام» هو أن يجعل المتكلم آخر كلامه، عذب اللفظ، حسن السّبك، صَحِيح المعنى، مُشْعراً بالتّمام حتى تتحققَ (براعة المقطع) بحسن الختام. إذ هو آخر ما يبقى منه فى الأسماع وربما حُفظ من بين سائر الكلام، لقرب العهد به

يعني: أن يكون آخر الكلام مُستعذباً حَسناً، لتبقى لذّتُه في الأسماع مُؤذناً بالانتهاء، بحيث لا يبقى تشوّقاً إلى ما وراءه، كقول أبي نُوَاس

وإني جدير إذ بَلَغتْك بالمنى وأنت بما أمّلتُ فيك جدير
فان تُولِنى منك الجميل فأهله وإلاّ فإنى عاذرٌ وشكورُ

وقول غيره

بقيتَ بقاء الدهر يا كهف أهله وهذا دعاء للبريَّة شامل

وقول ابن حجَّة:

عَلَيْكَ سلام نشره كلّما بدى به يتغالى الطيِّب والمسك يختم

وقول غيره

ما أسأل الله إلا أن يدومَ لَنَا لا أن تزيد معاليه فقد كمُلت

أقوال أئمة العلماء الأعلام، وآراء الأساتذة الكبار فى تقدير كتاب

جواهر البلاغة

كتب أستاذى المرحوم صاحب الفضيلة الشيخ حسونه النواوى شيخ الجامع الأزهر

الحمد لله العلى القدير، والصلاة والسلام على النبى البشير النذير، وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا طريقه المنير.

« أما بعد » فقد اطلعت على كتاب (جواهر البلاغة) الذى حاز كمال الصياغة لحضرة مؤلفه الأستاذ الفاضل « السيد احمد الهاشمى » الحائز لكمال الفضائل، فوجدته كتابا نفيسا، قد اشتمل على بيان بديع المعانى، بأفصح عبارة، وأبلغ اشارة، وسلك فيه حضرة مؤلفه طريق التحقيق لصعاب الشوارد، مع كثرة التمارين والامثلة والشواهد، فجاء فريداً فى بابه، مرغوبا ونافعا لطلابه، أسأل الله تعالى أن يرزق مؤلفه الحسنى وزيادة، ويمنحه السعادة فى الدارين والسيادة، ويوفقه للتعلم والتعليم، ويهديه إلى الصراط المستقيم، انه على ما يشاء قدير، وبالاجابة جدير؟

وكتب المغفور له سماحة السيد على الببلاوى شيخ الجامع الأزهر

أحمد من رصع تاج اللغة العربية « بجواهر البلاغة » فشرفها على سائر اللغات بكمال الصياغه، وأصلى وأسلم على أفصح ناطق بالضاد، وأجل داع إلى الله وهاد سيدنا محمد القائل (إنّ من البيان لسحراً، وإن من الشعر لحكمة) وعلى آله وصحبه الذين بذلوا أرواحهم فى صون كتاب الله الكريم، ونشر دينه القويم.

هذا : وقد تصفحت جملة من كتاب (جواهر البلاغة) الذى أحكم صنعه وأبدع تصنيفه ووضعه، حضرة الفاضل، المجد الكامل، الأستاذ « السيد احمد الهاشمى » فرأيته جعل فرائد فوائد الفنون الأدبية على طرف الثمام، بحيث لايكلف طالبها أكثر من الاطلاع على كتابه، حتى يعود مسرور الفؤاد، قرير العين، بما وجده فيه من ضالّته المنشودة، التى طالما أبعدته عنها صعوبة المؤلفات السابقة، فى

مثل فنون البلاغة وطولها بدون طائل – فجزى الله حضرة هذا الاستاذ الجليل عن طالبى الاستفادة خير الجزاء ، ووفقه لما فيه من الخير والنفع العام ، انه سميع الدعاء م

وكتب المرحوم أستاذنا الحكيم الامام الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية

اطلعت على كتاب (جواهر البلاغة) فى علوم المعانى والبيان والبديع والسرقات الشعرية ، فوجدته كتابا عظيما . وأسلوبا حكيما ، يشهد لحضرة مؤلفه الفاضل ، بملاك الذوق السليم ، والعقل الحكيم ، هداه الله إلى الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . آمين م

وكتب أخونا الاستاذ الشيخ احمد الكنانى المدرس فى المدرسة التوفيقية سابقا

الحمد لله البديع صنعه ، الحكيم وضعه ، الواهب من شاء ما شاء من نعمه المفيض على من اصطفاهم من عباده وابل فضله وكرمه ، نشكره هدانا بفضله الصراط المستقيم ، صراط الذين حازوا فضل العلم والتعليم ، ونصلى ونسلم على أبى ابراهيم المبعوث بملة أبيه ابراهيم ، سيدنا محمد ذى المقامى الأسمى الذى أنزل عليه فى محكم كتابه (وقل رَب زِدنى علما) وعلى آله وأصحابه وأتباعه ، الذين اجتمعت قلوبهم وقوالبهم على حبه واتباعه .

« أما بعد » فان خير الكتب ما عم نفعه ، وحسن لدى العقلاء وضعه . وكان متقن البيان ، واضح الحجة ، قوى البرهان ، وإن كتاب (جواهر البلاغة) لمن خير الكتب وضعا ، وأحسنها اختيارا وصنعا ، لمؤلفه الفاضل الأستاذ « السيد احمد الهاشمى » فان لحضرته من التآليف العديدة ، والتصانيف المفيدة ، ما تقر به أعين الناطقين بالضاد ، و يفحم بمعجزاته كل مضاد ، لا سيما هذا السفر الجليل ، الذى جاء دليلا على اخلاصه فى النية لأبناء أمته ، و برهانا ساطعا على وفائه وحسن طويته فقد جمع فيه ما تفرق ، بعد أن حقق ودقق ، فلا غرابة إذا احتاج اليه كل انسان ، لما فيه من مراعاة النظير وحسن البيان – فالله أسأل أن ينفع بالمؤلف والمؤلف العباد ويجعله بفضله كنزا وذخرا إلى المعاد . آمين م

محتويات كتاب جواهر البلاغة

تم الفهرس